

الإسنة الحداد

في رد

شبهات علوي الحداد



تأليف الشيخ الفاضل الهمام

سليمان بن سحمان

عفى الله عنه وغفر له أينما كان



طبع بأمر حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم

سعود بن عبد العزيز آل سعود

ملك المملكة العربية السعودية

أيده الله تعالى

الطبعة الثانية في سنة ١٣٧٦ هـ

مطابع الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، وأوضح من الحجب والبراهين ما قامت به حجته على جميع المكلفين من الخلائق ، أحمدته سبحانه وأستعين به على قمع كل مناقق ومشرک مارق ، واشكره على ما من به من إدحاض الباطل وأهله من كل معاند للحق ومشاقق ، واشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تخلص الله صادق ، واشهد ان محمداً عبده ورسوله المبعوث بأهدى السنن وأقوم الطرائق ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ذوى المناقب والسوابق ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فقد وقفت على ما ألفه الملحد المفتري علوي بن احمد ابن الحسن بن عبد الله بن علوي الحداد ، فرأيت قد بالغ في الكذب والزور والاحاد ، وتجانف لللاثم والفجور والأفك والعناد ، وسلك مسلك أهل النفي والضلال والفساد ، فشنع وعادى ، وحشر علماء سوء ونادى ، واتبع أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ، وعدل عن مهيع أهل الحق والدليل ، ونهج منهج أهل الكفر والضلال والتجهيل ، وسباً كتابه المشتل على الزور والبهتان ، وعداوة أهل الاسلام والإيمان ، وعلى دعوة الخلق إلى عبادة غير الله ، والكذب على أولياء الله ، مصباح الأنام ، وجلاء الظلام ، وكان الأحق به ان يسمى غياهب الظلام ، واغواء الأنام ، واضلال العوام ؛ عن دين الاسلام الذى بعث به سيد الأنام ، واعتمد في تأليفه على أكاذيب اناس ممن شرق بهذا الدين من أهل الشرك والارتباب بعد ما تبين لهم انه الحق والصواب ، وانكرته قلوبهم بعد ذلك

وأتوا بأعظم الأسباب ، وزجوا الخلق في لجة الضلال والارتباب ، وضجوا على دعوة الحق بالكذب والاكاذاب ، وعجوا مطبقين على الشيخ بأنه ساحر أو مفتر أو كذاب ، وحكموا بكفره واستحلال دمه وماله وجميع ماله من الأصحاب ، (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب) ، وصنفوا في رد هذا الدين مصنفات ، ولفقوا من الأكاذيب على الشيخ واكثروا من الترهات ، ولم يكن لهم قصد ولا مرام ، إلا تنفير الحواص والعوام ، عن قبول الحق والدخول في دين الاسلام ، فتلقى هذا الحضرمي ما لفقوه من الخرقه ، وصريح ما اقترحوه من الافك والزندقه ، يريدون ليطفثوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ، وكذلك اعتمد في مفترياته الكاذبة الخاطئة على ما افتراه عبد الله بن داود الحنبلي البغدادي بما لفته في كتابه الذي سماه الصواعق والرعود فان هذا الملحد أعنى عبد الله بن داود أول من جمع هذه الخرقه ، وتفقوه بهذا الافك والزندقه ، التي استوحاها من أكاذيب من شرق بهذا الدين وتلقى كبوها عن أولئك المعتدين ، المتبعين غير سبيل المؤمنين ، ومن عد هذا الملحد من هؤلاء المعاندين المارقين ، احمد بن علي القباقي صاحب البصرة وعطا المكي وعبد الله بن عيسى المويسي واحمد المصري الاحسائي ومحمد بن عبد الرحمن بن عفاقي وغيرهم من شرق بهذا الدين . وهؤلاء واشباههم قد دعاهم الشيخ رحمه الى توحيد الله واخلاص العبادة له وراسلهم وبذل الجد والجهد في دعوتهم الى الله فاصروا واستكبروا وعاندوا فجادل في الله وقرر حججه وبياناته وبذل نفسه لله وانكر على أصناف بني آدم الخارجين عما جاءت به الرسل المعرضين عنه التاركين له وصنف في الرد على من عاند وجادل وما حل ، حتى ظهر الاسلام في الأرض وانتشر في البلاد والعباد ، وعلت كلمة الله وظهر دينه وانتقم أهل الشرك والعناد ، واستبان لذوي الألباب والعلم ، من دين الاسلام ما هو مقرر معلوم ، وقد طنب هذا الحضرمي فيما كتبه من الترهات ، وما لفته من التمويهات ،

ولا حاجة بنا الى تتبع جميع سقطاته ، ورعونات ورطاته ، لكن نجيب على ما قد يوهم العوام ، بما يشبه به هؤلاء الطعام ، انه من دين الاسلام ، ونفى ما افتروه على الشيخ من الألفك الواضح ، والبهتان الفاضح ، الذي لا يمتري في كذبه بذلك عاقل ، فضلا عن العلماء الأفاضل ، وحيث انتشر ما لفته هؤلاء الملحدون ، وما موه به أعداء الله المفترون ، وشاع في البلاد والعباد استعنت الله على رد ما لفقوه ، وابطال ما موهوه ، على سبيل الاختصار والاقتصار وتركت بعضاً مما ذكره هذا الملحد في مقدمة رسالته وما بعدها بما لا فائدة في رده بما يعلم بضرورة العقل انه من الترهات الواهية ، والخرافات الساجدة الساهية ، وسميت هذا الجواب « هداية الأنام ، وجلاء الأوهام ، عن معتقد الشيخ الامام ، وعلم الهداية الاعلام ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، اجزل الله له الأجر والثواب » والله المستول ان يجعله لوجهه خالصا وان يعصنا من الخطأ والزلل ، وان يعظم لنا الأجر وان يحسن لنا العمل ، بمنه وكرمه واحسانه . قال : الملحد المقتري بعبد ان ذكر من رد على الشيخ من علماء السوء فذكر من جبلتهم محمد بن عبد الرحمن بن عقالي ذكر انه رد عليه بكتاب سماه تهكم المقلدين بتدعى محمد بن الدين وزعم أنه أظهر عجز الشيخ لما سأله سؤالات ثم قال له ولا اكلمك الا الاستخراج من الكتب المصنفة مع ان المستنيط له ملكة راسخة في نفسه يدرك بها جميع ذلك من غير مراجعة فمن سؤالاته : سألتك عن قوله تعالى والعاديات ضبحا الى آخر السورة التي هي من قصار المفصل كم فيها من حقيقة شرعية وحقيقة لغوية وحقيقة عرفية وكم فيها من مجاز مرسل ومجاز مركب واستعارة حقيقية واستعارة وثاقية واستعارة عنادية واستعارة عامة واستعارة خاصة واستعارة أصلية واستعارة تبعية واستعارة مطلقة واستعارة مجردة واستعارة مرشحة وموضع اجتماع الترشيح والتجريد فيها وموضع الاستعارة بالكناية والاستعارة التخيلية وما فيها من التشبيه الملفوف والمفروق والمفرد والمركب والتشبيه المجمل والمفصل وما فيها من

الايجاز والاطناب والمساواة والاسناد الحقيقي والاسناد المجازي المسمى بالمجاز الحكمي وأي موضع فيها وضع المضر موضع المظهر وبالعكس وموضع ضمير الشأن وموضع الالتفات وموضع الفصل والوصل وكال الاتصال وكال الانقطاع والجامع بين جملتين متعاطفتين ومحل تناسب الجمل ووجه التناسب ووجه كماله في الحسن والبلاغة وما فيها من ايجاز قصير وما فيها من ايجاز حذف وما فيها من احتراس وتنظيم وبين لنا موضع كل ما ذكر وغير ذلك من وجوه الاعجاز ومن طرق التحدي التي اشتملت عليها هذه السورة القصيرة بما هو منصوص على جميعه ولم يقدر ابن عبد الوهاب على جواب شيء مما سأله الامام الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفا لقي انتهى ما ذكره الحضرمي والجواب ان يقال لهذا المفترى الملحد قد ظهر واشتهر من حال الشيخ وما منحه الله تعالى به من العلم والفهم والاطلاع بما لا يخفى على منصف قد تحلى من ثوبي الجهل والتعصب بمن له معرفة ودين ولا يخفى ذلك الا على من اعصى الله بصيرة قلبه فان الشيخ رحمه الله امام الموحدين ، ورأس العلماء العاملين ، وغرة الائمة المحققين ، فكان من المعلوم انه سباق غايات ، وصاحب آيات ، لا يشق غباره ، ولا تدرك في البحث والافادة آثاره ، كان حفظ القرآن عن ظهر قلبه قبل بلوغه العشر وكان حاد الفهم سريع الحفظ استغل في العلم على أبيه وأخذ في القراءة على والده في الفقه ورحل في العلم وسار وجد في الطلب فزاحم فيه العلماء الكبار وأخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ عبد الله بن ابراهيم النجدي ثم المدني وقد سمع رحمه الله الحديث والفقه من جماعة بالبصرة كثيرة وقرأ بها النحو واتقن تحريره وكتب الكثير من اللغة والحديث فله دره من جهبذ عالم ، وداع الى توحيد الله قائم ، وناصح لله ملازم ، ومحدد لتلك المشاهد السنوية والمعالم ، قال شيخنا الامام وعلم الهداة الاعلام في رده على جلاء الغمة وقد عرف طلب الشيخ للعلم ورحلته في تحصيله كما ذكره صاحب التاريخ الشيخ حسين ابن غنام الاحسائي وقد اجتمع بأشياخ الحرمين في وقته ومحدثها واجازه

بعضهم ورجل الى البصرة وسمع وناظر والى الاحساء وهي اذ ذاك آهلة بالعلماء
فسمع من أشياخها وباحث في أصول الدين ومقالات الناس في الايمان وغيره
وسمع من والده ومن فقهاء نجد في وقته واشتهر عندهم بالعلم والذكاء انتهى
وقال بعض المحققين من أهل العلم والدين وللشيخ رسائل وتأليفات تدل على سعة
علمه منها كتاب التوحيد وكتاب أصول الايمان واستنباط الأحكام من بعض
السور وغيرها. وحكاية السؤال عن المسائل وعدم القدرة على الجواب عنها حكاية
رجل بخائن لا يعتمد على حكايته قال واما قوله واسألك عن قوله تعالى
والعاديات ضبط الى آخر ما قال قال الكلام فيه من وجوه الأول : عدم الاعتماد
على هذه الحكاية والثاني : عدم القدرة على جواب هذا السؤال لا يدل على
عدم تمكنه في العلوم الدينية من الحديث والتفسير والفقه . والثالث : ان هذا
السؤال من جنس مجازاة العلماء وهي غير جائزة بل من جنس الأغلوطات
وهو منهي عنه لما روى أبو داود عن معاوية قال ان النبي ﷺ نهي عن
الأغلوطات وذكر أحاديث لا تخلو من مقال ثم قال ولا ريب ان
السؤال الذي ذكره المؤلف خرج على سبيل تعنيت المسؤول وتعجيزه .
والرابع : ان رسول الله ﷺ وأصحابه رضی الله عنهم وأهل بيته رضوان الله
عليهم أجمعين وأهل العلم من التابعين وتابع التابعين سبب الأئمة الاربعة من الفقهاء
والأئمة الستة من أهل الحديث لو سئلوا عن أمثال تلك المسائل فهل يقدرّون على
الجواب على شيء منها أم لا ، على الثاني : فالشيخ رحمه الله تعالى أسوة حسنة
في هؤلاء السادة الكبار . والاول : مستبعد جدا فان رسول الله ﷺ ما كان
يعرف شيئا من حقيقة شرعية وحقيقة لغوية وحقيقة عرفية ومجاز مرسل
وغیرها من الامور المذكورة في هذا السؤال وكذلك أصحابه وأهل بيته رضي
الله عنهم وكذلك اهل العلم من التابعين وتابع التابعين وكذلك الفقهاء الاربعة
والأئمة الستة انتهى . قلت : وهذه الامور التي ذكرها ابن عفاق المشتملة على الحقيقة
والمجاز وأنواعه وغيرها من العلوم المحدثه الاصطلاحية التي لا تعرف في كلام

الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والائمة المهتدين وانما غالبها كان من جهة
المعتزلة ونحوهم من المتكلمين ولو كان ذلك من العلوم الشرعية والامور
الدينية لعلمه النبي ﷺ وعلمها اصحابه خصوصا جبر الامة وترجمان القرآن
عبد الله بن عباس ولذكرها اصحابه الذين أخذوا تفسير القرآن من اوله الى
آخره عنه ولو كان معرفة ذلك من الدين لما حرم ذلك اصحاب رسول الله ﷺ
وجلهوه ، ورزقه الخلف من المتكلمين وعلموه ، وحازوا قصب السبق اليه
دون فصحاء الامة وعلمائها الذينهم اسبق الناس الى كل خير واذا كان ذلك
كذلك كان هذا من العلم المذموم لمخالفته ما كان عليه سلف الامة واثمتها
وهذه الامور قد ذكرها اهل المعاني والبيان مفرقة في كل باب من ابوابه
فجمعها هذا او من جمعها للمجاراة والامتحان وليس ذلك من طريقة اهل
الاسلام والايمان واهل العلم والاتقان قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله
تعالى في كتاب الايمان في الجواب العام فيقال اولا تقسيم الالفاظ الدالة على
معانيها الى حقيقة ومجاز أو تقسيم دلالتها او المعاني المدلول عليها ان استعمل
لفظ الحقيقة والمجاز في المدلول أو في الدلالة فان هذا كله قد يقع في كلام
المتأخرين ولكن المشهور ان الحقيقة والمجاز من عوارض الالفاظ وبكل
حال فهذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة لم يتكلم به
أحد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ولا أحد من الائمة المشهورين في العلم
كمالك والثوري والاوزاعي وابي حنيفة والشافعي ، بل ولا تكلم به أئمة اللغة
والنحو كالحليل وسيبويه وابي عمرو بن العلاء ونحوهم واول من عرف انه تكلم
بلفظ المجاز ابو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه ولكن لم يعن بالمجاز ما هو من قسم
الحقيقة وانما عني بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية ولهذا من قال من الاصوليين كابي
الحسن البصري وأمثاله انه يعرف الحقيقة من المجاز بطرق منها نص اهل اللغة
على ذلك بأن يقولوا هذا حقيقة وهذا مجاز فمن ظن هذا فقد تكلم بلا علم فانه
ظن ان اهل اللغة قالوا هذا ولم يقل ذلك أحد من اهل اللغة ولا من سلف الامة
وعلمائها وانما هذا اصطلاح حادث والغالب انه كان من جهة المعتزلة ونحوهم من

من المتكلمين فانه لم يوجد هذا في كلام احد من اهل الفقه والاصول والتفسير والحديث ونحوهم من السلف وهذا الشافعي هو أول من جرد الكلام في أصول الفقه ولم يقسم هذا التقسيم ولا تكلم بلفظ الحقيقة والمجاز وكذلك محمد بن الحسن له في المسائل المبنية على العربية كلام معروف في الجامع الكبير وغيره ولم يتكلم بلفظ الحقيقة والمجاز وكذلك سائر الائمة لم يوجد لفظ المجاز في كلام واحد منهم الا في كلام احمد فانه قال في كتاب الرد على الجهمية في قوله انا ونحن ونحو ذلك في القرآن هذا من مجاز اللغة يقول الرجل انا سنعطيك انا سنفعل فذكر ان هذا من مجاز اللغة وبهذا احتج على مذهبه من أصحابه من قال ان في القرآن مجازاً كالقاضي أبي يعلى وابن عقيل وأبي الخطاب وغيرهم وآخرون من أصحابه منعوا أن يكون في القرآن مجاز كأبي الحسن الجزري وأبي عبد الله بن حامد وأبي فضل التميمي ابن أبي الحسن التميمي وكذلك منع أن يكون في القرآن مجاز محمد بن جرير وغيره من المالكية ومنع منه داود بن علي وابنه أبو بكر ومنذر بن سعيد البلوطي وصنف فيه مصنفًا وحكى بعض الناس عن احمد روايتين وأما سائر الائمة فلم يقل أحد منهم ولا من قدماء أصحاب احمد ان في القرآن مجازاً لا مالك ولا الشافعي ولا أبو حنيفة فان تقسيم الالفاظ الى حقيقة ومجاز انما اشتهر في المائة الرابعة وظهرت أوائله في المائة الثالثة وما علمته موجوداً في المائة الثانية اللهم الا أن يكون في أواخرها والذين انكروا ان يكون احمد أو غيره نطقوا بهذا التقسيم قالوا ان معنى قول احمد من مجاز اللغة أي بما يجوز في اللغة أي يجوز في اللغة ان يقول الواحد العظيم الذي له اعوان نحن فعلنا كذا ونحو ذلك قالوا ولم يرد احمد بذلك ان اللفظ استعمل في غير ما وضع له وانكر طائفة ان يكون في اللغة مجاز لافي القرآن ولا في غيره كأبي اسحاق الاسفرائني ثم اطال الكلام في هذا المبحث فمن أراد الوقوف عليه فليراجع هناك فقد بسط القول فيه فاذا عرفت هذا فلا مجاز في القرآن وتقسيم اللغة الى حقيقة ومجاز مبتدع محدث كما ذكره شيخ الاسلام في هذا الكتاب ولم ينطق به السلف. والحلف فيه على قولين وليس النزاع فيه لفظياً

بل يقال نفس هذا التقسيم باطل لا يتميز هذا عن هذا ولهذا كان كلما يذكرونه من الفروق يبين انها فروق باطلة وكلما ذكر بعضهم فرقا ابطله الثاني فاذا تحققت هذا فالشيخ رحمه الله متبع لا مبتدع وقد تبع سلف الامة واثنى في عدم الاعتناء بهذه الامور المبتدعة المحدثه في الاسلام فكان هذا يعد في مناقبه ولا يعيب عليه بعدم معرفتها ويعد ذلك من مثالب الشيخ الا جاهل مبتدع زال كحال هؤلاء المتعنتين المتطعين المتهوكين الجباري المفتونين فنعود بالله من رين الذنوب وانتكاس القلوب .

فصل

واما قوله : ورد على ابن عبيد الوهاب الامام المحقق الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف بكتاب سماه سيف الجهاد لمدعى الاجتهاد وسئل الشيخ محمد بن سليمان الكردي المدني بمسائل ابتدعها ابن عبد الوهاب فرد على ابن عبد الوهاب ردآ بليغاً والجواب جعلناه خاتمة هذا الكتاب بحمد الله تعالى ثم رأيت جوابات للعلماء الاكابر من المذاهب الاربعة لا يحصون بعد من أهل الحرمين الشريفين والاحساء والبصرة وبغداد وحلب واليمن وبلدان الاسلام نثرا ونظما أتى الى مجموع رجل من آل ابن عبد الرزاق الحنابلة الذين في الزبارة والبحرين فيه رد علماء كثيرين ونحن على ظهر سيفر ما امكن نقل منه وطالعتهم جميعه الى آخر كلامه فالجواب ان يقال : كل هؤلاء المذكورين واضعافهم واضعاف اضعافهم اذا امعنت النظر في كلامهم تحققت انهم كلهم همج رعاع اتباع كل ناعق الذين لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا الى ركن وثيق فهم على كثرتهم من الجيل الحثيث فلا يعجبك كثرة الحثيث (وان نطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) واذا سبرت أحوالهم وعرفت أقوالهم وتأملت ما في كتبهم وجدتها كما قال الله تعالى : (والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء

حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً) لانه ليس في كتبهم الا ما لفقوه من
الاكاذيب ، المختوعة والاوزاع المصنوعة المقتوعة ، وذلك بعد ان
احجم اكثر هؤلاء عن مقاومة ما دعاهم اليه شيخ الاسلام ، من
توحيد الملك العلام ، واخلاص العبادة له وحده لا شريك له وترك
عبادة ماسواه من الاولياء والصالحين والاثاث والاصنام ، فلما لم يجدوا
سيلا الى رد مدعاهم اليه من التوحيد واستنكفوا واستكبروا عن متابعتة
والانقياد لما امرهم به وبينه لهم عدلوا الى هذه الاكاذيب والاوهام فلم يبال
رحم الله بجميع من خالفه من الانام ، ومارموه به من الفوادح العظام ،
وما فوقوا له من تلك السهام ، فلم يكن لهم اليه وصول ، وصار كل منهم
عنه مغلول - وحد لسانه مفلول . ثم ذكر هذا الملحد حكاية عن علي بن مبارك
الاحسائي وتلميذه الذي يزعم انه من اعوان المهدي وانه بعد حضوره مع علماء
أهل مكة لمناظرة من وصل اليهم من تلامذة الشيخ ادحض جميع حججهم لما احجم
علماء مكة عن الجواب والمناظرة وأنه بهذا صار من اعوان المهدي وهذه
الحكاية لا أصل لها فان هذا الرجل الذي يزعم انه من تلامذة علي بن مبارك
وانه من اعوان المهدي لم يسمه ولا ذكر شيئاً من حججه التي رد بها على
تلامذة الشيخ حتي ادحض حججهم حتى يتبين صدقه في ذلك من كذبه ولو كان
لهذه الحكاية أصل لذكر ماجرى في المناظرة من الحجج وما أجاب به هذا
الرجل الذي لا يعرف بل هو مجهول العين والحال فتبين انها من الكذب المحال
ومن تلفيقات أهل الغي والضلال يريدون ليطفثوا نور الله بافواههم ويأبى الله
الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

فصل

ثم قال الملحد بعد حظه على مراجعة ما ذكره امام ضلالتهم عبد الله بن
داود الحنبلي مما زعم انه من هفوات الشيخ محمد بن عبد الوهاب قال ففسرد لك

الآن هنا بعضا منها لتتظر اولا هفواته عن حقيقة و يقين وخبرة فمن ذلك انه يضر دعوى النبوة وتظهر عليه قرائنها بلسان الحال لا بلسان المقال لئلا تنفر عنه الناس ، والجواب : ان يقال لهذا الملحد المفتري هذا من ابطال الباطل واحل المحال وبطلانه من وجوه ، الوجه الاول : انه زعم انه يضر دعوى النبوة وهذا امر قلبي لا يطلع عليه الا الله فكيف ساغ له ان يدعي علم ما في القلوب مما لا يطلع عليه الا اعلام الغيوب ايدعي علم الغيب او انه يوحي اليه ومن ادعى ذلك فهو كافر ثم ما هذه القرائن التي يزعم هذا الدجال المفتري انها تظهر عليه بلسان الحال فهلا ذكر قرينة واحدة من ذلك فانا لانعلم الا دعوة الخلق الى اخلاص العباداة لله وحده وان يكون الدين كله لله ثم كيف ساغ له دعوى ان الشيخ يضر في قلبه دعوى النبوة وهي كذب ظاهر وينفيه بدعواه الباطلة لما قال الشيخ في المشركن عباد القبور انهم يعظمون مشاهد الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومشاهد الاولياء تعظيما بليغا حتى يطلبون منهم ما لا يقدر عليه الا الله تبارك وتعالى وهذا امر معلوم مشهور عنهم واعتقادهم في الانبياء والاولياء لا ينكره الا مكابر في الحسيات مباحث في الضرورات فقول هذا الملحد فمن اين اطلع عليه واعتقد فيهم على سبيل القطع حتى بنى على تكفيرهم الى اخره . فيقال : اطلع عليه بافعالهم الظاهرة التي لا تصدر الا عن اعتقاد القلب فيمن يدعونه ويستغيثون به ويلجئون اليه في مهماتهم وملامتهم حالا ومقالا بخلاف ما زعمت انت واصحابك المفترون من ان الشيخ يضر دعوى النبوة وهو امر قلبي لا يطلع عليه الا الله مع انها دعوى كاذبة خاطئة وبنيت على ذلك تكفيره وتكفير من تبعه على دين الله ورسوله واستحلال دمائهم واموالهم من غير ذكر قرينة حال أو مقال الا بدعوى مجردة عن الدليل . الوجه الثاني : ان دعواهم هذه بما يعلم كذبها بالاضرار وأن ذلك تهور في القول منهم عند ذوي العقول والابصار واما تعظيمهم لمشاهد الانبياء والاولياء وطلبهم منهم ما لا يقدر عليه الا الله فمما لا يخفى على احاد الناس فانه من المعلوم

انهم مادعوهم والتجئوا اليهم واستغاثوا بهم في دفع الكربات وازالة الشدات
وطالبوا منهم قضاء الحاجات واغاثة الالهامات الا لاعتقادهم انهم يشفعون لهم عند
الله ويقرّبونهم اليه كما هو حال المشركين الاولين حذو القذة بالقذة ولا يفقههم
اعتقادهم ان الفاعل لذلك في الحقيقة هو الله لان المشركين الاولين لا يعتقدون
ان آلهتهم تخلق شيئاً . بل يعتقدون ان الله هو الخالق الموجد النافع
الضار وانهم انما ارادوا منهم الجاه والشفاعة كما ذكر الله ذلك عنهم
في كتابه في غير موضع وسيأتي بيان ذلك . الوجه الثالث : ان الشيخ
قد ذكر في كتاب التوحيد ما رواه البرقاني في صحيحه قوله في الحديث
وانما اخاف على أمتي الائمة المضلين واذا وقع عليهم السيف لم يرفع الى يوم القيامة
ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد قثام من أمتي
الاوثان وانه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم انه نبي وانا خاتم النبيين
لانني بعدي الى آخر الحديث وقال في المسائل المستنبطة من هذا الباب الثامنة
العجب العجيب خروج من يدعي النبوة مثل المختار مع تكلمه بالشهادتين
وتصرّحه انه من هذه الامة وان الرسول حق وان القرآن حق وفيه ان محمداً
خاتم النبيين ومع هذا يصدق في هذا كله مع التضاد الواضح وقد خرج المختار
في آخر عصر الصحابة وتبعه قثام فكيف يضر مع هذا دعوى النبوة وكيف
يزعم هذا ويرمي به الشيخ رجل يؤمن بالله واليوم الآخر وبهذا تعلم ان هذا
من تزوير من شرق بهذا الدين من اعداء الله ورسوله تنفيوا للناس عن الاذعان
لاخلاص التوحيد لله بالعبادة وبوهمون العامة ان هذه حال الشيخ فلا يقبلوا
مادعاهم اليه من هذا الدين الذي من الله به في آخر هذا الزمان الذي فشا فيه
الجهل وتلاطم فيه موج الشرك والاحاد ، وكثر فيه البغي والفساد ، وانتشر
ذلك في البلاد والعباد ، وقوله : ويشهد لذلك ما ذكره العلماء من ان
ابن عبد الوهاب كان في أول امره مولعاً بمطالعة اخبار من ادّعى النبوة كاذباً
كمسيلمة وسجاح والاسود العنسي وطلحة الاسدي واضراهم فاجاب :
ان يقال وهذا ايضاً من الكذب والفجور ، وقول الزور ، بل كان رحمه الله

تعالى مولعا بكتب الحديث والتفسير كما قال رحمه الله في بعض اجوبته :
ثم إنا نستعين على فهم كتاب الله بالتفسير المتداولة المعتبرة ومن اجلها لدينا
تفسير محمد بن جرير ومختصره لابن كثير الشافعي وكذلك البيضاوي والبعوي
والخازن والجلالين وغيرهم . وعلى فهم الحديث بشرحه كالقسطلاني والعسقلاني
على البخاري والنووي على مسلم والمناوي على الجامع الصغير ونحوهم على كتب
الحديث خصوصا الامهات الست وشروحها ونعني بسائر الكتب في سائر
الفنون أصولا وفروعا ، وقواعد وسيرا وصرفا ونحواً وجميع علم الامة
ولان امر ياتلاف شيء من المؤلفات اصلا . فتبين بهذا لكل منصف اراد الحق
انه على خلاف ما يفتره اعداء الدين بما لفقوه من هذه المفتريات ، التي لا يصغي
إليها إلا القلوب المغفلات ، بل كان المعروف من حاله عند كل عاقل خبر الناس
وعرف احوالهم ، وسمع شيئا من اخبارهم ، وتوارى عنهم ان اهل نجد وغيرهم
من تبع الشيخ واستجاب لدعوته من سكان جزيرة العرب كانوا قبل دعوة
الشيخ على غاية من الجهالة والضلالة ، والفقر والعاله ، لا يستويب في ذلك عاقل
ولا يجادل فيه عارف كانوا من امر دينهم في جاهلية يدعون الصالحين ويعتقدون
في الاشجار والاحجار والنيران يطوفون بقبور الانبياء ويرجون الخير والنصر
من جهتها وفيهم من كفر الاتحادية والخلوية وجهالة الصوفية ما يرون انه من
شعب الايمان والطريقة المحمدية وفيهم من إضاعة الصلوات ومنع الزكاة وشرب
المسكرات ما هو معروف مشهور فحى الله بدعوته شعار الشرك ومشاهده
وهدم به بيوت الكفر ومعابده وكبت الطواغيت والملحدين وأزم من ظهر
عليه من البادية وسكان القرى بما جاء به محمد ﷺ من التوحيد والهدى وكفر
من انكر البعث واستراب فيه من اهل الجهالة والجفا وامر بإقامة الصلوات
وإيتاء الزكاة وترك المنكرات والمسكرات وعن الابتداع في الدين وامر
بمتابعة السلف الماضين في الاصول والفروع من مسائل الدين حتى ظهر دين الله
واستعلن واستبان بدعوته منهاج الشريعة والسنن وقام قائم الامر بالمعروف

والنهي عن المنكر وحددت الحدود الشرعية ، وعزرت التعازير الدينية ،
وانتصب علم الجهاد ، وقاتل لأعلاء كلمة الله أهل الشرك والفساد ، حتى سارت
دعوته وثبت نصحه لله ولكتابه ولرسوله ولعامة المسلمين وأئمتهم وجمع الله به
القلوب بعد شتاتها وتآلفت بعد عداوتها وصاروا بنعمة الله إخواناً فأعطاهم الله
بذلك من النصر والعز والظهور ، ما لا يعرف مثله لسكان تلك الفيا في والصخور ،
وفتح عليهم الإحساء والقطيف وقهروا سائر العرب من عمان إلى عقبة مصر
ومن اليمن إلى العراق والشام ودانت لهم عربها وأعطوا الزكاة . فهذا وأمثاله
من إقامة دين الله وشرعه هو المعروف المشهور من حاله ومقاله لا كما يزعمه
اعداء الله واعداء رسله وشرعه ودينه الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون
ويصدون عن سبيل الله من آمن به ويغفونها عوجاً فبعداً للقوم الظالمين .
وأما قوله : وان أباه عبد الوهاب كان رجلاً صالحاً ، وأنه تفرس في رلده
الشقاوة من حين صباه وكان يبغضه بغضاً شديداً ، ويقول : سيظهر منه فساد
عظيم . فالجواب ان يقال : وهذا أيضاً من الكذب والبهتان ، والزور
والعدوان . قال الشيخ ابو بكر حسين بن غنام رحمه الله تعالى في روضة
الافكار بعد ان ذكر كلاماً في الثناء على الشيخ وكان والده قد توسم فيه
الخير ويحدث بذلك ويبيديه ، ويؤمل ذلك ويرجوه ، كما حدث به سليمان
اخوه . قال : كان عبد الوهاب ابوه ، يتعجب من فهمه وإدراكه ، قبل
بلوغه وإدراكه ، ومناهزته الاحتلام وإفراكه ، ويقول أيضاً : لقد استفدت
من ولدي فوائد من الاحكام ، أو قريباً من هذا الكلام ، وقد كتب والده
إلى بعض إخوانه ، رسالة نوه فيها بشأنه يثني فيها عليه ، وان له فهماً جيداً
أو لديه ، ولو يلزم الدرس سنة على الولاية ، لظهر في الحفظ والاتقان آية ،
وقد تحققت انه بلغ الاحتلام ، قبل اكمال اثنتي عشرة سنة على الاتمام ،
ورأيت أهلاً للصلاة بالجماعة والائتمام ، فقدمته لمعرفة بالاحكام ، وزوجته بعد
البلوغ في ذلك العام . وذكر كلاماً طويلاً في الثناء عليه ليس هذا محل ذكره .

فصل

ثم قال الملحد : ومن ذلك أنه كان ينتقص النبي ﷺ كثيراً بعبارات مختلفة منها قوله فيه انه طارش بمعنى ان غاية امره انه كالطارش الذي يرسل إلى أناس في امر فيبلغهم اياه ثم ينصرف ومنها قوله افي نظرت في قصة الحديبية فوجدت فيها كذا وكذا كذبة الى غير ذلك مما يشبه هذا على أن اتباعه يفعلون ذلك أيضاً ويعلم بذلك ويظهر عليه الرضا به حتى كانت بعضهم يقول عصاي خير من محمد لأنها ينتفع بها بقتل الحية ونحوها ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلاً وإنما هو طارش ومضي . وبهذا يكفر عند المذاهب الاربعة والجواب أن يقال : الله اكبر على هؤلاء الملاحدة الذين يصدون عن سبيل الله من آمن ويبلغونها عوجاً فان هذه الاكاذيب مما لا يمتري كل عاقل انها كذب وقد أجاب عنها الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد رحمه الله في الرسالة التي صنفها بعد دخول مكة المشرفة واجتماعه فيها بعلماء الحرمين قال جوابنا عن هذا كله ان نقول سبحانه هذا بهتان عظيم فمن روى عنا شيئاً من ذلك او نسبنا اليه فقد كذب علينا وافترى ومن شاهد حالنا ورآى مجلسنا وتحقق ما عندنا علم قطعاً ان جميع ذلك وضعه علينا جماهير اعداء الدين واخوان الشياطين تنفيراً للناس عن الاذعان لاخلاص التوحيد لله بالعبادة الى آخر كلامه وأما قوله : ومن ذلك انه كان يكره الصلاة على النبي ﷺ ويتأذى من سماعها وينهى عن الجهر بها على المنابر ويؤذي من يفعله ومنع من الاتيان بها على المنابر ليلة الجمعة وكذلك احرق دلائل الحيرات وغير من كتب الصلاة على النبي ﷺ ويستتر بدعوى ان ذلك بدعة فالجواب ان يقال : وهذا أيضاً من غط ما قبله من الكذب والبهتان والزور والعدوان قال الشيخ حسين بن غنام في روضة الافكار ، وأما قوله وأبطل الصلاة على رسول الله ﷺ في يوم الجمعة وليلتها فهذا الكلام مع بشاعة لفظه فيه ابهام وإيهام وتشنيع بظاهرة عند العوام وتنفير لهم

عن توحيد الملك العلام فان الشيخ رحمه الله لم ينه عن ذلك ولم يبطله إلا الفعل الذي يفعل في كثير من البلدان وقد ابطله جماعة من الإعيان وانكره جمع من نقاد هذا الشأن وقالوا لا يتقرب به إلى الله تعالى ولا يدان لانه بدعة محضة اظهرها في مقام العبادة الشيطان واشرب حبها من هو في الحماقة والتعصب كالولدان فخير الهدي هدى الرسول وما ورد عن خلفائه مقبول وما حدث بعد القرن السابع وكان بعده متواليا شائع حتى صبروه واتخذوه ديناً ومنهجاً جاء به الشارع وكان للنفوس إليه أعظم داع ووازع فلن يسوغ لذوي العقول ، من حملة الشرع وممارسي المنقول ، ان يسكتوا عنه فلا ينتهروا صاحبه ولا يزجروه ، ولا يزيلوه فوراً ويغيروه ، ويعترضوه وينكروه ، فضلاً عن كونهم يرتضوا فعله ، ويقرؤا اربابه واهله ، وليت من دان الله تعالى به عرف دين من أصله ووضع ، حتى يعترض على من انكره ومنعه ، فقد ذكر السيوطي في كتاب الرسائل ، إلى معرفة الاوائل ، ان اول من احدث التذكير يوم الجمعة لتهيأ الناس لصلاتها بعد السجدة في زمن الناصر ابن دقلاوون ولا شك ان ما كان من الدين إذ ذاك متخذاً مجعولاً ، ومؤسساً شرعه منحولاً ، ليس مأخوذاً به ولا معبولاً ، اما يخاف المعارض شوم ذنبه ، وسخطه لمولاه وربّه في توسله وتوصله إليه وقربه ، بعمل لم يشرعه سبحانه ولم يأذن به ، فويل لمن يحرف الكلم عن مواضعه ، وينتحل ما ليس واصله ، ويحسن ذلك في مواقفه ، ويضل من قام حسبة لله في تهيئة موانعه ما جوا به إذ قام بين يدي مولاه فيما اسداه من الدين وابداه وزاد على ما جاء به الرسول واتاه ، اظن ان دين نبه ناقص فكملة ، وبحياه قبيح فحسنة وجمله ، نعوذ بالله مما تقوله الغلاة ونسأله ان يجنبنا طريق الغواية ولا حول ولا قوة إلا بالله وليعلم القاريء : لهذا الكتاب ، والواقف على هذا الخطاب ، ان خلاصة البيان عن ذلك في الجواب ، ان الذي انكره من غير شك ولا ارتياب ، هو ما يفعل في غالب الأمصار ، ويعمل في كثير من الاقطار ، لا سيما (٢ م - الاسنة الحداد)

الحرمين كما صح بالمشاهدة والاخبار وذلك ان يصعد ثلاثة او اكثر على رؤس المنار ، ويقرؤون آيات من القرآن ويصلون على النبي برفع صوت وعلان ويأتون بقبیح الاخان ، واصوات تحاكي غناء القيان ، ويمططون آيات الله الكريمة ، ويغيرون حرمة اسمائه العظيمة ، وينقلونها من معناها إلى معني ، وكفى بذلك اتما ووهنا ، وتغيرا لما اراده الله بأسمائه وصفاته الحسني لقد خسر والله من ضل سعيه وهو يحسب انه يحسن صنعها انتهى وقال الشيخ : احمد بن مشرف الاحسائي في ابيات له قال فيها :

فسل فاعل التذكير عند اذانه	أهذا هدى ام انت بالدين تلعب
وهل سن هذا المصطفى في زمانه	او الخلفا او بعض من كان يصحب
وهل سنه من كان للصحب تابعا	اذا قام للتأذين يوماً يثوب
وهل قاله النعمان او قال مالك	به اوراه الشافعي واشهب
وهل قاله سفيان او كان احمد	إليه إذا نادى المؤذن يذهب
اقموا لنا فيه الدليل فإننا	نميل إلى الانصاف والحق نطلب
فخير الامور السالفات على الهدى	وشر الامور المحدثات فحذروا
وما العلم إلا من كتاب وسنة	وغيرهما جهل صريح مركب
فخذ بها والعلم فاطلبه منها	ودع عنك جهالا عن الدين اضربوا
خفافيش اعشاهما النهار بضوئه	فوافقها من ظلمة الليل غيب
فظلت تحاكي الطير في ظلمة الدجى	وان لاح ضوء الصبح للعش تهرب

واما قوله : ولذلك احرق دلائل الخيرات وغيره من كتب الصلاة على النبي ﷺ إلى آخره فأقول : قد اجاب عن ذلك الشيخ بقوله واما دلائل الخيرات فلذلك سبب وذلك اني اشرت على من قبل نصيحتي من اخواني ان لا يصير في قلبه اجل من كتاب الله ويظن ان القراءة فيه انفع من قراءة القرآن واما إحراقه والنهي عن الصلاة على النبي ﷺ بأي لفظ كان فهذا من البهتان .

فصل

واما قوله : ومن ذلك انه منع من مطالعة كتب الفقه والحديث والتفسير واحرق كثيراً منها فالجواب : انا قد ذكرنا فيما تقدم انه قال رحمه الله : ثم انا نستعين على فهم كتاب الله بالتفسير المتداولة المعتمدة ومن اجلها لدينا تفسير محمد بن جرير ومختصره لابن كثير الشافعي وكذلك البيضاوي والبنغوي والحازن والجلالين وغيرهم وعلى فهم الحديث بشروحه كالقسطلاني والعسقلاني على البخاري والنووي على مسلم والمناوي على الجامع الصغير ونحوهم على كتب الحديث خصوصاً الامهات الست وشروحها ونعني بسائر الكتب في سائر الفنون اصولاً وفروعاً وقواعد وسيراً وصرفاً ونحواً وجميع علم الامة ولا نأمر باتلاف شيء من المؤلفات وكيف يمنع من مطالعة كتب الفقه وقد صنف في ذلك مصنفات واختصر الشرح الكبير والانصاف وصنف في الحديث ككتاب التوحيد واصول الايمان وكتاب مجموع في الحديث وله مصنفات ورسائل عديدة مفيدة وبهذا تعلم انهم انما يتبعون اهوائهم وما يضعه الواضعون من أعداء الدين من الاكاذيب فאלله المستعان واما قول الملحد : ومن ذلك اذنه لكل من تبعه ان يفسر القرآن بحسب فهمه حتى همج الهمج إلى آخره فأقول : وهذا ايضاً من نمط ما قبله في الكذب فإن الشيخ قال في الرسالة التي اختصرت لاهل مكة ونحن ايضاً في الفروع على مذهب احمد بن حنبل رحمه الله ولا ننكر على من قلد احد الاربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة والزيدية والامامية ونحوهم فلا نقرهم على شيء من مذاهبهم الفاسدة بل نجبرهم على تقليد احد الائمة الاربعة ولا نستحق بمرتبة الاجتهاد المطلق ولا احد لدينا يدعيها الا انتا في بعض المسائل اذا صح لنا نص جلي من كتاب اوسنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الائمة الاربعة أخذنا به وتركنا المذهب كارث الجد والأخوة

فانا نقدم الجدوان خالف مذهب الخنابلة ولا نفتش على أحد في مذهب
ولا نعترض إلا اذا اطلعنا على نص جلي كذلك مخالف لمذهب بعض الأئمة
وكانت المسألة يحصل به شعار ظاهر كامام الصلاة فتأمر الحنفي والمالكي بالمحافظة
على نحو الطمأنينة في الاعتدال والجلوس بين السجدين لوضوح ذلك بخلاف
جهر الامام الشافعي بالبسلة وشتان بين المسألتين فاذا قوي الدليل أمرناهم للنص
وان خالف المذهب وذلك إما يكون نادراً ولا مانع من الاجتهاد في بعض
المسائل دون بعض فلا مناقضة لعدم دعوى الاجتهاد المطلق وقد سبق جمع
من أئمة المذاهب الأربعة إلى اختيارات لهم في بعض المسائل مخالفين للمذهب
ملتزمين تقليد صاحبه انتهى وتقدم آنفاً انه يستعين على فهم كتاب الله
بالتفسير المعتبرة فاذا تحققت هذا وعلمته بطلت دعوى هؤلاء المفتين في قولهم
واذن لكل من تبعه أن يفسر القرآن بحسب فهمه فان هذه الدعوى من
الكاذب الذي افترأها هؤلاء الملحدون ليصدوا العوام عن الدخول في دين
الله ورسوله وحسبنا الله ونعم الوكيل وقوله : ومن ذلك أنه يدعى باطنا
أنه أتى بدين جديد كما يظهر من قرائن أحواله وأقواله : ولذلك لم يقبل من
دين نبينا محمد ﷺ إلا القرآن فانه قبله ظاهراً فقط لئلا يعلم الناس حقيقة أمره
فينكشفوا عنه بدليل انه هو واتباعه انما يؤلون بحسب ما يوافق هواهم
لا بحسب ما فسرهم النبي ﷺ وأصحابه والسلف الصالح وأئمة التفسير فانه
لا يقول بذلك كما انه لا يقول بما عدا القرآن من أحاديث النبي ﷺ وأقوال
الصحابة رضي الله عنهم وما استنبطه العلماء من القرآن والحديث ولا يأخذ
بالاجماع ولا القياس وغير ذلك مما اعتبروه إلى آخر ما هذى به والجواب :
أن نقول وهذا أيضاً من جنس ما اسلفه من الكاذب الموضوعة والخرافات
المصنوعة ، فانه كان رحمه الله على الدين العميق الذي كان عليه السلف الصالح
والصدر الاول من الدعوة إلى دين الله الذي بعث الله به رسوله محمد ﷺ
كما قال رحمه الله في رسالته إلى عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الاحسائي قال :

وأما ما ذكرتم عني فإنني لم آت به بحال بل أقول والله الحمد وله المنه وبه القوة
 انني هديتني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قياماً إبراهيم حنيفاً وما كان من
 المشركين ولست والله الحمد أدعوا إلى مذهب صوفي أو فقيه أو متكلم أو امام
 من الأئمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير أو غيرهم بل ادعوا
 إلى الله وحده لا شريك له وادعوا إلى سنة رسول الله ﷺ التي أوصى بها أول
 أمته وآخرهم وأرجو اني لا ارد الحق اذا اتاني بل أشهد الله وملائكته وجميع
 خلقه ان اتاني منكم كلمة من الحق لا قبلتها على الرأس والعين ولا ضربن الجدار
 بكل ما خالفها من اقوال أنتمي حاشا رسول ﷺ فإنه لا يقول إلا الحق فهذا
 نص كلامه رحمه الله كما ترى لم يقل فيه ولا في غيره من كلامه إنما أدعوكم إليه دين
 جديد بل كان رحمه الله يحدد ما اندرس من معالم الدين العتيق ويوطد أساس الملة
 المحمدية التي انطست اعلامها واقوت رسومها فهذا الذي يظهر من قرائن احواله
 واقواله بل هذا صريح ما يدعوا اليه من الدين خلاف ما يدعيه هؤلاء الضلال والله در
 الامير محمد بن اسماعيل الصنعاني رحمه الله حيث قال في ابيات له امتدح فيها الشيخ .

قفى واسالي عن عالم حل سوخها	به يهتدي من ضل عن منهج الرشد
محمد الهادي لسنة احمد	فياحب ذا الهادي وبياحب ذا المهدي
لقد انكرت كل الطوائف قوله	بلا صدر في الحق منهم ولا وردي
وما كل قول بالقبول مقابل	ولا كل قول واجب الرد والطرده
سوي ما اتى عن ربنا وزسوله	فذلك قول جل ياذا عن الرد
وأما اقاويل الرجال فلإنها	تدور على قدر الادلة في النقد
وقد جاءت الاخبار عنه بأنه	يعيد لنا البشعر الشريف بما يبدي
وينشر جهرا ما طوى كل جاهل	ومبتدع منه فوافق ما عندي
ويعتبر اركان الشريعة هادما	مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد
اعادوا بها معنى سواع ومثله	يفوت وود بش ذلك من ود
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها	كما يهتف المضطر بالحمد الفرد

وكم عقروا في سوحها من عقيرة اهلت لغير الله جهراً على عمد
وكم طائف حول القبور مقبل ومستلم الاركان منهم باليد
وقال الشيخ الامام عالم الاخساء ابو بكر حسين بن غنام رحمه الله
في ابيات له قال فيها .

لقد رفع المولى به رتبة الهدي	بوقت به يعلى الضلال ويرفع
سقاء غير الفهم مولاه فارتوى	وعام بتيار المعارف يقطع
فاحيا به التوحيد بعد اندراسه	واوهى به من مطلع الشرك مهيع
سما ذروة المجد التي ما ارتقى لها	سواء ولا حاذي فناها سميدع
وشمر في منهاج سنة احمد	يشيد ويحي ما تعفى ويرفع
يناظر بالآيات والسنة التي	امرنا اليها في التنازع نرجع
فاضحت به السمحاء تبسم ثغرها	وامسى يحياها بضء ويلسع
وعاد به نهج الغواية طامساً	وقد كان مسلوكا به الناس تربع
وجرت به نجد ذبول افتخارها	وحق لها بالا لمعي ترفع
فأثارة فيها سوام سوافر	وانواره فيها تضى وتسطمع

وهذا يظهر لكل ذي عقل سليم ودين مستقيم ، انه لم يكن يدعو إلى دين
جديد بل إلى دين قويم ، ملة ابراهيم خنيفاً وما كان من المشركين كفعل هؤلاء
الغلاة المارقين وقوله : ولذلك لم يقبل من دين النبي ﷺ إلا القرآن فانه قبله
ظاهراً فقط إلى آخره فأقول وهذا ايضاً من الكذب وقد تقدم الجواب عن
هذا وان الشيخ رحمه الله كان يعتني بالكتب المصنفة في التفسير كتفسير محمد
بن جرير الطبري وتفسير ابن كثير والبغوي والبيضاوي وغيرهما من التفاسير ومن
كتب الحديث كالبخاري ومسلم وبعث صنف عليهما من الشروح كفتح الباري
لابن حجر العسقلاني والقسطلاني والنووي على مسلم وكذلك الامهات الست
وشروحها وسائر كتب الحديث والفقه مما هو معلوم مشهور لا ينكره
إلا مكابر معاند وما كان رحمه الله يفسر القرآن هو واتباعه ويتأولونه

بحسب ما يوافق أهواءهم كما يزعمه هؤلاء المفترون بل كان على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه فيأخذ بما صح عن رسول الله ﷺ وبما صح عن أصحابه من تفسير القرآن ومعاني الأحاديث وبما قاله أئمة التفسير وشرح الحديث مما يوافق الكتاب والسنة وبأقوال الأئمة من أهل الحديث والفقه ويأخذ بالاجماع ويعتقدون أن الامة لا تجمع على ضلالة ويأخذ بالمقياس الصحيح الموافق للنص الصريح . وأما قوله : ويؤيد ذلك أنه كان يكتب إلى عماله في بلاده الذين هم من الهمج أيضاً اجتهدوا بحسب نظرهم إلى آخر ما قال . فهذا من الكذب والزور والبهتان الذي لا يمتري فيه عاقل ولم يكتب الشيخ إلى عماله قط بهذا الكلام ، الذي لا ينميه ويحكيه إلا أشباه الانعام ، من هؤلاء الجلهة الطغام ، فيشبهون بذلك على العوام ، ومن لا معرفة لديه بمدارك الأحكام ، فبعداً للقوم الظالمين .

فصل

قال الملقح ويؤيده أيضاً مازعمة الشقي المطرود عبد العزيز بن سعود القائم بعده بدينه بمجرد التقليد من انه خاطب برسالة لأهل المشرق والمغرب يدعوهم الى التوحيد وانهم عنده مشركون شركا اكبر والجواب : ان نقول نعم قد كتب الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود رسالة الى العلماء والقضاة في الحرمين والشام ومصر والعراق وسائر علماء المغرب والمشرق يخبرهم بحقيقة ما كان عليه من توحيد الله واخلاص العبادة له بجميع أنواعها لله تعالى والدعوة اليه وجهاد من ترك دين الله ونبذ وراء ظهره واشرك بالله غيره في عبادته وأنه عند ذلك غضب المشركون واشتأزت قلوبهم وزعموا انه بدعوته الخلق الى اخلاص العبادة لله وحده قد تنقص أهل المقامات والرتب فكتب هذه الرسالة الى العلماء يخبرهم بحقيقته مادعا اليه من توحيد الله وانه لما اعلمهم بتوحيد الله وفهمهم اياه قام عليه أهل الاهوا فخرّجوه وبدّعوه وجعلوا

اليهود والنصارى اخف شرا منه ومن اتباعه وليس في هذه الرسالة ان اهل
المشرق والمغرب كلهم مشركون عنده وعند اتباعه فان هذا من الكذب كما
يزعمه هذا الملحد المفتري وهذا نص الرسالة ليتبين لكل منصف حقيقة ما قاموا
به ودعوا اليه من دين الله ويتبين له شدة كلب عداوة هؤلاء الملاحدة الغلاة الذين
يصدون عن سبيل الله من آمن به ويبغونها عوجا ويفسدون في الارض والله
لا يحب المفسدين قال رحمه الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ،
والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان الا على الظالمين ، وصلى الله على خاتم الانبياء
 والمرسلين ، وعلى آله وصحبه اجمعين ، من عبدالعزيز بن محمد بن سعود الى من
يراه من العلماء والقضاة في الحرمين والشام ومصر والعراق وسائر علماء المغرب
والمشرق سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد : فان الله عز وجل شأنه
وتعالى سلطانه لم يخلق الخلق عبثا ولا تركهم سدى وانما خلقهم لعبادته فامرهم
بطاعته وحذرهم مخالفته واخبرهم تعالى ان الجزاء واقع لامحاله أما في ناره بعدله
أو في جنته بفضله ورحمته قد اخبر عز وجل بذلك في كل كتاب انزله وعلى
لسان كل رسول ارسله كما نطق بذلك الآيات القرآنية واخبرتنا به الاحاديث
النبوية قال تعالى : وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون وقال تعالى :
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وقال سبحانه وقضى ربك ان
لا تعبدوا إلا اياه فالعبادة التي هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه
من الاقوال والافعال مختصة بجلاله وعظمته فهي القاية المحبوبة له تعالى شأنه
والمرضية له وبها ارسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه اعبدوا الله ما لكم من
اله غيره وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم من الرسل كل قال لقومه
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وذلك ان الإله يطلق على كل معبود بحق
وباطل والاله الحق هو الله قال فاعلم انه لا اله إلا الله وقال تعالى ولقد بعثنا
في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى وما ارسلنا
من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله إلا أنا فاعبدون .

فصل

فنعن لما علمنا وفهمنا من كلام الله وسنة رسوله وكلام الأئمة الاعلام رضي الله عنهم كإبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم من أئمة السلف أن لا إله إلا الله معناها يخصها وهي ترك كل معبود مع الله وإخلاص الألوية له تعالى وحده وأن العبادة وأفعالهم بما أمرهم به في كتابه وعلى لسان رسوله وإذا جعلت لغيره صار ذلك الغير الهاً مع الله وأن لم يعتقد الفاعل ذلك فالمشرك مشرك شاء أم أبى وليست خاصة بالإيمان بأفعاله تعالى وتقدس كخلق السموات والأرض والليل والنهار ورزقه العباد وتديبر أمورهم لأن هذا يسمى توحيد الربوبية الذي أقر به الكفار الأولون كما في سورة يونس والزر والزخرف وغيرها وأن معناها لغة الذل والخضوع وشرعا ما أمر به من غير أطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي من أفعال العباد وأقوالها المختصة بجلال الله وعظمته كدعاء الله تعالى بما لا يقدر عليه إلا هو من جلب نفع أو دفع ضرر أو رجائه فيه والتوكل عليه وذبح النسك والنذر وجلب نفع أو دفع ضرر لا يقدر عليه إلا الله والالتابة والخضوع فكل ذلك مختص بجلال الله كالسجود والتسبيح والتهليل فكل ذلك مما قدمناه هو معنى قول لا إله إلا الله ولا ينفع أحد التوحيد عن الآخر بل صحة أحدهما مرتبط بوجود الآخر فلما فهمنا ذلك وعلمنا به قام علينا أهل الأهواء فخرّجونا وبدّعونا وجعلوا اليهود والنصارى أخف منا شرا ومن اتباعنا ولم تنازع العدو في سائر المعاصي بأنواعها ولا المسائل الاجتهادية فلم يجر اختلاف بيننا وبينهم في ذلك بل في العبادة بأنواعها والشرك بأنواعه

فصل

فنعن نقول ليس للخلق من دون الله من ولي ولا نصير وسائر الشفعاء محمد ﷺ وأفضلهم فمن دونه لا يشفعون لاحد إلا بأذنه من ذا الذي يشفع

عنده الا بإذنه افحسب الذين كفروا ان يتخذوا من دوني أولياء ولا يشفعون
إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون وإذا كان كذلك فحقيقة الشفاعة كلها لله
فلا تسأل في هذه الدار الا من الله سبحانه وتعالى وان يشفع فيه نبيه ﷺ فجميع
الأنبياء والأولياء لا يجعلون وسائل ولا وسائط بين الله وبين الخلق في جلب الخير
او دفع الشر ولا يجعل لهم من حقه شيء لأنه حقه تعالى وتقدس غير جنس حقهم فان
حقه عبادته بانواعها بما شرع في كتابه وعلى لسان رسوله وحق انبيائه عليهم السلام
والايمان بهم وبما جاؤا به وموالاتهم وتوقيرهم واتباع النور الذي انزل معهم
ومحبتهم على النفس والمال والبنين والناس اجمعين وعلامة الصدق في ذلك اتباع هديهم
والايمان بما جاؤا به من عند ربهم قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحبيكم الله والايمان بمعجزاتهم وانهم بلغوا رسالات ربهم وادوا الامانة ونصحوها
الامة وان محمداً ﷺ خاتمهم وأفضلهم واثبات شفاعتهم التي اثبت الله في كتابه
وهي من بعد أذنه لمن رضى الله عنه من أهل التوحيد وأما المقام المحمود الذي
ذكر الله في كتابه وعظم شأنه فهو لنبينا محمد ﷺ وكذلك حق أوليائه محبتهم
والترضي عنهم والايمان بكراماتهم لادعائهم ليجلبوا لمن دعاهم خيراً لا يقدر
على جلبه إلا الله تعالى أو ليدفعوا عنهم سوء لا يقدر على دفعه إلا هو عز وجل
لأن ذلك عبادة مختصة بجلاله تعالى وتقدس هذا إذا تحققت الولاية أو رجيت
لشخص معين لظهور اتباع سنة وعمل بتقوى في جميع أحواله وإلا فقد صار
الولي في هذا الزمان من أطال سبخته ووسع كفه وأسبل أزاره ومدّ يده
للتقبيل ولبس شكلاً مخصوصاً وجمع الطبول والبيارق وأكل أموال عباد الله
ظلماً وادعاء ، ورغب عن سنة المصطفى وأحكام شرعه .

فصل

فنحن إنما ندعوا إلى العمل بالقرآن العظيم والذكر الحكيم الذي فيه كفاية
لمن اعتبر وتدبر وبعين بصيرته نظر ففكر فإنه حجة الله وعهده ووعدته ووعيده

وأمانه وقدره ومن اتبعه عاملاً بما فيه جد جده وعلى مجده وأنار رُشدَه وبأن
سعدَه والتوحيد ليس هو إلا محل الاجتهاد فلا تقليد فيه ولا عناد
ولا نكفر إلا من انكر أمرنا هذا ونهينا فلم يحكم بما أنزل الله من التوحيد
بل حكم بضده الذي هو الشرك الأكبر الذي لا يغفر كما سذكر أنواعه فجعله
ديناً وسماه الوسيلة عناداً وبغياً ووالى أهله وظاهرهم علينا أو لم يقر
الدين ممتنعاً إن دعواه وأمرهم أن يبدؤنا بقتالنا ليرجعونا عن دين الله الذي
وصفنا إلى ما هم فيه وعليه من الشرك بالله والعمل بسائر ما لا يرضى رب العباد
ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون وما حجتهم علينا إلا أن المدعو
يكون شقيعاً ووسيلة ونحن نقول هؤلاء الداعون الهاتفون بذكره المعتقدون
في الأحياء الغائبين المدعوون والاموات يطلبون كشف شدتهم وتقريح
كربتهم وإبراء مريضهم ومعافات سقيمهم وتكثير رزقهم وإيجاده من العدم
ونصرهم على عدوهم براً ومجراً لم يكفهم الاقتصار على مسألة الشفاعة والوسيلة
وهما من أعظم المحاصمة الجارية علينا ممن قاتلنا وبدعنا وجعل اليهود والنصارى
أخف شراً منا ومن اتباعنا وحقيقة قولنا ، أن الشفاعة وإن كانت حقاً في
الآخرة فلها أنواع مذكورة في محلها فوجب على كل مسلم الإيمان بشفاعته ﷺ
بل وغيره من الشفعاء فهي ثابتة بالوصف لا بالشخص ما عدا الشفاعة العظمى
فإنها لأهل الموقف عامة وليس ما يقصدون والوصف من مات لا يشرك
بالله شيئاً كما في البخاري من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه
قال : « لكل نبي دعوة مستجابة وإنى خبأت دعوتي شفاعة لأمتي وهى نائلة
إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً » . وحديث أنس بن مالك الذى
في الشفاعة بطوله . وحديث الذراع الذى رواه أبو هريرة المتفق عليه ، وإذا
كانت بالوصف فرجاؤها من الله ودعاؤه أن يشفع فيه نبيه هو المطلوب .

فصل

فالمتمتعين على كل مسلم صرف همته وعزائم أمره إلى ربه تبارك وتعالى بالاقبال إليه والانكال عليه والقيام بحق العبودية لله عز وجل فإذا مات موحداً سيشفع الله فيه بنيه بخلاف من أهل ذلك وتركه وارتكب ضده من الاقبال إلى غير الله بالتوكل عليه ورجائه فيما لا يمكن وجوده إلا من عند الله والالتجاء إلى ذلك الغير مقبلاً على شفاعته متوكلاً عليها طالبا من النبي ﷺ أو غيره راغباً إليه فيها تاركاً ما هو المطلوب المتمتعين عليه المخلوق لأجله فإن هذا بعينه فعل المشركين واعتقادهم ولا نشأت فتنة في الوجود إلا بهذا الاعتقاد فصار شقياً بالارادة الكونية والعاقبة الغوية لأن الارادة الدينية أصل في إيجاد المخلوقات والارادة الكونية أصل فمن كتبت عليه الشقاوة فلا يسير إلا لها ولا يعمل إلا بها ، قال تعالى : (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) فهذه هي الارادة الكونية وهي لا تعارض الارادة الدينية التي هي الأصل في إيجاد المخلوقات مع بقاءه مختاراً مدركاً للأشياء ومن كان هذا وصفه فلا ينالها ، لأن الله تعالى ليس له شريك في الملك كما أنه ليس له شريك في استحقاق العبادة بل هو المختص بها ولا تليق إلا بجلاله وعظمته فلا إله إلا هو وحده لا شريك له ولهذا جسم جل وعلا مادة الشفاعة عن كل أحد بغير إذنه إلا له وحده فلا أحد يشفع عنده إلا بإذنه لا ملك ولا نبي ولا غيرههما لأن من شفع عند غيره بغير إذنه فهو شريك له في حصول ذلك المطلوب لتأثيره فيه بشفاعته ولا سيما إن كانت من غير إذنه فجعله يفعل ما طلب منه والله تعالى لا شريك له بوجه من الوجوه وكل من أعان غيره على أمر فقد شفعه فيه والله تعالى وتره يشفعه أحد بوجه من الوجوه ولهذا قال عز من قائل : (قل لله الشفاعة جميعاً) . وقال تعالى : (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم

فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون) وطلبها من غير الله في هذه الدار زعم بعدم تعليقها بالأذن من الله والرضا عن المشفوع . وقال تعالى : (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون) . وقال تعالى : (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلمهم يتقون) ، والعبرة في القرآن بعموم اللفظ لا بخصوص السبب مع ملاحظته وعدم القصور عليه .

فصل

وأما دعاء الله عز وجل للغير فقد مضت السنة ان الحي يطلب منه سائر ما يقدر عليه ودعوة المسلمين بعضهم لبعض مستحبة قد وردت بها الآثار الصحيحة في مسلم وغيره فإن كانت للميت فهي آكد ، وكان النبي ﷺ يقف على القبر بعد الدفن فيقول : « اسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل » فالميت أحوج بعد الدفن إلى الدعاء فإذا قام المسلمون على جنازته دعوا له لابه وشفعوا له بالصلاة عليه لاستشفعوا به فبدل أهل الشرك والبدع قولاً غير الذي قيل لهم بدلو الدعاء له بدعائه ثانياً كان عنهم أو قريباً ، والاستغاثة به والتهف باسمه عند حلول الشدة وتركوا من بيده ملكوت كل شيء وهو يحجر ولا يحجر عليه وقصدوا بالزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ إحساناً إلى الميت وتذكيراً بالآخرة ، فبدلو ذلك بسؤال الميت نفسه وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذي هو منع العبادة وحضور القلب وخشوعه عندها أعظم منه في الصلاة والمساجد وقت الأسحار ، وإذا شرع الدعاء لسائر المؤمنين فالنبي ﷺ أحق الناس بأن يصلى ويسلم عليه ويدعى له بالوسيلة كما في الحديث الصحيح عنه ﷺ أنه قال : « إذا سمعت المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي مرة واحدة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لعبد من عباد الله ، وأرجوا أن أكون ذلك العبد ،

فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة » واستشفاع العبد في الدنيا إنما هو فعل السبب لحصول شفاعته له يوم القيامة كما عد فيما جاء به قولاً وعملاً واعتقاداً ، وإنما سألت له الوسيلة مع تحققها تنويهاً بقدره ورفعاً لذكره ويعود ثواب ذلك إلينا ، فهذا هو الدعاء المأثور وهو فارق بين الدعاء الذي أحبه والذي نهى عنه ولم يذكر أحد من الأئمة الأربعة ولا من غيرهم من أئمة السلف فيما نعلمه أن النبي ﷺ يسأل بعد الموت للاستغفار ولا غيره قال الامام مالك رحمه الله فيما ذكره إسماعيل بن إسحاق في المبسوط عنه والقاضي عياض في الشفا والمشارك وغيرهما من أصحابه لا أرى أن يقف عند القبر ويدعو ولكن يسلم ويمضي ، وقال أيضاً في المبسوط عن مالك لا بأس لمن قدم من السفر أو خرج إليه أن يقف عند قبر النبي ﷺ ويصلي ويسلم عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر ، فقليل له إن ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه وهم يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر يأتون عند القبر فيسلمون عليه ويدعون ساعة ، فقال لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه في بلدنا لا من الصحابة ولا غيرهم ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ويكررون الجيء إلى القبر بل كانوا يكرهونه إلا لمن جاء من سفر أو أراده . انتهى .

فصل

وتلاوته الآية في قوله تعالى (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك) الآية والاستغفار بحضرة القبر وإن قال به جماعة من متأخري الفقهاء كلهم لم يقولوا يدعى صاحب القبر ولا يدعى الله بل المحفوظ عنهم أن الميت والغائب لا يستل منه شيء لا استغفار ولا غيره واستغفارهم الله لا الرسول ﷺ وحياته في قبره برزخية ولا تقتضي دعاءه وأصحابه أعلم بها منا ولم يأت أحد منهم إلى القبر فيسأله ويستغفث به وقد ثبت النهي عنه عليه الصلاة والسلام أن يتخذ قبره عيداً قال أبو يعلى

الموصلي في مسنده عن علي بن الحسين رضي الله عنهما قال : احدثكم حديثاً سمعته من ابي عن جدي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « لا تتخذوا قبوري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وان تسليمكم يبلغني اينما كنتم » رواه ابو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي في مختارته وروى سعيد بن منصور في السنن عن ابي سعيد مولى المهدي قال قال رسول الله ﷺ لا تتخذوا قبوري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا عليّ حينما كنتم فان صلاتكم تبلغني روى هذا الحديث ابو داود عن ابي هريرة ورواه سعيد بن منصور في سننه عن ابي سعيد مولى المهدي ورواه ايضا من حديث الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنه وهذان الحديثان وان كانا مرسلين فهما يقويهما حديث ابي هريرة المرفوع وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة واي سعيد رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تشد الرحال الى مسجد من المساجد الا لثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا » وهو حديث ثابت باتفاق أهل العلم يتلقى بالقبول عنهم وهو ان كان معناه لا تشدوا الرحال الى مسجد من المساجد الا الى الثلاثة التي قد ذكرت فالسفر الى هذه المساجد الثلاثة انما هو للصلاة فيها والدعاء والذكر وقراءة القرآن والاعتكاف الذي هو من الاعمال الصالحة .

فصل

وما سوى هذه المساجد لا يشرع السفر اليه باتفاق أهل العلم حتى مسجد قبا يستحب قصده من المكان القريب كالمدينة ولا يشرع شد الرحل اليه من بعيد ولذلك كان النبي ﷺ يأتي اليه كل سبت ماشياً وراكباً وكان ابن عمر يفعلهما كما في الصحيحين فانه كما اسس على التقوى فمسجده ﷺ اعظم في تأسيسه على التقوى كما ثبت في الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام انه سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال « مسجدي هذا » فكل المساجد بنى على التقوى ولكن اختص مسجده بانه اكمل في هذا الوصف من غيره وكان يقوم في مسجده يوم الجمعة ويأتي مسجد قبا يوم السبت فاذا كان السفر الى مسجد غير الثلاثة تمتنع

شرعاً مع ان قصده لاهل مصره يجب ثارة ويستحب أخرى وقد جاء في قصد
المساجد من الفضل ما لا يحصى فالسفر الى مجرد القبور اولى بالمنع ولا يغتر
بكثرة العادات الفاسدة التي احدثها الملوك واسباهم والاحاديث التي رواها
الدار قطني في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام كلها مكذوبة موضوعة باتفاق
غالب اهل المعرفة منهم ابن الصلاح وابن الجوزي وابن عبد البر وابو القاسم السهيلي
وشيخه ابن العربي المالكي والشيخ تقي الدين وغيرهم ولم يجعلها في درجة الضعيف
الا القليل وكذلك تفرد بها الدار قطني عن بقية اهل السنن والأئمة كلهم يروون
بخلافه واجل حديث روي في هذا الباب حديث ابي بكر البزار ومحمد بن
عساكر حكاها اهل المعرفة بمصطلح الحديث كالتشيري والشيخ تقي الدين وغيرهما
وانما رخص عليه السلام في زيارة القبور مطلقا بعد ان نهى عنها كما ثبت في الصحيح
لكن بلا شد رحل وسفر اليها للاحاديث الواردة في ذلك كما تقدم .

فصل

واذا جاء السفر المشروع لقصد مسجد النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه دخلت زيارة
القبر تبعاً لانها غير مقصودة استقلالاً وحينئذ فالزيارة مشروعة مجمعة على استحبابها
بشرط عدم فعل محذور عند القبر كما تقدم عن مالك وما حكاها الفزالي رحمه
الله ومن وافقه من متأخري الفقهاء من زيارة القبر فمرادهم السفر المجرد عن فعل
العبادة من الصلاة والدعاء عنده بل يصلي ويسلم عليه ويسأل له الوسيلة ثم يسلم
على ابي بكر وعمر ولا يقصد الصلاة عند القبر للعنه عليه السلام المتخذين قبور انبيائهم
مساجد واللعنة في كلام الله وكلام رسوله لا تجامع الا الحرمة والأثم لا مجرد
الكراهة ولقوله « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد استند غضب الله على قوم اتخذوا
قبور انبيائهم مساجد » وقال بن حجر رحمه الله في الامداد الموسوم بشرح
الارشاد ينوي الزائر المتقرب السفر الى مسجده صلى الله عليه وسلم وشد الرحل اليه لتكون
زيارة القبر تابعة انتهت واتخاذ قبور الانبياء والصالحين مساجد هو الواقع كثيراً

من الأمم ، أما في الشرك الأكبر أو فيما دونه من الشرك فإن النفوس قد اشركت بتأثيل القوم الصالحين كودّ وسواع ويعوث وقنايل طلائيم الكواكب ونحو ذلك يزعمون أنها تخاطبهم وتشفع لهم والشرك بقبر النبي ﷺ أو الرجل ممن يعتقدون صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشية أو حجة ولهذا تجد أهل الشرك كثيراً ما يتضرعون ويخشعون عندها ما لا يخشعون لله في الصلاة ويعبدون أصحابها بدعائهم ورجائهم والاستغاثة بهم وسؤال النظر على الأعداء وتكثير الرزق وإيجاده والعافية وقضاء الديون ويذلون لهم الذنور جلب ما أملوه أو دفع ما خافوه مع اتخاذهم أعبيداً والطواف بقبورهم وتقبيلها واستلامها وتعفير الحذود على تربتها وغير ذلك من أنواع العبادات والطلبات التي كان عليها عباد الأوثان يسألون أوثانهم ليشفعوا لهم عند مليكهم فهؤلاء يسأل كل منهم حاجته وتفريجه كربتهم ويهتفون عند الشدائد باسمه كما يهتف المضطر بالفرد الصمد ويعتقدون أن زيارته موجبة للغفران والنجاة من النيران وإنما يجب ما قبلها من الآثام بل قد وجد هذا الاعتقاد في الأشجار والغيوان يهتفون باسمها واسم من ينسبون إليه من المعتقدين بما لا يقدر عليه إلا رب العالمين وأكثر ما يكون ذلك عند الشدائد .

فصل

والله تعالى عز شأنه قد فسر هذا الدعاء في مواضع وأخبر بأنه عبادة محضة كقوله (وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون) وقوله (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون) والانبيا والملائكة والصالحون كل معبود من هؤلاء داخل في عموم قوله سبحانه (ان الذين سبقتم مننا الحسنی أولئك عنها مبعدون) كما هو سبب النزول وقوله عز شأنه (لا تعبدوا ما تعبدون) فدعاؤهم آلهتهم هو عبادتهم لها ولأنهم كانوا (م ٣ - الأئمة الخداد)

إذا جاءتهم الشدائد دعوا الله وحده وتركوها ومع هذا فهم يسألونها بعض
حوادثهم بواسطة قريتهم من الله ويطلبونها منهم بشفاعتهم لهم ، فأمر الله العباد
بإخلاص تلك العبادة له وحده فلا يدعونهم ولا يسألونهم الشفاعة فإن ذلك دين
المشركين قال الله تعالى فيهم (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون
منقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من
ظهير) . وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون كشف الضر
عنكم ولاخويلا) وإنما ذكر الله تعالى ذلك عنهم لأنهم يدعون الملائكة والانبيا
ويصورون صوراً ليشفعوا لهم فيما دعوم فيه وذلك بطرق مختلفة ففرقة قالت
ليس لنا اهلية مباشرة دعاء الله ورجائه بلا واسطة تقربنا اليه وتشفع لنا عنده
لعظمت وفرقة قالت الانبياء والملائكة ذوا وجهة عند الله ومنزلة عنده
فاتخذوا صورهم من اجل حبهم لهم ليقرّبهم الى الله زلفى وفرقة جعلتهم قبلة
في دعائهم وعبادتهم وفرقة اعتقدت ان لكل صورة مصورة على صورة الملائكة
والانبيا وكيلاً موكلاً بأمر الله فمن اقبل على دعائه ورجائه وتبتل اليه قضى
ذلك الوكيل ماطلب منه بأمر الله والا أصابه نكبة بأمره تعالى فالمشرك انما
يدعو غير الله بما لا يقدر عليه الا هو تعالى ويلتجى اليه فيه ويرجوه منه بما يحصل
له في زعمه من النفع وهو لا يكون الا فيمن وجدت فيه خصلة من اربع إما
ان يكون مالكا لما يريد منه داعيه فان لم يكن مالكا كان معينا فان لم يكن
كان ظهيرا فان لم يكن كان شفيعا فنفى الله سبحانه وتعالى هذه المراتب الاربع
عن غيره والشركة والمظاهرة والشفاعة التي لاجلها وقعت العداوة والمحاصرة
بالآية المتقدمة وبقوله (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك)
الآية وقوله (قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه) وقوله :
(قل اللهم مالك الملك) وقوله : (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) وقوله : (يوم
لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله) وقوله : (مالك يوم الدين) وقوله :
(وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا) فأثبت سبحانه ما لا نصيب فيه
لشرك البتة وهي الشفاعة بإذنه لمن رضى عنه وهو سبحانه يعلم السر وأخفى لا يخفى

عليه شيء في الارض ولا في السماء ولهذا لما قالت الصحابة رضى الله عنهم
أربنا قريب فتناجيه ام بعيد فتناديه ، فأنزل الله سبحانه : (وإذا سألك عبادي
عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) الآية . وقال تعالى : (أم اتخذوا
من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون) .

فصل

الموحد من اجتمع قلبه ولسانه على الله مخلصاً له تعالى الالهية المقتضية
لعبادته في محبته وخوفه ورجائه ودعائه والاستعانة به والتوكل عليه وحصر
الدعاء بما لا يقدر على جلبه أو دفعه إلا الله وحده والمواالة في ذلك والمعادة
فيه وأمثال هذا ناظراً إلى الخالق والمخلوق من الأنبياء والأولياء ميمزاً بين
الحقين وذلك واجب في علم القلب وشهادته وذكره ومعرفته ومحبته وموالاته
وطاعته وهذا من تحقيق لا إله إلا الله لأن معنى الاله عند الاولين ما تأله القلوب
بالحبة التي كحب الله والتعظيم والاجلال والخضوع فالرجاء بها هو مختص من
عند الله وذبح النسيك له قال تعالى : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا
محبوبهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) فالحبة التي لله غير الحبة التي مع
الله وقالوا لمن أحبوه كحب الله (قاله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب
العالمين) وهم ما سووهم به في الصفات ولا في الذات كما حكى الله عنهم في الآيات
والشاهد الله بأنه لا إله إلا هو وقائلها نافياً قلبه ولسانه للألوهية كل ماسواه من
الخلق ومثبتاً به الألوهية لمستحقها وهو الله المعبود بالحق فيكون معرضاً عن
ألوهية جميع المخلوقات لا يتألههم بما لا يقدر عليه إلا الله مقبلاً على عبادة رب
الارض والسموات وذلك يتضمن اجتماع القلب في عبادته ومعاملته على الله
ومفارقه في ذلك كل ماسواه فيكون مفرقاً في علمه وقصده وشهادته وإرادته
ومعرفته ومحبته بين الخالق والمخلوق بحيث يكون عالماً بالله ذا كراً له عارفاً
به وانه تعالى مبين خلقه منفرد عنهم بعبادته وأفعاله وصفاته فيكون محباً

فيه، مستعيناً به لا بغيره متوكلاً عليه لا على غيره. وهذا المقام هو المعنى في (إياك نعبد وإياك نستعين) وهي من خصائص الألوهية التي يشهد لها بها تعالى عباده المؤمنون كما أن رحمته لعبيده وهدايته إياهم وخلق السموات والأرض وما بينهما وما فيها من الآيات من خصوص الربوبية التي يشترك في معرفتها المؤمن والكافر والبر والفاجر حتى إبليس عليه اللعنة معترف بها في قوله (رب انظرني إلى يوم يبعثون) وقوله (يا أظوفثني لأزين لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين) وأمثال هذا الخطاب الذي يعرف بأنه ربه وخالقه ومليكه وأن ملكوت كل شيء في يده تعالى وتقدس وإنما كفر بعناده وتكبره عن الحق وطعنه فيه وزعمه أنه فيما ادعاه وقاله بحق وكذا لك المشركون الأولون يعرفون ربوبيته تعالى وهم له بها يعترفون قال تعالى : (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله) وقال تعالى : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله) وقال تعالى : (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) فمن دعا غير الله تعالى لم يكن مخلصاً وقال تعالى : (قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون . سيقولون لله) وقال تعالى (واتل عليهم نبأ إبراهيم . إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون . قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين . قال هل يسمعونكم إذ تدعون . أو ينفعونكم أو يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) والآيات في هذا الباب كثيرة جداً وروى الامام أحمد في مسنده والترمذي من حديث حصين بن المنذر أن رسول الله ﷺ قال « يا حصين كم تعبد قال ستة في الأرض وواحد في السماء قال فمن الذي تعد لرغبتك قال الذي في السماء فقال له رسول الله ﷺ اسلم حتي اعلمك كلمات ينفعك الله بهن فأسلم فقال قل اللهم الهمني رشدي وقني شر نفسي » فمجرد معرفتهم بربوبيته تعالى واعترافهم بها لم تنفعهم ولم تدخلهم في الاسلام مع جعلهم مع الله آلهة أخرى يدعونها ويرجونها لتقربهم إلى الله زلفي وتشفع

لهم عنده فبذلك كانوا مشركين في عبادته ومعاملته ولهذا كانوا يقولون في تلييتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما لك والدعاء مخ العبادة كما أن الاله اسم المعبود وروى النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ان الدعاء هو العبادة وفي رواية مخ العبادة ثم قرأ رسول الله ﷺ (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) الآية رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وزواه أيضاً النسائي وابن ماجه والحاكم والإمام أحمد وابن أبي شيبة بهذا اللفظ وهذه الصفة تقيده حصراً الدعاء على العبادة فلا يخرج عنها لأنها من الصفات اللازمة التي ليس لها مفهوم يخالف المظهر كقوله تعالى : (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به) إذ كل مدعو فهو إله قصد الداعي أن يكون مدعوه إله أم لا اتخذ هذه المشركون الاولون أم لا وليس ثم دعا إله آخر لا برهان له .

فصل

وقد وصف الله سبحانه دين المشركين بقوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء) الآية فبين في هذه الآية إنما قصدتم الا الشفاعة وفي صحيح البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك قال قلت ثم أي ؟ قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قال قلت ثم أي ؟ قال أن تزاني بجليلة جارك فأنزله الله تصديقها (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون) الآية فبين النبي ﷺ أن أعظم الذنب الشرك بالله الذي هو جعل الأنداد واتخاذهم من خلقه ليقرّبهم اليه وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « ان الله يرضى لكم ثلاثاً أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وان تناصحوا من ولاد الله أمركم » فدين الله وسط بين الغالي فيه والخافى عنه .

فصل

والشرك شركان : أكبر وله أنواع ومنه الذي تقدم بيانه آنفاً ، وشرك أصغر كالرياء والسعة ، كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه » ومنه الحلف بغير الله لما روى ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ « من حلف بغير الله فقد أشرك » أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم وصححه ابن حبان وقال ﷺ « ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآباءكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » أخرجه الشيخان وروى الإمام أحمد وأبو داود من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ انه قال له رجل ماساء الله وشئت قال « اجعلتني لله ندا قل ماساء الله وحده » والشرك الاصغر لا يخرج من الملة ونجس التوبة منه ومن كل ذنب .

فصل

فلم يبق إلا التوسل بالأعمال الصالحة كتوسل المؤمنين بإيمانهم في قولهم (ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان) وتوسل اصحاب الصخرة المنطبعة عليهم وهم الثلاثة نفر الذين توسلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة الحديث في صحيح البخاري لانه وعد ان يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وكسؤاله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى قال تعالى : (والله الاسماء الحسنى فادعوه بها) وكالادعية الماثورة في السنن « اللهم اني اسألك بأن لك الحمد لا إله إلا انت المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال والإكرام » وامثال ذلك وهذا معنى قوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) لانها القربى التي يتقرب بها إلى الله وتقرّب فاعلمها منه وهي الاعمال الصالحة لما روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « قال الله تعالى : من

عادي لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب اليّ عبدي بشيء احب اليّ مما افترضت عليه وما زال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتى احبه فإذا احبته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألتني لاعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، الحديث . ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا امر فزع إلى الصلاة فإنها اعظم القرب إلى الله تعالى . قال الله تعالى : (واستعينوا بالصبر والصلاة) وليست الوسيلة بمخلوق ينبغي ليحصل واسطة بين الله وبين خلقه يشفع لهم ويتقربون به إليه لان هذا عين ما نهى الله عنه في الآيات وانزل بقبحه الكتب وارسل الرسل وهو ما قالت بنو إسرائيل اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة لان قصدهم يتقربون به .

فصل

وأما الاقسام على الله بمخلوق فهو منهي عنه باتفاق العلماء ، وهل هو منهي عنه نهي تنزيه او تحريم على قولين اصحهما انه كراهة تحريم واختاره العز ابن عبد السلام في فتاواه . قال بشر بن وليد : سمعت أبا يوسف يقول : قال ابو حنيفة رحمه الله : لا ينبغي لاحد ان يدعو الله إلا به واكره ان يقول بمعاقب العز من عرشك هو الله فلا اكره هذا واكره بحق انبيائك ورسلك وبحق البيت والمشرع الحرام ، قال القدوري : رحمه الله المسألة بحق المخلوق لا تجوز لهذا فلا يقول أسألك بفلات وبملائكتك وانبيائك ونحو ذلك لانه لاحق للمخلوق على الخالق . انتهى . واما قوله : وبحق السائلين عليك ففيه عطية العوفي وفيه ضعف ومع صحته فعناه بأعمالهم لأن حقّه تعالى عليهم طاعته وحقهم عليه الثواب والاجابة وهو تعالى وعد ان يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وإذا إلى العبد ربه وحده اقام الله له وليا من الشفعاء وهي الموالاته بينه وبين عباده المؤمنين فصاروا أولياءه في الله بخلاف من اتخذ مخلوقا من دون الله أو معه فهذا نوع وذاك نوع آخر كما ان الشفاعة الشركية الباطلة نوع وشفاعة الحق الثابتة التي انما تتال بالتوحيد نوع آخر .

فصل

وبما استدل علينا الخصم ويزعم أن دعوة غير الله وسيلة قوله : « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك على ربي في حاجتي هذه لتقضى اللهم شفعه في » . رواه الترمذي والحاكم وابن ماجه ، عن عمران بن الحصين فجوابه من وجوه ، الأول أنه في غير محل النزاع إذ هذا ليس فيه سؤال النبي ﷺ نفسه وإنما سأل الله أن يشفع فيه نبيه وعمل الخصم الاختراعي منكر ورواية الحديث بجرمته فآين هذا من عمارة القبور وإلقاء الستور عليها وتسريحها وهذه كلها كبائر كما قال أهل العلم حتى ابن حجر الهيتمي وغيره ان حدها كلها اتبع بلعنة أو غضب أو نار ، والأحاديث في تحريم عمارة القبور كثيرة في الصحيحين وغيرهما ويضاف إلى عمارتها دعاء أصحابها ورجاؤهم والالتجاء اليهم والنذر لهم وكتب الرقاع فيها وخطابهم بأسيدي يامولاي افعل كذا . وكذا عبت اللات والعزى والويل كل الويل عندهم لمن عاب وأنكر عليهم ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما أمر ونهى وما كان عليه أصحابه اليوم رأى أحدهما مضاداً للآخر مناقضاً له وإذا كان سبب قول الله عز وجل : (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) محيى خبر من اليهود إلى رسول الله ﷺ والمسلمين وقوله : نعم القوم أنتم لولا انكم تجعلون لله أنداداً فتقولون ماشاء الله وشاء فلان فقال رسول الله ﷺ أما انه قد قال حقاً وأنزل الله : (فلا تجعلوا لله ندأً وأنتم تعلمون) ومن أخرج الحديث جلال الدين السيوطي في الدر المنثور في تفسيره . وهو لاء يجب أحدهم بمعتقده أكثر من حب الله وان زعم أنه لا يحبه كحب الله فشواهد الحال تشهد عليه بذلك فإنه يعظم القبر أعظم من بيت الله ويحلف بالله كاذباً ولا يحلف بمعتقده فلا جامع بين ما استدلوا به علينا وبين ما نثبتهم عنه الثاني ان الحديث دليل لنا انه لا يدعى غير الله عز وجل فان مستهله : اللهم إني أتوجه إليك فسأل الله عز

وَجَلَّ أَنْ يَشْفَعَهُ فِيهِ وَاسْطَةَ يَاحْيِيَيْنَا يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَتَوَسَّلُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ فَاشْفَعْ لَنَا
 فِي هَذَا خُطَابٍ حَاضِرٍ كَقَوْلِنَا فِي صَلَاتِنَا السَّلَامَ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ
 وَكَاسْتِخْصَارِ الْإِنْسَانِ مَحَبَّةً أَوْ مَبْغِضَةً فِي قَلْبِهِ فَيَخَاطِبُهُ بِمَا يَهْوَاهُ لِسَانَهُ وَمَعْنَاهُ
 أَنْتَوَجِّهُ إِلَيْكَ بِدَعَاءِ نَبِيِّكَ وَشَفَاعَتِهِ الَّتِي مَعْنَاهَا فِي هَذِهِ الدَّارِ الدَّعَاءُ وَهَذَا قَالَ - فِي
 تِمَامِ الْحَدِيثِ اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِي أَيِّ اسْتَجَبَ دَعَاءُ وَهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَى جَوَازِهِ إِذَا الْحَيُّ
 يَطْلُبُ مِنْهُ سَائِرَ مَا يَقْدَرُ عَلَيْهِ وَأَمَّا الْغَائِبُ أَوْ الْمَيِّتُ فَلَا يَسْتَعِثُّ بِهِ وَلَا يَطْلُبُ
 مِنْهُ مَا لَا يَقْدَرُ عَلَيْهِ قَالَ تَعَالَى : (قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ) إِنَّمَا غَايَتُهُ طَلْبُ الدَّعَاءِ مِنَ
 الْحَيِّ وَقَبُولُ شَفَاعَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ ﷺ انْتَقَلَ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ إِلَى دَارِ
 الْقَرَارِ بِنَصِّ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ وَهَذَا اسْتِسْقَاءُ أَصْحَابِهِ بِعَمَلِ الْعَبَّاسِ
 ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَإِنْ يَدْعُو لَهُمْ فِي الْاسْتِسْقَاءِ عَامُ الْقَطْعِ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ
 أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَمْ يَأْتُوا إِلَى قَبْرِهِ وَلَا وَقَفُوا عِنْدَهُ مَعَ أَنَّهُ ﷺ
 حَيَّاهُ فِي قَبْرِهِ بِرِزْخِيَّةٍ وَالدَّعَاءُ عِبَادَةُ مَبْنَاهَا عَلَى التَّوْقِيفِ وَالِاتِّبَاعِ وَلَوْ كَانَتْ
 هَذَا مِنَ الْعِبَادَاتِ لَسَنَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَسَكَانُ أَصْحَابِهِ أَعْلَمُ بِذَلِكَ وَأَتَّبَعَ
 وَهَذَا لَمْ يَفْعَلْ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَا التَّابِعِينَ مَعَ شِدَّةِ احْتِيَاجِهِمْ وَكَثْرَةِ
 مَدْلِهِمَاتِهِمْ وَهُمْ أَعْلَمُ بِمَعَانِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَأَحْرَصُ اتِّبَاعًا لِمَلَّتَهُ مِنْ غَيْرِهِمْ
 بَلْ كَانُوا يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَعَنِ الْوُقُوفِ عِنْدَ الْقَبْرِ لِلدَّعَاءِ عِنْدَهُ وَهُمْ مِنْ خَيْرِ الْقُرُونِ
 الَّتِي قَدْ نَصَّ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي قَوْلِهِ : « خَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ
 يَلُونَهُمْ » قَالَ عِمْرَانُ لَا أَدْرِي أَذْكَرُ اثْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا بَعْدَ قَرْنِهِ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ
 فِي صَحِيحِهِ الثَّلَاثَ أَنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّهُ دَلِيلُ الْوَسِيلَةِ إِلَى اللَّهِ بِغَيْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَخَرَجُوا
 عَنْ حُلِّ النِّزَاعِ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ وَهُوَ التَّوَسُّلُ بِغَيْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا دَلِيلَ فِيهِ
 أَصْلًا لِأَنَّهُمْ صَرَحُوا بِأَنَّهُ لَا يَقَاسُ مَعَ فَارِقٍ فَلَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَقُولَ اللَّهُمَّ إِنَّا
 نَسْأَلُكَ وَنَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِرَسُولِكَ نُوْحٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا نُوحٍ وَلَا لَنَا أَنْ نَقُولَ إِنَّا
 نَسْأَلُكَ وَنَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِخَلِيلِكَ إِبْرَاهِيمَ وَلَا بِكَلِيمِكَ مُوسَى وَلَا بِرُوحِكَ عِيسَى
 مَعَ أَنَّ الْجَامِعَ فِي نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ الرِّسَالَةَ وَفِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْحُلَّةَ مَعَ

الرسالة وفي موسى عليه السلام الكلام مع الرسالة وفي عيسى روح الله وكلمته مع الرسالة فليس لنا أن نقول هذا لأنه لم يرد ولا حاجة لنا إلى فعل شيء لم يرد والقياس إنما يباح عند من يقول به الحاجة في حكم لا يوجد فيه نص ، فإذا وجد النص فلا يحل القياس عند من يقول به ولا حاجة لنا إلى قول مختوع يجر إلى الشرك خصوصاً مع ما ورد فيه وأنه في هذه الأمة أخفى من ديب النمل ، وإن هذه الأمة افتقرت على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة فالتاجية من اتبع ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه . الرابع أن الوسيلة ليست هي أن ينادي العبد غير الله ويطلب حاجته التي لا يقدر على إيجادها إلا الرب تبارك وتعالى ممن لا يملك لنفسه نقعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً (وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه) كذلك من سرق التابوت والمعلق عليه من بيض النعام أو غيره .

فصل

وما استدلل به علينا في جواز دعوة غير الله في المهمات قوله ﷺ في الحديث الذي رواه ابن مسعود : « إذا انفلتت دابة أحدكم في أرض فلاة فلينادي يا عباد الله احبسوها » وفي رواية « إذا أعتيت فلينادي يا عباد الله أعينوا الخ » . وهذا من جملة الجهل والضلال وإخراج المعاني عن مقاصدها من وجوه ، الأول : أن هذه ليست بوسيلة أصلاً ، إذ معنى الوسيلة ما يتقرب به من الأعمال إلى الله عز وجل ، وهذا ليس بقربة ، الثاني : أن الحديثين غير صحيحين . أما الأول فرواه الطبراني في الكبير بسند منقطع عن عقبة رضى الله عنه وحديث انفلات الدابة عزاه النووي رحمه الله لابن السني ، وفي إسناده معروف بن حسان ، قال ابن عدي : هو منكر الحديث ولا دليل في هذين الحديثين مع ضعفهما ، ولا في الحديث المتقدم قبلهما على دعاء أصحاب القبور ، كعبد القادر الجيلاني من قطر شاسع بل ولا من عند قبره ولا ينادي غيره لا الأنبياء ولا الأولياء

إنما غاية ان الله عز وجل جعل من عباده من لا يعلمهم إلا هو سبحانه وما يعلم جنود ربك إلا هو . وإن نادى شخصاً باسمه معيماً فقد كذب على رسول الله ﷺ ونادى من لا يؤمر ببندائه ، وليس معنى الحديث في كل حركة وسكون وقيام وقعود ، وإنما أبيح له ذلك ان اراد عوناً على حمل متاعه او ان انفلتت وهذا مع تقدير صحة الحديث ، الثالث : ان الله تعالى قال : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) بعد ان اكمله بفضله ورحمته فلا يحل ان تفتقر فيه ما ليس منه وتقيس ما لا يقاس عليه ، الرابع : ان الحديث الصحيح « إذا شذ عن قواعد الشرع لا يعمل به لأنهم قالوا ان الحديث الصحيح الذي يعمل به إذا رواه العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة فكيف العمل بالحديث المتكلم فيه بما لا يدل عليه دلالة مطابقة ولا تضمن ولا التزام ؟ فهذا هو البهتان . الخامس : أنهم عمروا مواقعهم بذكر من يعتقدونه ونسوا الافعال إليهم وكل احد يذكر ما وقع له من الاستغاثة بقلان ، وانه أنجده وكشف شدته ، فإذا قال احد : سبحان الذي بيده ملكوت كل شيء سبحانك هذا بهتان عظيم . قاموا عليه وخرجوه وبدعوه ، وقالوا : معلوم ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . فإذا قال نعم ولكن ليس بيد احد منهم ملكوت خردلة والله يقول : (ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير . ان تدعوهم لا يستمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم) فإن منهم من يدعى العلم والانصاف وهو واسع الصدر يقول هذه الآية نزلت في عباد الاصنام ، فإذا قيل له الاصنام ود وسواع ويعوق ونسر أسماء رجال صالحين وهذه الحرق على التواييت ودعوة الاموات هي فعل عباد الاصنام ، وقد قرر أهل العلم ان العام لا يقصر على السبب . مثلاً ان نستحل الا نؤدي الامانة ، فإذا قيل ادوا الامانة ، فإن الله يقول : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها) فلا يقال هذه نزلت في مفتاح باب الكعبة فلا يحتج بها عامة ، كذلك

لا يقال هذه نزلت في عباد الاصنام وتقل فعلهم وتقول لسا مشركين وفي
 الاحاديث القدسية عن خير البرية ﷺ قال الله عز وجل « انا والجن والانس
 في نيا عظيم اخلق » ويعبد غيوي وارزق ويشكر غيوي » اخرجه الحاكم
 والترمذي والبيهقي في شعب الايمان عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، فيجيب
 بأن الأمة مطبقة على هذا والامة لا تجمع على ضلالة فيلزم منه تضليل الامة وتسفيه
 الآباء . وجوابه : اما ان الامة مطبقة على هذا فكذب عليها هذه كتب الحديث
 والتفسير ليس فيها يجوز ان يدعى غير الله عز وجل بما لا يقدر عليه إلا هو .
 تعالى ، ولا يباح ، بل الآيات البينات والاحاديث وأقوال العلماء ترشد ان هذا
 شرك محقق والله تعالى يقول لرسوله ﷺ : (قل تعالوا اتل ما حرم ربكم
 عليكم ان لا تشرکوا به شيئاً) . ويقول : (وقضي ربك ان لا تعبدوا
 إلا إياه وبالوالدين إحساناً) ، والاحاديث ونصوص العلماء لا تخالف الكتاب ،
 السادس : أنه قد اختلفوا في التوسل إليه بشيء من مخلوقاته تعالى وتقدس ، هل
 هو مكروه أو حرام ؟ ، والاشهر الحرمة كما قال به أبو محمد العز
 ابن عبد السلام في فتاويه لانه لا يجوز التوسل إليه بشيء من مخلوقاته لا الانبياء
 ولا غيرهم وتوقف في حق نبينا محمد ﷺ هل فيه الحرمة او الكراهة وتقدم
 قول أبي حنيفة واصحابه رحمهم الله . السابع : انهم يشترون اولادهم من
 يعتقدونه ويجعلون زوايا لمن يعتقدونه ويجعلون فيها الطبول والبيارق والمزاهر
 ومطارق الحديد يضربون بها أنفسهم وفيها جماعة ينسبون إلى ذلك المعتقد
 كالعلوانية والقادرية والرفاعية وأسماء ما أنزل الله بها من سلطان ويعبدون
 أنفسهم لهم كهبد فلان وفلان والله قد سمانا المسلمين . قال الله تعالى : (هو
 سمانكم المسلمين من قبل) في الكتب المنزلة كالتوراة والانجيل وفي هذا القرآن
 فاستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير ، وإذا مرض هذا المشتري من المعتقد
 نذر أهله النذور ولم يزل يستغيث به يشفي سقمه ويكشف شدته وهذا الامر
 سري في العلماء والجهال ، في مكة أكثر ، فهم قد غلبت عليهم العوائد وسلبت

حقولهم عن تفهم المراد والمقاصد من الكتاب والسنة وكلام الأئمة ولم يجدوا هذا في كتاب فروع احد منهم ولا أصوله فانهم الله عن هذه الوضحة فما استدلووا به مما تقدم لا يكون دليلاً على التوسل بالأموات المعلوم حالهم انهم في أعلى الجنان فكيف غيرهم من لا يعلم حاله في الآخرة ولا يدري أين مآله وكيف يكون دليلاً على دعوة غير الله في الميقات ويقال الوسيلة ويستدل لها بهذا؟ متبحرانك هذا بهتان عظيم وتحريف للكلام عن مواضعه

فصل

في هذا يتبين أن الشيطان اللعين نصب لأهل الشرك قبوراً يعظمونها ويعبدونها أو ثنائاً من دون الله ثم يوحى إلى أوليائه أن من هنا عبادتها واتخاذها أعياداً وجعلها والحالة هذه أو ثنائاً فقد انتقصها وغمطها حقها فيسمى الجاهلون المشركون في قتالهم وعقوبتهم وما ذنبهم عند هؤلاء المشركين إلا أنهم أمروهم بإخلاص التوحيد ونهواهم عن الشرك بأنواعه وقالوا بتبطله فعند ذلك غضب المشركون واشتأزت قلوبهم فهم لا يؤمنون وقالوا قد تنقص أهل المقامات والرتب فاستحقوا الويل والعتب وفي زعمهم انهم لا حرمة لهم لدينا ولا قدرا حتى يسري ذلك في نفوس الجهال والطعام وكثير من ينتسب إلى العلم والدين^(١) اتباع المرسلين وبسبب ذلك عادونا ورمونا بالعظائم والجرائم ونسبوا كل قبائحنا ونفروا الناس عنا وعن مائدعنا اليه والوالأهل الشرك وظاهروهم علينا وزعموا أنهم أولياء الله وانصار دينه ورسوله وكتابه ويأبى الله ذلك فما كانوا أولياءه إلا المتقون الموافقون له العارفون به وبما جاء به والعاملون به والداعون اليه لا المتشبعون بما لم يعطوا اللابسون ثياب الزور الذين يصدون الناس عن دين نبيهم وهدى وسنته ويبغونها عوجاً وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا باتباعه واحترامه والعمل به وتعظيم الانبياء

والاولياء واحترامهم متابعتهم له فيما يحبونه وتجنب ما يكرهونه وهم اعصى
الناس لهم وابعدهم منهم ومن هديهم ومتابعتهم كالنصارى مع المسيح
وكاليهود مع موسى والرافضة مع علي. واهل التوحيد ابن كانوا اولى بهم
وبحبتهم ونصرة طريقتهم وسنتهم وهديهم ومناهجهم واولى بالحق قولاً وعملاً
من اهل الباطل فالؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض والمنافقون
والمنافقات والمشركون والمشركات بعضهم اولياء بعض ومن اصفى إلى كلام
الله بكليته قلبه وتدبره وتفهمه اغناه عن اتباع الشياطين وشركهم الذي يصد
عن سبيل الله وعن الصلاة وينبت النفاق في القلب وكذلك من اصفي اليه
وإلى حديث الرسول بكليته وحدث نفسه بها وعمل باقتباس الهدى والعلم
منه لا من غيره اغناه من البدع والشرك والآراء والتحرزات والشطحات
والخيالات التي هي وساوس الشيطان والنفوس وتخيلات الهوى (١) ومن
بعد ذلك فلا بد ان يتعوض ما لا ينفعه بل مضرة عليه واغناه ايضاً عن عشق
الصور وإذا خلا عن ذلك صار عبد هواه اي شيء استحسنه ملكه واستعبده
فالعرض عن التوحيد عابد الشيطان مشرك شاء أم أبى كما في صحيح مسلم عن
ابي الهياج الاسدي واسمه حيان بن حصين قال : قال علي ابن أبي طالب رضي
الله عنه الا ابعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ان لا أدع مثلاً الا طمسته
ولا قبراً مشرفاً إلا سويته وفي الصحيح ايضاً عن ثمامة بن شفي الهمداني قال
كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بقبوره
فسوي فقال سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها وقد أمر به وفعله الصحابة
والتابعون والأئمة المجتهدون قال الشافعي في الام ورايت الائمة بمكة يأمرؤن
بهدم ما يبنون على القبور ويؤيد الهدم قوله ولا قبراً مشرفاً إلا سويته
وحديث جابر الذي في صحيح مسلم نهى ﷺ عن البناء على القبور ولأنها
أسست على معصية الرسول لنهي عن البناء عليها وأمره بتسويتها فبناء أسس

(١) بياض في الاصل

على معصيته ومخالفته ﷺ بناء غير محترم وهو أولى بالهدم من بناء الفاصب قطعاً وأولى من هدم مسجد الضرار المأمور بهدمه شرعاً إذا المفسدة اعظم حامية للتوحيد والله المستعان وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على أفضل الخلق أجمعين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

فهذا نص الرسالة التي أشار إليها هذا الملحد كما ترى ليس فيها والله الحمد وله الجنة إلا دعوة الخلق إلى التوحيد وإبطال الشرك والتنديد وليس فيها أن جميع أهل المشرق والمغرب لبسوا على الإسلام أو أنهم كلهم مشركون الشرك الأكبر فمن كان لله به عناية نظر إليها بعين البصيرة والعدل والانصاف ومال عن طريقة أهل النفي والبغي والانحراف ، ومن استحوذ عليه الشيطان وكان على نصيب وافر من الخذلان لم يزد النظر إليها إلا عتواً وعناداً وتكبوراً ومقادياً في النفي وارتداداً ومن يرد الله فتنه فلن تملك له من الله شيئاً ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ، ثم انه قد كان من المعلوم عند كل عاقل خبير الناس وعرف أحوالهم وسمع شيئاً من اخبارهم ان أكثر سكان البسيطة حال دعوة الشيخ إلى دين الله ورسوله على غاية من الجهل والضلال لا يستريب في ذلك عاقل كانوا من امر دينهم في جاهلية يدعون الصالحين ويعتقدون في الاشجار والاحجار والغيوان ويطوفون بقبور الانبياء والاولياء ويروجون الخير والنصر من جهتها إلى غير ذلك من الامور الشركية التي انهمك فيها أكثر البرية واعتقدوا أنها أمور دينية محبوبة لله مرضية . ونذكر من ذلك شيئاً يسيراً ليتبين لمن طلب الحق وأراد ما كان عليه الشيخ رحمه الله تعالى مما أصله من الدين وأساسه وما كان عليه أهل الاقطار من الكفر والشرك بالله في غالب جميع الامصار. قال الشيخ الامام أبو بكر حسين بن غنام الاحسائي رحمه الله :

الفصل الاول

في بيان ما جرى في تلك الازمان من الشرك والضلال والطغيان

في نجد والاحساء وغيرهما مما يليهما من البلدان

نقول كان غالب الناس في زمانه متضخين بالارجاس ، متلطين بوضر الانجاس ، حتى قد انهمكوا في الشرك بعد حلول السنة المطهرة بالارماس ، وإخفاء نور الهدى بالانطماس ، بذهاب ذوي البصائر والبصيرة ، والالباب المضينة المنيرة ، وغلبة الجهل والجهال ، واستعلاء ذوي الاهواء والضلال ، حتى نهجوا في تلك الطريق منهجاً وعرّاً ، ونبدوا كتاب الله تعالى وراءهم ظهراً ، وأتوا زوراً وبهتاناً وهجراً ، وزين لهم الشيطان أنهم ينالون بذلك أجراً ، ويجوزون به عراً وفجراً ، فأركبهم مراكب الاسلاف قسراً ، وامتنطى كواهلهم في ذلك السنن قهراً ، وحسن لهم ان الآباء بحقيقة الحق أدري ، وأنهم بنهج منهج الشريعة أخرى ، فعدلوا إلى عبادة الاولياء والصالحين ، وخلعوا ربة التوحيد والدين ، فجدوا في الاستغاثة بهم في النوازل والحوادث ، والخطوب المضلات الكوارث ، واقبلوا عليهم في طلب الحاجات ، وتفرج الشدائد والكربات ، من الاحياء والاموات ، وكثير منهم يعتقد النفع والاضرار ، في الجمادات كالا حجار والاشجار ، وينتابون ذلك في اغلب الازمان والاورقات ، ولم يكن لهم إلى غيرها اقبال ولا التفات ، فهم على تلك الاوثان عاكفون ، ولها في كثير الاحايين ملازمون ، نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ، لعب بعقولهم الشيطان ، واخذ بهم منهج الخسارة حتى أقامهم في قعر الهوان ، فلجوا في طغيانهم يعمهون ، تسنموا من الهوى اسمى فتن ، وأتوا من الضلال أنسى فتن ، ورفضوا والله أنسى سنن ، الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا يربهم يعدلون ، إلى أن قال رحمه الله تعالى : وكان في بلدان نجد من ذلك أمر عظيم ،

والكل على تلك الاحوال مقيم ، وفي ذلك الوادي مسيم ، حتى جاء الحق وظهر
 أمر الله وهم كارهون ، وقد مضوا قبل بدو نور الصواب ، يأتون من الشرك
 بالعجاب ، وينسلون إليه من كل باب ، ويكثر منهم ذلك عند قبر زيد
 ابن الخطاب ، ويدعونه لتفريج الكرب بفصيح الخطاب ، ويسألونه كشف
 النوب من غير ارتياب ، (قل انبئوني الله بما لا يعلم في السموات ولا في
 الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) ، وكان ذلك في الجيلة مشهورا ،
 وبقضاء الخواص مذكورا ، ثم ذكر المعابد التي في نجد . ثم قال : وكذلك
 ما يفعل الآن في الحرم المكي الشريف ، زاده الله تعالى رفعة وتشريفا ، فهو
 يزيد على غيره وينيف ، فيفعل في تلك البقاع المطهرة المكرمة ، والمواقع
 المعظمة المحترمة ، من الامور المحظورة المحرمة ، ما يحق ان تسفح عند رؤيته
 الميون والاحقان ، وتذال لأجله الدموع ولا تصان ، وتلتهب في القلب
 لواعج الاجزان ، إذا أبصر الموحد ما يصدر من أولئك العربان ، من الفسوق
 والضلال والعصيان ، وما عدي الدين فيه من الهوان ، فلقد انتهكت فيه
 المحرمات والحدود ، وكان لأهل الباطل به قيام وقعود ، كما هو الآن مشاهد
 موجود ، أين قوله تعالى : (وإذا بؤنا لآبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي
 شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود) ، ويشهد بذلك من رآه
 ممن كان له قلب سليم (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) ، ولقد
 تظاهر بذلك منهم جم غفير ، وتجاهر به بين أظهرهم جمع كثير ، ولم يكن
 لأهل العلم إزالة ولا تغيير ، بل تألبوا على مصادمة الحق الشهير ، وراموا
 اطفاء مصباحه المنير ، وإخماد ضيائه المستنير ، وحاولوا تغيير نحيب الصواب ،
 (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب) (أولم نعبركم
 ما يتذكر فيه من تذكير وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير) . قلت :
 ومن جملة هؤلاء المجادلين بالباطل هذا الرجل المسمى بالحداد صاحب هذا
 الافتراء والإلحاد . ثم قال رحمه الله : فمن ذلك ما يفعل عند قبر المحجوب ،
 (م ٤ - الأسنة)

وقبة أبي طالب ، وهم يعلمون انه شريف حاكم متعدد غالب ، كان يخرج إلى بلدان نجد ويضع عليهم من المال خراجا ومطالب ، فإن أعطى ما أراد انصرف وإلا أصبح لهم معاديا ومحارب ، وكذلك عند قبر المحبوب ، يطلبونه الشفاعة لغفران الذنوب ، لأنه عندهم المقرب المحبوب ، فلماذا كانوا من شره يحدرون ، وإن دخل متعدد أو سارق أو غاصب مال ، قبر احدهما لم يتعرض له احد من الرجال ، ولا يخشى معاقبة ولا نكال ، ولا يتوصل إليه بما يكره ولا ينال ، وإن تعلق جان ولو أقل جناية بالكعبة سحب منها بالاذيال ، فهم في تعظيمها مفرطون (واتخذوا من دونه آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون) . ومن ذلك ما يفعل عند قبر ميمونة بنت الحارث رضى الله عنها بسرف ، وعند قبر خديجة رضى الله عنها بالمعل ، بما لا يسوغ لمسلم ان يطلق عليه إباحة وحلا ، فضلا عن كونه يدرك بها أجراً وفضلاً ، من اختلاط النساء بالرجال وفعل الفواحش والمنكرات ، وارتفاع الاصوات عندهم بالدعوات ، وحصول الندبة وشدة الاستغاثات ، وعند قبر عبد الله بن عباس رضى الله عنهما في الطائف ، من الامور التي تشبث منها نفس الجاهل فكيف بالعارف ، فيقف عند قبره متضرعاً مستغيثاً كل مكروب وخائف ، وينادي أكثر الباعة في الاسواق ، من غير تكبر ولا زاجر على الاطلاق ، ويقول بلهجة قلب واحترق ، كثير من اهل الشرك والابلاس ، وذوي الفقر والافلاس : اليوم على الله وعليك يا ابن عباس ، ويسألونه الحاجات ويسترزقون ، (اتخذ من دونه آلهة إن يردي الرحمن بصر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقدون) . وأما ما يفعل عند قبره عليه السلام من الامور المحرمة العظام ، من تعفير الحدود ، والانحاء بالخضوع والسجود ، واتخاذ ذلك القبر عيداً ، وقد لعن عليه السلام فاعله وكفى بذلك زجراً ووعيداً ، ونهى عن ما يفعل عنده غالب العلماء نهياً شديداً وغلظوا في ذلك تغليظاً أكيداً ، فهو مما لا يخفى ولا ينكر ، وأعظم من ان يذكر ، فهو في الشهرة والانتشار ،

كالشمس في رابعة النهار ، ويكل اللسان عما يفعل عند قبر حمزة والبقيع وقباء من ذلك القبيل ، ويعجز القلم عن بيانه على التفصيل ، ولولم يذكر منه إلا القليل : وليس يصح في الاذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل .

وأما ما يفعل في جدة فيما عمت به البلوى ، قد بلغ من الضلال والفش الغاية القصوى ، وعندهم قبر طوله ستون ذراعاً عليه قبة يزعمون أنه قبر سحواء ، وضعه بعض الشياطين من قديم وهياء وسوى ، يجنون عنده السدنة من الاموال ، كل سنة مما لا يكاد يخطر بالبال ، ولا يدخل بسلام على امه كل إنسان ، إلا مساماً دراهم عاجلاً من غير توان ، أبيضل احد من اللثام ، فضلاً عن الكرام ، يبذل الخطام ، ويدع الدخول على امه والسلام ، وعندهم معبد يسمى العلوي بالغ في تعظيمه جميع الخلائق ، وادبوا في الغلو على تلك الطرائق فلو دخل قبره قاتل نفس او غاصب او سارق ، لم يتعرض بمكروه من مؤمن ولا فاسق ، ولا يجسر احد ان يكون مخرجاً له سائق ، او إلى المساعدة إليه مسارع مسابق ، فمن استجار بتربته أجبر ، ولم يخرج عليه حاكم ولا وزير . وأماما في بلدان مصر وصعيدها ، من الامور التي ينزه اللسان عن ذكرها وتعديدها ، خصوصاً عند قبور الصالحاء والعباد من ساداتها وعبيدها ، كما ذكرها الثقات في نقل الاخبار وتوكيدها ، فيأتون قبر احمد البدوي وكذا قبور غيره من العباد ، وسائر ترب المشهورين بالخير والزهاد . فيستغيثون ويندبون ويعجلونهم بالامداد ، ويستحثونهم على زوال المصيبة عنهم والانكاد ، وينتادلون بينهم حكايات ، وينسبون عنهم قضايا ، ويحكون في محافلهم ماجريّات ، من أفحش المنكر والضلالات ، فيقولون فلان استغاث بفلان ، فأغيث فوراً في ذلك الاوان ، وفلان شكى لصاحب القبر حاله وأمره ، فأغاثه وكشف عنه ضره وفلان شكى إليه حاجته فأزال عنه فقره ، وأمثال هذا الهذيان ، الذي هو زور وبهتان ، ويصدر هذا الكلام في تلك البلدان ، وهي مملوءة بالعلماء من أهل الزمان ، وذوي التحقيق والعرفان ، ولا يزال ذلك المحذور ،

ولا يغار من صدور تلك الامور ، بل ربما تنشرح منهم له الصدور ، قلت :
ومصدق ما ذكره الشيخ الامام حسين ابن غنام قد ذكره هذا الملحد في
الفصل السابع في كرامات الاولياء ومعجزاتهم وخاتمته فيما يأتي بعد . ثم قال
وأما ما يفعل في بلدان اليمن من الشرك والفتن ، قبل هذا الوقت وفي هذا
الزمن ، فأكثر من ان يحسب أو يحصى ، أو يُعدّ ويستقصى ، أو يدرك له
أقصى ، فمن ذلك ما يفعله أهل شرقي صنعاء بقبر عندهم يسمى قبر الهادي ،
والكل على دعوته والاستغاثة به رائج أو غادي ، فتأتيه المرأة اذا تعسر عليها
الحمل أو كانت عقيمة ، فتقول عنده كلمة قبيحة عظيمة ، فسبحان من لا يعاجل
بالمعاقبة على الجريمة ، وأما أهل بلد برع فعندهم رجل يرحل إلى دعوته ، كل
ناء عن محله وبلده ، ويؤتي اليه من غير امشكال ، من مسيرة أيام وليال ،
لطلب الاغاثة ، وشكاية الحال ، ويقسمون عند قبره للزيارة ، ويتقربون
بالفضائح عنده كما حقق اخباره ، من شاهد حضرته واحتضاره ، وأما أهل
الحجرية ومن هذا حذوهم فعندهم قبر يسمى ابن علوان ، وقد اقبل عليه العامة
في نوائب الزمان ، واستغاث به منهم كل لهفان ، فهم يلجئون به في كل وقت
ولوان ، ويسميه غوغام منجى الغارقين ، كما حكاه بعض السامعين ، واغلب
أهل البر منهم والبحر يطربون ، عند سماع ذكره ويستغيثون به وأن لم يصلوا
إلى قبره وينذر له في البحر والبر ، وعند أهل بلده من تعظييه ما يزيد على
الحصر ويفعلون عند قبره السعاعات والموالد ، ويجتمع عندها أنواع المعاصي
والمقاصد ، فليس في اقطار اليمن في هذا الزمن من يساويه في الاشتهار ، بل
ولا في سائر الاقطار ، ولهم في حضرته أمور يفعلونها ديناً ، ويتوخونها حيناً ،
فحيناً يطعنون أنفسهم بالسكاكين والدبابيس ، وقد جعلها لهم عبادة ابليس ،
ويقولون وهم يرقصون بما يغنيه طربون ، قد ملا الوجد منهم البابا وذئنا :-
ياسادتي قلبي معكم مُعَنَّاً ، وأما أهل حضرموت والشحر ويافع وعدن ، فقد
ثرى فيهم الغنى وقطن ، وعندهم العندروس يفعل عند قبره من السفه والضلال

الزويل ، ما يعني بجملة عن التفصيل ، ويقول قائلهم : شيء الله يا عيروس ، شيء
 الله يا يحيى النفوس ، ثم ذكر ما يفعل في بلدان الساحل وما يفعل أهل الحما عند
 قبر علي بن عمر الشاذلي وأهل الحديدة عند قبر الشيخ صديق وأهل اللحية عند
 قبر الزيلعي وعند قبر رابعة ، وما يفعل أهل نجران عند سيدهم . قال وأما
 ما في حلب ودمشق واقصى الشام وادناه ، فهو بما لم يوقف له على حد ولم يمكن
 ضبط اقضاه ، ولا يعرف قدره ومنتهاه ، ولو استفرغ الانسان في ذلك قصاره ،
 بحسب ما يحكيه من يشاهد ذلك ويراه ، من العكوف على عبادة القبور ،
 وصرف القربان اليها والندور ، والمجاهرة بالفسوق والفجور ، وأخذ الامكاس
 والمسدستوى ، ووضع الحراج على البغايا من تلك المهزور ، وفي الموصل وبلدان
 الاكراد ، وما يليها من سائر البلاد ، وكذا في العراق خصوصاً المشهد
 وبغداد ، بما لا يحتاج الى حصر وتعداد ، فيفعل عند قبر الامام أبي حنيفة
 ومعروف الكرخي والشيخ عبد القادر رضى الله تعالى عنهم من الدعاء
 والاستغاثة بهم ومنهم في سائر الأوقات والازمان ، ما لا يعرف له صفة
 ولا شأن ، وتسفح عنده العبرات والدموع ، ويحصل من التعظيم والتذلل
 عندهم والخطوع ، أعظم مما يصدر بين يدي الله في الصلاة في الحضور والخشوع ،
 بل كثير ممن فعل ذلك مراداً وجريهم لقضاء الخواجج ترياق مجرب . قلت :
 وقد اغتدر الحداد وعلل ذلك بانهم يعرفون الله أكثر منا ، ثم قال رحمه الله
 وأما مشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد صيrote الرافضة وثناً يعبد ،
 ويدعى بخالص الدعاء دون من ذراه الخلق وأوجد ، وبضلى له في قبته ويركع
 ويسجد ، وليس في صدور أولئك الضلال ، وغيرهم من الجهال ، وذوي التسق
 والضلال ، من التعظيم والهبة والجلال ، لذى الفضل والتوال ، معشاو ما فيها
 لعلي رضي الله عنه من غير اشكال ، ولا اصراف في المقال ، فتراهم يحلفون
 الايمان الكاذبة بالله ، ولا يخاف احدهم مولاه ، ولا يراقبه سرّاً ولا جهراً
 ولا يخشاه ، ولا يحلف بعلي كاذبا ابدا يعظم بذلك حماه ، فلا ينتهك ذلك

ولا يتعداه ، ويميزمون أن عنده مفاتيح الغيب من غير شك ، فبحسبهم الله
ولا ريب ولهذا يقولون إن زيارته أفضل من سبعين حجة ، وكفى بما ذكرناه
في خروجهم عن الاسلام حجة ، واخراجهم عن واضح السن والمحجة ، ولقد
غلوا فيه وأتوا من الشرك القبيح ، اعظم بما يفعله النصارى في المسيح ، سوى
دعوى الولدية ، فلم تصدر من هذه البرية ، وساووهم وزادوا عليهم في غيرها
من الحصال الردية ، وزخرفوا على قبره الذي يدعونه قبة مذهبية ، وخالفوا
هدية رضي الله عنه ومذهبه ، ولقد كان في حياته حرق بمن غلا فيه اناس ، فما
اغنا عن انتهاج منهج الضلال فيه والابلاس ، قلت : وقد اعتقد غلاة هذه
الامة في نبينا محمد ﷺ ما اعتقده النصارى في المسيح وما اعتقدته الرافضة في
علي رضي الله عنه سوى دعوى الولدية كما صرح به البوصيري وذكره دحلان
مستشهدا به على تعظيم الرسول ﷺ بكل تعظيم يعظم به الرب فقال :
دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما سئلت مدحا فيه واحتكم
ثم قال الشيخ رحمه الله ومثل ذلك ما يفعل من الشرك والمكر والشين
عند مشهد الكاظم ومشهد الحسين ، قال وأما جميع قري الشط والمجرة ، فقد
لبسوا ثياب الشرك والمضرة ، بل كانوا أهله وأصله ومقره ، وكذلك ما حول
البصرة وما توسط فيها من تلك القباب والمشاهد ، التي أصبح كل اليها مقبلا
وقاصدا ، لاسيا قبر الحسن البصري والزيبر رضي الله عنهما ، فقد طلبوا الفرج
منهما ، وصرفوا لهما من العبادة والاستغاثة عند الشدائد ، وطلبوا منها جميع
الفوائد ، وليس لها منكر ولا جاحد ، سوى ما يصدر وما يشاهد في تلك البلدان
من المنكرات والفواحش والمفاسد ، ولا يجحد ذلك إلا مباحث معاند ،
وأما ما في القطيف والبحرين من البدع الرفضية ، والأمور القبيحة الشركية ،
والمشاهد المعظمة الوثنية ، وما يفعله أولئك الضلال والانجاس ، من
الضلال والغي والابلاس ، وما يأتونه من الشرك والأرجاس ، فلا يكاد يخفى
على أحد من الناس ، ويقف دون ساحل احصائه الادراك ، ويقصر عن مقتضاه

ونظمه في هذه الاسلاك ، وما يجحد ذلك إلا كل معتد افاك ، وهذا آخر ما اردنا ايراده من كلام الشيخ حسين بن غنام رحمه الله ليتبين لكل ذى عقل سليم ما عليه غالب أهل الأرض من الشرك العظيم وان الشيخ رحمه الله بمن جدد دين الاسلام ورفع له المقامات العظام فعاب عليه هؤلاء الغلاة الطغام ورموه بالمعضلات العظام التي لا تطاق ولا ترام وقال الامير محمد بن اسماعيل الصنعاني رحمه الله في ابيات له قال فيها :

اما آن عما انت فيه مثاب	وهل لك من بعد البعاد اياب ؟
تقضت بك الاعمار في غير طاعة	سوى عمل ترضاه وهو سراب
اذا لم يكن لله فعلك خالصا	فكل بناء قد بنيت خراب
فلعمل الاخلاص شرط اذا آتي	وقد وافقته سنة وكتاب
وقد صين عن كل ابتداع وكيف ذا	وقد طبق الآفاق منه عباب
طني الماسن بجر ابتداع على الورى	فلم ينج منه مركب وركاب
وطوفان نوح كان في الفلك اهله	فنجاهمو والغارقون تباب
فاني لنسا فلك ينجم وليته	يطير بنا عما نراه غراب
واين الى اين المطار وكلما	على ظهرها يأتيك منه عجاب
نسائل من دار الاراضي سياحة	عسى بلدة فيها هدى وصواب
فيخبر كل عن قبائح ما رأى	وليس لأهلها يكون متاب
لانهو اعدوا قبائح فعلهم	بحاسن يرجى غنهم ثواب
كقوم عرأة في ذرى مصر ما علا	على عورة منهم هنالك ثياب
يدورون فيها كاشفين لعورة	تواتر هذا لا يقال كذاب
يعدونهم في مصرهم فضلاؤهم	دعاؤهم فيما يرون محاب
وفيها وفيها كل ما لا يعده	لسان ولا يدنو اليه خطاب
سوفي كل مصر مثل مصر وانما	لكل مسمى والجميع ذياب
توى الدين مثل الشاة قد وثبت له	ذئاب وما عنه لمن ذهاب

لقد مزقته بعد كل ممزق فلم يبق منه جثة واهاب
وليس اغتراب الدين إلا كما ترى فهل بعد هذا الاغتراب اياك
في اغربة هل يرجي منك اوبة فيجبر من هذا البعاد مصاب
الى آخر كلامه رحمه الله وقد تقدم كلامه في الدالية ، فمن تأمل ما ذكره
الصنعاني رحمه الله وما ذكره الشيخ حسين بن غنام رحمه الله تبين له ما كان
عليه غالب الناس من الشرك العظيم والمرتع الوبي الوخيم وتبين له كذب هؤلاء
الفلاة الملاحدة وانهم شرفوا بهذا الدين وابتغوا غير سبيل المؤمنين وحسبنا الله
ونعم الوكيل .

فصل

قال الملحد ومن ذلك ان ضابط الحق عنده ما وافق هواه وان خالف
النصوص الشرعية واجماع الامة وضابط الباطل عنده ما لم يوافق هواه وان كان
على نص جلي واجمعت عليه الامة ومن ذلك وهو أعظمها انه كان يكفر جميع
الناس من ستمائة سنة ومن لا يتبعه وان كانوا من أئمة المتقين فيسبهم مشركين
ويستحل دماءهم واموالهم ويثبت الايمان لكل من تبعه وان كان من أفسق
الفاسقين والجواب ان يقال : قد كان من المعلوم ان هذا مما افتراه هؤلاء الملحدون
بل ضابط الحق عنده ما وافق الكتاب والسنة وان خالف اهواء الخلق
وارادتهم وضابط الباطل عنده ما خالف كتاب الله وسنة رسوله واجماع
سلف الامة وأئمتها وان وافق اهواء الخلق وارادتهم وما أجمعوا عليه من
كفرهم وضلالاتهم فانه رحمه الله تعالى كان على ما كان عليه رسول الله ﷺ
واصحابه وسلف الامة وأئمتها في باب معرفة الله واسمائهم واثبات صفات كماله
ونعوت جلاله والايمان به وفي باب العلم والعمل والعبادة يعرف ذلك من مقاله
وحاله من نظري في مؤلفاته ومضنفاته ولا يكفر الا من كفر الله ورسوله
وأجمع على تكفيره الامة ويوالي كافة اهل الاسلام وعلمائهم من اهل الحديث

والفقه والتفسير واهل الزهد والعبادة ويرى المنع من الانفراد عن آئمة الدين من السلف الماضين برأى مبتدع او قول مخترع فلا يحدث في الدين ما ليس له اصل يتبع وما ليس من اقوال اهل العلم والاثر ويؤمن بما نطق به الكتاب وصحت به الاخبار وجاء الوعيد عليه من تحريم دماء المسلمين واموالهم واعراضهم ولا يبيح من ذلك الا ما اباحه الشرع وأهدره الرسول ومن نسب اليه خلاف ما عليه اهل السنة والجماعة من سلف الامة وأثبتها فقد كذب واقتري وقال ما ليس له به علم وأما زعمه انه يكفر الناس منذ ستاية سنة فقد اجاب الشيخ عن هذا بقوله سبحانه هذا بهتان عظيم وأما قوله ويثبت الايمان لكل من تبعه الى آخره فالجواب ان يقال مراد هذا المخلد المقتري ان من تبع الشيخ محمداً على توحيد الله وتبرأ من عبادة الطواغيت وتبرأ من الشرك واهله ووافقه على اخلاص العبادة والدعوة لله وتاب وأناب الى الله بما كان يفعله من الشرك بالله ودعوة الصالحين وغيرهم من الاحياء والاموات وعرف معنى قول لا اله الا الله وانما نفى واثبات فشطرها الاول نفى الالهية مطلقاً والثاني اثباتها لله دون ما سواه من اهل السموات والارض من الاحياء والاموات فمما مؤمناً موحداً واثبت له الايمان وان كان فاسقا فتعم هكذا قال الشيخ رحمه الله وعلى هذا سائر العلماء من اهل السنة والجماعة وذلك ان الانسان اذا دخل في الاسلام وحكم باسلامه لا يخرج من الاسلام ما يفعله من الكبائر كالمسقة والزنا وشرب المسكر واخذ الاموال ظلماً وعدواناً وانما يخرج من الاسلام الى الكفر الشرك بالله وانكار ملجاء به الرسول من الدين بعدم معرفته بذلك واقامة الحجة عليه وقد قال تعالى (ان الله لا يقدر ان يشرك به ويفقر ما دون ذلك لمن يشاء) فثبت بهذه الآية المحكمة ان جميع الذنوب ما خلا الشرك بالله معلقة بالمسيئة قد يغفرها لمن يشاء من عباده وان الشرك بالله لا يغفره الا بالتوبة ومن مات عليه فهو من اهل النار المخلدين فيها ولو كان من اعبد الناس وازهدهم ولا ينفع مع الشرك بالله عمل البتة ، فاذا تحققت هذا

وعلمته فلا عجب من هذا الملحد المفتري فانه له اغواناً من اعداء الله واعداء دينه قد تقوهوا بمثل هذه الحرافات وحكوا عن الشيخ من المفتريات المكذوبات فحوا بما ذكره هذا الملحد ولكن اقام الله في تحورهم من أهل العلم والدين من رد عليهم وابطل جميع ماموهوا به من الاكاذيب والحكايات وما لفقوه من الاباطيل والترهات قال الشيخ ملا عمر ان نزيل لنجة في رد مفتريات بعض هؤلاء الرضاعين فيما افتروه على الشيخ من الاكاذيب .

جاءت قصيدتهم تروح وتفتدي	في سب دين الهاشمي محمد
قد زخر فوها للعوام بقولهم	ان الكتاب هو الهدى فيه اقتد
لو ان ناظمها تمسك بالذي	قد قال فيها او لا اذ يبتدي
لهدي ووفق ثم حاز سعادة	لا شك فيها عند كل موحد
ليكنه قد زاع عما قاله	متأولاً فيها بتأويل ردي
فأت كشهد فيه سم نافع	من ذاق منه ففي الهلاك المبعد
اذ شبه الشيخ الامام المهدي	بأخي مسيلمة الكفور المعتدي
فهو الذي ان مات معتقداً بذات	ياويله ماذا يلاقي في غد
ماذا يجيب وما يقول ومن له	يوم القيامة وهو خصم محمد
قد شبه التوحيد بالكفر الذي	شهد الكتاب به وسنة احمد
الشيخ شاهد بعض اهل جهالة	يدعون اصحاب القبور الهمد
تاجاً وشمساً ومن ضاهاهما	من قبة أو تربة أو مشهد
يرجون منهم قربة وشفاعة	ويؤملون كذاك أخذاً باليد
ورآى لعباد القبور تقرباً	بالنذر والذبح الشنيع المنسند
ما انكر القراء والاشياخ ما	شهدوا من الفعل الذي لم يحمد
بل جوزوه وشاركوا في اكله	من كان يذبح للقبور ويفتدي
فأتاهم الشيخ المشار اليه بالنصح	المين وبالكلام الجيد
يدعوهو الله ان لا تعبدوا	الا المهين ذا الجلال السرمد

كلا ولا من صالح أو سيد
 الا عجب عندنا لم يعهد
 اجدادنا أهل الحجي والسؤدد
 هذا فنحن بما وجدنا نقتدي
 أهل الزمان اشتد غير مقلد
 لله انداداً بغير تعدد
 لم تعتقد في صالح متعبد
 وادي حنيفة دار من لم يسعد
 كانت لفرعون الشقي الاطرده
 كانوا بأرض الله أهل تمرده
 هم في بلاد الله أهل تردد
 من كل طاغ في البرية مفسد
 وزهت بتوحيد الإله المفرد
 فيها ولا تهديه ان لم يمتد
 لومات في جوف الكنيف المطرد
 يفلح ولو قد مات وسط المسجد
 وبقي أبو جهل الذي لم يسعد
 ان لم يكونوا قائمين على الهدى
 اظهروا ما قد ضيعوه من اليد
 ليكافئوه على وفاق المرشد
 ومشوا على منهاج قوم حسد
 هم يعملون به ومنهم يبتدي
 بدخول جنات وحور خرد
 بل انه يرجو بها لوحده

لاتشركوا ملكاً ولا من مرسل
 فتنافروا عنه وقالوا ليس ذا
 ما قاله آباؤنا ايضاً ولا
 لنا وجدنا جملة الآبا على
 فالشيخ لما ان رأى ذا الشأن من
 ناداهم يا قوم كيف جعلتمو
 قالوا له بل ان قلبك مظلم
 قد عيروه بانه قد كان في
 قلنا لهم ما ضر مصر بأنها
 ان التماردة الفراغة الاولى
 ذا قال أنا رب وذا متنبئ
 ينأ وشاماً والعراق ومصرها
 فبوتهم طابت وطار غبارها
 ان المواطن لم تشرف ساكنها
 من كان لله الكريم موحداً
 وبعبكسه من كان يشرك فهو لم
 خرج النبي المصطفى من مكة
 ان الاماكن لا تقدر اهلها
 لو انصفوا لرأوا له فضلاً على
 ودعوا له بالخير بعد ثباته
 لكنهم قد عاندوا وتكبروا
 ورموه بالبهتان والافك الذي
 كمالهم هو للتابع قاطع
 حاشا وكلا ليس هذا شأنه

قالوا له أسقى الوري مع كونه
قالوا له يا سالكا طرق الردي
وهو يرون الشمس ظاهرة لهم
قالوا له : يا كافراً يا فاجراً
قالت قريش قبلهم للمصطفى
قد اتهموه بأنه يمتال في
فاذا أتوا قتلوا بغير جناية
قالوا نعم المسلمين جميعهم
بل كل من جعل العديل لربه
قالوا له غشاش' أمة احمد
هل قال الا وحدوا رب السماء
وتسكوا بالسنة البيضاء ولا
هذا الذي جعلوه غشاً وهو قد
من عهد آدم ثم نوح هكذا
وكذلك الخلفاء بعد نبيهم
منهاجهم هذا عليه تسكوا
عجباً لمن يتلو الكتاب ويدعي
ويقول للتوحيد غشاً ان ذا
ويجحد الاسلام والايمان مع
ما ذنبه في الناس الا الله
ما صنع عهد ثقيف لما عاهدوا
ما اللات الا كان عبداً صالحاً
لا توفي عظموا لضريحه
اذ كان حياً قادراً قاموا باطعم

ينهي عن الانداد للنفرد
لم لا تسير على الطريق الاوشد
لكن أعنى القلب ليس بهتد
ما ضره قول العداة الحسد
ذا ساحر ذا كاهن ذا معتدي
تأذينه ليجيء أهل المسجد
تالله هذا إفاك أفاك ردي
بالكفر قلنا ليس ذا بمؤكد
ونهي فصد فذاك كالمتهود
وهو النصيح بكل وجه مبتدي
وذروا عبادة ما سوى المتفرد
تنظموا بزيادة وتردد
نطقت به الرسل الكرام لمن هدي
تتوي الى عهد النبي محمد
والتابعون وكل حبر مهدي
من كان مستنأ بهم فليقتدي
علم الحديث مسلسلاً في المسند
خطر على من قال فليستشهد
تروفاً بان الشيخ خير مجدد
ههـم القباب وتلك سيرة احمد
الا بهدم اللات لو لم يعبد
لت السويق لطائف متعبد
كصنيع عباد القبور النكد
ام له وبكسوة وتقعد

وإذا توارى عنهم في قبره
ولقد رأى الفاروق يوما قبة
فأشار نحوها دعوه يضلّه
وحديث أبي الهياج فيه كفاية
في طمس مثال وقبر مشرف
لما نفى الأطراء عنهم والغلو
لو كان حبك للنبي محققاً
أما الدلائل فهو لم ينكر بها
إلا التظاهر بالغلو وجعلها
فتوى لهم حرصاً على تجويدها
لا يعتنون بمصحف لهمو كما
فلو اعتنى رب الدلائل بالذي
لـكفاه كل مؤنة وتكلف
سأل النبي من الصحابة سائل
فأجاب يرشده بما قد جاء في
لوحت فيه ولم أصرح حيث لم
هذا الكلام على الدلائل ليس ما
وكذلك في روض الرياحين الذي
والله قد ذم الغلو فقال يا
أذ قال لا تغلوا بنهي لازم
وكذا الرسول بها وأخبر أنه
عجبا لهم لو كان فيهم منصف
من حيث إن الاتباع مقارن
قالوا صبا تم نحوهم قلنا لهم

جفلوه ندأ للاله السيد
نصبت على قبر تشد بأعبد
عمل له أن لم يكن عمل ردي
لذوي البصائر والعقول النقّـد
جاء الحديث به صحيح السند
قللوا أتيت بهذا الجفاء المبعد
لفعلت فعلتنا لعلك تهتدي
صلوات أزرى العالمين الأبعد
درساً يكرن في كتاب مفرد
خطا وترويقا وحسن مجلد
هم يعتنون براتب ويمول
يأتي عقيب شهادة المتشهد
ومشى على النهج القويم الارشد
كيف الصلاة عليك كالمستشهد
قول المصلي دبر كل تشهد
يدخل على وزن القريض المنشد
قد قاله من شد عن ذا المقصد
فيها الغلو بـصالح وبسبب
أهل الكتاب بغلظة وتهدد
في دينكم في الحكم لم يتردد
فيه الملاك لراهب متعبّد
لرأى المحبّ محمداً لمحمد
للمحبّ في نص الكتاب الامجد
الحق شمس البصير المهتدي

حسب يقربنا له بتودد
نثار نعمته ولم نسترفد
لذوي البصائر فاهتدى من يبتدي
اقروا بالفضائل واليد
كالشعرة البيضاء يجلد اسود
حق القليل مقالة لم تصجد
تلق الصحيح بها فخذته تهتد
شك وريب واختلاف يبتدي
تجدوه حقاً ظاهراً للمقتدي
أو جاهلاً في العلم كالمتردد
هفواته لجناب ذاك المرشد
من بعدم تكدير صافي المورد
ظهروا ذوي فرق وأهل تبدد
ماذا يضر الصحب سب المالحد
أزكى الوري أصلاً وأطيب محد
قد ذب عن ذا الدين كل موحد

ما بيننا نسب غيل به ولا
أيضاً ولا هو جارنا الادني الذي
لكنها شمس الظهيرة قد بدت
فالعالمون العاملون المنصفون له
لكن قليل منهمو في عصرنا
والله قد ذم الكثير وقال في
«سبا» و«ص» فأتلتها متدبرا
فان اعتراكم في الذي قد قاله
فزنوا بميزان الشريعة قوله
ولئن وجدتم فاسقاً أو جافياً
قد زل يوماً أو هفا لا تنسوا
فآلآل والاصحاب ماذا ضرهم
من بعد ذاك الاجتماع على الهدى
ماذا يضر السحب نبج الكلب ام
ثم الصلاة على النبي محمد
والآل والاصحاب جمعاً كلتما

انتهى ما ذكره الشيخ ملا عمرا رحمه الله تعالى ، لقد افاد واجاد ، وقمع
اهل الشرك والشك والعناد ، وجلي بما أبداه غياهب الضلال والفساد ، وجاهد في الله
اعداء الله حق الجهاد ، وهؤلاء الملاحدة الغلاة على وتيرة واحدة في حكاية هذه
الاكاذيب ، التي لا يحكيها إلا كل متمرّد مريب ، فعود بالله من رين الذنوب ،
وانتكاس القلوب .

فصل

قال الملحد وغاية شبهته في نسبة الشرك الى غير اتباعه وهي التي بنى عليها اساس بدعته وزندقته وجميع قبائحه انه ادعى انهم يعظمون مشاهد الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومشاهد الاولياء نفعا الله بهم تعظيماً بليغاً حتى صاروا يطلبون منهم ما لا يقدر عليه الا الله تبارك وتعالى وذلك بزعمه الفاسد وإلا فان الفاعل هو الله حقيقة اكراما منه لأنبيائه واوليائه اذا توسلوا بهم اليه كما وقع من النبي في الاحاديث الصحيحة لما توسلوا به حياً وميتاً سقاهم الله في حياته بنفسه استسقوا به وبعد وفاته أمرتهم سيدتنا عائشة أم المؤمنين يفتحون كوة هذا قبره للشمس فسقوا لما فعلوا ذلك كما اتى في الحديث الصحيح عن مالك الداراني الى آخر كلامه . والجواب ان نقول : سبحان من طبع على قلوب اعدائه حتى أعمى بصائر قلوبهم عن معرفة ما اوجب الله عليهم من اخلاص العبادة له وحده لا شريك له بجميع انواعها ومعرفة ما حرمه عليهم من الشرك في عبادته وصرف خالص حقه سبحانه وتعالى لغيره من الانبياء والاولياء والصالحين فان هذا الملحد زعم انما امر الله به ورسوله من اخلاص العبادة له وترك عبادة من سواه هو الشبهة التي بنا عليها الشيخ اساس بدعته وزندقته وجميع قبائحه وذلك انه ذكر ان المشركين في هذه الازمان يعظمون مشاهد الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومشاهد الاولياء تعظيماً بليغاً حتى صاروا يطلبون منهم ما لا يقدر عليه الا الله تبارك وتعالى فنقول : ما ذكره الشيخ رحمه الله من ان المشركين في هذه الازمان يعظمون مشاهد الانبياء ومشاهد الاولياء تعظيماً بليغاً حتى صاروا يطلبون منهم ما لا يقدر عليه الا الله هو شرك جاهلية العرب الذين بعث فيهم عبد الله ورسوله محمد ﷺ فانهم كانوا يدعون اربابها ويلتجئون اليهم ويسألونهم على وجه التوسل بجاههم وشفاعتهم ليقربوهم الى الله كما حكى الله ذلك عنهم في مواضع من كتابه كقوله تعالى (ويعبدون من دون

الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله (الآية). وقال تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) وقال تعالى (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون) قال رحمه الله : ومعلوم ان المشركين لم يزعموا ان الانبياء والاولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السموات والارض واستقلوا بشيء من التدبير والتأثير والايجاد ولو في خلق ذرة من الذرات قال تعالى : (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) فهم معترفون بهذا مقرون به لا ينازعون فيه ولذلك حسن موقع الاستفهام وقامت عليهم الحاجة بما أقروا به من هذه الجمل وبطلت عبادة من لا يكشف الضر ولا يملك الرحمة ولا يخفي ما في التنكير من العموم والشمول المتناول لأقل شيء وأدناه من ضر أو رحمة وقال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) الى قوله (فانى تسحرون) وقال تعالى (وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) ذكر فيه السلف كابن عباس وغيره ايمانهم هنا ما أقروا به من ربوبيته وملكه وفسر شركهم بعبادة غيره قال رحمه الله : وقد بين القرآن في غير موضع ان من المشركين من اشرك بالملائكة ومنهم من اشرك بالانبياء والصالحين ومنهم من اشرك بالكواكب ومنهم من اشرك بالاصنام وقد رد عليهم جميعهم وكفر كل اصنافهم كما قال تعالى (ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا يأمركم بالكفر بعد إذ انتم مسلمون) وقال تعالى (اتخذوا اصهارهم وrehانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم) الآية وقال (لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون) ونحو ذلك في القرآن كثير وبه يعلم المؤمن ان عبادة الانبياء والصالحين كعبادة الكواكب والاصنام من حيث الشرك والكفر بعبادة غير الله . قال رحمه الله : وهذه العبادات التي صرفها المشركون لآلهتهم هي

أفعال العبد الصادرة منه كالحب والخضوع والانابة والتوكل والدعاء والاستغاثة والاستغاثة والخوف والرجاء والنسك والتقوى والطواف ببيته رغبة ورجاء وتعلق القلوب والآمال بفيضه ومدته وإحسانه وكرمه فهذه الأنواع أشرف أنواع العبادة وأجلها بل هي لب سائر الأعمال الإسلامية وخلاصتها وكل عمل يخلو منها فهو خداج مردود على صاحبه وإنما الشرك وكفر من كفر عن المشركون بقصد غير الله بهذا وتأهيله لذلك قال تعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون) وقال تعالى (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون) وقال تعالى (اتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون) وقال تعالى (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) الآية وحكي عن أهل النار أنهم يقولون لآلهتهم التي عبدوها مع الله (تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين) ومعلوم أنهم مأسوؤهم به في الخلق والتدبير والتأثير وإنما كانت التسوية في الحب والخضوع والتعظيم والدعاء ونحو ذلك من العبادات ، قال رحمه الله فجنس هؤلاء المشركين وأمثالهم ممن يعبد الأولياء والصالحين نحكم بأنهم مشركون ونرى كفرهم إذا قامت عليهم الحجة وما عدا هذا من الذنوب التي دونه في الرتبة والمفسدة لا تكفر بها ولا نحكم على أحد من أهل القبلة الذين باينوا لعباد الأولياء والأصنام والقبور بكفر بمجرد ذنب ارتكبه وعظيم جرم اجتراحه ، وقال رحمه الله ومن أنواع هذا الشرك العكوف على قبور المشهورين بالنبوة والصحة والولاية وشدة الرجال إلى زيارتها لأن الناس يعرفون الرجل الصالح وبركته ودعائه فيعكفون على قبره ويقصدون ذلك فتارة يسألونه وتارة يسألون الله عنده وتارة يصلون ويدعون الله عند قبره ، ولما كان هذا مبدء الشرك سد النبي ﷺ هذا الباب ففي الصحيحين أنه قال في مرض موته « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا ، قالت عائشة ولولا ذلك لأبرز قبره لكن كره أن يتخذ مسجداً (م ٥ - السنة)

وقال : « لا تتخذوا قبوري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا علي حيث ما كنتم فان صلاتكم تبلغني » وقال ﷺ « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وفي الموطأ عنه ﷺ قال « اللهم لا تجعل قبوري وثناً يُعبد » وفي صحيح مسلم عن علي رضي الله عنه قال « بعثني رسول الله ﷺ أن لا ادع قبراً مشرفاً إلا سويته ولا تمناً إلا طمسته » فأمر بطمس التماثيل من الصور الممثلة على صورة الميت والتماثيل الشاخص المشرف فوق قبره فان الشرك يحصل بهذا وبهذا ، وبلغ عمر رضي الله عنه ان قوماً يذهبون الى الشجرة التي يابع النبي ﷺ أصحابه تحتها فأمر بقطعها . وارسل اليه ابو موسى أنه ظهر بتستر قبر دانيال وعنده صحيفة فيها أخبار ما سيكون وفيها أخبار المسلمين وأنهم اذا اجذبوا كشفوا عن القبر فمطروا فارسل اليه عمر يأمره أن يحفر في النهار ثلاثة عشر قبراً ويدفنه بالليل في واحد منها لئلا يعرفه الناس فيفتنوا به واتخاذ القبور مساجد وبناء المساجد عليها محرماً لم يكن من ذلك شيء على عهد الصحابة والتابعين وكان الخليل عليه السلام في المغارة التي دفن فيها وهي مسدودة لا أحد يدخلها ولا تشد الصحابة الرحال لا إليه ولا إلى غيره من المقابر ففي الصحيحين عنه ﷺ قال « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا » فكان من يأتي منهم إلى المسجد الأقصى يصلون فيه ، ثم يرجعون لا يأتون مغارة الخليل ولا غيرها وكانت مسدودة حتى استولى النصارى على الشام في أواخر المائة الرابعة فتحوا الباب وجعلوا ذلك مكان كنيسة ولما فتح المسلمون البلاد اتخذ بعض الناس مسجداً وأهل العلم ينكرون ذلك وهذه البقاع وأمثالها لم يكن السابقون الاولون يقصدونها ولا يزورونها فانها محال الشرك ولهذا توجد فيها الشياطين كثيراً وقد رأهم غير واحد على صورة الإنسان ويقولون أنهم رجال الغيب يظنون أنهم رجال من الانس غائبون عن الابصار وإنما هم جن والجن رجال كما قال تعالى (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) وما أحدث

في الاسلام من المساجد على القبور هو من فعل من لم يعرف شريعة الاسلام وما بعث الله به محمدا ﷺ من كمال التوحيد واخلاص الدين لله وحده وسد ابواب الشرك التي يفتحها الشيطان ولهذا يوجد من كان ابعد عن التوحيد والاخلاص ومعرفة الاسلام اكثر تعظيما لمواضع الشرك فالعارفون بسنة رسول الله ﷺ وحديثه اولى بالتوحيد والاخلاص وأهل الجهل بذلك اقرب للشرك والبدع ولهذا يوجد في الرافضة اكثر مما يوجد في غيرهم لانهم اجهل من غيرهم واكثر شركا وبدعاً ولهذا يعظمون المشاهد ويخربون المساجد فان المساجد لا يصلون فيها جمعة ولا جماعة والمشهد يعظمونها حتى يرون زيارتها اولى من الحج وكلما كان الرجل اتبع لدين محمد ﷺ كان هو اعظم توحيد الله واخلاصا له واذا بعد عن متابعتة نقص من دينه بحسب ذلك ، فاذا اكثر بعده عنه ظهر فيه من الشرك والبدع ما لا يظهر. فيمن هو اقرب منه لاتباع الرسول والله انما امر بالعبادة في المساجد وهو عمارتها . قال تعالى (انما يعمر مساجد من آمن بالله واليوم الآخر) ، ولم يقل مشاهد الله . وأما نفس بناء المسجد فيجوز ان يبنيه البر الفاجر وذلك يسمى بناء كما قال : « من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة » ثم كثير من المشاهد واكثرها كذب كالذي بالقاهرة على رأس الحسين رضى الله عنه فان رأسه لم يحمل الى هناك . وكذلك مشهد علي رضى الله عنه انما حدث في دولة بني بويه . قال الحافظ (١) وغيره هو قبر المغيرة بن شعبة ، وعلي انما دفن بقصر الامارة بالكوفة ، ودفن معاوية بقصر الامارة بدمشق ، ودفن عمرو بن العاص بقصر الامارة بمصر خوفاً عليهم اذا دفنوا ان ينبشهم الخوارج ، انتهى . وكان العلماء رضى الله عنهم من قديم الزمان ينكرون هذا الذي حدث في هذه الازمنة من تعظيم القبور وبنائها وبناء المشاهد والمساجد عليها ودعائها وسؤال اهلها الحاجات وتقريب الكربات ويبنون للناس ان هذا خلاف دين الاسلام الذي بعث الله به رسوله ﷺ ودخول في دين عبادة الاوثان ، فليس هذا الذي بيته الشيخ رحمه الله للناس

من النهي عن دعوة اهل القبور والاشراك بهم والتبرك بالاشجار فهما فهمه من تلقاء نفسه دون ان يفهمه احد من علماء هذه الامة ، بل العلماء كلهم من جميع المذاهب مطبقون على النهي عنه والانكار والتغليظ على من فعله من الجاهل وازالة ما قدروا عليه من ذلك ، ومرادي بالعلماء هم الذين يعتقد بهم في معرفة الحلال والحرام المشهورون بالعلم والمعرفة عند اهل الاسلام الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم ، بل يجاهدون في سبيل الله اهل البدع والآثام بحسب استطاعتهم وقدرتهم إما باليد أو باللسان أو بالقلب وهو أضعف مراتب الايمان . وقد ثبت ان رسول الله ﷺ قال « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان » . وقال ﷺ « اذا امرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » ، اخرجاه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ومن ذلك ما ذكره الامام محمد ابو بكر الطرطوشي رحمه الله في كتابه المشهور الذي سماه كتاب الحوادث والبدع . روى البخاري عن ابي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون حولها وينوطون بها اسلحتهم ، فمررنا بسدرة ، فقلنا يا رسول الله : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال رسول الله ﷺ : الله اكبر ، هذا كما قالت بنو اسرائيل لموسى ، اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم فانظروا رحمكم الله ايها وجدتم سدرة او شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها ويرجون البرء او الشفا من قبلها وينوطون المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها ، انتهى كلامه رحمه الله . فانظر رحمك الله الى تصريح هذا الامام بأن كل شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون الشفاء والعافية من قبلها فهي ذات أنواط التي قال رسول الله ﷺ لاصحابه لما طلبوا منه ان يجعل لهم شجرة كذات أنواط ، فقال : « الله اكبر هذا كقول بني اسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً ، مع انهم لم يطلبوا إلا مجرد مشابهتهم في العكوف عندها وتعليق الاسلحة للتبرك ، فتبين لك بهذا ان من جعل قبراً او حجراً او شجرة

او شيئاً حياً او ميتاً مقصوداً له وعظمه ودعاه واستغاث به وتبرك به وعكف على قبره فقد اتخذها الهاً مع الله . فاذا كان رسول الله ﷺ انكر عليهم مجرد طلبهم منه مشابة المشركين في العكوف وتعليق الاسلحة للتبرك ، فما ظنك بما هو اعظم من ذلك واطم الشرك الاكبر الذي حرمه الله ورسوله ، واخبر ان اصلح الخلق لو يفعل له حط عمله وصار من الظالمين . فصولاة الله وسلامه عليه كما بلغ البلاغ المبين وعرفنا بالله وأوضح لنا الصراط المستقيم ، فحقيق بمن نصح نفسه وآمن بالله واليوم الآخر ان لا يغتر بما عليه اهل الشرك من عبادة القبور من هذه الامة . وقال الامام ابو الوفا بن عقيل الحنبلـي رحمه الله تعالى : لما صعبت التكليف على الجهال والطغام عدلوا عن اوضاع الشرع الى اوضاع وضعوها لانفسهم فسهلت عليهم اذا لم يدخلوا تحت امر غيرهم . قال وهم عندي كفار بهذه الاوضاع مثل تعظيم القبور واکرامها والزامها لما نهى عنه الشرع من ايقاد السرج وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى بالحوائح وكتب الرقاع فيها يا مولاي افعل بي كذا وكذا واخذ تربتها تبركاً بها وافاضة الطيب على القبور وشد الرجال اليها والقاء الحرق على الشجر اقتداءً بمن عبد اللات والعزى والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكف ولم يتمسح بأجر مسجد المموسة يوماً الا ربعا ولم يقل المحالون على جنازته الصديق ابو بكر او محمد وعلي ، او لم يعقد على قبر أبيه ازجا بالحص والاجر ولم يخرق ثيابه الى الذيل ولم يرق ماء الورد على القبر ، انتهى . فتأمل رحمك الله ما ذكره هذا الامام الذي هو اجل أئمة الحنابلة ، بل من اجل أئمة الاسلام وما كشفه من الامور التي يفعلها الخواص من الانام فضلا عن النساء والغوغاء والعوام مع كونه في سادس القرون والناس اذ ذاك لما ذكره يفعلون يتضح لك فساد ما زخرقه المبطلون وموهبه المتعصبة والمحدون ، وقال ابن القيم رحمه الله في اغاثة اللهفان .

فصل

ثم ان في اتخاذ القبور أعيادا من المفاصد العظيمة التي لا يعلمها الا الله تعالى ما يغضب لأجله كل من في قلبه وقار لله تعالى وغيره على التوحيد وتهجين أو تقييح للشرك ولكن ما لجرح ميت ايلام فمن مفاصد اتخاذها أعياد الصلاة اليها والطواف بها وتقبيلها واستلامها وتعفير الحدود على ترابها وعبادة أصحابها والاستغاثة بهم وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الديون وتقريب الكربات ، واغانة اللهفات ، وغير ذلك من أنواع الطلبات ، التي كان عبادة الأوثان يسألونها أوثانهم فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيدا وقد نزلوا عن الاكوار والدواب اذا رأوها من مكان بعيد فوضعوا لها الجباه وقبلوا الأرض وكشفوا الرؤوس وارتفعت أصواتهم بالضجيج ، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج ، ورأوا انهم قد أربوا في الربح على الحجيج ، فاستغاثوا بمن لا يبدي ولا يعيد ، ونادوا ولكن من مكان بعيد ، حتى اذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين ، ورأوا انهم قد أحرزوا من الأجر ولا أجر من صلى الى القبلتين ، فتراهم حول القبر ركعا سجدا يبتغون فضلا من الميت ورضوانا ، وقد ملؤا أكفهم خيبة وخسرانا ، فلغين الله بل للشيطان ما يراق هناك من العبرات ، ويرتفع من الاصوات ، ويطلب من الميت من الحاجات ، ويسأل من تقريج الكربات ، واغناء ذوي الفاقات ، ومعافات أولى العاهات ، والبلبات ، ثم انبثوا بعد ذلك حول القبر طائفين تشيها له بالبيت الحرام الذي جعله الله مباركا وهدى للعالمين ، ثم أخذوا في التقيل والاستلام ، وأرأيت الحجر الأسود وما يفعل به وغد البيت الحرام ، ثم عفروا لديه تلك الجباه والحدود ، الذي يعلم الله انها لم تعفر كذلك بين يديه في السجود ، ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق ، واستستعوا بخلافهم من ذلك الوثن اذ لم يكن لهم عند الله من خلاق ، وقرّبوا لذلك الوثن القرابين ، وكانت

صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين ، فلو رأيتهم بيني بعضهم بعضا ،
ويقول اجزل الله لنا ولكم اجرا وافرا وحظا ، فاذا رجعوا سالهم غلاة
المتخلفين ان يبيع أحدهم ثواب حجة القبر بحج المتخلف الى البيت الحرام ،
فيقول لا ولو بجحك كل عام ، هذا ولم تتجاوز فيما حكيناه عنهم ولا استقصينا
جميع بدعتهم وضلالهم اذ هي فوق ما يخطر بالبال ، أو يدور في الخيال ، وكان
هذا مبدء عبادة الأصنام في قوم نوح كما تقدم وكل من شم ادني رائحة من العلم
والفقه يعلم ان من اهم الأمور سد الذريعة الى هذا المذخور وان صاحب الشرع
اعلم بعاقبة ما نهى عنه وما يؤل اليه واحكم في نهيه عنه وتوعده عليه وان الخير
والهدى في اتباعه وطاعته والشر والضلال في معصيته ومخالفته ثم ذكر كلام
أبي الوفاء بن عقيل المتقدم ذكره ثم قال ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في
القبور وما امر به ونهى عنه وما كان عليه أصحابه وبين ما عليه اكثر الناس
اليوم رأى احدهما مضادا للآخر مناقضا له بحيث لا يجتمعان ابدا فهى رسول الله
ﷺ عن الصلاة الى القبور وهؤلاء يصلون عندها ونهى عن اتخاذها مساجد
وهؤلاء يبنون عليها المساجد ويسونها مشاهدا لبيوت الله تعالى ونهى
عن ايقاد السرج عليها وهؤلاء يوقفون الوقوف على ايقاد القناديل عليها ونهى
ان يتخذ عيدا وهؤلاء يتخذون اعيادا ومناسك ويتجمعون لها كاجتماعهم للعيد
أو اكثر وامر بتسويتها كما روى مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الاسدي قال
قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الا ابعثك على ما بعثني رسول الله ﷺ
ان لا ادع تمثالا إلا طسته ولا قبرا مشرفا الا سويته وفي صحيحه ايضا عن
تمام بن شفي قال كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس فتوفي صاحب
لنا فأمر فضالة بقبوره فسوي ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها وهؤلاء
يبالغون في مخالفة هذين الحديثين ويرفعونها من الأرض كالبيت ويعقدون عليها
القباب ونهى عن تخصيص القبر والبناء كما روى مسلم في صحيحه عن جابر
قال : نهى رسول الله ﷺ عن تخصيص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه بناء
ونهى عن الكتابة عليها كما روى أبو داود في سننه عن جابر رضي الله

عنه ان رسول الله ﷺ نهى ان تجصص القبور وان يكتب عليها قال الترمذى
حديث حسن صحيح وهؤلاء يتخذون عليها الألواح ويكتبون عليها القرآن
ونهى ان يزداد عليها غير تراها كما روى ابو داود من حديث جابر أيضا ان
رسول الله ﷺ نهى ان يجصص القبر أو يكتب عليه أو يزداد عليه وهؤلاء يزيدون
عليه سوى التراب الاجر والاحجار والجص ونهى عمر بن عبد العزيز ان يبني القبر
باجر واوصى ان لا يفعل ذلك بقبره واوصى الاسود بن يزيد ان لا تجعلوا على قبري
آجرا وقال ابراهيم النخعي كانوا يكرهون الاجر على قبورهم واوصى ابو هريرة
رضي الله عنه حين حضرته الوفاة ان لا يضربوا على قبره فسطاطا وكره الامام
احمد أن يضرب على القبر فسطاطا والمقصود ان هؤلاء المعظمين للقبور المتخذينها
اعيادا للموقدين عليها السرج الذين يبنون عليها المساجد والقباب مناقضون
لما امر به رسول الله ﷺ محادون لما جاء به واعظم ذلك اتخاذها مساجد وابقاد
السرج عليها وهو من الكبائر وقد صرح الفقهاء من اصحاب احمد وغيرهم بتحريمه
قال ابو محمد المقدسي ولو ابيح اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله ولان فيه
تضييعا للمال في غير فائدة وافراطا في تعظيم القبور اشبه تعظيم الاصنام قال
ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور لهذا الخبر ولأن النبي ﷺ قال : لعن الله
اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا متفق عليه ولأن
تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأموات باتخاذ صورهم والتسبح بها
والصلاة عندها ، انتهى . وقد آل الأمر هؤلاء الضلال المشركين الى ان شرعوا
للقبور حجا ووضعوا له مناسك حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتابا وسماه
مناسك حج المشاهد مضاهاة منه بالقبور للبيت الحرام ولا يخفى ان هذا مفارقة
لدين الاسلام ودخول في دين عباد الأصنام فانظر الى هذا التباين العظيم بين
ما شرعه رسول الله ﷺ وقصده من النهي عما تقدم ذكره في القبور وبين
ما شرعه هؤلاء وقصدوه ولا ريب ان في ذلك من المفاسد ما يعجز العبد عن
حصره فمنها تعظيمها الموقع في الافتتان بها ومنها اتخاذها عيدا ومنها السفر اليها
ومنها مشاهة عباد الأصنام بما يفعل عندها من العكوف عليها والمجاورة عندها

على المجاورة عند المسجد الحرام ويرون سدنتها افضل من خدمة المساجد
والويل عندهم لقيسها ليلة يطفى القنديل المعلق عليها ومنها النذر لها ولسدنتها
ومنها اعتقاد المشركين بها ان بها يكشف البلاء وينصر على الأعداء ويستنزل غيث
السماء ويفرج الكرب ويقضى الحوائج وينصر المظلوم ويجار الخائف الى غير
ذلك ومنها الدخول في لعنة الله تعالى ورسوله باتخاذ المساجد عليها وابقاء السرج عليها
ومنها الشرك الاكبر الذى يفعل عندها ومنها ابداء اصحابها بما يفعله المشركون
بقبورهم فانهم يؤذيهم ما يفعل عند قبورهم ويكرهونه غاية الكراهة كما ان
المسيح يكره ما تفعله النصارى عند قبره وكذلك غيره من الانبياء والاولياء
والمشايخ يؤذيهم ما يفعله اشباه النصارى عند قبورهم ويوم القيامة يتبرؤن منهم
كما قال تعالى: (ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضلتم عبادى
هؤلاء ام هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من
اولياء ولكن منعتمهم وآباءهم حتى نسوا الذكرا وكانوا قوماً بورا) قال الله
للمشركين فقد كذبوكم بما تقولون وقال تعالى (واذا قال الله يا عيسى بن مريم
أأنت قلت للناس اتخذوني وأسمى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي
ان اقول ما ليس لي بحق) الآية وقال تعالى (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة
اهؤلاء ايمانكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون
الجن اكثرهم بهم مؤمنون) ومنها مشابهاة اليهود والنصارى في اتخاذ المساجد والسرج
عليها ومنها محادة الله ورسوله ومناقضة ما شرعه فيها ومنها التعب العظيم مع
الوزر الكثير والاثم العظيم ومنها إمالة السنن واحياء البدع ومنها تفضيلها على
خير البقاع واحباها الى الله فان عباد القبور يقصدونها من التعظيم والاحترام
والخشوع ورقة القلب والعكوف بالهمة على الموتى بما لا يفعلونه في المساجد
ولا يحصل لهم فيها نظيره ولا قريب منه ومنها ان ذلك يتضمن عمارة المشاهد
وخراب المساجد ودين الله الذى بعث به رسوله بضد ذلك ولهذا كانت الرافضة
من ابعد الناس عن العلم والدين عمروا المشاهد واخربوا المساجد ومنها ان الذى

شرعه الرسول ﷺ عند زيارة القبور انما هو تذكر الآخرة والاحسان الى
المزور بالدعاء له والترحم عليه والاستغفار له وسؤال العافية فيكون الزائر
محسناً الى نفسه والى الميت فقلب هؤلاء المشركون الامر وعكسوا الدين
وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت ودعائه والدعاء به وسؤالهم حوائجهم
واستئزال البركات منه ونصره لهم على الاعداء ونحو ذلك فصاروا مسيئين الى
نفوسهم والى الميت ، انتهى . فتأمل ما ذكره الشيخ رحمه الله تعالى وما ذكره
العلماء من المفاسد العظيمة التي اعظمها الشرك بالله الشرك الأكبر وادناها
ما يفعلونه من الكبائر التي حرمها الله ورسوله ، وذلك بسبب تعظيمها والفلو
فيها كما فعلت اليهود والنصارى فمن تأمل ما ذكره أهل العلم تبين له حقيقة
ما دعا اليه الشيخ من توحيد الله واخلاص العبادة له وتبين له خطأ المغرورين
في انتحالهم غير سبيل المؤمنين من تعظيم المشاهد وطلبهم من أبوابها ما لا يقدر
عليه الا الله تعالى ، وأما قوله : وذلك بزعمة الفاسد والا فان الفاعل هو الله حقيقة
كرامة منه لانبياؤه وأوليائه اذا توسلوا بهم كما وقع من النبي ﷺ في الاحاديث
الصحيحة لما توسلوا به حياً وميتاً سقاهم الله به في حياته بنفسه استسقوا به
وبعد مماته أمرتهم سيدتنا عائشة الى قوله وانما يعتقدون الوجاهة لهم عند الله في
أمر جزئي وينسبون لهم مجازاً ويعتقدون ان الاصل والفعل لله تعالى .
والجواب ان يقال : بل الزعم الفاسد والقصد الكاسد ما تضمنه كلامك من
الامور الشركية والمفاسد فأما قوله فان الفاعل هو الله حقيقة وان اسناد القوت
الى الاموات والغائبين مجاز ولا فرق بين الحي والميت عنده في ذلك لان
الله هو الفاعل حقيقة فهذا تخليط وهذيان فان الله لم يجعل للعباد قدرة على ما يختص
بهم من الاغاثة المطلقة ، وأما الاغاثة بالاسباب العادية وما هو في طوق البشر
وقدرتهم فهذا ليس الكلام فيه ، والاموات لا قدرة لهم على الاسباب العادية
(وما يستوى الاحياء ولا الأموات) والمسلمون متفقون على
قول ما شاء الله كان وما يشأ لم يكن يؤمنون بقوله (والله خلقكم
وما تعملون) خلق في الحي اختياراً ومشيئة بها يثاب وبها يعاقب وبها يكلف
والميت ليس له قدرة الحي ولا يكلف بل ينقطع عمله بموته وتطوي صحيفته

ولا يسأل ولا يستقى ولا يرجع اليه في شيء مما للعباد عليه قدرة وسائر الحيوان
يفرقون بين الحي والميت ، وهؤلاء الملاحدة لا يفرقون بين الحي والميت ،
قال تعالى (وما يستوي الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء
وما أنت بمسمع من في القبور) . واستغاثه الميت ليست سبيلاً كاستغاثه
المخلوق فيما يقدر عليه ، ولم يجعل هذا سبيلاً إلا عباد الاصنام الذين هم أضل
خلق الله ، يجعلون الاموات سبيلاً ووسيلة ، والميت ليس في شرع الله
وما جاءت به رسله ان يدعو لمن دعاه ، والكرامة ليست فعله بل هي فعل الله
والمكرم لا يدعى ولا يستغاث به ولا يرجى لشيء من الشدائد ، بل هذا فعل
المشركين حذو النعل بالنعل كانوا يدعون الصالحين والانبياء والمرسلين طالبين
منهم الشفاعة عند رب العالمين ، كما قال تعالى : (ويعبدون من دون الله
ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) . وقال تعالى :
(ما نعبدكم إلا ليقربونا الى الله زلفى) على ان القول باسناد الغوث الى الله تعالى
اسناد حقيقي باعتبار الخلق والايجاد والى الانبياء والصالحين اسناد مجازي باعتبار
السبب والكسب بدعيي البطلان ، بيانه من وجوه ، الاول : انه لو كان مناط
الاسناد الحقيقي اعتبار الخلق والايجاد كما توهم صاحب الرسالة لزم ان يكون
اسناد افعال العباد كلها الى الله تعالى حقيقياً ، فان اعتقاد اهل السنة والجماعة ان
الخالق لافعال العباد هو الله تعالى ، وهذا يقتضي ان يتصف الله تعالى حقيقة
بالايمان والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وصلة الرحم وغير ذلك من
الاعمال الحسنة ، وكذلك يتصف بالاعمال السيئة من الكفر والشرك والفسق
والفجور والزنا والكذب والسرقة والعقوق وقتل النفس وأكل الربا وغيرها ،
فانه تعالى هو الخالق لجميع الافعال حسنها وسيئها والتزام هذا فعل من لا عقل
له ولا دين فانه يستلزم اتصاف الله تعالى بالنقائص وصفات الحدوث واجتماع
الاوصاف المتضادة بل المتناقضة . والثاني : لو كان مناط الاسناد المجازي اعتبار
السبب والكسب كما زعم هذا الزاعم لزم ان لا يكون الانسان حقيقة مؤمناً
ولا كافراً ولا برياً ولا فاجراً ولا مصليةً ولا مزكياً ولا صائماً ولا حاجاً
ولا مجاهداً ولا زانياً ولا سارقاً ولا قاتلاً ولا كاذباً فيبطل الجزاء والحساب

وتلغو الشرائع والجنة والنار ، وهذا لا يقول به احد من المسلمين . والثالث ان دعوى كون الانبياء والصالحين سبباً للغوث وكاسباً له محتاج الى اقامة الدليل ودونه لا تسع ، وبالجملة فهذه شبهة داحضة ووسوسة زاهقة ، تنادي بأعلى نداء على صاحبها بالجهل والسفه ، فتبين مما تقدم الفرق بين الحي والميت ، وان الميت لا يقدر على شيء مما يقدر عليه الحي من الاسباب العادية ، فان الاسباب العادية التي يقدر عليها الحي وفي وسعه فهي وان حصلت من العبد فهي حقيقة لا يحاز ولا ينازع في هذا من عرف شيئاً من اللغة ، والعبد يفعل حقيقة فيأكل حقيقة ويشرب حقيقة ، وينصر اخاه ظالماً او مظلوماً حقيقة ، والله سبحانه خلق العبد وما يعمل ، وهذا معروف من عقائد اهل السنة والجماعة ، والمقصود ان هذا الملعون زعم ان طلب المشركين ممن يعبدونه من دون الله مما لا يقدر عليه إلا الله تبارك وتعالى ليس بشرك ، لان الله تعالى هو الفاعل لذلك حقيقة والله سبحانه يعطي لاجلهم اكراماً لهم ، وهكذا كان المشركون السابقون الذين بعث الله اليهم رسوله محمد ﷺ فانهم كانوا يعلمون ان الله تعالى هو الخالق الموجد . واما الاصنام وسائر المعبودين من دون الله فيقولون انها اسباب ووسائل عادية فمن اجل ذلك كانوا يدعونهم ويستغيثون بهم ويعبدونهم وهذا هو دأب عبدة الصالحين في هذا الزمان يدعونهم ويستغيثون بهم وينحرون لهم وينذرون والدعاء والاستغاثة والنحر والندرة لها من اقسام العبادة على معناها المجازي فكذلك فليحصل لفظ العبادة الواقع في كلام المشركين الاولين الذين حكا الله تعالى عنهم حيث قال سبحانه وتعالى (ما نعبدكم إلا ليقربونا الى الله زلفى) فما وجه الفرق ؟ واما زعمه ان ذلك كرامة لانبيائه واوليائه اذا توسلوا بهم ، فالجواب ان يقال حاشا لله ان تكون اوليائه بهذه المثابة ، فهذا ظن اهل الاوثان كذا اخبر الرحمن (هؤلاء شفعاؤنا عند الله - ما نعبدكم إلا ليقربونا الى الله زلفى -) أتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغني عني شفاعتهم شيئاً ولا يتقنون) فان ذكر من ليس شأنه النفع ولا رفع الضر من نبي وولي وغيره على وجه الامداد

منه إشراك مع الله إذ لا قادر على الدفع غيره ولا خير إلا خيره وايضا فإن
دعاء الانبياء والاولياء والصالحين والاستغاثة بهم في نيل المقصود ليس سبباً
شرعياً فإن هذه من الاسباب المحرمة ولو سلمنا أن الكرامات سبب فمن أين
يؤخذ أنها سبب يقتضى دعاء من قامت به أو فعلت له ومن أي وجه دلت
الكرامة على هذا؟ وأفضل الناس الرسل والملائكة من أفضل خلق الله ولهم من
المعجزات والكرامات والمقامات ما ليس لغيرهم فقد جاء عيسى بن مريم بما هو
من أفضل المعجزات والكرامات يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها
فتكون طيراً بإذن الله ويبرئ الاكمة والابرص ويحيي الموتى بإذن الله
وينبئهم من الغيب ما يأكلون وما يدخرون ، وقد أنكر تعالى على من قصده
ودعاه في حاجاته وملماته وأخبر أن فاعل ذلك كافر به ، ضال بعبادة غيره قال
تعالى (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيا أمركم بالكفر
بعد إذ أنتم مسلمون؟) والارباب هم المعبودون المدعون ، وقال تعالى فيمن
عبد المسيح (قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً والله
هو السميع العليم) فأخبر تعالى عن المسيح انه لا يملك لمن دعاه نفعاً ولا ضرراً
وان قل كما يفيد التنكير ، وأبطل عبادته وأنكرها أشد الانكار ، ومعجزاته
أوضح من الشمس وسط النهار ، وطرد الدليل الذي استدل به هذا الملحد ان
يقال بدعاء كل ذي كرامة ومزية إذا اعتقد أن الفاعل هو الله فلا يتوجه
الانكار على النصارى في قولهم يا عيسى افعل كذا ياروح القدس اعطني كذا
يا والدة المسيح اشفعي لنا إلى الآلهة لانه من أولى العزم ومن أكابر أهل
الكرامات وبهذا يتبين لكل عاقل أن هذه الشبهة هي التي تعلق بها النصارى
في دعائه ودعاه أمه فضارعوا النصارى في الغلو بالأنبياء والاولياء واتبعوا أهواء
قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا سواء السبيل . وأما قوله : كما وقع
من النبي ﷺ في الاحاديث الصحيحة لما توسلوا به حياً وميتاً سقاهم الله الى آخره
فالجواب أن يقال : قد ثبت في صحيح البخاري عن أنس أن عمر استسقى بالعباس

ابن عبد المطلب وقال اللهم انا كنا اجدبنا نتوسل اليك بنينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ، فيسقون فاستسقوا به كما كانوا يستسقون بالنبي ﷺ في حياته وهو انهم يتوسلون بدعائه وشفاعته لهم فيدعو لهم ويدعون معه كالامام والمؤمنين من غير ان يكونوا يقسمون على الله بمخلوق كما ليس لهم ان يقسم بعضهم على بعض بمخلوق ، ولما مات النبي ﷺ توسلوا بدعاء العباس واستسقوا به ولهذا قال الفقهاء : يستحب الاستسقاء بأهل الخير والدين والافضل ان يكونوا من اهل بيت النبي ﷺ . وقد استسقى معاوية بيزيد بن الاسود الجرشي وقال : اللهم انا نستسقي بيزيد بن الاسود يا يزيد ارفع يديك ، فرفع يديه ودعا ودعا الناس حتى امطروا وذهب الناس . ولم يذهب احد من الصحابة الى قبر نبي ولا غيره يستسقي عنده ولا به . قاله شيخ الاسلام ابن تيمية ، اذا علمت هذا فالتوسل صار مشتركاً في عرف كثير فبعض الناس يطلقه على قصد الصالحين ودعائهم وعبادتهم مع الله وهذا هو المراد بالتوسل في عرف عباد القبور وانصارهم وهو عند الله ورسوله وعند اولي العلم من خلقه الشرك الاكبر والكفر البواح ، والاسماء لا تغير الحقائق ، ويطلق ايضاً على مسألة الله بحجج الانبياء والصالحين وحققهم على الله ، ويطلق ايضاً في عرف السنة والقرآن وعرف اهل العلم بالله ودينه على التوسل والتقرب الى الله بما شرعه من الايمان به وتوحيده وتصديق رسله وفعل ما شرعه من الاعمال الصالحة التي يحبها الرب ويرضاها كما توسل اهل الغار الثلاثة بالبر والعفة واداء الامانة ، فاذا اطلق التوسل في كتاب الله وسنة رسوله وكلام اهل العلم من خلقه فهذا هو المراد لا ما اصطلاح عليه المشركون الجاهلون بحدود ما أنزل الله على رسوله . فاذا تبين لك هذا علمت ان التوسل في عرف هؤلاء الغلاة هو دعاء الانبياء والاولياء والصالحين من الغائبين والاموات ، والطلب منهم قضاء الحاجات ، وتقريب الكربات واغاثة اللهفات ، والاستغاثة بهم في المهمات والمهمات ، الى غير ذلك من جميع الطلبات ، وأما التوسل بذاته الشريفة ﷺ فليس من محل النزاع ولا يدل على مشروعته سؤال الله

بخلقه أو بحق غيره من الانبياء وقد يحصل بدعائه عليه السلام أو بذاته ما لا يحصل بالدعاء به والقياس هنا لا يسوغ. وأما قوله: وبعد بماته أمرتهم سيدتنا عائشة أم المؤمنين يفتحون كوة حذاء قبره للشمس فسقوا لما فعلوا ذلك كما أتى في الحديث الصحيح عن مالك الدارني فالجواب ان يقال: قد قرر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ان هذا لم يثبت وقال الحافظ المزي في الكلام على أوس ابن عبد الله الربيعي ابو الجوزاء البصري قال البخاري في اسناده نظر ويختلفون فيه انما قاله عقب حديث رواه له في التاريخ من رواية عمرو بن مالك النكري والنكري ضعيف عنده ، وقال بن عدي حدث عنه عمرو بن مالك قدر عشرة احاديث غير محفوظة ، وابو الجوزاء روى عن الصحابة وارجو انه لا بأس به ولا يصح روايته عنهم انه سمع منهم وقول البخاري في اسناده نظر يريد انه لم يسمع منهم فعمرو بن مالك النكري قد ضعفه البخاري ولم يذكر الحافظ احدا وثقه . وقد انفرد برواية هذا الحديث فلذلك توقف فيه البخاري ونظر فيه وجزم بضعفه ، ولو سلم هذا الحديث فليس فيه حجة للمبطل لما تقدم من انه ثبت ان ذانيال النبي عليه السلام وجد على سرير في بيت مال الهرمزان واخبر الفرس انهم يستسقون به فيسقون مع انهم عباد نيران لبسوا بأهل كتاب وبركة نبينا عليه السلام اعظم مما ذكر واجل بما وصف لكن لا دليل فيه على انه يدعى ويقصد للاستسقاء ولا لغيره بعد وفاته عليه السلام وقد كانت جسد ذانيال النبي عليه السلام عند أهل تستر على السرير في بيت مال الهرمزان وكان عنده مصحف وكانوا اذا قحطوا اخرجوه فامطروا فكتب عامل عمر اليه يخبره بذلك فأمره ان يحفر بضعة عشر قبرا ويدفن ليلاً في احدها ليعفى أثره ويخفى خبره والقصة مشهورة ذكرها بن اسحاق في مغازيه . وقد خاف عمر من ان يشرك به ويجعل ندا لله كما جعل عيسى وأمه فاجتهدوا في اخفاء قبره وعدم اظهاره فهذا هو فعل المهاجرين والانصار الذين هم من أعلم الناس بحقه واعظمهم توقيرا له وليس في ازال المطر اذا كشفت اجساد الانبياء أو قبورهم ما يستدل به

على جواز التوسل الشرعي بهم فان الامر الشرعي والعبادات الدينية توقيفية لا يجوز احداثها نظرا الى الاسباب القدورية الكونية فان اسباب الكائنات لا يحصيها الا الله اعيانا وانواعا ، وليس كل سبب منها يكون ديناً شرعياً محمدياً عليه رسم المدينة هذا وما يحصل ببركته ﷺ اضعاف ما ذكر ولكن الشأن كل الشأن في السير على منهاجه ، والأخذ بأمره والانتها عن زجره ونهيه ، وقد حمى حمى التوحيد وسد طرائق الشرك ووسائله حتى قال للوفد الذين قالوا له : انت سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا « السيد الله تبارك وتعالى قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجربنكم الشيطان انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » هذا وقد قال في مقام الاخبار والاغلام « انا سيد ولد آدم ولا فخر » انتهى .

فصل

وأما قوله: وزعم النجدي الفاسد انهم جعلوها شركاء مع الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً وهذه الدعوى منه باطلة من وجوه بينها الشارح في مواضع أم بيان منها : ان هذا الاعتقاد الذي نسب اليهم أمر قلبي لا يطلع عليه الا الله تعالى فمن اين اطلع عليه واعتقده فيهم على سبيل القطع حتى بنى عليه تكفيرهم بل تكفير من لم يكفرهم واستحلل دماءهم واموالهم مع ان الظاهر من حالهم خلافة ؟ والجواب ان نقول : قد كان من المعلوم انهم مادعوهم وجئوا اليهم واستغاثوا بهم وطلبوا منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات واغاثة اللففات ونسكوا لهم النساك وقربوا لهم القرابين الا لما يعتقدون فيهم من جلب منفعة أو دفع ضرر وازالة شدة واغاثة ملهوف وتفريج كربة ، واعتقدوا فيهم انهم يقدرون على ما لا يقدر عليه الا الله عز وجل ويفعلون ما لا يفعله الا الله عز وجل حتى نطقت السننهم بما انطوت عليه قلوبهم فصاروا يدعونهم تارة مع الله ، وتارة استقلالاً ، ويصرحون باسمائهم ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع

ويخضعون لهم خضوعاً زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في
 المدعاء وهذا هو اعتقاد كفار قريش الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ وقتلهم عليه
 ليكون الدين كله لله وان يخلصوا العبادة له ويخلصوا الانداد المدعوة من دونه
 فمن طلب من مخلوق مالا لا يقدر عليه الا الخالق فقد اشرك ذلك المخلوق في
 عبادة الله سواء كان المدعو نبياً أو ملكاً أو رجلاً صالحاً أو غير ذلك فظهر
 بأفعالهم الشركية ما انطوت عليه العقائد القلبية بل صرحوا بذلك في اقوالهم
 وما اعتمدوا عليه في احوالهم حتى نطقوا بما اعتقدوه جهاراً فلم يجدوا لهم من دون
 الله انصاراً. واما قوله: ومنها على تسليم ان ذلك شرك فهو من الشرك الاصغر
 كقول القائل ضربي اللبن وذلك لا يقتضي الكفر لانه لم يعتقد في اللبن ما يعتقد
 في جانب الحق تبارك وتعالى من الالهية وكذلك هؤلاء منها عظموا الانبياء
 والاولياء فانهم لا يعتقدون فيهم ما يعتقدون في جانب الحق تبارك وتعالى
 من الخلق الحقيقي التام العام وانما يعتقدون الوجاهة لهم عند الله في أمر جزئي
 وينسبونه لهم مجازاً ويعتقدون ان الاصل والفعل لله سبحانه وتعالى. فالجواب
 ان يقال: هذا قول جاهل مركب لا يدري ولا يدري انه لا يدري فان
 قول القائل ضربي اللبن أي صار سبباً في مضرتي والاسباب العادية لا محذور
 فيها ولا تكبير وليس من الشرك الاصغر والاكبر في شيء ونسبة الفعل اليه
 غاية ما قالوا فيه انه مجاز عقلي كما يعلم من رسالة السكاكي والاضافة تقع ولو
 لأدنى ملابس ولو كان من الشرك الاصغر لما قال امير المؤمنين عمر بن الخطاب
 رضي الله عنه قتلني الكلب يعني ابا لؤلؤه غلام المغيرة واما اعتقاد المشركين
 فيمن عبدوه من دون الله فانما هو اشراك في الالهية بالافعال الصادرة منهم
 كالمدعاء والحب والخوف والرجاء والتوكل والاستغاثة والذبيح والنذر والافابة
 والخضوع والخشوع والذل والالتجاء والاستعانة والاستعاذة وغير ذلك من
 انواع العبادة التي اختص الله بها دون من سواه فمن صرف منها شيئاً لغير الله
 كان مشركاً سواء اعتقد التأثير من يدعوه ويبرجوه أو لم يعتقد فمن صرف

(م - ٦ - السنة)

من هذه العبادة المتقدم ذكرها شيئاً لغير الله فقد عبد ذلك الغير واتخذها الهاً
 واشركه مع الله في خالص حقه وان فر من تسمية فعله ذلك تألهاً وعبادة
 وشركاً ومعلوم عند كل عاقل ان حقائق الاشياء لا تتغير بتغير الاسماء فلا تزول
 هذه المفاصد بتغير اسمائها كتسمية عبادة غير الله توسلاً وتشفعاً وتعظيماً
 للصالحين وتوقيراً فالاعتبار بحقائق الامور لا بالاسماء والاصطلاحات فالحكم
 يدور مع الحقيقة لا مع الاسماء وقوله وكذلك هؤلاء مهيا عظموا الانبياء
 والاولياء فانهم لا يعتقدون فيهم ما يعتقدون في جناب الحق تبارك وتعالى .
 من الخلق الحقيقي التام العام وانما يعتقدون الوجاهة لهم عند الله في أمر جرتي
 الى آخر كلامه فالجواب ان نقول ما اشبه الليلة البارحة لقد والله امكنت
 الرامي من سواء الثغرة فان قولك هذا هو شرك جاهلية العرب الذين بعث
 الله فيهم رسوله محمداً ﷺ فانهم كانوا يدعون الانبياء والاولياء والملائكة
 والصالحين يلتجئون اليهم ويعظمونهم ويسألونهم على وجه التوسل بحاجتهم
 وشفاعتهم ليقربهم الى الله كما حكى الله ذلك عنهم في مواضع من كتابه قال تعالى
 (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند
 الله الآية) وقال تعالى (والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا
 الى الله زلفى) وقال تعالى (فلو لا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل
 ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفكرون) ومن المعلوم ان الكفار الذين كانوا
 على عهد رسول الله ﷺ وقتلهم واستحل دماءهم واموالهم كانوا مقرين ان الله
 هو الخالق الرازق المحي المميت النافع الضار المدير لجميع الامور ويعتقدون
 ان الله هو الفاعل لهذه الاشياء وانه لا مشارك له في ايجاد شيء واعدامه وان
 النفع والضرب بيده وانه هو رب كل شيء ومليكه ولا يعتقدون ان آلهتهم التي
 يدعونها شاركوا الله في خلق السموات والارض واستقلوا بشيء من التدبير
 والتأثير والايجاد بل هم معترفون بهذا مقرون به لا ينازعون فيه ولكن لم
 يدخلهم ذلك في الاسلام وقتلهم رسول الله ﷺ الى ان يكون الدين كله لله

وهكذا حال عباد القبور في هذه الأزمان حذو النعل بالنعل وأما قوله وينسبونه لهم مجازاً فأقول قد تقدم أن طلب الإغاثة وقضاء الخوائج من الأموات والغائبين بما لا يقدر عليه إلا الله أشراك به في الهيته لا يشك في ذلك مسلم وأما الاستغاثة التي هي من جنس الأسباب العادية التي يقدر عليها المخلوق وفي وسعه فهي وإن حصلت من العبد فهي حقيقة لا مجاز فلا ينزع في هذا من عرف شيئاً من اللغة والعبد يفعل حقيقة فيأكل حقيقة ويشرب حقيقة ويحب حقيقة وينصر أخاه ظالماً أو مظلوماً حقيقة والله سبحانه خلق العبد وما يفعل وهذا معروف من عقائد أهل السنة والجماعة .

فصل

وأما قوله : ومنها أنه إذا أراد رجل أن يدخل في دينه يقول أشهد على نفسك أنك كنت كافراً وأشهد على والديك أنها مائتا كافرين وأشهد على العالم الفلاني والفلاني أنهم كفار وهكذا فإن شهد بذلك قبله واللاحقه إلى غير ذلك بما ذكره الشارح من فضائحه وقبائحهم وزندقته بل بما يدل على كفره . فالجواب أن يقال : قد كان من المعلوم والمتقرر المفهوم أن هذا من تزوير أعداء الله وأعداء رسوله وشرعه ودينه وقد أجاب عن هذا كله الشيخ محمد رحمه الله وابنه الشيخ عبد الله بن محمد وقالوا في الجواب سبحانه هذا بهتان عظيم .

فصل

ثم قال هذا الملحد وأهم من هذا كله ما ذكره النبي ﷺ الصادق المصدوق فيه أي في النجدي كما بينه في مقدمة الشرح من الأحاديث الكبيرة المبينة لعلامات الخوارج بما يبين أن ابن عبد الوهاب وأتباعه منهم ككونهم من نجد وكونهم من الشرق ومعلوم أن نجد شرقي المدينة كما جاء عنه عليه السلام لولا الفجر يأتي من المشرق أي مشرق المدينة لما نظرت إليه وكون

سيامم التحليق مع كونهم من المشرق والجواب ان نقول الله اكبر على هؤلاء الملاحدة الذين يقولون على الله وعلى رسوله وعلى اهل العلم من خلقه بغير علم بل بالكذب والزور وتحريف الكلم عن مواضعه ولي معاني احاديث رسول الله ﷺ فنقول في سبيل النقض والاختصار ان ما ورد من الاحاديث عن النبي ﷺ في ذكر الخوارج وكونهم من نجد ومن المشرق ان المراد به العراق كما قال في الفتح تحت قوله ﷺ رأس الكفر نحو المشرق الواقع في كتاب بدء الخلق وفي ذلك اشارة الى شدة كفر المجوس لان مملكة الفرس ومن اطاعهم من العرب كانت من جهة المشرق بالنسبة الى المدينة وكانوا في غاية القوة والتكبر والتجبر حتى مزق ملكهم كتاب النبي ﷺ كما سيأتي في موضعه واستمرت الفتن من قبل المشرق كما سيأتي واضعاً في الفتن وقال ايضاً تحت قوله ﷺ هل ترون ما أرى ؟ قالوا لا قال فاني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر الواقع في كتاب الفتن وانما اختصت المدينة بذلك لأن قتل عثمان رضي الله عنه كان بها تم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك فالقتال بالجل وصفين كان بسبب قتل عثمان والقتال بالنهر وان كان بسبب التحكيم بصفين وكل قتال وقع في ذلك العصر انما تولد عن شيء من ذلك أو عن شيء تولد عنه ثم ان قتل عثمان كان أشد اسبابه الطعن على أمرائه ثم عليه بتوليته لهم وأول ما نشأ ذلك من العراق وهي من جهة المشرق فلا منافات بين حديث الباب وبين الحديث الآتي أن الفتنة من قبل المشرق . وقال الخطابي : نجد من جهة المشرق ومن كان بالمدينة كان نجده باهية العراق ونواحيها وهي مشرق أهل المدينة وأصل النجد ما ارتفع من الأرض وهو خلاف الغور فإنه ما انخفض منها وتهامة كلها من الغور ومكة من تهامة انتهى . وقال الحافظ ايضاً في الفتح في آخر كتاب التوحيد تحت قوله ﷺ يخرج ناس من قبل المشرق : تقدم في كتاب الفتن انهم الخوارج وبيان مبدأ أمرهم وما ورد فيهم وكان ابتداء خروجهم في العراق وهي من جهة المشرق بالنسبة الى المدينة المشرفة انتهى . واخرج البخاري عن بشر بن عمرو قال : قلت لسهل بن حنيف

هل سمعت النبي ﷺ يقول في الخوارج شيئاً قال سمعته يقول وأهوى بيده
 قبل العراق يخرج منه قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يرقون من الاسلام
 مروق السهم من الرمية فتيين أن المراد بنجدانه العراق وان قوله ﷺ لما قيل
 له وفي نجدنا قال تلك مواضع الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان فالقصد
 به نجد العراق وشرق المدينة وقد ورد ذلك صريحاً في حديث بن عمرو نص
 عليه الخطابي وغيره واما قوله كما جاء عنه عليه السلام لولا الفجر يأتي من المشرق
 أي مشرق المدينة لما نظرت اليه . فأقول لم يسند هذا الحديث ولم يعزه الى
 كتاب ولا شك انه مما لا يصح رفعه الى النبي ﷺ ولو صح لكان المراد به
 العراق لأن العراق هو نجد المدينة ومشرقها وتلك شكاة خارج عنك عارها .
 وأما قوله قال السيد العلامة سليمان الاهدل مفتي زبيد يكفي في التصنيف
 والرد على التجدي الحديث الصحيح في البخاري قرن العلامتين سيماهم التحليق
 وانهم من المشرق . فالجواب ان التحليق من سيما الخوارج وقد بينا فيما تقدم
 ان خروجهم كان من العراق الذي هو مشرق المدينة وقد وقع مصداق ذلك
 في الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه من العراق ونواحيه وأما أهل
 اليمامة فليس التحليق واقعاً على جميعهم بل الغالب عليهم تسريح شعورهم كما
 كان ذلك واقعاً من الصحابة في المدينة المنورة وغيرها منهم من يحلق ومنهم
 من يسرح شعره . قال ابن عبد البر قد أجمع العلماء في جميع الامصار على اباحة
 الحلق فلم تجتمع فيهم الحصلتان المذكورتان فتيين جهل الاهدل ، وبانه مشى
 على غير السنن الاعدل . بل كان مع قلة معرفته بالدين وأهله كان عديم المعرفة
 بالجهات والاقطار ، وبأقوال أهل التاريخ وال اخبار فلا يلتفت اليه ولا يعول
 عليه لجهله وعدم معرفته . وأما قوله فمن ذلك ما أخرجه في المشكاة عن حذيفة
 رضي الله عنه قال ما ادري أنسي اصحابي أم تناسوا والله ما ترك رسول الله
 ﷺ من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً الا قد سماه
 لنا باسمه واسم ابيه واسم قبيلته رواه ابو داود . فالجواب ان يقال : ما ذكره

رسول الله ﷺ وضح عنه وهو الحق الذي لا مزية فيه والشيخ رحمه الله ليس هو من قواد القثن بل هو من الدعاة الى الله والى دينه بل الذي يصدق على الشيخ قوله ﷺ ان الله يبعث على رأس كل قرن من يجدد لهذه الامة امر دينها او كما قال ﷺ وقد جدد رحمه الله ما اندرس من معالم الحنفية ودعا الى الله والى توحيده واخلص العبادة له وترك عبادة ما سواه كما هو معروف مشهور عند من سلمت شريسته وحمدت في الاسلام سيرته . ثم إن هذا الحديث ليس فيه أن كل قائد فتنة يكون من الخوارج ، واما قوله وذكر في حاشية البخاري عند قوله عليه الصلاة والسلام من علامات الساعة ان ترى اهل البهم والابل يملكون الناس بالقهر ويتناولون في البنيان ومن علامات ابلهم انها سودوهم طوال الوجوه وصغار الاعيان على ابدانهم الكمودة وهم خضر وابدانهم سود انتهى . فالجواب أن نقول هذا الحديث ذكره المحدث بغير اسناد وما كان هذا سبيله فلا يعتمد عليه الا بعد تصحيحه وتوثيق روايته وتعديلهم وعلى تقدير ثبوته وصحته فلا ينطبق هذا الوصف على أهل اليمامة بل على الجفافة من أهل البوادي أهل الابل والفخر والحياء ، وأما من آمن بالله ورسوله منهم ومن غيرهم فلا يدخل في هذا الوصف مع أن هذه الاوصاف لا تكاد توجد فيهم فلا متعلق في هذا لمبطل والله الحمد والمنة ، وقوله : ويكفيك دعاء النبي ﷺ وأني بكر الصديق رضي الله عنه على أهل نجد أنهم لا يزالون في شر وبلية من كذابهم ما بقيت الدنيا الى أن يعصمهم الله ، والجواب أن نقول : لم يرد عن النبي ﷺ حديث في الدعاء على أهل اليمامة كما زعم هذا المحدث بل الذي صح عن النبي ﷺ بأنهم سفهاء الاحلام وان الفتنة تظهر من قبلهم فهم الخوارج الذين خرجوا من العراق ولم يدخل في هذا الوصف من يؤمن بالله ورسوله من أهل نجد وأهل اليمامة ولا من غيرهم بل الموصوف باجماع المسلمين هم الحوذية الخارجون على علي رضي الله عنه الذين قاتلهم علي بالكوفة والبصرة وما يليهما وفيهم من بنى يشكر ومن طي وقيم وغيرهم من قبائل العرب ودارهم ومسكنهم بالعراق ولا يختلف في هذا وهي دار سفهاء الاحلام بنص الحديث و باجماع الامة

ودولتهم وشوكتهم كانت هناك دون النهر وان ولذلك نسبوا اليها فليل أهل
النهر وان حروراء هناك بلدة نسبوا اليها فليل الحرورية فابن في الحديث انهم
أهل اليمامة ما أقبح الكذب وما أعظم خبزي مبيده فمن آمن بالله ورسوله
وكذب بمسيلة ولم يؤمن به فهو من المؤمنين وقد وعد الله المؤمنين والمؤمنات
جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم
وأما قول الصديق فالمراد به من آمن بمسيلة وأدركه منهم كما وقع من
ابن النواحة ، وأما من بعدهم من نسلهم وذرائعهم المؤمنين فلا يتوجه اليهم
عيب ولا ذم والصديق أجل من أن يعيب من لم يؤمن بمسيلة ولم يشهد عصره
وأباء أصحاب رسول الله ﷺ وأسلافهم كانوا على جاهلية وشرك وعبادة
للأصنام والاحجار وغيرها ولا يتوجه عيب أحد منهم بأسلافه وقد يخرج الله
من أصلاب المشركين والكفار من هو من خواص أوليائه وأصفياه ، ولما
استأذن ملك الجبال رسول الله ﷺ ان يطبق الاخشيين لما رجه أهل الطائف
ودعا بدعائه المشهور وهو قوله « أشكوا ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على
الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكفى الى بعيد يتجهنى أو الى
قريب ملكته أمري إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي غير أن عافيتك هي
أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا
والآخرة أن ينزل بي سخطك أو يحيل علي غضبك لك العتي حتى ترضى ولا حول
ولا قوة إلا بك » فاستأذنه الملك عند ذلك فقال بل إنني بهم لعل الله أن يخرج
من أصلابهم من يعبد ولا يشرك به شيئاً .

فصل

ثم ساق هذا الملحد ما ورد من الاحاديث في الحوارج ، وهي حق تؤمن
بها ونصدق ولكن أعداء الله ورسوله يتأولونها ويضعونها في غير مواضعها
بغياً وعدواناً حسداً من عند أنفسهم أن ينزل الله من فضله على من يشاء من

عباده ، وقد بينا كلام العلماء فيما تقدم ان المراد بالمشرك ونجد هو العراق ،
وليس منها حديث واحد منطبقا على حال الشيخ محمد بن عبد الوهاب واتباعه
والله الحمد والمثني لأنه لا يكون من الخوارج الا من يستن بسنة هؤلاء الذين
خرجوا على علي رضي الله عنه فمن يأتي بعد هؤلاء الذين خرجوا على علي
ومرقوا من الدين ممن يصلي ويتخشع ويقرأ كتاب الله الى يوم القيامة ويجتهد
في التلاوة والعبادة لا يكون من الخوارج بالضرورة وإلا لزم أن يكون
معظم الامة من أهل الفقه والحديث من الخوارج بل من سلك مسلكهم من
قتل أهل الاسلام وودع أهل الاوثان وتكفير من لا يعتقد معتقدهم وإباحة دمه
وماله وأهله وان عثمان وعلياً أصحاب الجمل وصفين وكل من رضي بالتحكيم
كفار وان كل من أتى كبيرة فهو كافر مخلد في النار أبداً وان لم يخرج
ومحارب المسلمين فهو كافر ولو اعتقد معتقدهم وابطال رجم الحصن وقطع يد
السارق من الابط والإيجاب الصلاة على الخائض في حال حيضها وكفر من ترك
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ان كان قادراً وان لم يكن قادر فقد
ارتكب كبيرة ، وحكم مرتكب الكبيرة عندهم حكم الكافر وسائر معتقداتهم
الفاصلة وأعمالهم الزائفة الكاسدة ولا يتحقق شيء من عقائدهم وأعمالهم في
الشيخ واتباعه بل مذهبهم في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة
وطريقتهم طريقة السلف التي هي الطريق الاسلام والاعلم والاحكم وهم في
الفروع على مذهب الامام احمد بن حنبل ، ومن روى عنهم شيئاً من تلك
الافاضة فقد كذب عليهم وافتري ، وهذا ظاهر لمن طالع كتابه كتاب
التوحيد وسائر الرسائل المؤلفة للشيخ رحمه الله ، ثم اعلم أيها الواقف على
ما ذكرناه أن هؤلاء الملاحدة الغلاة يتأولون أحاديث رسول الله ﷺ على غير
تأويلها ويضعونها في غير مواضعها . فمن ذلك قوله بعد قوله وفي المشكاة في
أحد حديثهم شر من تظل السماء يومئذ علماؤهم منهم خرجت الفتنة وفيهم
تعود ، وقوله عليه الصلاة والسلام منهم خرجت الفتنة المراد مسيلة الكذاب

وقوله وفيهم تعود المراد ابن عبد الوهاب واتباعه ، وقد علمت أن هذا أو
اشباهه من الأحاديث أن المراد به العراق لما روى مسلم من طريق فضيل
ابن غزوان سمعت سالم بن عبد الله بن عمر يقول يا أهل العراق ما أسألكم
عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة سمعت أبي يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول
« أن الفتنة ستجيء من هاهنا » وأوما بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرنا
الشیطان وأين الیامة من العراق لو كانوا يعملون ؟ ثم أن مسیلة لیس هو من
الحوارج الذين خرجوا على علي بالعراق أو غيره فإن خروج مسیلة كان على
عهد رسول الله ﷺ والحوارج إنما خرجوا بعد ذلك فلا يكون ابتداء فتنة
الحوارج من مسیلة كما زعم هؤلاء والحوارج مختلف في تكفيرهم ومسیلة
لا خلاف في كفره ، وقوله ومع ذلك فاعلمني بعض العلماء بحديث للبخاري
في صحيحه الآتي انه لا يرجي للوهابية أهل نجد ومن تبعهم أن يرجعوا إلى
الحق لأن النبي ﷺ قال « يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية
لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى قوسه » أي موضع وتره ، وهذا الحديث
في صفة الحوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه ومن سلك سبيلهم ،
وليس الوهابية كذلك بل هم مخالفون لهم في جميع ما خالفوا به أهل السنة
والجماعة ، فليس في الحديث نص على الوهابية ولا ذكره أحد من أهل العلم
بل هذا من تأويل أعداء الله ورسوله ، وكذلك قوله وفي رواية قرنا الشيطان
بالتثنية أي مسیلة وابن عبد الوهاب ، وقد ثبت في صحيح مسلم من طريق
فضيل بن غزوان سمعت سالم بن عبد الله بن عمر يقول يا أهل العراق ما أسألكم
عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة ، سمعت أبي يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول
يقول أن الفتنة تجيء من هاهنا وأوما بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرنا
الشیطان كذا فيها بالتثنية وهذا صريح في أنه أراد أهل العراق ولم يرد أهل الیامة
لأن مشرق المدينة العراق كما جاء صريحاً في كلام العلماء فبعداً للقوم الظالمين
ولكن أعداء الله يريدون بهذا تفتير العوام عن دين الله ورسوله ويصدون
عن سبيل الله من آمن به ويغفونها عوجاً .

فصل

وأما قوله وفي بعض التواريخ بعد ذكره لقتال بنى حنيفة قال ويخرج في آخر الزمان في بلد مسيئة رجل يغير دين الاسلام ولا يتعدي ملكه نجدا واطن التاريخ للمعودي صاحب مروج الذهب . فالجواب أن نقول وهذا أيضاً من جنس الموضوعات المكذوب التي وضعها أعداء الله وأعداء رسوله ودينه فان أهل التواريخ انما يذكرون ما وقع وما كان واما ما لم يقع ولم يكن بعد فهذا لا يثبت ولا يصح الا بخبر عمن لا ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى برواة الثقات الاثبات ، ولا خبر بذلك عن رسول الله ﷺ فيكون باطلا .

وأيضاً فان الشيخ رحمه الله لم يكن من الملوك بل كان هو وأتباعه الذين قاموا بهذا الدين من آل سغود الذين ساعدوه على اظهار دين الله ورسوله وجهاد أعداء الله من الدعاة الى دين الله ورسوله وبما يدل على كذب هؤلاء الملاحدة ان هذا الرجل الذي يخرج في آخر الزمان في بلد مسيئة الكذاب لا يتعدي ملكه نجدا على زعمهم وقد أعطى الله المسلمين من النصر والعز والظهور ما لا يعرف مثله لسكان تلك الفياقي والصخور وقهروا سائر العرب من عمان الى عقبة مصر ومن اليمن الى العراق والشام فقد تعدي ملكهم نجدا فلو كان ما ذكروه عن صاحب هذا التاريخ حقاً لم ينطبق على الشيخ محمد وأتباعه لأن ملكهم اتسع من اليمن الى عقبة مصر والى الشام والعراق وعمان كما قال الشيخ الامام عالم الاحساء احمد بن مشرف في أبيات له قال فيها :

فكم ملكوا ما بين ينبع بالقنا وما بين جعلان الى جنب مزيد
ومن عدن حتى تنبغ بأيليا قلو صك من مبداه سهل الى الجدي

فصل

قال الملحد: وعنه عليه السلام: انما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وهم رؤساء القوم ومن يدعوهم الى فعل أو اعتقاد، والجواب: أن يقال ما قاله رسول الله ﷺ فهو الحق وهو الصاق المصدق والشيخ رحمه الله انما يدعو الخلق الى دين الله ورسوله وإلى طريقة السلف الصالح والأئمة المهتدين قال رحمه الله تعالى في رسالته التي أرسلها الى عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الاحسائي. وأما ما ذكرتم عني فاني لم آت به بحالة بل أقول والله الحمد وله المنة وبه القوة انني هدايني ربي الى صراط مستقيم ديناً قيمياً ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ولست والله الحمد أدعو الى مذهب صوفي أو فقيه أو متكلم أو امام من الأئمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم بل ادعوا الى الله وحده لا شريك له وادعوا الى سنة رسول الله ﷺ التي أوصي بها أول أمته وآخرهم وأرجوا أن لا أورد الحق اذا أتاني بل اشهد الله وملائكته وجميع خلقه ان آتي منكم كلمة من الحق لا قتلها على الرأس والعين ولا ضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي حاشا رسول الله ﷺ فانه لا يقول إلا الحق وقال الشيخ محمد ابن احمد الحفظي التي في أرجوزة له قال فيها:

ولم يزل يدعو الى دين النبي	ليس الى نفس دعا أو مذهب
أو ذهباً أو مذهبا يريد	وانما مطلوبه التوحيد
يعلم الناس معاني أشهد	ان لا إله غير فرد يعبد
محمد نبيه وعبد	رسوله اليكم وقصده
ان تعبدوه وحده لا تشركوا	شيثابه والابتداع فاتركوا
ومن دعا دون الاله أحدا	أشرك بالله ولو محمداً
ان قتلتموا نعبدهم للقربة	أو للشفاعات فتلك الكذبة
وربنا يقول في كتابه	هذا هو الشرك بلا تشابه
هذي معاني دعوة الشيخ لمن	عاصره فاستكبروا عن السنن

فاذا تبين لك هذا علمت أن الأئمة المضلين هم هؤلاء الملاحدة الذين يدعون الناس الى الكفر بالله والاشراك به وغيره والى العقائد المجدثة المبدعة في الدين وأما قوله وقد استنبط العلماء من مفهوم قول النبي ﷺ يطلع منها أي نجد قرن الشيطان من معجزاته لأنه أتى بالياء للاستقبال لأن مسيامة لعنه الله في حياته عليه السلام طلع وادعى النبوة وهلك في خلافة الصديق مقتولا أشر قتله ولم يطلع قرن الشيطان الا بعد الألف والمائة والخمسين وهو محمد بن عبد الوهاب رأس هذه البدعة وأسها ، فالجواب أن يقال ذلك ظن الذين كفروا قويل الذين كفروا من النار وهذا القول يعود على ما ذكره أولا بالهدم والرد بقوله وفي المشكاة في أحد حديثهم شر من تظل السماء يومئذ علماءهم منهم خرجت الفتنة المراد به مسيامة الكذاب وقوله وفيهم تعود المراد بن عبد الوهاب فقد نقض ما قال هناك بما قاله هاهنا وقد ثبت في الحديث قرنا الشيطان بالثنية فبطل ما موهوا به وأيضا فيقال فمن هؤلاء العلماء الذين استنبطوا هذا الاستنباط أن يتبعون الا الظن وأنهم ألا يخرجون بل هم من الضم البكم الذين لا يعقلون وعلى قول هؤلاء الملاحدة انما ذكره العلماء من الفتن التي خرجت من العراق ونواحيه وانتشرت في البلاد والعباد كما جرى في الجمل وصفين والنهروان وغيرها لم يكن له أصل ولا حقيقة ولم تكن هذه الفتن خرجت حيث يطلع قرن الشيطان بالعراق ونواحيه ولم يتضح مصداق ما أخبر به النبي من هذه الفتن ولم يكن ما جرى مما أخبر به من معجزاته وانما حدثت هذه الفتن والامور الهائلة العظيمة بعد الألف والمائة والخمسين بدعوة شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب الى دين الله ورسوله في أرض اليمامة وهل هذا إلا مكابرة في الحسنيات ومباهة في الضروريات؟ فهلا نظروا في أحاديث رسول الله ﷺ وكلام أهل العلم عليها كالحافظ ابن حجر رحمه والخطابي والداودي وغيرهم وتذكر من ذاك ما يبين غلط هؤلاء وكذبهم على الله وعلى رسوله وعلى أهل العلم قال الحافظ في الفتح قوله الفتنة ههنا كذا فيه مرتين وفي رواية يونس هأن الفتنة هاهنا أعادها ثلاث مرات قوله من حيث

يطلع قرن الشيطان أو قال قرن الشمس كذا هنا بالشك وفي رواية عبد الرزاق
هنا أرض الفتن وأشار إلى المشرق يعني حيث يطلع قرن الشيطان وفي رواية
شعيب ألا أن الفتنة هنا بشير إلى المشرق حيث يطلع قرن الشيطان وفي رواية
يونس مثل معمر لكن لم يقل أو قال قرن الشيطان بل قال يعني المشرق
ولمسلم من رواية عكرمة بن عمار عن سالم سمعت بن عمر يقبل سمعت رسول الله
ﷺ يشير بيده نحو المشرق ويقول ها أن الفتنة ها هنا ثلاثا حيث يطلع قرن
الشيطان واه من طريق فضيل بن غزوان سمعت سالم بن عبد الله بن عمر
يقول يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغير وأركبكم للكبيرة سمعت أبي يقول
سمعت رسول الله ﷺ يقول ان الفتنة تجيء من ها هنا وأوما بيده نحو المشرق
من حيث يطلع قرنا الشيطان كذا فيه بالثنية ، انتهى . قال النووي رحمه الله
وأما قرنا الشيطان فجانباً رأسه وقيل هما جمعاه اللذان يغريهما باضلال الناس
وقيل شيعته من الكفار والمراد بذلك اختصاص المشرق بمزيد من تسلط
الشيطان ومن الكفر ، انتهى . وقال غيره المراد بقربي الشيطان ربيعة ومضر
والدليل عليه حديث أبي مسعود قال : أشار النبي ﷺ بيده نحو اليمن فقال
الايمن ها هنا وان القسوة وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذنان الابل
حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر أخرجه مسلم فتبين من هذه
الاحاديث أن المراد بالمشرق حيث يطلع قرن الشيطان أنه العراق كما جاء
صريحاً في حديث بن عمر رضي الله عنهما .

وقال الخافظ في الفتح أيضاً تحت قوله ﷺ واس الكفر نحو المشرق الواقع
في كتاب بدء الخلق وفي ذلك إشارة إلى شدة كفر الجوس لأن مملكة الفرس
ومن اطاعهم من العرب كانت من جهة المشرق بالنسبة إلى المدينة وكانوا في
غاية القوة والتكبر حتى مزق تلك هم كتاب النبي ﷺ كما سيأتي في مواضعه
واستمرت الفتن من قبل المشرق كما سيأتي واضحاً في الفتن . وقال الخافظ أيضاً
عند قوله ﷺ هل ترون ما أرى قالوا لا قال فاني لارى الفتن تقع بين خلال

بيوتكم كوقع القطر الواقع في كتاب الفتن وانما اختصت المدينة بذلك لأن
قتل عثمان رضي الله عنه كان بها ثم انتشرت الفتن في البلاد وبعد ذلك فالقتال
بالجمل وصفين كان بسبب قتل عثمان والقتال بالنهر وان كان بسبب التحكيم
بصفين وكل قتال وقع في ذلك العصر انما تولد عن شيء تولد عنه ثم ان قتل عثمان
كان أشد أسبابه الطعن على امرائه ثم عليه بتوليته لهم وأول ما نشأ ذلك من
العراق وهي من جهة المشرق ، فلا منافاة بين حديث الباب وبين الحديث
الآتي ان الفتنة من قبل المشرق انتهى . وقال أيضاً تحت قوله ﷺ اللهم بارك
لنا في شامنا الحديث ، وقال الخطابي : نجد من جهة المشرق ومن كان بالمدينة
كان نجد بادية العراق ونواحيها وهي مشرق أهل المدينة وأصل النجد ما ارتفع
من الارض وهو خلاف الغور فانه ما انحفظ منها ونهامة كلها من الغور ومكة
من نهامة ، انتهى . فهذا كلام العلماء واستنباطهم وتنقيحهم للاخبار النبوية
وتبين معانيها والمراد بها لا ما ادعاه هؤلاء الملحدون المقترون المؤلون كلام
رسول الله ﷺ على ما نهوا انفسهم وابن العراق من اليامة لو كانوا يعقلون ؟
فاذا تحققت ان أن من كان بالمدينة كان نجد بادية العراق ونواحيها وهي
مشرق أهل المدينة تحققت ان هؤلاء الملاحدة يحرفون الكلم عن مواضعه
ويحملون كلام رسول الله ﷺ ما لا يحتمل وان هؤلاء العلماء الذين ذكر هذا
عنهم ليسوا بأهل علم ولا معرفة بكلام الله وكلام رسوله وما قاله أهل العلم بل هم في
غمرة ساهون وفي غيهم يعمون انهم إلا كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون .

فصل

ثم قال الملحد : ويصدق في النجدي الاثر والخبر سيظهر من نجد شيطان
تزلزل جزيرة العرب من فتنته والجواب : أن هذا الاثر لم يذكر له سنداً ولم يعزه
الى الكتاب وما كان هكذا فهو مطرح ماقط لا يلتفت اليه ولا يعول عليه
وهذا حاصل بضاعته انه لا يعتمد على حديث صحيح ولا قول يشهد لصحته

العقل والنقل واشد بطلانا من هذا واعظم كذبا على رسول الله ﷺ ما ذكره
بقوله بل جاء حديث عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عن النبي ﷺ
سيخرج في ثاني عشر قرنا في وادي حنيفة رجل كهية الثور لا يزال يلقي
براطة به قوباء يكثر في زمانه الهرج والمرج يستحلون أموال المسلمين
ويتخذونها بينهم فتجراً ويستحلون دماء المسلمين ويتخذونها مفخراً وهي فتنة
يعتز فيها الارذلون والسفل تتجاري بهم الاهواء كما يتجاري الكلب بصاحبه
الى آخر الحديث وهو طويل وله شواهد تقوي معناه وان لم يعرف مخرجه
وهذا كما ترى وعليه من الظلمة وشواهد الكذب ما يعرفه كل عاقل فضلا عن
أهل العلم والحديث النقد وقد ابطله هذا الملحد بقوله وان لم يعرف مخرجه .
وأيضاً فهذه الصفات التي ذكرها لم يظهر على الشيخ رحمه الله منها شيء ولكن
هذا لا يستحي من ذكر هذه الفضائح التي لا يحكيها إلا ذاهب العقل عديم الورع
قليل الديانة . وأما قوله : وأصرح من ذلك ان هذا المغربي محمد بن عبد الوهاب
من تميم ويحتمل انه من عقب ذي الحويصرة التميمي الذي جاء في حديث
البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الى آخر ما قال . فالجواب أن
يقال لهذا الملحد : ان شيخنا محمد بن عبد الوهاب من رؤوس تميم وأعيانهم قال
بعض المحققين في الرد على شبه دحلان المخدول أقول لاشك أن الشيخ من رأس
تميم وأعيانهم ولكن ليس في حديث البخاري ولا في غير ما يدل على ان كل
من هو من تميم أو من ضئضي ذي الحويصرة مصداق لهذا الحديث بل في
الحديث لفظة الدالة على التبعية المتأني لهذه النكيلة فاحتمال انه من عقب ذي
الحويصرة لا يقتضي كونه من عقب ذي الحويصرة جزماً فضلاً عن كونه
مصدقا لهذا الحديث وتقرير دليل المؤلف على طريقة الميزان يتبين هكذا
محمد بن عبد الوهاب من تميم وبعض من هو من تميم من عقب ذي الحويصرة ثم
يجعل هذه النتيجة صفراً لقياس آخر فيقال ان محمد بن عبد الوهاب من عقب
ذي الحويصرة وبعض من هو من عقب ذي الحويصرة مصداق لحديث البخاري

الوارد في شأن الخوارج لمحمد بن عبد الوهاب مصداق لحديث البخاري
الوارد في شأن الخوارج ولا يخفي جهل هذا المستدل على من له أدنى المام بعلم
الميزان إذ كليفة الكبرى التي هي شرط الانتاج الشكل الأول مفقودة في
القياسين وان ادعى كلفة كبرى القياس فيقال أن كلفة كبرى القياس الأول
بدية البطالان إذ ليس كل من هو من تميم من عقب ذي الحويصرة وكلفة كبرى
القياس الثاني أيضاً باطلة لأن الثابت بالحديث انما هو الجزئية التي تدل على لفظة من
التبعية الواقعة في صدر الحديث ، انتهى . فهذا بطالان ما ذكره من الاحتمال
على طريقه الميزان وما يبطله على طريقة أهل المعرفة بالانساب فهو الشيخ محمد
بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن احمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف
بن عمرو بن معضاد بن ادريس بن محمد بن علوي بن قاسم بن مسعود بن عقبة ابن ادريس
علوي قاسم بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ساعدة بن ثعلبة بن ربيعة بن ملكان
ابن عدي بن عبدمناة بن تميم فبن ذكر ذي الحويصرة فبطل ما قاله هذا الملحد على
كل احتمال واما قوله : ولما قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخوارج قال رجل الحمد لله
الذي ابادهم واراخصنا منهم فقال علي رضي الله عنه كلا والذي نفسي بيده ان منهم لمن
هو في اصلاص الرجال لم تحمله النساء وليكون آخرهم مع المسيح الدجال أقول
فيه كلام من وجهين الأول أن المؤلف لم يذكر سنده فلا يصلح هذا لأن
يحتج به . والثاني على تقدير ثبوته ليس في الحديث لفظ يقتضي أن المراد
به الشيخ واتباعه وأما قوله وبين عليه السلام في الحديث الشريف أنه ليس
المراد الخوارج المتقدمين ووصف المتأخرين بحداثة الاسنان وسفاهة الاحلام
الى آخره . فاقول قد تقدم بيان أن هذا من صفات الخوارج المارقين الذين
خرجوا على علي رضي الله عنه ومن صفاتهم انهم احدثا الانسان سفهاء الاحلام
فثبت أن هاتين الصفتين في المتقدمين منهم وليس هذا الوصف مطابقاً للوهابية
فان شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب من رؤوس تميم وتميم قد جاء في صفاتهم كما
في زوائد مسند البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ

وذكر بني تميم فقال هم ضحام الهام ثبتت الاقدام نصّار الحق في آخر الزمان
أشد قوما على الدجال . قال البزار : سلام هذا احسبه سلام المدائني وهو لمن
الحديث ، وقوله : قال ابن تيمية : المشرق عن مدينته عليه السلام أي نجد فيها المجلس ؟
منه خرج مسيلة الكذاب . أقول : لا يثبت هذا النقل عن شيخ الاسلام لان
العراق هو شرقي المدينة ومسيلة الكذاب انما خرج في البامة والبامة ليس هي
شرقي المدينة بل بين العراق وبين البامة مسافة بعيدة فلا يصح هذا النقل عن
شيخ الاسلام لأنه رحمه الله من أهل المعرفة التامة في جميع الفنون ولا يليق
بعقله هذا الكلام الساقط المتناقض وليس كهؤلاء الهجوع اتباع كل ناعق بل
يضان كلامه عن هذه الركافة الفاسدة . وأما قوله ونفس بلد مسيلة عين بلد
ابن عبد الوهاب البامة وهي دون المدينة وسط المشرق عن مكة المشرفة سبعة
عشرة مرحلة وعن البصرة والكوفة نحوها .

فأقول : قد كان بلد الشيخ محمد البامة ، ولم تكن البامة مشرق المدينة
بل مشرق المدينة العراق ونواحيه فالبامة ليست مشرق المدينة ولا هي وسط
المشرق بين المدينة والعراق ، بل البامة مشرق مكة المشرفة متوسطة بينها
وبين الحط والبصرة والكوفة شمالا عن البامة نحواً من عشرين مرحلة يسير
القاصد إليهما مستقبلاً الجدي الشمالي لا ينحرف عنه يمينا ولا شمالاً ، كما لا يخفى
على من له أدنى احساس ومعرفة للجهات ولكن أراد هذا الملحد بقوله ، والبامة
دون المدينة يعني أنها من دون المدينة من جهة البصرة والكوفة ، وهذا مشرق
المدينة فتكون في وسط المشرق من ناحية المدينة أيها ما لمن لا معرفة لديه
بحقيقة الحال والديار ، ومقدار ما بين تلك الاماكن والاقطار . وقد روى
الطبراني من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : دخل
ابليس العراق ففقد فيها حاجته ، ثم دخل الشام فطرده ، ثم دخل مصر فباض
فيها وفرخ وبسط عليها عبقرية ولا يقول مسلم بدم علماء العراق لما ورد فيها واكابر
اهل الحديث وفقهاء الامة واهل الجرح والتعديل اكثرهم من اهل العراق ، وامام
السنة احمد ابن حنبل وشيخ الطريقة الجنيد بن محمد وعلم الزهاد الحسن بن سيرين
وابو حنيفة واصحابه وسفيان الثوري واصحابه واسحاق بن ابراهيم بن راهوية ومحمد

ابن اسماعيل ومسلم بن الحجاج وابو داود واصحاب السنن واصحاب الدواوين
الاسلامية كلهم عراقي الدار مولدا وسكنى واليثة بن سعد ومحمد بن ادريس
واسهب ومن قبل هؤلاء كلهم سكن العراق ومصر وجملة من اكابر اصحاب
رسول الله ﷺ ومن التابعين بعدهم ، ومن عاب الساكن بالسكنى والاقامة
في مثل تلك البلاد فقد عاب جمهور الامة وسبهم وآذاهم بغير ما اكتسبوا ،
وقد داول الله الايام بين البقاع والبلاد كما داولها بين الناس والعباد . قال تعالى
(وتلك الايام نداولها بين الناس) ، وكم من بلد قد فتحت وصارت من خير
بلاد المسلمين بعد ان كانت في ايدي الفراعنة والمشركين والفلاسفة والصائين
والكفرة من الجوس والكتايين . بل الحربة التي كانت بها قبور المشركين
صارت مسجدا هو أفضل مساجد المسلمين بعد المسجد الحرام ودفن فيها أفضل
المسلمين وسادات المؤمنين . ولا يعيب شيخنا بدار مسيلة إلا من عاب أئمة
الهدى ومصاييح الدجي بما سبق في بلادهم من الشرك والكفر المين وطرد
هذا القول جرأة على النبيين وأكابر المؤمنين ؛ وهذا المعترض كعنز السوء
يبحث عن حنفة بضلفه ولا يدري . وقد قال بعض الازهرين مسيلة الكذاب
من خير نجدكم . فقلت وفرعون اللعين رئيس مصركم . فبهت وأن كفر
فرعون من كفر مسيلة لو كانوا يعلمون . انتهى من كلام شيخنا الامام وعلم
الهداة الاعلام الشيخ عبد اللطيف رحمه الله تعالى . وقال الشيخ ملا عمران رحمه
الله تعالى :

قد عيروه بأنه قد كان في	وادي حنيفة دار من لم يسعد
قلنا لهم ما ضر مصر بأنها	كانت لفرعون الشقي الأطرد
ان المردة الفراعنة الأولى	كانوا بأرض الله أهل تمر
ذا قال أنا رب وذا متنيء	هم في بلاد الله أهل تردد
مينا وساماً والعراق ومصرها	من كل طاع في البرية مفسد
فبموتهم طابت وطار غبارها	وزعت بتوحيد الاله المفرد
ان المواطن لا تشرف ساكنها	فيها ولا تهديه ان لم يهتد

من كان لله الكريم موحداً لومات في جوف الكنيف المطرد
وبعكسه من كان يشرك فهو لم يفلح ولو قد مات وسط المسجد
خرج النبي المصطفى من مكة وبقى أبو جهل الذي لم يسعد
ان الاماكن لا تقدر اهلها ان لم يكونوا قائمين على الهدى

فصل

وأما قوله : وقد ذكر اهل السير وغيرهم ان النبي ﷺ أوصى أبا بكر رضي الله عنه بقتل بني حنيفة اتباع مسيامة الكذاب . وقال : اعلم بأن وادهم وادي فتن الى آخر الدهر . الى آخر كلامه . فالجواب : أن يقال جوابه من وجهين : الاول انه لا بد لمن يحتج به ذكره بسنده وتوثيق رواه واثبات اتصاله . والثاني : أنه ليس فيه لفظ يقتضي أن الشيخ وأتباعه مصداق هذا الحديث . قال شيخنا رحمه الله في الرد على جلاء الغمة . والجواب : ان يقال لهذا الغي ان شيخنا رحمه الله تعالى من رؤوس بني تميم وأعيانهم ، وليس من بني حنيفة . وقيم قبل الاسلام وبعده رؤوس نجد وساداتهم وهم من قاتل بني حنيفة مع خالد وأبلاوا بلاء حسناً ، وأقطع خالد بن الوليد أفضاءً منهم أودية معروفة بنجد من البامة وغيرها . وسكنى الدار لا تؤثر فان الصحابة سكنوا مصر وبلاد الفرس ، وفضلهم لا يزال في هزید ، وإيمانهم قهر أهل الكفر والشرك والتنديد ، وعادت تلك البقاع والاماكن من أفضل مساكن أهل التوحيد . ثم لو فرض ان من بني حنيفة عالماً يدعوا إلى الله تعالى ، فما وجه عيبه وذمه بقومه ، وقد خالفهم في الايمان والدين ، وسلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال بن أبي رباح من أفضل الناس . وأسلافهم من شر الناس . بل والرسول أفضل الخلق وأكرمهم على الله تعالى ، والمكذبون لهم من قومهم أكثر من المستجيبين ، وابن نوح على أبيه السلام لم ينتفع بإيمان أبيه ورسالته ، ولم ينل بذلك ما يوجب سعادته وفلاحه . وهذا المعترض جاهلي الدين والمعرفة والمذهب ، انتهى . وقال في موضع آخر : وهل عاب الله ورسوله أحداً من المسلمين وغيرهم ببلده ووطنه وكونه فارسياً أو زنجياً

أو مصرياً من بلاد فرعون وحل كفره وسلطنته ، وعكرمة بن أبي جهل
رضي الله عنه من أفاضل الصحابة وأبوه فرعون هذه الامة ولا يعيب من زكاهم
الله ورسوله بالايان به ومتابعة رسوله ببلاد قد كفر فيها بالله وعبد معه غيره
وهو يعلم ان بلاد الحليل ابراهيم حران دار الصابئة المشركين عباد النجوم
ودار يوسف دار فرعون الكافر اللعين وسكنها موسى بعده وأكابر
بني اسرائيل وكذلك مكة المشرفة سكنها المشركون وعلقوا الاصنام على
الكعبة المشرفة وأخرجوا نبيهم وقتلوه المرة بعد المرة . أفستحل مؤمن
أو عاقل أو جاهل أن يلزم أحداً من المهاجرين أو من مسلمة الفتح أو من
بعدهم من المؤمنين بما سلف في مكة من الشرك بالله رب العالمين ، انتهى .
وقوله : وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أيضاً أنهم لا يزالون في بلية من
كذابهم الى يوم القيامة أقول قد تقدم الكلام على هذا فيما سبق ثم ذكر
أحاديث في الخوارج وكلاما آخر وقفا قد أجبننا علي بعضه ثم ذكر رؤيا لبعض
ملاحده كان كلابا حمرا دخلت من أبواب مدينتهم فاعلم برؤياه فدخل بعد
الرؤيا جماعة الوهابي الخوارج من تلك الابواب وزعم أن رؤياه تصديق
للحديث بأنهم كلاب النار وقد تبين لكل متصف كذبهم في اليقظة فكيف
يكون كذبهم في المنام باضغات الاحلام ثم قال والازارقة فرقة من الخوارج
الذين خرجوا على الامام علي بن أبي طالب طالب وهم من بني حنيفة من
اصحاب نافع بن الازرق وهم أقرب في النسب لابن عبد الوهاب الى آخر كلامه
وقد تقدم ان الشيخ من رؤوس بني تميم واعيانهم وبنوا حنيفة من ربيعة
وبنوا تميم من مضر فإن قرب النسب مع ان قرب نسب أبي لهب لم يؤثر في
علي رضي الله عنه بل لم يؤثر في كون أبي طالب اباه ثم ذكر احاديث في الخوارج
واحاديث في الفتن زعم انها كلها منطبقة على ابن عبد الوهاب واتباعه وقد تقدم
الجواب على ما تضمنته وما يراى بها وان الشيخ واتباعه برآء الى الله مما نسب
اعداؤه الله اليه من تلك الاحاديث وما تضمنته فالتشنيع بها على الشيخ واتباعه

تشيع على معظم الامة من الفقهاء والمحدثين فان كثيراً منهم قد جاؤا من
المشرق وسكنوه وهذا مما لا مجال لأنكاره لأحد من أهل العلم بل هذا التشيه
من جنس تشيه الرافضة على عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها بأن البخاري أخرج
عن عبد الله رضي الله عنه قال قام النبي ﷺ خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة
فقال هنا الفتنة ثلاثاً من حيث يطلع قرن الشيطان بل هذا اخف منه على
مالا يخفى وإذا لم يكن التشيه الذي هو أشد سبباً للذم عند أهل السنة والجماعة
فما ظنك بالاخف ثم ذكر حديثاً رواه الترمذي والطبراني عن النبي ﷺ قال
فيه سبعة لعنهم الله وكل نبي مجاب الدعوة الزائد في كتاب الله والمكذب بقدر
الله والمستحل حرمة الله والمستحل من عتري ما حرم الله والمتارك لسنتي
والمستأثر بالفقهاء والمستجير بسلطانه ليعز من أذله الله وينال من أعزه الله قال
وهذه الخصال الستة كلها موجودة في عبدالعزيز بن سعود الا التكذيب بالقدر
وهذا ليس بيدع من كذبه وافتوائه ووضع الاحاديث في غير مواضعها
وتحميلها ما لا تحمله وتأويله الفاسد ورأيه الكاسد ومن تأمل رسالة الامام
عبد العزيز بن محمد بن سعود المتقدم ذكرها فانا قد ذكرناها فيما تقدم ليعلم
الناظر فيها شدة كلب عداوة هؤلاء الملاحدة عرف بهتاتهم وزورهم وفجورهم
وتبين له سوء قصدهم ومرامهم وانهم يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويسعون
في الارض فساداً والله لا يحب المفسدين .

فصل

ثم قال الملمح بعد ذلك والطاغية بن عبد الوهاب من تميم ورئيس الفرقة
الباغية عبد العزيز بن سعود من وائل . والجواب ان يقال قد قدمنا ان الشيخ
من رؤوس تميم واعيانهم وقد ورد فضل بني تميم في الحديث الذي أخرجه
البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال . ما زلت أحب بني تميم لثلاث سمعتهم

من رسول الله ﷺ يقول فيهم سمعته يقول هم أشد أمتي على الدجال قال وجاءت صدقاتهم فقال رسول الله ﷺ هذه صدقات قومنا وكانت سيئة منهم عند عائشة فقال اعتقها فانها من ولد اسماعيل انتهى . وفي زوائد مسند البزار عن ابي هريرة رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ وذكر بني تميم فقال هم ضحام الهام ثبت الاقدام نصار الحق في آخر الزمان أشد قوماً على الدجال وقد ظهر مصداق هذا فكان الشيخ من انصار الحق في آخر الزمان وكانت هو واتباعه من أشد خلق الله على هؤلاء الدجاجلة المجان وفي زوائد مسند البزار ايضاً عن ابي هريرة رضي الله عنه قال ربما ضرب النبي ﷺ على كتفي وقال احبوا بني تميم قال البزار لا نعلمه يروي عن النبي ﷺ الا من هذا الوجه فان قيل قد ورد في بني تميم ما يشينهم مثل قوله تعالى (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم) ومثل حديث عمران بن حصين وفيه قال اقبلوا بشري يا اهل اليمن اذ لم يقبلها بنوا تميم قالوا قبلنا الحديث اخرجه البخاري قيل هذا مقولة الجفاء منهم منهم الاقرع بن حابس وليس هذا قول جميعهم وجملة القول ان ورود مدح قبيلة أو موضع في الحديث لا يقتضي خيرية جميع افراده وجميع سكانه وكذلك ورود ذم قبيلة أو موضع في الحديث لا يقتضي شرية جميع افراده وجميع سكانه الا ترى ان خيرية قريش والانصار وجهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار وأشد والاشعريين والازد وحمير وذم عصية وبني تميم وبني أسد وبني عبد الله بن غطفان وبني عامر بن صعصعة وربيعة ومضر وثقيف وبني حنيفة وبني أمية قد ورد في الحديث مع ان الاول قد جاءت منها أضرار ايضاً والاخر قد جاءت منها اخبار ايضاً وكذلك قد ورد مدح اليمن وأهله وذم المشرق والعراق وأهلها مع ان الاسود الغنسي قد نشأ في اليمن وكثير من اهل الحديث من المشرق والعراق وهذا لا يخفى على من له أدنى المام بفن التاريخ والرجال وحسبك من خيرية مضر كون النبي ﷺ من مضر اخرج البخاري عن ربيعة النبي ﷺ زبيب بنت ابي سلمة قال . قلت لها ارأيت النبي ﷺ

أكان من مضر؟ قالت فمن كان إلا من مضر من بني النضر بن كنانة انتهى .
وحسبك من خيرية ربيعة قول النبي ﷺ لو فد عبد القيس لما أتو النبي ﷺ من
القوم أو من الوفد قالوا ربيعة قال مرحباً بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى
الحديث أخرجه البخاري انتهى . وإذا كان الأمر كما وصفنا فماذا على الشيخ
من العيب والذم إذا كان من بني تميم وقد كان مؤمناً بالله ورسوله داعياً إلى
الحق وإلى طريق مستقيم وكذلك لا يلحق الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود
عيب ولا ذم لكونه من وائل أو بني حنيفة لأن مسيئة الكذاب منهم ولأن
الصديق قال لا يزالون في فتن من كذابهم فإن المراد به من آمن بمسيئة
وادركه منهم كما وقع من بن النواحة وأما من بعدهم من نسلهم وذرائعهم
المؤمنين فلا يتوجه اليهم ذم ولا عيب والصديق أجل من أن يعيب من لم
يؤمن بمسيئة ولم يشهد عصره ولا تور وازرة وزر أخرى ولا تكسب كل
نفس الا عليها .

فصل

وأما قوله وورد عنه عليه السلام كنت مبادئ الرسالة أعرض نفسي على
القبائل كل موسم ولم يجبني أحد جواباً اقبح ولا أخبت من رد بني حنيفة .
فالجواب على هذا من وجوه الأول المطالبة بسند هذا الخبر . والثاني إن الشيخ
ليس من بني حنيفة بل من رؤس تميم . والثالث على تقدير ثبوته لا يقتضي هذا
الحديث ذم جميع بني حنيفة وقد جاء في الاخبار أن أباهب كان يتبع رسول
الله ﷺ في منازل العرب ويحذرهم من إجابته وتصديقه وأتباعه فيقولون قومه
أعلم به أو كلا منا نحو هذا . وكذلك صناديد كفار قريش وما قالوه وما
فعلوه من الأمور العظيمة حتى أخرجوه من بين أظهرهم . ولا يقتضي هذا ذم
جميع قريش ممن آمن بالله ورسوله وجاهد في سبيله .

فصل

ثم ذكر كلاماً في الفراسة وانهم تفرسوا في الشيخ الضلالة والشقاوة . وهذا بما لا فائدة في الجواب عنه . ثم ذكر كلاماً لشيخ الاسلام بن تيمية في المبتدعة كالخوارج والنواصب وانهم ابتدعوا بدعة وكفروا من لم يوافقهم وانهم أعظم ضرراً على المسلمين من الظلمة الذين يقاتلون للدنيا . وهذا حق والشيخ رحمه الله لم يكن مبتدعاً بل كان متبعاً وسعى سعياً عظيماً في إزالة البدع والضلالة ودعا الناس الى توحيد الله الخالص واتباع السنة وترك الشرك والبدعة يعرف ذلك كل من له دين وعقل يميز به الحق والباطل . ثم قال الملحد ومن تفسير بن ابي حاتم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها قال ما كان منذ كانت الدنيا رأس مائة سنة الا عند رأس المائة أمر قال الناقل اقلت كان عند رأس المائة الاولى من هذه المائة فتنة الحجاج ثم ذكر كل قرن وما كان فيه الى ان قال وفي الثانية عشر فتنة محمد بن عبد الوهاب وتكفيره للأمة ومن سبق وايدأوه للجي من المسلمين والاموات الى آخر كلامه . وهذا كله كذب وزور وإثم وفجور . فان الشيخ رحمه الله لا يكفر الا من نطق الكتاب والسنة بتكفيره وأجمع عليه أهل العلم وقامت عليه الحجة . وسنورد من كلامه رحمه الله هنا ما يعرف به الواقف عليه حقيقة مذهبه ودينه وان هذا الملحد المفترى وأمثاله يفترون مثل هذه العبارات بقصد تنفير الناس عن الشيخ والصد عن سبيل الله قال رحمه الله تعالى في رسالته المعروفة الى محمد بن عيسى . واما ما ذكره الاعداء عني اني اكفر بالظن أو بالموالات أو اكفر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة فهذا بهتان عظيم يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله . وقال رحمه الله سألي الشريف عما تقال عليه وعن ما نكفر الرجل به فأخبرت بالصدق وبينت له ايضاً الكذب الذي يبهت به الاعداء فسألي ان اكتب له

فأقول لو كانت الإسلام خمسة أركاناً للشهادتان ثم الأركان الأربعة فالاربعة
إذا أقر بها وتركها تهاوناً فمنع وإن قاتلناه على فعلها فلا نكفره بتركها
والعلماء اختلفوا في كفر تارك الصلاة كسلاً من غير جحود ولا نقابل الا على
ما أجمع عليه العلماء وهو الشهادتان وايضاً نكفر بعد التعريف اذا عرف
وأنكر فتقول أعداؤنا معنا على انواع النوع الاول من عرف ان التوحيد
دين الله ورسوله الذي أظهرناه للناس وأقر أيضاً ان هذه الاعتقادات في الحجر
والشجر الذي هو دين غالب الناس انه الشرك بالله الذي بعث الله رسوله بنهي
عنه وبقاتل أهله حتى يكون الدين كله لله ومع ذلك لم يلتفت الى التوحيد
ولا تعلمه ولا دخل فيه ولا ترك الشرك فهذا كافر نقاتله بكفره لأنه عرف
دين الرسول فلم يتبعه وعرف دين الشرك فلم يتركه مع انه لا يفيض دين
الرسول ولا من دخل فيه ولا يمدح الشرك ولا يزينه للناس . النوع الثاني من
عرف ذلك كله ولكنه تبين في سبب دين الرسول مع ادعائه أنه عامل به ويتبين
في مدح من عبد يوسف والاسقر ومن عبد أبا علي والحضر من أهل الكويت
وفضلهم على من وحّد الله وترك الشرك فهذا أعظم من الاول وفيه قوله تعالى
(فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) وهذا ممن قال الله فيه
(وان كنتموا إيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر الآية .)
النوع الثالث من عرف التوحيد وأتبعه وعرف الشرك وتركه ولكنه يكره
من دخل في التوحيد ويجب من بقي على الشرك فهذا أيضاً كافر فيه قول الله
تعالى (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم .) النوع الرابع من سلم من
هذا كله ولكن أهل بلده مصرحون بعداوة التوحيد واتباع أهل الشرك
وساعين في قتالهم ويتعذر أن ترك وطنه يشق عليه فيقاتل أهل التوحيد مع
أهل بلده ويجاهد بآله ونفسه فهذا أيضاً كافر فإنهم لو يأمرونه بترك صوم
رمضان ولا يمكنه الصيام الا بفراقهم فعل ولو يأمرونه بتزوج امرأة أبيه
ولا يمكنه ترك ذلك الا بمخالفتهم فعل وموافقهم على الجهاد معهم بنفسه وماله

مع انهم يريدون بذلك قطع دين الله ورسوله اكبر من ذلك بكثير فهذا أيضاً كافر وهو أيضاً ممن قال الله فيه (مستجدون آخريين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم الآية). وأما الكذب والبهتان انا نكفر بالعموم ونوجب الهجرة اليها على من قدر على اظهار دينه وانا نكفر من لم يكفر ولم يقاتل ومثل هذا واضعاف أضعافه فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله واذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر عبد القادر والصنم الذي على قبر احمد البدوي وامثالها لأجل جهلهم وعدم من ينههم فكيف نكفر من لم يشرك بالله اذا لم يهاجر اليها أو لم يكفر ويقاقل سبحانه هذا بهتان عظيم انتهى . وقال في الرسالة التي كتبها الى عبد الرحمن بن عبد الله منها ما ذكرتم اني اكفر جميع الناس الا من اتبعني وأزعم ان انكحتمهم غير صحيحة وباعجاب كيف يدخل في عقل عاقل هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون انتهى . وله رسائل في هذا المعنى كثيرة يبين فيها عدم تكفيره بالعموم وانه لا يكفر الا من كفره الله ورسوله وقامت عليه الحجة .

فصل

قال الملحد الفصل الاول ثم ذكر فيه ان التوحيد هو رأس مال العبد الذي به نجاته في الآخرة ومراده بالتوحيد توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون الاولون وأما ما أقر به الخفاء من توحيد الألوهية مع توحيد الربوبية فهم لا يعرفونه بل ينكرونه كما يأتي ذلك عنهم صريحاً الى أن قال في ذكر كرامات الاولياء وهذا هو الذي حمل الشيخ النجدي على تكفير السادة والمشائخ بقول انهم يترشحون الى آخر كلامه . وسيأتي الكلام على ذلك في محله في الفصل السابع . ثم قال : الفصل الثاني توحيد الألوهية داخل في عموم توحيد الربوبية بدليل أن الله تعالى لما أخذ الميثاق على ذرية آدم خاطبهم تعالى

بقوله الست بربكم؟ ولم يقل يا إلهكم فاكتمى منهم بتوحيد الربوبية. والجواب ان نقول قد أجاب على هذا الشيخ محمد بشير المعروف بعبد الله بن عبد الرحمن السندي في رده «صيانة الانسان» على الدرد السنيه تأليف الخذول دحلان فقال . واما استدلال المؤلف على اتحاد توحيد الربوبية وتوحيد الالهيه بقوله تعالى (الست بربكم؟ قالوا بلى) ولم يقل الست يا إلهكم بأنه اكتفى منهم بتوحيد الربوبية فليس بشيء فان غايته ما يثبت من الآية ان الله تعالى لم يذكر في هذه الآية توحيد الالهيه وهذا لا دلالة بشيء من الدلالات على اتحادهما قرب حكم يذكر في آية دون أخرى وتوحيد الالهيه وان لم يذكر في هذه الآية فهي مذكورة في الآيات وسند كرها فيما يأتي بعد قال وتوجيه الاكتفاء بتوحيد الربوبية ليس منحصراً في انها لما كانا متحدتين اكتفى بذكر احدهما بل هناك احتمالات أخر الاول ان الاقرار بتوحيد الربوبية مع لحاظ قضية بديهية وهي ان غير الرب لا يستحق للعبادة يقتضى الاقرار بتوحيد الالهيه عند من له أدنى عقل سليم وفهم مستقيم فيكون الاقرار المذكور حجة عليهم كما احتج الله تعالى على المشركين بتوحيد الرازق ومالك السمع والابصار والحجي والمبيت ومدبر الامور ومن له الارض ومن فيها ورب السموات السبع ورب العرش العظيم ومن بيده ملكوت كل شيء ومن خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ومن نزل من السماء ومن خلقهم في الآيات التي تذكر بعد على وحدانية الالهيه قال الحافظ بن كثير تحت قوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض ام من يملك السمع والابصار) الآية . محتج تعالى على المشركين باعترافهم بوحديته وربوبيته على وحدانية الالهيه وقال تعالى (أفلا تتقون) أي افلا تخافون منه ان تعبدوا معه غيره بأرائكم وجهلكم وقوله فذلكم الله ربكم الحق الآية أي فهذا الذي اعترفتم بأنه فاعل ذلك كله هو ربكم واللهم الحق الذي يستحق ان يفرد بالعبادة فماذا بعد الحق الا الضلال أي كل معبود سواه فباطل لا إله الا هو واحد لا شريك له فأنى تصرفون أي فكيف تصرفون عن عبادته الى عبادة

ما سواه؟ وانتم تعلمون انه الرب الذي خلق كل شيء والمتصرف في كل شيء انتهى. قال والاحتمال الثاني ان في الآية اختصاراً والمقصود الست بربكم؟ والحكم يدل عليه اثر بن عباس ان الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسة هو خالقها الى يوم القيامة فأخذ منهم الميثاق ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وتكفل لهم بالارزاق الحديث . والاحتمال الثالث ان المراد بالرب المعبود قال القرطبي ، والرب المعبود وعن عكرمة في تفسيره قوله تعالى (ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) قال اتخذ الارباب سجود بعضهم بعضاً كذا قال الحافظ بن كثير في تفسيره وغيره . وقال تعالى في سورة التوبة (اتخذوا أربابهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الهاً واحداً لا إله الا هو سبحانه عما يشركون) فالمراد بالارباب في تلك الآية هم المعبودون بدليل قوله تعالى (وما أمروا الا ليعبدوا الهاً واحداً لا إله الا هو سبحانه عما يشركون) وكذلك فهم عدي بن حاتم رضي الله عنه وقرره النبي ﷺ روى الامام احمد والترمذي وابن جرير من طرق عن عدي بن حاتم رضي الله عنه انه لما بلغه دعوة رسول الله ﷺ فرأى الى الشام وكان قد تصرف في الجاهلية فاسمرت اخته وجماعة من قومه ثم من رسول الله ﷺ على اخته واعطاها فرجعت الى اخيها فرغبته في الاسلام وفي القدوم على رسول الله ﷺ فقدم عدي المدينة وكان رئيساً في قومه طي وابوه حاتم الطائي المشهور بالكرم فتحادث الناس بقدومه فدخل على رسول الله ﷺ وفي عنق عدي صليب من فضة وهو يقرأ هذه الآية (اتخذوا أربابهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) قال فقلت انهم لم يعبدوهم فقال بلى انهم حرموا عليهم الحلال واحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فتلك عبادتهم ايام الحديث ، وأما قوله : ومن المعلوم أن من أقر له بالربوبية فقد أقر بالالوهية إذ ليس الرب غير بل هو الاله بعينه ، فالجواب : أن يقال ان اراد ان مفهوم الرب غير مفهوم الاله فقد تبين بطلانه آنفاً فيما سلف وان اراد ان مصداقه عين مصداق الاله فهذا حق بحسب نفس الامر

واعتقاده المسلمين المخلصين ولكن المشركين من الأمم الماضية ومن هذه الأمة لا يسمون عينية مصداقها وإذا كانت الأمر كذلك فالمشركون الأولون يقرون بتوحيد الربوبية ويعترفون به ولا يقرون بتوحيد الألوهية كما قال تعالى (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون) ففي هذه الآية أن المشركين كانوا معترفين بأن الله هو رب السموات السبع ورب العرش العظيم ومع ذلك كانوا يعبدون الأصنام والأوثان وقال تعالى (ولئن سئلتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله قل فاني تؤفكون) وقال تعالى : (قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من علك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون . فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الآية) ، وقال تعالى : (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون) إلى قوله (فاني تسحرون) فإذا عرفت هذا تبين لك أن توحيد الربوبية هو توحيد العبد ربه سبحانه وتعالى بأفعاله الصادرة منه كالخلق والرزق والاحياء والامانة وانزال المطر وانبات النبات والنفع والضرر وتغيير جميع الامور الى غير ذلك من أفعال الرب سبحانه وتعالى وهذا هو اعتقاد جاهلية العرب كما تقدم ذكره في الآيات فانهم كانوا مقرين ومعترفين أن الله هو الفاعل لهذه الأشياء وأنه لا مشارك له في ايجاد شيء واعدامه وان النفع والضرر بيده وأنه هو رب كل شيء ومليكه كما كانوا يقولون في تلييتهم لبيك اللهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك ولا يعتقدون آلهتهم التي يدعونها من دون الله من الأنبياء والاولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السموات والأرض أو استقلوا بشيء من التدبير والتأثير والايجاد ولو في خلق ذرة من الذرات ومع ذلك كله قاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم الى ان يقرؤا ويعترفوا بتوحيد الالهية وذلك بان يوحده بافعالهم الصادرة منهم كاللجوء والخوف والرجاء والتعظيم والحب والاستغاثة والاستعانة والاستعاذة

والإنابة والخشوع والخضوع والالتجاء أو الذبح والنذر الى غير ذلك من أنواع العبادة التي اختص الله بها فمن صرف من هذه العبادة شيئاً لغير الله ملكاً أو نبياً أو ولياً أو صالحاً فقد اشرك به في إلهية ولا ينفعه الاقرار بتوحيد الربوبية كما لم ينفع كفار قريش وسائر المشركين حيث لم يقرؤا ويعترفوا بتوحيد الالهية ولو كان الاقرار والاعتراف بالالهية لما قاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دعاءهم وأموالهم ولا يمكن من كان له أدنى مسكة من عقل أن ينكر إقرار كفار قريش بتوحيد الربوبية كما لا يمكن أن يقول انهم معترفون ومقررون بتوحيد الآلهية لأنهم لما قال لهم رسول الله ﷺ قولوا لا إله إلا الله قالوا (اجعل الالهة إلهاً واحداً ان هذا شيء عجاب وانطلق الملائكة منهم ان امشوا واصبروا على الهك ان هذا شيء يراد) وبهذا يتبين لكل منصف بطلان دعوى هذا الملحد المفتري والله المستعان ، وأما قوله وأيضاً ورد في الحديث ان الملكين يسئلان العبد في قبره فيقولان من ربك ولم يقولان من إلهك ، فدل على أن توحيد الربوبية شامل له ، فالجواب ان يقال قد تقدم الكلام على الآية وبه الكفاية ، وأيضاً ففيه ما عرف من الاحتمالات المذكورة فمأسوق ، وأيضاً فقد ذكر أهل العلم ان قول الملكين من ربك أي من إلهك الذي تعبد وفي الخبر كلمتان يسئل عنها الاولون والآخرون ماذا كنتم تعبدون وماذا اجبتم المرسلين.

فصل

ثم قال الملحد: ومن العجب العجائب قول المدعى الكذاب لمن شهد ان لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله من أهل القبلة انت لم تعرف التوحيد. التوحيد نوعان توحيد الربوبية الذي أقرت به المشركون والكفار وتوحيد الالهية الذي أقرت به الخلفاء ، وهذا هو الذي يدخلك في دين الاسلام ، وأما توحيد الربوبية فلا ، فالجواب أن يقال نعم هكذا ، قال الشيخ رحمه الله وبه قال أهل العلم لأن التوحيد نوعان توحيد في المعرفة والاثبات وهو توحيد الربوبية والاسماء والصفات وتوحيد في الطلب والتقص وهو توحيد الالهية والعبادة ،

قال العلامة بن القيم رحمه الله وأما التوحيد الذي دعت اليه الرسل ونزلت به الكتب فهو نوعان توحيد في المعرفة والاثبات وتوحيد في الطلب والقصد فالاول هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه وتكلمه بكتبه وتكليمه لمن شاء من عباده وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمته وقد أفصح القرآن عن هذا النوع حق الإفصاح كما قال في أول الحديد وسورة طه وآخر الحشر وأول تنزيل السجدة وأول آل عمران وسورة الاخلاص بكمالها وغير ذلك النوع الثاني ما تضمنته سورة قل يا أيها الكافرون وقوله تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا) الآية وأول سورة تنزيل الكتاب وآخرها وأول سورة الانعام وغالب سور القرآن بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوع التوحيد شاهدة به داعية اليه فان القرآن اما خبر عن الله واسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله فهو التوحيد العلمي الخبري واما دعوة الى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الارادي الطلبي واما أمر ونهي والزام بطاعته وأمره ونهيه فهو حقوق التوحيد ومكملاته واما خبر عن اكرام الله أهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا ويكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيدهم واما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبي من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه في شأن الشرك وأهله وجزائهم ، انتهى . وقال شيخ الاسلام قدس الله روحه التوحيد الذي جاءت به الرسل إنما يتضمن اثبات الآلية لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلا الله ولا يعبد إلا اياه ولا يتوكل الا عليه ولا يوالي الا الله ولا يعادي الا فيه ولا يعمل الا لأجله ، وذلك يتضمن اثبات ما أثبتته لنفسه من الاسماء والصفات قال تعالى (وللهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) وقال تعالى (وقال الله لاتخذوا الهين اثنين إنما هو اله واحد

فإياي فارهبون) وقال تعالى (ومن يدع مع الله الها آخر لا يبرهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون) وقال تعالى (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أنجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وأخبر عن كل نبي من الانبياء انهم دعوا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له وقال تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم انا براء منكم وما تعبدون من دون الله كفرننا بكم وبداء بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده) وقال عن المشركين (انهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون . ويقولون أنا لنا كوا آلهتنا لشاعر مجنون) وهذا في القرآن كثير ، وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية وهو اعتقاد ان الله وحده خالق العالم كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف ويظن هؤلاء أنهم اذا أثبتوا ذلك بالدليل فقد أثبتوا غاية التوحيد وانهم اذا شهدوا هذا وفنوا فيه فقد فنوا في غاية التوحيد فان الرجل لو أقر بما يستحقه الرب تعالى من الصفات ونزهه عن كل ما ينزه عنه وأقر بأنه وحده خالق كل شيء لم يكن موحدا حتى يشهد ان لا إله الا الله وحده فيقر بأن الله وحده هو الاله المستحق للعبادة ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له وانه هو المألوه المعبود الذي يستحق العبادة وليس هو الاله بمعنى القادر على الاختراع فاذا فسر المفسر الاله بمعنى القادر على الاختراع واعتقد أن هذا المعنى هو أنخص وصف الاله وجعل اثبات هذا هو الغاية في التوحيد كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية وهو الذي يقولونه عن أبي الحسن وأتباعه لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به ورسوله ﷺ فان مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء وكانوا مع هذا مشركين قال تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) قال طائفة من السلف تسألهم من خلق السموات والأرض فيقولون الله وهم مع هذا يعبدون غيره ، قال تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون) الي قوله (فأنسى

تسحرون) . فليس كل من أقر بأن الله تعالى رب كل شيء وخالقه يكون عابداً له دون ما سواه راجياً له خائفاً منه دون ما سواه ، يوالى فيه ويعادى فيه ، ويطيع رسله ويأمر بما أمر به وينهى عما نهى عنه . وعامة المشركين أقروا بأن الله خالق كل شيء . وأثبتوا الشفعاء الذين يشركونهم به وجعلوا له أنداداً قال تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون . قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله - الى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال تعالى (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون) وقال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) . ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعونها ، ويصوم وينسك لها ويتقرب إليها ، ثم يقول ان هذا ليس بشرك إنما الشرك إذا اعتقدت أنها المدبرة فإذا جعلتها سبباً وواسطة لم أكن مشركاً ومن المعلوم بالاضطرار من دين الاسلام ان هذا شرك ، انتهى كلامه رحمه الله . وقال الشيخ محمد بشير في رد شبه دجلان : أقول لامرية في أننا مأمورون باعتقاد ان الله وحده هو ربنا ليس لنا رب غيره وباعتقاد ان الله وحده هو معبودنا ليس لنا معبود غيره وان لا نعبد إلا إياه ، والأمر الاول هو الذي يقال له توحيد الربوبية والأمر الثاني هو الذي يقال له توحيد الآلهية والإشراك في الاول يسمى الإشراك في الربوبية والإشراك في الثاني يسمى الإشراك في الآلهية والآيات الدالة على الأمر الاول كثيرة منها قوله تعالى (ألم ترا الى الذي حاج إبراهيم في ربه ان آتاه الله الملك - الى قوله فبكت الذي كفر) ومنها قوله تعالى (ورسولاً الى بني اسرائيل أتى قد جئتكم بآية من ربكم) الى قوله تعالى (ان الله ربي وربكم فاعبدوه) ومنها قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة (م ٨ - الاسنة الحداد)

سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا الآية) ومنها قوله تعالى (وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم) ومنها قوله تعالى (ثم الذين كفروا بهم يعدلون) ومنها قوله (اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض خفيما وما انا من المشركين) وقوله ذالكم الله ربكم لا إله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه) وقوله تعالى (قل اغير الله أبغى رب وهو رب كل شيء) وذكر آيات كثيرة ، قال : وأما الآيات الدالة على الامر الثاني فاكثر من أن تحصى منها بعض ما ذكر لاثبات الامر الاول من الآيات ومنها ما أتوا عليك الآن فنقول منها قوله تعالى في الفاتحة (اياك نعبد و اياك نستعين) وقوله (قال يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلصكم والذين من قبلكم) الي قوله (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) وقوله تعالى (واذا أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله) وقوله تعالى (أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي ؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق إلهنا واحداً ونحن له مسلمون) وقوله تعالى (وإلهكم إله واحد لا إله الا هو الرحمن الرحيم) وذكر آيات كثيرة ثم قال ولا أظنك شاكاً في أن مفهوم الرب ومفهوم الاله متغايران وان كان مصداقهما في نفس الامر وفي اعتقاد المسلمين المخلصين واحداً وذلك يقتضي تغاير مفهوم التوحيدين ، فيمكن أن يعتقد أحد من الضالين توحيد الرب ولا يعتقد توحيد الاله وان يشرك واحد من المبطلين في الألوهية ولا يشرك في الربوبية وان كان هذا باطلاً في نفس الامر ، ألا تري مصداق الرازق ومالك السمع والأبصار والهي والميت ومدير الامر ورب السموات السبع ورب العرش الكريم ومن بيده ملكوت كل شيء والخالق ومسخر الشمس والقمر ومنزل الماء من السماء ومصداق الاله واحد ومع ذلك كان مشركو العرب يقرون بتوحيد الرازق ومالك السمع والأبصار وغيرها ويشركون في الألوهية والعبادة والدليل عليه ما قال تعالى في سورة يونس (قل من يرزقكم من السماء

والارض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر ؟ فيقولون الله فقل أفلا تتقون . فذالك الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فاني تصرفون ؟) . وقوله في سورة المؤمنين (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ؟) يقولون لله - الي قوله - فاني تسحرون) وذكر آية العنكبوت وآية لقمان وآية الزمر وآية الزخرف فكذلك عباد القبور الذين لم يبق فيهم من الاسلام إلا اسمه يقولون بتوحيد الازق والحي والميت والخالق والمؤثر والمدبر والرب ومع ذلك يدعون غير الله من الاموات خوفا وطمعاً ويذبحون لهم ويطوفون لهم ويحلقون لهم ويخرجون من أموالهم جزاء لهم . وكون مصداق الرب عين مصداق الاله في نفس الامر وعند المسلمين المخلصين لا تقضي اتحاد مفهوم توحيد الربوبية وتوحيد الالهية ولا اتحاد مصداق الرب والاله عند المشركين من الامم الماضية ، وهذه الامة اما تعقل أن لفظ توحيد الربوبية ولفظ توحيد الالهية كلاهما مركبان اضافيان والمضاف في كليهما كلي وهذا غني عن البيان ، وكذلك مضاف إليه في كليهما فإن الربوبية والألوهية معنيان مصدران متزعا من الرب والاله وهما كيان ، أما الرب فلان معناه المالك والسيد والمتصرف للاصلاح والمصلح والمدبر والمربي والخابر والقائم والمعبود ، ولكل واحد مما ذكر معنى كلي ، فالمتزاع منهما أيضاً يكون معنى كلياً ، فتوحيد الربوبية اعتقاد أن الرب واحد سواء كان ذلك الرب عين الاله أو غيره ، وتوحيد الألوهية اعتقاد أن الاله واحد سواء كان ذلك الاله عين الرب أو غيره ، وإذا تقرر هذا فنقول : يمكن أن يوجد في مادة توحيد الربوبية ولا يوجد توحيد الالهية كمن يعتقد أن الرب واحد ، ولا يعتقد أن الاله واحد بل يعبد آلهة كثيرة ، ويمكن أن يوجد في مادة توحيد الألوهية ولا يوجد في مادة توحيد الربوبية كمن يعتقد أن المستحق للعبادة واحد ولا يعتقد وحدانية الرب بل يقول ان الارباب كثيرة متفرقة ويمكن ان يجتمعا في مادة

واحدة كمن يعتقد أن الرب والاله واحد فثبت أن مفهوم توحيد الربوبية مغاير لمفهوم توحيد الألوهية ، نعم توحيد الربوبية من حيث الرب مصداقه إنما هو الله تعالى لا غير يستلزم توحيد الألوهية من حيث أن الاله مصداقه إنما هو الله تعالى لا غير ، لكن هاتين الحيتين زائدتان على نفس مفهومي التوحيدين ثابتان بالبرهان العقلي بالنقلي على أنا لو قطعنا النظر عن بحث تغاير مفهومي التوحيدين فمطلوبنا حاصل ايضا فان توحيد الألوهية لا يتأتى انكاره عن احد من المسلمين وهو كاف لاثبات اشراك عباد القبور فانهم اذا دعوا غير الله رغبة ورهبة وخوفا وطعما وطلبوا منهم ما لا يقدر عليه الا الله ونحروا لهم ونذروا لهم وطاقوا لهم وحلقوا لهم وأخرجوا من أموالهم جزءا لهم وصنعوا غير ذلك من العبادات فقد عبدوا غير الله واتخذوهم آلهة من دون الله فان قلت : ان عباد القبور لا يعتقدون ان الاموات من الانبياء والصالحين ارباباً وآلهة أصلاً ولا يطلقون لفظ الارباب والآلهة ابداً فكيف يكونون مشركين ؟ قلت : في هذا ذهول عن معنى الاشراك في الألوهية والعبادة فان الاشراك في العبادة عبادة غير الله من الدعاء والذبح والنذر والطواف وسواء يعتقد ربا أو الهاً أم لا وسواء يطلق لفظ الرب والآله عليه أم لا يدل عليه الآيات الكثيرة منها قوله تعالى : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم) إلى قوله (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) وقوله (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) الآية . وقوله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الهاً واحداً) الآية . وقوله (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم) الآية . وذكر آياته في هذا المعنى كثيرة ، انتهى . فمن أمعن النظر فيما ذكرناه وتأمله حق التأمل تبين له أن هؤلاء الملاحدة الدجاجة الكذابون المفسدون في الأرض الباغون للبراء العنت .

فصل

وأما قوله : فيا عجباً هل للكافر توحيد صحيح ؟ فإنه لو كانت توحيداً صحيحاً لا أخرجه من النار إذ يبقى فيها موحد كما صرحت به الأحاديث .
 فالجواب : أن يقال لهذا الغبي الاحق لم يقل الشيخ أن للكافر المشرك توحيداً صحيحاً ولكن أخبر أن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء وكانوا مع هذا مشركين ، قال تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) قال طائفة من السلف : تسألهم من خلق السموات والأرض فيقولون الله وهم مع ذلك يعبدون غيره . فإيمانهم هو أقرارهم بتوحيد الربوبية وهذا الإيمان بتوحيد الربوبية لا يدخلهم في الإسلام وهم يعبدون غير الله ، أي يشركون به في توحيد الألوهية ، ولذلك قاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم ، وقد سمى الله سبحانه من عمل ببعض كتابه وترك العمل ببعضه مؤمناً بما عمل به كافر بما ترك العمل به منه ، قال تعالى في اليهود (وإذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) إلى قوله (أفنتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) الآية . فأخبر سبحانه أنهم أقرؤا بميثاقه الذي أمرهم به التزموه . وهذا يدل على تصديقهم به ، وأخبر أنهم عصوا أمره ، وهذا كفر بما أخذ عليهم ، ثم أخبر أنهم يفتدون من أسر من ذلك الفريق وهذا إيمان منهم بما أخذ عليهم في الكتاب وكانوا مؤمنين بما عملوا به من الميثاق كافرين بما تركوا منه ، فالإيمان العملي يضاده الكفر العملي والإيمان الاعتقادي يضاده الكفر الاعتقادي . فمن أنكر أن يكون الله تعالى لم ينزل في كتابه أن الكفار يقرون بتوحيد الربوبية ويحسدون توحيد الألوهية ، فقه كفر بما أنزل على محمد وكذب بالقرآن ، وكفر هذا أغلظ من كفر كفار قريش . وقد تقدم بيان ذلك مكبراً .

وأما قوله : فهل سمعتم أيها المسلمون في الأحاديث والسير أن رسول الله ﷺ إذا قدمت عليه أجلاف العرب ليسموا على يده بفصل لهم توحيد الربوبية والألوهية

ويجبرهم أن توحيد الالهية هو الذي يدخلهم في دين الاسلام أويكتفي منهم بمجرد الشهادتين وظاهر اللفظ ويحكم باسلامهم ؟ إلى آخره . فالجواب : أن يقال : لم يكن في الاحاديث ولا في السير إذا قدمت عليه اجلاف العرب يفصل لهم توحيد الربوبية والالهية ، لأنه قد كان من المعلوم أنهم كانوا مقرين بتوحيد الربوبية معترفين بذلك لا ينازعون فيه ، ولذلك يحتاج عليهم سبحانه بما اعترفوا به من توحيد الربوبية على ما يحدونه من توحيد الالهية ، وهذا أمر لا يشك فيه مسلم وأهل العلم بالله وبدينه وشرعه يعلمون ذلك ولا ينكره إلا هؤلاء الجهال كصاحب هذه الرسالة الذي هو أضل من حمار أهله ، وكان من المعرفين المنهمكين في عبادة الصالحين والدعوة إلى ذلك والتغيير عن دين الله ورسوله ، وكان ﷺ يكتفي منهم بالشهادتين وإداء بقية الاركان ، وهذا بخلاف المشركين في هذه الازمان ، فانهم يتلفظون بالشهادتين ويؤدون بقية الاركان ويتعبدون بأنواع العبادات ، ومع هذا كله يعبدون غير الله ويشركون بالله في توحيد الالهية والعبادة بما يفعلونه عند ضرائح الانبياء والاولياء والصالحين فيدعونهم ويلتجئون إليهم ويستغيثون بهم في الشدائد والمهمات ويطلبون منهم قضاء الحاجات وتقريج الكربات وإغاثة اللهفات ، ومعافاة أولي العاهات والبلبات . ويدجون لهم وينذرون ويطوفون بقبورهم وهذا هو شرك جاهلية العرب الذين قاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم ، فأجلاف أصبح عقولا وأسلم فطراً من هؤلاء الملاحدة ، وقد كان من المعلوم أن هذا الملحد واضرا به هم أهل الافتراء والزور على الله ورسوله وعلى أهل العلم الذي يدعون إلى دين الله ورسوله ، لاشيخ الاسلام .

وقوله : فان من وحد الرب فقد وحد الاله . فأقول : لم يكن كفار قريش والعرب موحدين توحيد الالهية حيث كانوا موحدين الله بتوحيد الربوبية ولم يدخلهم إقرارهم بتوحيد الربوبية في الاسلام حيث لم ينقادوا بتوحيد الالهية ومن زعم ذلك فقد رد على الله ورسوله وكابر أدلة الكتاب والسنة وإجماع سلف الامة ،

فكذلك عباد القبور والصالحين في هذه الأزمان لا ينفعهم الاقرار بتوحيد الربوبية ولا التلطف بالشهادتين مع عبادة غير الله والاشراك به .

فصل

ثم قال : تسمية الفضل الاله شرعاً هو المعبود بحق وهو الله تعالى وحده يستحيل أن يكون معه إله آخر عند جميع المسلمين لأن الله تعالى قد أخبرهم في كتابه العزيز بأنه إله واحد ، فقال تعالى (وإلهكم إله واحد) وأخبرهم أيضاً أنه يستحيل أن يكون معه إله آخر ، فقال تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا) وأيضاً أخبر أنه غني عن العالمين وأنهم فقراء اليه ، فقال (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد) وأخبر أيضاً أنه لا مثيل له ولا شبيه ، فقال تعالى (ليس كمثله شيء) وأخبرهم أيضاً أنه لم يكن له شريك في الملك ولم يتخذ ولداً ، فقال تعالى (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك) . والجواب أن نقول : هذا حق لو استقام وثبت عليه ولكنه فكس على غيبه ونكس على رأسه ورجع الى ما كان يعتقد من الشرك ، فقال : فاذا ثبت مض القرآن أنه تعالى اله واحد وأنه ليس كمثله شيء وأنه يستحيل أن يكون معه اله آخر وأنه لم يكن له شريك في الملك فأين هؤلاء الآلهة والشركاء الذين يزعمهم دجال الامة وكذابها ؟ أي أنه يزعم أن من يستغيث بالأولياء كشيسان وادريس وتاج ناس من أكابر السادة الاموات يعتقد فيهم اهل نجد والأحساء وينا دون بأسمائهم عند المهمات متوسلين بهم الى الله تعالى ، فيقال لهذا الملحد دجال تزييم وكذابها : أن الآلهة والشركاء الذين كان أهل نجد والأحساء قبل دخولهم في دين الله ورسوله هم هؤلاء الطواغيت شيسان وادريس وتاج وغيرهم من المعبودين مع الله يعتقدون فيهم ويستغيثون ويطلبون منهم ما لا يقدر عليه الا الله وينادون بأسمائهم عند المهمات ، وهذا هو الشرك بالاله الواحد الغني ، بذاته عن كل ما سواه وكل ما عداه مفتقر اليه

فاشر كوههم بالله فيما يستحق من الالهية وان لم يكونوا مستحقين العبادة ، ولم يكن أحد منهم مثيلاً وشيهاً لله ، وهذا من المستحيل عقلاً وشرعاً ، وقد كان كفار العرب الذين قاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم يشركون مع الله في عبادتهم الاحجار والاشجار والملائكة والانبياء والاولياء والصالحين ، ومن المعلوم انه لم يكن من المشركين من يزعم أن احداً منهم يماثل الله او يشبهه ، وانما عبدوهم واستغاثوا بهم وجئوا اليهم يريدون شفاعتهم عند الله وليقربوهم الى الله زلفى لا انهم مستحقون للعبادة من دون الله كما يفعله المشركون في هذه الازمان . قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في الرسالة السنية : فاذا كان على عهد النبي ﷺ ممن انتسب الي الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة فليعلم ان المنتسب الى الاسلام والسنة في هذه الازمان يرق ايضاً من الاسلام لأسباب : منها الغلو في بعض المشائخ ، بل الغلو في علي بن أبي طالب ، بل الغلو في المسيح عليه السلام ، فكل من غلا في نبي او رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الالهية مثل ان يقول ياسيدي فلان انصرني او اغثنني او انا في حسبك ونحو هذه الأقوال ، فكل هذا شرك وضلال ، يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل فان سبحانه وتعالى انما ارسل الرسل وانزل الكتب ليعبد وحده لا شريك له ، ولا يدعى معه آله . والذين يدعون مع الله آلهة اخرى مثل المسيح والملائكة والاصنام لم يكونوا يعتقدون انها تخلق الخلائق او تنزل المطر او تنبت النبات ، وانما كانوا يعبدونهم او يعبدون قبورهم او يعبدون صورهم يقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، فبعث الله سبحانه رسوله تنهى ان يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعا استغاثة ، انتهى . وقال ايضاً : من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر اجماعاً ، انتهى . فهؤلاء الطواغيت الذي يزعم هذا الملاحد انهم من اولياء الله ومن اكابر السادة ، قد صرح هو انهم كانوا يستغيثون بهم ويعتقد فيهم اهل

نجد والاحساء وانهم ينادونهم باسمائهم عند المهمات ويتوسلون بهم ، وقد صرح شيخ الاسلام ان هذا شرك وضلال .

وقوله : فيا ليت شعري كيف يستحق الالهية من له شبيه ونظير ؟ كيف يستحق الالهية من هو عاجز وفقير ؟ فأقول : لا يستحق الالهية والعبادة من له شبيه ونظير ولا من هو عاجز وفقير ولا يستحقها الا الله العلي الكبير ، ولكن هؤلاء المشركين اثمركوا مع الله في عبادته من لا يستحق العبادة ، ومن المعلوم بالضرورة من دين الاسلام انهم اذا دعوهم واستغاثوا بهم وجئوا اليهم وطلبوا منهم ما لا يقدر عليه الا الله فقد عبدوهم مع الله سواء اعتقدوا انهم مستحقين للعبادة او غير مستحقين لها وان لم يكونوا بمائلين لله او مشابهي له فهم لا يستحقون العبادة بحال .

وأما قوله : فثبت انه الى الآن لم يعرف الله تعالى حيث شبهه بخلقه ؛ فيقال لهذا الظالم المفترى : انما شبه الله تعالى بخلقه من جعل الله شركاء من خلقه بمن لا يستحق العبادة ، والشيخ رحمه الله ما جعلهم انداد الله واكفاء ولا بمائلين له ولا مشابهي له بوجه من الوجوه فيستحقون العبادة بل ، كفر من دعاهم من الله واستغاث بهم وجعل فيهم نوعا من الآلهية وان لم يكونوا مستحقين لها فانتم الذين لا تعرفون الله حق معرفته ولا تدنيون دين الحق .

وأما قوله : وأما ما استدل به من الآيات الكريمة على تكفير المسلمين كقوله تعالى : (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون . سيقولون لله قل افلا تذكرون) . وما بعدها من الآيات فهي انما نزلت في حق الكفار المنكرين للقرآن والرسول بدليل الآيات التي قبلها في الرد عليهم وهي قوله (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله) وكقوله في سورة يونس (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فان الضمير راجع الى كفار مكة المنكرين للقرآن المكذبين للرسول ﷺ المنكرين للبعث والنشور بدليل الآيات التي قبلها في الرد عليهم وهي قوله (وقال الذين لا يرجون لقاءنا ائت

بقرآن غير هذا أو بدله) . فالجواب ان يقال : ما كفر الشيخ المسلمين وانما كفر من عبد غير الله واتخذ مع الله الهة واندادا واستدلال الشيخ بهذه الآيات الكريمة هو الحق الذي لا يمتري فيه عاقل وكونها نزلت في حق الكفار فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فمن فعل كما فعل كفار قريش من الاشراك بالله بدعاء غيره والاستغاثة به والذبح له والنذر له وطلب الحاجات من الغائبين والاموات أو توكل عليهم ولجأ اليهم في شيء من أموره وصرف لهم شيئاً من خالص حق الله فهو كافر مشرك ولو اقر بالقرآن والرسول وافر بالبعث والنشور وتلفظ بالشهادتين وعلى هذا سائر علماء سلف الامة وائمتها ولو اخذنا بقول هذا الملحد لبطل الاستدلال بالقرآن وباحاديث الرسول على من فعل كما فعل المشركون الاولون . فأني مانع يمنع من تكفير من فعل كما فعلوا ؟ وان كان سبب النزول في قوم قد مضوا وانقرضوا فالحكم بمحمد الله باق والدليل واضح والمنار يلوح . وقد انزل الله القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ولم يخص به قوماً دون قوم ، وان مضى أمس باهل عرفانه فنحن من ابناء هذا اليوم ، وهكذا يكون الجواب عما بقي من الآيات ويقال أيضاً لهؤلاء الملاحدة : قد كانت من المعلوم أنه لاختلاف بين العلماء كلهم ان الرجل اذا صدق رسول الله ﷺ في شيء وكذبه في شيء انه كافر لم يدخل في الاسلام وكذلك اذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه كمن اقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة أو اقر بالتوحيد والصلاة وجحد الزكاة أو اقر بهذا كله وجحد الصوم أو اقر بهذا كله وجحد الحج . ولما لم ينقد اناس في زمن النبي ﷺ للحج انزل الله في حقهم (ولله على الناس حرج البيت من استطاع اليه سبيلاً ومن كفر فان الله غني عن العالمين) ومن اقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالاجماع وحل دمه وماله كما قال تعالى : (ان الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلاً . أولئك هم الكافرون حقا) ، ويقال

أيضاً : اذا كان الأولون لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسل والقرآن وانكار البعث وغير ذلك فما معنى الباب الذي ذكره العلماء في كل مذهب باب حكم المرتد وهو المسلم الذي يكفر بعد اسلامه ، ذكروا انواعاً كثيرة كل نوع منها يكفر ويحبل دم الرجل وماله ، حتى انهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب . وقوله : ولو انهم آمنوا بالله وحده واقروا برسالة نبيه وما جاء به واعتقدوا في الحبر انه من خلقه وانه لا ذنب له نفعهم . فاقول : لو ان الكفار آمنوا بالله وحده واقروا برسالة نبيه وما جاء به واعتقدوا في الحبر أو اعتقدوا في نبي أو ولي أو صالح أنه من خلقه وانه لا ذنب له لكان اعتقادهم هذا مخرجاً لهم من الملة ناقضاً لايمانهم بالله وحده واقرارهم برسالة نبيه وما جاء به كما قد تقدم بيان ذلك مراراً . وأما قواه : لقوله عليه السلام : « لو اعتقد احدكم في حجر لنفقه » لاعتقاده انه لا يضر ولا ينفع . فاقول : هذا حديث موضع مكذوب على رسول الله ﷺ وهذا هو الهذيان والخرافات قال ابن القيم رحمه الله في اغاثة اللفهان : ومنها احاديث مكذوبة مختلفة وضعها اشباه عباد الاصنام من المقابرية على رسول الله ﷺ ، تنافض دينه وما جاء به كحديث : اذا اعيتكم الأمور فعليكم باصحاب القبور ، وحديث لو احسن احدكم ظنه بحجر نفقه وأمثال هذه الاحاديث التي هي مناقضة لدين الاسلام وضعها المشركون وراعت على اشباههم من الجهال الضلال والله بعث رسوله بقتل من احسن ظنه بالاحجار ، وجنب امته الفتنة بالقبور بكل طريق كما تقدم . ومنها حكايات حكيت لهم عن تلك القبور ان فلانا استغاث بالقبير الفلاني في شدة فخلص منها ، وفلان دعا أو دعا به في حاجة فقضيت له . وفلان نزل به ضرراً فاستصرخ صاحب ذلك القبر فكشف ضره . وعند السدة والمقابرية من ذلك شيء يطول ذكره وهم من اكذب خلق الله تعالى على الاحياء والاموات ، الى آخر كلامه رحمه الله تعالى ، فانظر رحمك الله

أيها النصف الى ما قاله ابن القيم وإلى ما قاله هؤلاء الغلاة الملاحدة يتبين لك
من الكذاب الدجال الموه المختال أهو الذي يدعو إلى دين الله ورسوله
واخلاص العباد لله وحده وينهي عن عبادة الانبياء والاولياء والصالحين
والاحجار والاشجار أم هؤلاء الدجاجة الفجار والاختاب الاشراز واتباع
كل ناعق الذين لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق . ؟

فصل

وأما قوله : والكفار حكى الله عنهم أنهم يعبدونهم لقوله تعالى عكابة عنهم
(ما نعبدكم الا ليقربونا إلى الله زلفى) ولم يقولوا نعتقدهم فافهم الآن العباد لله .
وحده والاعتقاد حسن الظن بعبادة الله أنه مطلوب للحديث الوارد عنه عليه السلام
« خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله »
فالجواب : أن يقال قد كان من المعلوم أن مشركي العرب كانوا يعبدون الملائكة
والانبياء والاولياء والصالحين والاصنام والاحجار والاشجار وذلك لاعتقادهم
أنهم أولياء الله واحباؤه وأنهم مقربون لديه فيدعونهم لأجل ذلك ويستغيثون
بهم ويدبحون لهم وينذرون ويسألونهم قضاء الحاجات وتقريج الكربات وهذه
حال مشركي أهل هذه الأزمان إنما عبدوا الانبياء والاولياء والصالحين لأجل
اعتقاد أنهم بهذه المثابة من القرب والجاه والمنزلة من الله فالاعتقاد في الصالحين
هو عبادتهم كما قال عليه السلام لعدي بن حاتم لما قال : انا لسنا نعبدكم قال : « أليس يحلون
ما حرم الله فتبعونهم ؟ » ويجرمون ما أحل الله فتبعونهم قال بلى : قال « فتلك عبادتهم »
فاعتقاد القلب وعمله وتحسين الظن بالاحبار والرهبان حتى أطاعوهم هو المقصود
الاعظم حتى عند عبدة الاوثان فمن اعتقد في مخلوق فطلب منه ما لا يقدر عليه
إلا الله فقد اتخذها إلها من دون الله وعبدته شاء أم أبى ، وحسن الظن بعباد الله
لا يقتضي أنهم يدعون مع الله ويستغاث بهم ويلجأ إليهم في المهمات والمهمات .
فتفريق هذا الملحد بين العباد والاعتقاد لم يسبقه إليه أحد يعتد به . ثم إن هذا

الملحد قد نقض هذا بقوله في الفصل الثالث عند قوله : وأما الملائكة فقالت خزاعة وكنانة وغيرهم من كفار مكة انهم بنات الله تعالى الله عن ذلك ، والمسلمون بريئون من ذلك الاعتقاد فالاعتقاد عند هذا الملحد في الاحجار لا يضر والاعتقاد في الملائكة كفر يضر من اعتقده ، فعلى قول هذا الملحد ان الانسان اذا اعتقد في حجر فدعاء واستغاث به وذبح له ونذر لا يكون كافراً بهذا الاعتقاد وان صرف له نوعاً من العبادة فجعله إلهاً مع الله لا شراكه به في عبادته ، واذا اعتقد أن الملائكة بنات الله يكفر ، وهذا تفريق بين ما جمع الله فان الله تعالى كفر من اعتقد في اللات ومناة وهن حجر ، وكفر من زعم ان الملائكة بنات الله فمن فرق بين ما جمعه الله بينهما فهو ضال مضل (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) وهذا الملحد لا يستحي من جمعه بين النقيضين فانه مرة يكفر باعتقاده كمن يعتقد في الملائكة انهم بنات الله ومرة لا يكفر به كمن يعتقد في الاحجار والانبياء والصالحين .

فصل

قال الملحد : الفصل الثالث من جملة هذيانه وخرافاته قوله : ان قصد الصالحين والاعتقاد فيهم والتبرك بهم شرك أكبر فاما قصد الصالحين فأول من أمر به رسول الله ﷺ صاحبه عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهما فقد أمرهما ان يقصدا أويسا القرني ويسألاه الدعاء والاستغفار كما في صحيح مسلم . والجواب أن يقال : ان قصد الصالحين والاعتقاد فيهم لاجل دعائهم والاستغاثة بهم وطلبهم ما لا يقدر عليه إلا الله شرك أكبر وقد تقدم الكلام على نوع هذا ، واما حديث عمر رضي الله عنه الذي رواه مسلم فالفاظه مختلفة ففي رواية ان رسول الله ﷺ قال : ان رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له اويس لا يدع باليمن غير ام له قد كان فيه بياض فدعا الله فاذهبه عنه الا موضع الدينار والدرهم فنلقه منكم فليستغفر لكم ، وفي لفظ سمعت رسول الله ﷺ

يقول « ان خير التابعين رجل يقال له اويس وله والدة وكان به بياض فمروه
فليستغفر لكم ». وفي لفظ سمعت رسول الله ﷺ يقول « يأتي عليكم اويس بن عامر
مع امداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرئ عنه الا موضع
درم له والدة هو بها برء لو اقسم على الله لا يره فان استطعت ان يستغفر لك
فافعل ». فاستغفر لي فاستغفر له فليس فيه أث رسول الله ﷺ أمر صاحبيه
عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب أن يقصدا اويسا ولو كان هذا اللفظ واقعا
في حديث لما كان فيه للخصم تعلق أيضا فان هذا اللفظ لا يقتضي جواز قصد
الصالحين والاعتقاد فيهم وطلبهم مالا يقدر عليه إلا الله من اغاثة الالهفات
وتقريب الكربات ودعائهم والطواف بقبورهم وشد الرحال اليها ، بل الذي
يقتضيه هذا الحديث انه اذا جاءنا أحد من أهل الخير والصلاح فمن لقيه منا
فطلب الدعاء له منه جائز وهذا لا ينكره أحد ولكن بدل الذين ظلموا قولا
غير الذي قيل لهم بدّلوا طلب الدعاء منه بدعائه والطلب منه . وأما قوله :
واما التبرك بهم فقد كانت بر دته ﷺ عند كعب بن زهير يتبرك بها الى آخره
فنقول : قد كان من المعلوم ان البردة التي أعطاها رسول الله ﷺ كعب بن زهير
رضي الله عنه لم يكن كعب بن زهير يعتقد فيها كما يعتقد عباد القبور عند
ضرائح الاولياء والصالحين من الاعتقاد فيهم وطلب مالا يقدر عليه الا الله
فيقصدونهم ويعتقدون انهم يعيشونهم ويفرجون كرباتهم ويقضون حوائجهم
وذلك بدعائهم والنذر لهم والطواف بقبورهم والذبح لهم وغير ذلك من الامور
التي يفعلها عباد القبور عند ضرائح الاولياء والصالحين يريدون بركتهم
بما يفعلونه عندها فمن اعتقد فيهم البركة بفعل هذه الامور عند قبورهم فهو
كافر مشرك ، وانما أراد كعب بن زهير ان تكون له كفنا ، وكذلك معاوية
انما استراها أو أراد شراءها لاجل ذلك لمباشرتها جسده الشريف ﷺ فينالهم
من بر كته وكذلك الشرعات التي في قلنسوة خالد بن الوليد رضي الله عنه فهذا
ونحوه مما لا محذور فيه وليس فيه دليل على الذهاب الى قبور الاولياء والصالحين

والتوسل بهم ودعائهم من دون الله لاجل طلب البركة هذا لا يقوله من كان يؤمن بالله واليوم الآخر .

وأما قوله : وقد أتى في القرآن بالبيان بقوله تعالى حكاية عن النبي يوسف عليه السلام (اذهبوا بقميصي هذا فالقهوه على وجه أي الى - قوله - فارتد بصيرا) فأقول : لم يبعث به عليه السلام لاييه ليتبرك به وإنما بعث به ليذهب عنه الحزن وليرتد بصيرا وقد ذكر بعض المفسرين أن القميص من نسج الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم إلا عوفي وليس في الآية ما يدل على أن يعقوب عليه السلام كان يتبرك به أو بعث به اليه لاجل هذا القصد وهذا من جنس حجج الصبيان والنسوان ، اذ لا فكرة ثابتة ولا رؤية كاسية ولا طريقة صائبة ، والله اعلم واعلم ان أصل الشرك الذي سرى في العالم من قديم الزمان ان عباد الاوثان انما كانوا يعتقدون حصول البركة منها بتعظيمها ودعائها والاستعانة بها والاستغاثة بها والاعتقاد في حصول ما يرجونه ويؤمنونه ببركتها وشفاعتها وغير ذلك فالتبرك بقبور الصالحين كاللآت والاشجار كالعزى والاحجار كناية من جملة فعل أولئك المشركين مع تلك الاوثان فمن فعل مثل ذلك واعتقد في ولي أو قبر أو حجر أو شجر فقد ضاهى عبادة هذه الاوثان فيما كانوا يفعلونه معها من هذا الشرك على أن الواقع من هؤلاء المشركين في هذه الازمان مع عبوديتهم أعظم مما وقع من أولئك فانه المستعان .

(وأما قوله) : وأما الاعتقاد فهو أصل كل خير وأول من سعد به من رجال هذه الامة أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما اعتقد في النبي ﷺ انه رسول الله وحبيبه وخيرته من خلقه الى آخر كلامه . فأقول : أما الاعتقاد فليس هو أصل كل خير مطلقا فأما اعتقاد أي بكر انه رسول الله ﷺ فعلى ولا يصح ايمان العبد إلا بذلك ولكن لا يدل على انه اذا اعتقد هذا في رسول الله ﷺ أو اعتقد خيرية صحابي أو تابعي أو امام من الائمة أو عابد من العباد أو صالح من الصالحاء انه يدل على جواز دعائه والاستغاثة به والاتجاء اليه وطلبه منه وسؤاله ما لا يقدر عليه إلا الله ، واعتقاد هذا أصل كل شر وفساد في العالم

وهو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله (ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار).

فصل

قال الملحد : ومن جملة هذيانه أيضاً إنكاره لكرامات أولياء الله وما خصهم به من الخصوصيات والاسرار الى آخر كلامه . والجواب أن يقال : ان هذه الدعوى دعوى كاذبة خاطئة ، فان الشيخ رحمه الله لا ينكر كرامات الاولياء ، بل يتبناها ولا ينكر الا خوارق الشيطان ، فان أولياء الرحمن لهم علامات يعرفون بها ولأولياء الشيطان علامات يعرفون بها ، فمن علامات أولياء الله محبة الله ورسوله والتزام ما أمر الله به ورسوله وتقديم ما دل عليه الكتاب والسنة على ما يخطر ببال أحدكم أنه كرامة ، ويعرفون بنور الايمان والقرآن وبحقائق الايمان الباطنة وشرائع الاسلام الظاهرة فكرامات الاولياء سببها الايمان والتقوى . وأما من كانت خوارقه لا تحصل بالصلاة والقرآن والذكر وقيام الليل والدعاء ، وإنما تحصل عند الشرك مثل دعاء الميت والغائب أو بالفسق والعصيان وأكل المحرمات كالحيات والزنايين والخنافس والدم وغيره من النجاسات وأمثال الغناء والرقص لاسيما مع النسوة الاجانب والمردان ، وحالة خوارقه تنقص عن سماع القرآن وتقوى عند سماع مزامير الشيطان فيرقص ليلا طويلا ، فاذا جاءت الصلاة صلى قاعداً أو ينقر الصلاة نقر الديك ، وهو يبغض سماع القرآن وينفر عنه ويتكلفه ليس له فيه محبة ولا ذوق ولا لذة عند وجده ، ويجب سماع المكاء والتصدية ويجد عنده مواجيد فهذه أحوال شيطانية ، ومن أراد الوقوف على الفرق بين أولياء الله وأولياء الشيطان فعليه بمطالعة كتاب الفرقان لشيخ الاسلام ابن تيمية . وأما قوله : ومن جملة الخصوصيات علم الكشف وعلم الالهام ، الى آخره . فالجواب عن هذا هو الجواب عن الاول : فإن ما وقع لعمر بن الخطاب رضي

الله عنه من جملة الكرامة ، وكذلك مايقع له من الالهام لأن رسول الله ﷺ قال « ان يكن في أمي محدثون فمعرض منهم وقد ضرب الله الحق على لسان عمر وقلبه » .

وأما قوله : فأما أسرار الالهية فلو لم يرد في اثباتها إلا الحديث القدسي وهو قوله تعالى (الاخلاص سر من سري استودعته قلب من أحببته من عبادي) لكفى به دليلاً إلى آخره . فأقول : لم يذكر لهذا الحديث القدسي سنداً ، ولم يعزه إلى كتاب يعتمد على مثله وما كان هذا سبيله فلاحجة فيه ولا يعتمد عليه . وأما قوله : أسرار الالهية ، فمراده بذلك من الدعوة فيه نوعاً من الالهية . وقد تقدم عن شيخ الاسلام ابن تيمية قوله : فكل من غلا في نبي او رجل صالح او جعل فيه نوعاً من الالهية مثل أن يقول يا سيدي فلان انصرني او اغثنني او انا في حسبك ونحو هذه الاقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه ، فان تاب وإلا قتل ، إلى آخر كلامه رحمه الله ، وقد تقدم . وأما قوله : وأما شفاعة اولياء الله وجاههم عند الله فلو لم يرد في ذلك إلا قوله ﷺ « ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة من اهل بيت من جيرانه البلاء » لكفى به الى آخر كلامه . فأقول : لم يسند هذا الحديث ولم يعزه إلى كتاب فكيف يجوز له الاحتجاج به ؟ ، فلا بد من ذكر سنده وتوثيق رواه وإلا فلا حجة فيه ، وعلى قدر ثبوته وصحته وصحة ما ذكره من الاحاديث لا يدل على جواز دعائهم والاستغاثة بهم وطلبهم ما لا يقدر عليه إلا الله .

فصل

وأما قوله : ومن جملة هذيانه وخرافاتة ايضا انكاره على شاعر العلماء وعالم الشعراء الامام العلامة البوصيري صاحب البردة المشهورة في قوله : يا اكرم الخلق مالي من ألؤذبه سواك عند حلول الحادث العمم حتى قال ان هذا شرك اكبر لأنه دعاء لغير الله ، وادخل في اذهان العوام والغوغاء ذلك . فالجواب : ان يقال : قد كان من المعلوم بالاضطرار عند من له (م - ٩ - الأسنة الخداد)

ادنى المام بالمعلوم ان هذا الكلام صريح في انه دعاء مضطر محتاج ذي فاقة
وفقر الى رسول الله ﷺ وانه ليس له ملجأ وملأذ ومفرج عند حلول الحادث
العام العظيم سوى رسول الله ﷺ واذا حرم مجرد سؤاله مالا يقدر عليه الا الله
وسؤاله بعد مماته مادون ذلك من الاسباب العادية فكيف بهذا الدعاء الذي
هو من ابلغ الادعية في اظهار الفقر والفاقة واستعطاف المسؤول بتوحيده
وافراده لهذا المطلوب العظيم والخطب الجسيم؟ واذا كان الدعاء حرم لتضمنه
التسوية بين الله وبين غيره في القصد والرجاء والذل والمحبة فكيف بما دل على
ما هو ابلغ من ذلك مما ذكر في البردة والهمزية ونحوها وفي حديث النعمان
ابن بشير رضي الله عنه «الدعاء هو العبادة» وحصر احد الجزين في الاخر يفيد
ما قاله بعض الشراح من ان الدعاء لبها وخالصها وركنها الاعظم وفي حديث
أتس الدعاء مخ العبادة وبه يظهر معنى الحصر في حديث النعمان وفي الحديث
«من لم يسأل الله يغضب عليه» مفهومه ان من سأل الله رضي عليه وهل هذا الرضى
وهذا الغضب الا لحصول عبادة يحبها ويرضاها أو لفقدائها الموجب لغضبه
وسخطه فاذا صرف ذلك لغير الله في الامور العامة الكلية التي مصدرها عن
قدرة كاملة ليست في قوى البشر وليست من جنس الاسباب العادية فهذا عين
الشرك . قال ابو العباس ابن تيمية في من سأل الاموات مالا يطلب الا من الله
كمغفرة الذنوب وهداية القلوب وانزال المطر انه يستتاب فان تاب والا قتل
لان هذا عين الشرك الذي نهى عنه الرسل وتزلت الكتب بتحريمه وتكفير
فاعله انتهى .

وقد نفى الله عن غيره ملك الشفاعة ونفى فعلها بغير اذنه وان تكون
فيسن لا يرضى قوله وعمله وقد ذكر جل ذكره انه المنفرد والمختص بملك ذلك
اليوم وتمدح بذلك في غير آية من كتابه وثبت من غير وجه ان النبي ﷺ قال
«ان الله يقبض السموات بيمينه ويقبض الارض فيقول انا الملك انا الديان ابن
ملوك الارض؟» وقال تعالى (وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين

يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله) وهذه نكرة في سياق النفي وهي عامة . وكذلك قوله تعالى (واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئا) في موضعين من سورة البقرة ولا ينافي هذا ما ورد من اثبات شفاعة النبي ﷺ وشفاعة غيره لأن المراد بالنفي اختصاصه بالملك وعدم مشاركة أحد له تعالى في ملك ذلك اليوم وما ورد من حصول الشفاعة فهو عن أمره وأذنه ورضاه تعالى وتقدس . فالشافع عبد مأمور لا ملك له ولا يبتدىء بالشفاعة بل هو مدبر فكيف يطلب منه ما لا يملك وما لا يحصل الا بأذن من ربه تبارك وتعالى . وهذا هو المراد بالاستثناء في مثل قوله تعالى : (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) فتعليقها على الاذن والرضى يراد به هذا المعنى الذي هو صرف القلوب الى بارئها وفاطرها وإسلام الوجوه له عكس ما يفهمه المشرك من ان الاستثناء يفيد طلب ذلك من غير الله وسؤاله ذلك الغير هذا المطلوب العظيم واذا كان الحال هكذا فمن سأل رسول الله ﷺ شيئا بما لا يطلب الا من الله كمغفرة الذنوب وهداية القلوب ودخول الجنة والنجاة من النار وإزالة المطر والنصر على الاعداء ودفع العترة والردى ونحو ذلك مما يختص به تعالى ولا يشاركه فيه مشارك فقد أشرك بربه وجعل له ندا وشريكا في خالص حقه ولا ريب ان هذا الدعاء يقتضي اثبات قدرة تامة وعلم عام وسمع محيط لاسيما ان كان من يدعو الصالحين ويسألهم يجعل ذلك ديدنه في كل مكان وان بعدت الديار وتناوت الاقطار وان زعم انه لم يثبت قدرة ولا علما ولا سمعا عاما محيطا لا يليق بالخلق فهو مكابر ملبوس عليه ثم في ذلك من الخضوع والذل والمحبة والانابة ما هو من خالص العبادة ولهبه فكيف جاز صرفه لغير الله . اذا عرفت هذا ، فهذه الايات التي قالها صاحب البودة فيها من الغلو والاطراء والدعاء والاتجاه ما لا يليق ولا ينبغي صرفه لخلق ولو نيا أو ملكا ، وأين قوله :

يا أكرم الخلق مالي من الود به سواك عند حلول الحادث العمم

ان لم تكن في معادي آخذ بيدي فضلاً ولا فقل يا زلة القدم
فان من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم الروح والقلم
بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله من وجوب اسلام الوجوه له تعالى
والانابة اليه ووجوب اتخاذه تعالى ملجأ ومفرجاً ومعاذاً وملاذاً عند الشدائد
والمهمات ، قال تعالى (قل أزييتكم ان اتاكم عذاب الله او اتاكم الساعة اغير
الله تدعون ان كنتم صادقين) ففي هذه الآية انهم يلجؤون إليه ويفردونه
بالدعاء في حال الرخاء وفي جميع الحالات فكيف ترى بمن اعد غير الله لشدة
ولهول الساعة وكرها كما في آيات البوصيري واذا اقترن بذلك نفي التعلق
والرجاء والتوكل في ذلك عن غير الرسول ﷺ وازداد المتكلم الى هذا
اثبات عموم العلم واحاطته بالكلييات والجزئيات وان الدنيا والآخرة حصلتا
وكانتا عن جوده واحسانه ومعلوم ان هذا يدخل فيه كل تدبير وتأثير وتقدير
وتفسير ، فأى فرد يبقى لله واي شيء اختص به ؟ ، فافهم ما في هذه الآيات
من منافات مقتضي الرسالة وصریح الآيات ، واذا عرفت ذلك عرفت
ان المعارض قصرت رتبته عن درجة العلم بأصل الايمان ، وعن معرفة
الحكمة في خلق الجن والانس والسموات والارض وما فيها ، فلذلك
اعترض ورأى ان كلام الشيخ هذيان وخرافات ، وقد تبين لك ايها
المنصف بما تقدم بيانه من الحق والتوضيح الذي لا يشك فيه عاقل
ان هذا الداعي قد اخلص الدعاء الذي هو مخ العباد ، واللياذ الذي
هو من أنواع العباد لغير الله ، وتضمن اخلاص الرغبة والاستكانة والاستغاثة
والالتجاء الى غير الله ، وهذه هي معظم العباد كما اشير الى ذلك كما قال تعالى
(له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) الآية والآيات في
هذا المعنى كثيرة جداً ، وعن انس مرفوعاً « الدعاء مخ العباد » رواه الترمذي
قال الملعّد : واما قوله انه دعاء فكذب وبهتان وانما هو نداء ،
والنداء غير الدعاء لأن الطلب اذا كان من مخلوق بمخلوق فلا يسمى

دعاء لا شرعاً ولا عرفاً بين المسلمين كما نص عليه الامام المحدث زين الدين العراقي الشافعي ، والامام العلامة ابن رشد المالكي ، وشيخ الاسلام زكريا الأنصاري الشافعي وغيرهم من الأئمة الأعلام ، وإنما سماه دعاء ترويحاً على العوام وادخالاً للشبهات في قلوبهم حتى لا يتوسلون برسول الله ﷺ ولا بغيره من الأنبياء والرسل ، وهذا من خذلانه وجهالته .

والجواب أن نقول : اما دعوى الكذب والبهتان فمنكم بدأ واليكم يعود ، واما تفريقك بين الدعاء والنداء فتفريق باطل يخالف للكتاب السنة واجماع الأمة مع مخالفته اللغة ، فقد سمي الله سبحانه سؤال عباده له دعاء ونداء كما قال تعالى عن نوح عليه السلام (فدعاه ربه اني مغلوب فانتصر) ، وقال (ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم) فسماه في موضع دعاء وفي موضع نداء ، وقال عن زكريا (فنادى ربه نداء خفياً) وقال في موضع (هنالك دعا زكريا ربه) وقال عن أيوب (وأيوب إذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين) وقال (وذا النون اذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين) وقال ﷺ « دعوة اخي ذي النون ما دعا بها مسلم الا استجيب له » وقال بعض الصحابة للنبي ﷺ اقرب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه ؟ فأنزله الله (واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع إذا دعان) وقد سمي الله سبحانه طلب الخلق من الخلق واستغاثة به دعاء واستغاثة ونداء ، قال سبحانه (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عده) وقال الصحابة قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق وقال تعالى (ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم) فهذا نص في دعاء المسألة ، وقال (وان تدعوهم لا يسمعوا) وقال (ان الذين تدعون من الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) قوله (فادعوهم) أي اطلبوا منهم ، وقال (وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتهم أم

انتم صامتون) فأراد بالدعاء هنا الطلب الذي هو ضد الصمت ، وقال (قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون) اي استعينوا بشركائكم ، وقال (وقيل ادعوا شركاءكم) اي استعينوا بهم ليخلصوكم من عذابي فدعوهم فلم يستجيبوا لهم (وبوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم) ليخلصوكم مما انتم فيه فدعوهم فلم يستجيبوا لهم فقال في موضع ادعوا وفي موضع نادوا ، وقوله (فادعوهم) صريح في الطلب منهم ، وقال (وادعوا شهداءكم من دون الله) اي استعينوا بهم ، فسمى الله استعانتهم بهم دعاء بل قد سمي الله سبحانه نعيم الداعي باليهائم دعاء ونداء ، فقال (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء) فجميع ما قدمناه صريح في ان سؤال العبد ربه يسمى دعاء ونداء وان استعانة الخلق بالخلق وطلبه منه يسمى دعاء ونداء ، وقد قال النحويون : النداء هو الدعاء باحرف مخصوصة وان المنادي منصوب لفظاً أو محلاً فقولك يا زيد أي ادعهم يا زيدا ومن اقسام المنادي المستغاث وهو كل من نودي ليخلص من شدة أو يعين على دفع مشقة كقول عمر : يا الله للمسلمين أي ادعوك للمسلمين فاتضح بطلان قولي هذا في ان طلب الخلق من الخلق لا يسمى دعاء بل نداء فهو يقول ان الطلب من الملائكة والمسيح واهمه وعزير والجن نداء لادعاء فما ادري ما يقول فيمن طلب من العزى ومناة واللات ؟ فان قال ان الطلب منها لا يسمى دعاء بل هو نداء والنداء لا يضر عنده اقتضاع عند العامة والخاصة وان قال انه يسمى دعاء قيل له نقضت اصلك حيث جعلت الطلب من هذه الاوثان دعاء ومن غيرها نداء فهذا شيء واحد جعلته بالنسبة الى الاموات والعائنين والملائكة والمسيح واهمه وعزير والجن نداء وبالنسبة الى العزى وغيرها من الاوثان دعاء مع انه يلزمه ان لا يسميه دعاء اذا لم يسم رباً وولهاً لقوله ان الدعاء الذي هو عبادة فهو اتخاذ غير الله رباً والها . اذا تبين بطلان قول هذا فالدعاء يكون ايضاً اعم من النداء لانه قد يكون بغير حرف نداء كقول نوح (وان لا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين) وقول بني اسرائيل

(لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين) (وقول السائل اشكو الى الله حاجتي وذنوبي واسأل الله كذا واعوذ به من كذا وكل هذا يسمى دعاء وممي النبي ﷺ قول ذي النون (لا إله إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين) دعوة كما تقدم في الحديث وفي الترمذي كان أكثر دعاء النبي ﷺ يوم عرفة « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي ﷺ يقول : عند الكرب « لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم » فسمي هذا دعاء مع انه ليس فيه تصريح بالسؤال قال شيخ الاسلام تقي الدين رحمه في الكلام على دعوة ذي النون قال : فالسائل تارة يسأل بصيغة الطلب وتارة بصيغة الخبر اما بوصف حاله أو حال المسئول أو بهما وهو من حسن الادب في السؤال كقول ايوب (مسي الضر وانت ارحم الراحمين) والسؤال بالحال ابلغ من جهة العلم والبيان وبالطلب اظهر من جهة القصد والارادة فلهذا كان غالب الدعاء من القسم الثاني لأن السائل يتصور مراده فيسأله بالمطابقة وان تضمن وصف حال السائل والمسئول فهو اكمل كقوله « اللهم اني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب الا انت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمي انك انت الغفور الرحيم » فيه وصف حال نفسه المقتضى حاجة الى المغفرة ووصف ربه انه لا يقدر على هذا غيره وفيه التصريح بالمطلوب وفيه وصف الرب بما يقتضى الاجابة وهو وصفه بالمغفرة والرحمة ، فهذا ونحوه اكمل الانواع ، انتهى . وقال الحافظ بن حجر رحمه الله في شرح البخاري في أول كتاب الدعوات من الصحيح : الدعوات بفتح المهملتين جمع دعوة بفتح أوله وهي المسألة الواحدة والدعاء الطلب والدعاء إلى الشيء الحث على فعله ، ودعوت فلاناً سأله ودعوته استغثته - ويطلق أيضاً على رفعة القدر كقوله تعالى (ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة) كذا قال الراغب ويمكن رده الى الذي قبله ، ويطلق الدعاء أيضاً على العبادة ، والدعوى بالقصر

الدعاء كقوله تعالى (واخر دعواهم) والادعاء كقوله تعالى (فما كان دعواهم
 إذ جاءهم بأساً) وقال الراغب : الدعاء والنداء واحد لكن قد يتجرد النداء
 عن الاسم والدعاء لا يكاد يتجرد ، وقال الشيخ أبو القاسم القشيري في شرح
 الاسماء الحسنى ما ملخصه : جاء الدعاء في القرآن على وجوه منها العبادة (ولاندع
 من دون الله ما لا ينفعك ولا يضر) ومنها الاستغاثة (وادعوا شهداءكم)
 ومنها السؤال (ادعوني استجب لكم) ومنه القول (دعواهم فيها سبحانه)
 اللهم ، والنداء (يوم يدعوكم) والثناء (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) انتهى ،
 وقال تحت قوله وقول الله تعالى (ادعوني استجب لكم) الآية ، وهذه الآية
 ظاهرة في ترجيح الدعاء على التفويض ، وقالت طائفة الأفضل ترك الدعاء
 والاستسلام للقضاء ، وأجابوا عن الآية بأن آخرها ما دل على أن المراد بالدعاء
 العبادة لقوله (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) واستدلوا بحديث النعمان
 ابن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « الدعاء هو العبادة » ثم قرأ (وقال
 ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي) الآية ، أخرجه
 الإربعة وصححه الترمذي والحاكم ، وشذت طائفة فقالوا المراد بالدعاء في
 الآية ترك الذنوب ، وأجاب الجمهور أن الدعاء من أعظم العبادة فهو كالحديث
 الآخر « الحج عرفة » أي معظم الحج وركنه الأكبر ، ويؤيده ما أخرجه
 الترمذي من حديث أنس رفعه « الدعاء مخ العبادة » انتهى . فهذا بعض
 ما ذكره العلماء ، ولو ذهبنا نذكر كلامهم لطال الجواب ، وعلى قول هذا
 الملاحظ المقتون أن هؤلاء العلماء الأئمة الأعلام ، سموه دعاء ترويحاً على العوام ،
 وادخالا للشبهات في قلوبهم بل أعظم من ذلك وأدهى وأمر تسمية ماسمي الله
 في محكم التنزيل ترويحاً على العوام ، وادخالا للشبه في قلوبهم ، ويحاول أن يفرق
 بين ما جمع الله في كتابه واتحد معناه بهديانه وبهتانه .

وأما قوله : لئلا يتوسلون برسول الله ﷺ ولا بغيره من الأنبياء والرسل
 فأقول : نعم لأن التوسل في عرف هؤلاء الغلاة هو دعاء الغائبين من الأحياء

والاموات والاشتغاة بهم في الشدائد والملمات وسؤالهم قضاء الحاجات ،
وتفريج الكربات ، وهذا لا يصلح الا لله ، ولا يطلب من أحد سواه .

وأما قوله : ولهذا قال في الاقناع للحنابلة : من جعل بينه وبين الله
وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم فانه يكفر اجماعاً . قال العلامة
مفتي الحرمين الشريفين عبد الوهاب المصري : المراد من هذه العبارة أن يجعل
بينه وبين الله وسائط على انهم آلهة دون الله يتوكل عليهم ، يعني يفوض أمره
اليهم ويجعل معتمده عليهم ، ويدعوهم ويسألهم على أنهم هم المعطون والفاعلون
ومعلوم أنه ليس أحد من الناس عامة وخاصة يعتقد ذلك ، انتهى .

فالجواب أن نقول : هذا كلام شيخ الاسلام بن تيمية قدس الله روحه نقله
عنه صاحب الاقناع ، ونقله عنه ايضاً صاحب الفروع وصاحب الانصاف من
الحنابلة ، وشيخ الاسلام اعلم بكلامه وما يريد به من هذا المكي المصري ،
الذي هو أضل من حمار اهله . قال رحمه الله في انشاء كلام له : وان اثبتهم
وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين بين الملك ورعيته ، بحيث يكون
هم يرفعون الى الله حوائج خلقه ، فانه انما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم ،
فالخلق يسألون منهم ، وهم يسألون الله ، كما ان الوسائط عند الملوك يسألون
الملوك الحوائج للناس لقربهم منه ، والناس يسألونهم ادباً منهم ان يباشروا
سؤال الملك ، او لأن طلبهم من الوسائط على هذا الوجه ، فهو كافر مشرك
يجب ان يستتاب فان تاب والا قتل ، وهؤلاء المثبتون له شبهوا المخلوق
بالحائق وجعلوه الله ندا ، وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لا تيسر له هذه
الفتوى ، ثم ذكر كلاماً طويلاً ، فمن اراد الوقوف عليه فهو في مسألة الوساطة
ميسوط ، فهذا كلام ائمة الحنابلة . واما تأويل هذا المصري لكلام شيخ
الاسلام لثلاث يكون من الشرك الاكبر الذي لا يغفره الله ، لان في معتقدهم
انه لا يكفر الا من جعلهم آلهة بمعنى انهم الفاعلون ، فلا يكون عندهم
كافراً الا من اشرك في الربوبية . واما من اشرك في توحيد الالهية فلا

يكون مشركاً الا ان اعتقد التأثير من غير الله ، وهذا من ابطال الباطل وافسد التأويل فلا معول عليه .

وأما قوله : قلت وهذا لم يقل صاحب الاقناع ولا غيره من العلماء من جعل بينه وبين الله وسائط يناديهم ويتوسل بهم ، بل قال يدعوهم ويتوكل عليهم ، والدعاء والتوكل عبادتان ، فمن صرف العبادة الى غير المعبود كفر حيث جعل مع الله إلهاً آخر يدعوه ويتوكل عليه . ومعلوم لدى كل عاقل ان النداء جائز فلا يكون كفراً لانه غير عبادة .

فالجواب من وجوه : الاول انه اسقط من كلام صاحب الاقناع قوله : ويسألهم وقد كان من المعلوم ان سؤال غير الله مما لا يقدر عليه الا الله انه كفر ، قال ابن القيم رحمه الله في المدارج : ومن انواع الشرك طلب الخواص من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه اليهم ، وهذا اصل شرك العالم ، فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً فضلاً لمن استغاث به وسأله قضا حاجاته أو سأله ان يشفع له الى الله فيها ، والميت محتاج الى من يدعو له ويتوكل عليه ويستغفر له ، كما اوصانا النبي ﷺ اذ زرنا القبور ان نترحم عليهم ونسأل الله لهم العافية والمغفرة فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة واستقصاء الخواص والاستغاثة بهم ، وجعلوا قبورهم أوثاناً تعبد وسموا قصدها حجاً ، فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد ونسبة أهله الى التنقص بالاموات ، وقد تنقصوا الخالق بالشرك به وأوليائه الموحدين له الذين لم يشركوا به شيئاً بدمهم وعيبيهم ومعاداتهم ، وتنقصوا من اشركوا به غاية التنقص ، وظنوا انهم راضون منهم بهذا وانهم أمروهم به وانهم يوالونهم عليه ، وهؤلاء هم اعداء الرسل وأهل التوحيد في كل زمان ومكان وما اكثر المستجيبين لهم ، وما نجا من شرك هذا الشرك الاكبر الا من جرد توحيده لله وعادى المشركين في الله وتقرب بمقتهم الى الله واتخذ الله وحده وليه وإلهه ومعبوده فجرد حبه وخوفه لله ورجائه لله وذلك له وتوكله

على الله واستعانت به الله اذا سأل سئل الله واذا استعان إستعان بالله واذا عمل عمل لله فهو لله وبالله ومع الله انتهى .

الوجه الثاني : ان جميع الخائبة وغيرهم من العلماء قد بينوا ان من اشرك بالله أحد في نوع من انواع العبادة فهو كافر مشرك ، ومن انواع العبادة الحب والخوف والرجا والتعظيم والتوكل والاستغاثة والاستعانة والاستعاذة والذل والخضوع والخشوع والانابة والدعاء والذبح والنذر والالتجا وغير ذلك من انواع العبادة ، فمن صرف من هذه الانواع شيئاً لغير الله فهو كافر مشرك ، وأدلة ذلك في القرآن والسنة واقوال العلماء اكثر من ان تحصر واشهر من ان تذكر .

الوجه الثالث : إن النداء والدعاء بمعنى واحد لا فرق بينهما ، ومن فرق بينهما فقد خالف الكتاب والسنة واجماع العلماء وعرف المسلمين ولا عبرة بمن مذهبهم ممن لا يعتد به . ثم أعلم انه لا يقول مسلم ان قول الله تعالى عن زكريا عليه السلام انه قال : (فنادى ربه نداء خفياً) وقوله عن نوح (ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم) وقوله عن ايوب . (وأيوب إذ نادى ربه اني مسني الضر) وقوله (وإذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات) ليس بدعاء ولا عبادة ، ونعوذ بالله من ان نقول على الله بلا علم ، ومن انكروا ان يكون هذا النداء عبادة لله ، فقد كفر وكذب بما أنزل على محمد ﷺ .

واما قوله : ولو كان النداء عبادة لكفر كل من نادى غير الله ، وهذا لا يقوله احد .

فالجواب ان نقول : نعم النداء عبادة كما تقدم بيانه ، ومن نادى غير الله نداء العبادة واستغاث به وسأله ولجأ اليه فهو كافر ، ومن شك في كفره فهو كافر ، وقد قال بذلك أهل العلم الذينهم القدوة وبهم الاسوة ، وماذا عسى ان يكون اذا جهلت ذلك ، وقد قال به أهل العلم ووضحوه .

وأما قوله : بل قد جاء في الحديث الصحيح ان النبي ﷺ أمر الأعمى ان يتوضأ ويحسن وضوءه ثم يدعو بالدعاء المشهور وفيه « يا محمد اني اتوجه بك الى ربك في حاجتي لتقضى » فافطر كيف أمره أن يناديه باسمه للشریف قائلاً : يا محمد اني اتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقضى .

فالجواب ان يقال : حديث الأعمى ليس بصحيح وفيه مقال ، وعلى تقدير ثبوت صحته فلا حجة فيه وليس فيه ما يورث جواز دعائنا له والاستغاثة به ، قال شيخ الاسلام بن تيمية رحمه الله بعد كلام ذكره . ومن هذا استشفاع الناس بالنبي ﷺ يوم القيامة بمعنى انهم يطلبون منه ان يشفع الى الله ، كما كانوا في الدنيا يطلبون منه ان يدعو لهم في الاستسقاء وغيره ، وقول عمر انا كنا اذا اجد بنا توسلنا اليك بنبيك فتسقيننا وانتا نتوسل اليك بعم نبيينا ، معناه نتوسل اليك بدعائه وشفاعته وسؤاله ونحن نتوسل اليك بدعاء عمه وسؤاله وشفاعته ، ليس المراد انتا نقسم عليك به . أو ما يجري هذا المجرى مما يفعل بعد موته وفي مغيبه كما يقول بعض الناس اسألك بجاه فلان عندك ، أو يقولون « انتا نتوسل الى الله بانبيائه ورسله وأوليائه ، ويرون حديثا موضوعاً اذا سألتهم الله فاسألوه بجاهي . فإن جاهي عند الله عريض » فلو كان هذا التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه كما ذكر عمر لفعلوا ذلك بعد موته ولم يعدلوا عنه الى العباس مع علمهم ان السؤال به والاقسام به اعظم من العباس ، فعلم ان ذلك التوسل الذي ذكره عمر هو مما يفعل بالاحياء دون الاموات ، وهو التوسل بدعائهم وشفاعتهم ، فان الحي يطلب منه ذلك والميت لا يطلب منه دعاء ولا غيره ، وكذلك حديث الأعمى فانه طلب من النبي ﷺ ان يدعو له ليورد اليه بصره فعلمه النبي ﷺ دعاء أمره ان يسأل الله به قبول شفاعته ، وان قوله اسألك واتوجه اليك بنبيك بني الرحمة أي بدعائه وشفاعته ، كما قال عمر كنا نتوسل اليك بنبينا فلنلفظ التوجه والتوسل في الحديثين بمعنى واحد ، ثم قال : يا محمد اني اتوجه بك الى ربي حاجتي ليقضيها اللهم فتشفعه في طلب

من الله ان يشفع فيه نبيه ، وقوله يا محمد يا نبي الله ، فهذا وأمثاله نداء يطلب به استحضار المنادي في القلب فيخاطب المشهود بالقلب كما يقول المصلي السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ، والانسان يقول مثل هذا كثيراً يخاطب من يتصوره في نفسه ، وان لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب انتهى .

فاذا تبين لك هذا علمت أن قوله يا محمد يا نبي الله انه ليس نداء طلب وعبادة وسؤال ، انما هو نداء يطلب به استحضار المنادي في القلب ، فيخاطب المشهود بالقلب ، وتبين لك ايضاً ان هذا التوسل بما يفعل بالاحياء دون الاموات ، وهو التوسل بدعائهم لهم وشفاعتهم ، فان الحي يطلب منه ذلك والميت لا يطلب منه دعاء ولا غيره ، فبطل تمويه هذا المسوه المحرف لكلام الله ورسوله .

وأما قوله وفي الحديث الصحيح « ان الخلائق يوم القيامة يفرعون الى الانبياء والرسول طالين منهم الشفاعة منادين لكل نبي باسمه » فأقول : ليس هذا النداء نداء عبادة ، بل هذا نداء الحي حاضر قادر على الدعاء ، وقد تقدم كلام شيخ الاسلام وبه الكفاية . وأما قوله وورد في الحديث « اذا انفلتت دابة أيحكم بأرض فليناد يا عباد الله احببوا ثلاثاً » قال : فان الله في الأرض حاضرًا سيحببها الى آخره فالجواب ان يقال : هذا حديث غير صحيح وفي سنده معروف بن حسان وهو منكر الحديث قال بن عدي وعلى تقدير صحته فليس فيه حجة لهذا المبطل على جواز دعاء الأموات والغائبين لأنه قال فيه فان الله حاضرًا سيحببه . المعنى ان الله عبادا لانعلمهم وما يعلم جنود ربك إلا هو قد وكلهم سبحانه بهذا الأمر وهذا يدل على أن هؤلاء الذين أمرنا بمناذاتهم حاضرون أحياء جعل الله لهم قدرة على ذلك لقوله فان الله حاضرًا سيحببه وهذا كما ينادي الانسان أصحابه الذين معه في السفر ان يردا عليه دابته اذا انفلتت وكل عاقل يتيقن ان النبي ﷺ لا يأمر بمناذاة من لا يسمع ولا يعين من ناداه ومن استدلل بذلك على جواز الاستغاثة بالأموات والغائبين فهو ضال ثم ذكر

الملحد كلاماً قد تقدم الكلام عليه ولا فائدة في اعادته .
وأما قوله : وأما تشبيهه لمن نادى رسول الله أو غيره من الانبياء والاولياء
بمن نادى الاصنام أو بمن نادى عيسى وعزيراً والملائكة فلا يخفى فسادُهُ إذ
الاصنام ليسوا من أهل الشفاعة وأما عيسى وعزير فقد أخبر الله تعالى عن مقالة
الكفار فيهما بقوله تعالى (وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح
ابن الله ذلك قولهم بأفواههم) الآية وأما الملائكة فقالت خزاعة وكنانة وغيرهم
من كفار مكة انهم بنات الله تعالى الله عن ذلك والمسلمون بحمد الله بريئون
من ذلك الاعتقاد الى آخر كلامه .

فالجواب أن يقال قد تقدم الجواب عن هذا وقد تقدم انما نزل في الكفار
الاولين يتناول من فعل كفعلهم وان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ،
وقد صح عن النبي ﷺ انه قال : « لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة
بالقذة حتي لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه قالوا : يا رسول الله اليهود والنصارى
قال فمن » أخرجاه في الصحيحين . فقول هذا الملحد فان ورد في الكتاب
والسنة ان من آمن بالله وحده وصدق بأنبيائه ورسله وبما جاءوا به من عند الله
انه بمجرد ما ينادى نبياً أو ولياً مستشفعاً به الى الله تعالى يكفر بمجرد النداء
فينوه لنا ان كنتم صادقين ولن تجدوه أبداً فنقول : من آمن بالله وحده
وصدق بأنبيائه ورسله وبما جاءوا به من عند الله ثم دعا ونادى نبياً أو ولياً
أو حجراً أو شجراً واستغاث به ولجأ اليه وطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله
من اغاثته اللغات واجابة الدعوات وتعريج الكربات وطلب الحاجات من
الغائبين والاموات فقد أشرك بالله وكذب رسله وأنبياءه وما جاءوا به
من عند الله بدليل ما تقدم من عدم الفرق بين الدعاء والنداء ولا ينفعه
اعتقاده ان الله سبحانه هو الخالق وحده وانه الفاعل لجميع الاشياء وانه
هو رب كل شيء ومليكه ولا يدبر الامر إلا هو وانه لا مشارك له
في شيء من أفعاله سبحانه وحده كما لم ينفع هذا كفار العرب . وأما زعمه
أن اليهود والنصارى ما كفروا إلا بقول اليهود عزير ابن الله ، والنصارى

ما كفروا إلا بقولهم المسيح ابن الله ، وخزاعة وكنانة بقولهم ان الملائكة بنات الله ، واما ما فعلوه من سائر المكفرات فلا يكفرون به ، وان المسلمين بزعمه برآء من هذا الاعتقاد فقط ، فهذا الكلام بكلام المجاذيب أشبه ، ولا نتعب القلم برد هذا فانه بما يعلم بطلانه ببديهة العقل وبالضرورة من دين الاسلام ، ثم انه قد فعلت هذه الامة كما فعلت اليهود والنصارى ففي الصحيح « عن عائشة رضي الله عنها ان أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة وأنها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال : أولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح والعبد الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله » وفي الصحيحين عنها قالت : لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فاذا اغتم بها كشفها فقال وهو كذلك « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا ولولا ذلك لابرز قبره ، غير انه خشي أن يتخذ مسجداً ، ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول « اني أبرأ الى الله ان يكون لي منكم خليل فان الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ ابراهيم خليلًا ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا إلا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فاني انما كم عن ذلك » .

ولاحد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً « ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم احياء الذين يتخذون القبور مساجد » ورواه ابو حاتم في صحيحه وروى مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم لاتجعل قبوري وثناً يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » رواه اهل السنن قال شيخ الاسلام رحمه الله : وهذه العلة التي لاجلها نهى الشارع ﷺ عن اتخاذ المساجد على القبور هي التي أوقعت كثيراً من الامم ، أما في الشرك الاكبر أو فيما دونه من الشرك ،

فإن النفوس قد أشركت بتأثيل الصالحين وتماثيل يزعمون أنها طلائع الكواكب ونحو ذلك ، فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر ، ولهذا نجد أهل الشرك يتضرعون عندها ويخشعون ويخضعون ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا وقت السحر ، ومنهم من يسجد لها إلى آخر كلامه ، وقال ابن القيم رحمه الله : ومن أعظم كيد الشيطان أنه ينصب لأهل الشرك قبر معظم يعظمه الناس ثم يجعله وثناً يعبد من دون الله ، ثم يوحى إلى أوليائه أن من نهى عن عبادته واتخاذ عيدا وجعله وثناً فقد تنقصه وهضم حقه فيسعى الجاهلون المشركون في قتله وعقوبته ويكفرونه وذبونه عند أهل الأشرار أمره بما أمر الله به ورسوله ونهيه عما نهى الله عنه ورسوله من جعله وثناً وعيدا وإيقاد السرج عليه وبناء المساجد والقباب عليه وتخصيصه وأسادته وتقبيله واستلامه ودعائه أو الدعاء به والسفر إليه أو الاستعانة به من دون الله بما قد علم بالاضطرار من دين الإسلام ، أنه مضاد لما بعث الله به رسوله من تجريد التوحيد لله وإن لا يعبد إلا الله ، فإذا نهى الموحدين عن ذلك غضب المشركون واشتأزت قلوبهم ، وقالوا قد تنقص أهل الرتب العالية ، وزعم أنهم لا حرمة لهم ولا قدر ، وسرى ذلك في نفوس الجاهل والطغام وكثير ممن ينتسب إلى العلم والدين حتى عادوا أهل التوحيد ورموهم بالعظائم ونفروا الناس عنهم ووالوا أهل الشرك وعظموهم وزعموا أنهم هم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله وبأيي الله ذلك فما كانوا أولياءه إن أوليائه إلا المتبعون له الموافقون له العارفون بما جاء به الداعون إليه لا المشتبهون بما لم يعطوا ، لا بسوا ثياب الزور ، الذين يصدون الناس سنة نبيه ويبغونها عوجاً وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . وقد تقدم من كلام ابن القيم رحمه الله في اتخاذ القبور أعيادا من المفاسد العظيمة ما لا يعلمه إلا الله فراجعوه وبه الكفاية ، والمقصود أن هذه الأمة ضاهت اليهود والنصارى في الغلو في الأنبياء والصالحين ، وفي تعظيم القبور والبناء عليها المساجد والقباب ، وإسراجها ، والعكوف

عندها وتعظيم اربابها بالذبح والنذر لها والطواف بها والتمسح بها وتقبيلها واستلامها بما يطول عده واستقصاؤه ، وان لم يوافقهم على دعوى الولدية وان الملائكة بنات الله فهم وافقهم في الغلو فيهم واتخاذهم الهة مع الله لا ينكر ذلك إلا من اعى الله بصيرة قلبه .

فصل

وأما الدليل من الكتاب والسنة على ان من نادى نبيا او وليا مستشفعا به الى الله بمعنى انه يطلب منه ان يعينه أو ينصره أو يهديه أو يلجأ اليه في قضاء حاجة أو إزالة سدة وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله ، فقد تقدم من الآيات والاحاديث في الجواب عن تفريقه بين الدعاء والنداء ما يكفى عن اعادته هنا . وقال شيخ الاسلام رحمه الله : فكل من غلا في نبي أو ولي أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الآلهية ، مثل ان يقول ياسيدي فلان انصرني أو اغثنني أو ارزقني أو انا في حسبك ونحو هذه الاقوال ، فكل هذا شرك وضلال يستلزم صاحبه فان تلب والاقبل ، وقد تقدم بتمامه ، والمقصود انه اذا نادى من يدعو من دون الله باسمه وطلب منه النصر والاعانة فهو مشرك خال وقال الامام بن عقيل في فتونه لما صعبت التكاليف على الجهال والطفام عدلوا عن الاوضاع الشرعية الى تعظيم اوضاع وضعوها لانفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت امر غيرهم ، وهم عندي كفار بهذه الاوضاع مثل تعظيم القبور وتحليقها وطلب الخواثج من الموتي ودس الرقاق في القبور فيها بامولاي افعل بي كذا وكذا وهذا نداء باسم المنادي . وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : ومن أنواع الشرك طلب الخواثج من الموتي والاستغاثة بهم والتوجه اليهم وهذا أصل شرك العالم ، فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا عن استغاثة به وسأله قضاء حاجاته أو سأله ان يشفع له الى الله فيها والميت محتاج الى من يدعو له ويتوكل عليه ويستغفر له كما أوصانا النبي ﷺ (م - ١٠ السنة الحداد)

إذا زرنا القبور ان نترحم عليهم ونسأل الله لهم العافية والمغفرة ، فمكس
المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة واستقضاء الحوائج والاستغاثة بهم
وجعلوا قبورهم أوثانا تعبد وسموا قصدها حجاً فجمعوا بين الشرك بالمعبود
وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد ونسبه أهله الى التنقص بالأموات وقد
تنقص الخالق بالشرك وأوليائه الموحدين له الذين لم يشركوا به شيئاً بدمهم
وعيسهم ومعاداتهم وتقصوا من اشركوا غاية التنقص وظنوا انهم راضون
منهم بهذا وانهم امروهم به وانهم يوالونهم عليه ، وهؤلاء اعداء الرسل وأهل
التوحيد في كل زمان ومكان الى آخر كلامه رحمه الله ، فطلب الحاجات من
الموتى والاستغاثة بهم لا يكون الا بدعائهم وندائهم .

فصل

قال الملحد الفصل الرابع لو قال الشيخ النجدي ان توحيد الالهية هو ان
لا يستعبدك من الاكوان غير الله لساننا له ، فان هذا مقام أولياء الله ،
ولكن ليس هو من أهله .
والجواب ان نقول توحيد الالهية هو ان يوحد العبد ربه بأفعاله الصادرة
منه كاللجوء والحب والخوف والرجاء والتوكل والاستغاثة والذبح والنذر
والتعظيم والخشوع والخضوع والذل والانابة والاستعانة والاستعاذة الى غير
ذلك مما تقدم ذكره من أنواع العبادة ، فالعبادة بجميع أنواعها إنما تصدر عن
تأله القلب بالحب والخضوع والتذلل رغباً ورهباً وهذا كله لا يستحقه الا الله
تعالى كما تقدم بيانه ، قال شيخ الاسلام : الاله هو المعبود المطاع فان الاله
هو المألوه ، والمألوه هو الذي يستحق ان يعبد وكونه يستحق ان يعبد هو بما
اتصف به من الصفات التي تستلزم ان يكون هو المحبوب غاية الحب الخضوع
له غاية الخضوع ، قال : فان الاله هو المحبوب المعبود الذي تأله القلوب بحبها
وتخضع له وتذل له وتحافه وترجوه وتنبذ اليه في شدائدها وتدعوه في مهامها
وتتوكل عليه في مضالحها وتلجأ اليه وتطمئن اليه بذكره وتسكن الى حبه ،

وليس ذلك الا الله وحده ، ولهذا كانت لا اله الا الله اصدق الكلام وكان أهلها اهل الله وحزبه ، والمنكرون لها اعداؤه واهل غضبه ونقمته ، فاذا صحت صح بها كل مسألة وحال وذوق واذا لم يصحها العبد ، فالفساد لازم له في علومه واعماله . وقال ابن القيم : الاله هو الذي تأله القلوب محبة واجلالا واثابة واكراما وتعظيما وذلا وخضوعا وخوفا ورجاء وتوكلا ، وقال ابن رجب الاله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له واجلالا ومحبة وخوفا ورجاء وتوكلا عليه وسؤالاً منه ودعاء له ، ولا يصلح ذلك كله إلا الله عز وجل فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الامور التي هي من خصائص الالهية ، كان ذلك قدحا في إخلاصه في قول لا إله إلا الله ، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك ، وقال شيخ الاسلام رحمه الله وجماع الامر أن الشرك نوعان : شرك في ربوبيته بأن يجعل لغيره معه تدبيراً ما قال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير) فبين أنهم لا يملكون مثقال ذرة استقلالاً ولا يشركون في شيء من ذلك ولا يعينونه على ملكه فلم يكن مالكا ولا شريكا ولا عويناً ، فقد انقطعت علاقته وشرك في الالهية بأن يدعى غيره دعاء عبادة أو دعاء مسألة ، كما قال تعالى (اياك نعبد وإياك نستعين) فكما أن إثبات المخلوقات أسباباً لا يقدر في توحيد الربوبية ولا تمنع أن يكون الله خالق كل شيء ولا توجب ان يدعى المخلوق دعاء عبادة أو دعاء استعانة كذلك اثبات بعض الافعال المحرمة من شرك أو غيره أسباباً لا تقدر في توحيد الالهية ولا تمنع أن يكون الله هو الذي يستحق الدين الخالص ولا يوجب أن تستعمل الكلمات والافعال التي فيها شرك اذا كان الله يسخط ذلك ويعاقب عليه ، ويكون مضرة ذلك على العبد أكثر من منفعة ، إذ قد جعل الخير كله في أن لا نعبد إلا إياه ولا نستعين إلا به ، انتهى . فاذا تبين لك حقيقة توحيد الالهية وحقيقة توحيد الربوبية وعلمت ان الفرق بين توحيد

الربوبية وتوحيد الألوهية هو ما حققه علماء الاسلام وأئمة الدين والهدى ،
تبيين لك ضلال هؤلاء الغلاة الملاحدة .

وأما قوله : ان توحيد الألوهية هو ان لا يستعبدك من الاكوان غير الله .
فأقول : ليس هذا توحيد الإلوهية ، بل توحيد الألوهية هو ما قدمناه من
كلام أئمة الاسلام ، وإنا هذا من كلام اهل السلوك وليس هو من أعلام مقامات
السائرين إلى الله فان هذا المقام عندهم هو مقام المحو ومقام الفناء الذي هو غاية
الغايات عندهم . قال ابن القيم رحمه الله : وينبغي ان يعرف ان مراعاة مقام
الفناء الذي جعلوه غاية آل بكثير من طالبيه الى ترك القيام بالأعمال جملة
ورأوا أنها علل قاطعة عنه ، واشتد نكير الشيوخ والأئمة عليهم ، حتى قال
شيخ الطائفة الجنيد : ان الذي يزني ويسرق خير من هؤلاء ، هم نوعان : نوع
جرّدوا الفناء في شهود الحكم وهو الحكم القدري ورأوا انه غاية نهاية التوحيد
فآل بهم استغراقهم فيه إلى اطراح الاسباب ، حتى قال قائلهم العارف
لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا لاستبصاره بسر الله في القدر . والنوع
الثاني أصحاب تجريد الفناء والارادة فجرّدوا الفناء والارادة تجريدًا آل بهم إلى
ترك الاسباب جملة ، والطائفتان منحرفتان خالتان عن العلم والدين ، واطال
الكلام في هذا المقام ، والمقصود ان هذا الكلام الذي ذكره ليس هو من
مقام توحيد الألوهية ولا مقام أولياء الله المخلصين على الحقيقة ، ولا هو مقام
الرسول عليهم الصلاة والسلام .

وأما قوله : ولكن ليس هو من اهل بل هو من عبيد الهوى والنفس فأقول
ان الشيخ رحمه الله لم يدّع انه من اهل السلوك ولا من اهل الفناء
ومحو الاسباب حتى يعاب عليه بترك هذا المذهب ، مع ما في هذا المذهب
مما مر بيانه عن ابن القيم رحمه الله ، بل كان رحمه الله من اهل التوحيد الداعين
إليه وإلى تجريده أعني توحيد الألوهية والعبادة ، فقام أشد القيام في الدعوة
إلى الله وإلى توحيده بجميع أنواع العبادة وجاهد على ذلك حتى أظهر الله
دين الاسلام في جميع الاقطار وانتشر فيها اعظم انتشار ، ولم يكن والله

الحمد من عبيد الهوى بل كان هواه فيما يرضي مولاه وعلى سنة رسول الله، ولم يحكم
رحمه الله بكفر الموحدين ولا خالف أئمة الدين، بل حكم بكفر عبادة القبور
من المشركين وتكفير الطواغيت من الأئمة المضلين الداعين إلى عبادة غير الله
والضادين عن سبيل الله المتبعين غير سبيل المؤمنين.

وأما قوله : والعجب كل العجب بمن يدعي مقام أولياء الله المنطرحين بين
يديه المتوكلين في جميع أمورهم عليه مع أنه لم يزل معتمداً على أسبابه الدنيوية
التي يرجو النفع منها لنفسه ومجانبا للأسباب التي يخاف الضرر منها على نفسه
حتى يكاد خوفه ورجاؤه للأسباب إلى آخره.

فأقول : إن الاعتماد على ترك الأسباب قدح في التوكل ومحو الأسباب إن
تكون أسبابا قدح في التوحيد ولا ريب أن الله سبحانه وتعالى قضي الإفضية
المقتضية ولكن قدرها بأسبابها المقتضية لها ، فلا يكون وقوف العبد على فراغه
سبحانه من أفضيته في خلقه وتدينه مانعا من قيامه بالأسباب التي جعلها طرقا
لحصول ما قضاها منها ، وكذلك يباشر العبد الأسباب التي بها حفظ حياته من
الطعام والشراب واللباس والمسكن ولا يكون وقوفه مع فراغ المدير منها
مانعا له من تعاطيها ، وكذلك يباشر الأسباب الموجبة لبقاء النوع من
التكاثر والتسري ، ولا يكون وقوفه مع فراغ الله من خلقه مانعا ومكذبا
جميع مصالح الدنيا والآخرة ، وإن كانت مفروغا منها قضاء وقدر ، فهي
منوطة بأسبابها التي يتوقف حصولها عليها شرعا وخلقا ، وكان أكمل العارفين
بالله وأعظم المتوكلين عليه سيد ولد آدم عليه السلام يدخر لاهله قوت سنتهم وظاهر
يوم أحد بين درعين واختني في الغار غار ثور ثلاثة أيام خشية الطلب ، وابنتي
عزى يوم بدر وجعل فيه الحرس وقال للفر الذي سألوها عن عبادة رسول الله
ﷺ فكأنهم تقالوها « لكنني أصوم وأفطر وأكل اللحم واتزوج النساء فمن
رغب عن سنتي فليس مني » وقال « جعل رزقي تحت ظل رمحي » وقد كان
يحاذر الأسباب التي يخاف الضرر منها على نفسه وعلى أصحابه ويبدل الأسباب
التي يرجو منها لنفسه ولأصحابه فإذا كان هذا حال رسول الله ﷺ وحال

أصحابه أفيعاب الشيخ باتباع رسول ﷺ ، ؟ والشيخ رحمه الله لم يدع شيئاً مما قاله هذا المفتري لنفسه فلم ينهك رحمه الله في مطالعة الأسباب ولا غفل والله الحمد عن رب الارباب ، بل المعروف من حاله قلة رغبته في الدنيا والهلل عليها ، وإنما رغبته رحمه الله في الدار الآخرة وفي الأمور التي يرجو بها منازل الأبرار وينجو بها من النار وغضب الجبار ، وكان كثير التضرع إلى الله والافتقار والتعلق بين يديه في الأسحار ، وبالجملة فكان على طريقة السلف الصالح والصدر الأول وعلى ما كان عليه الأئمة الاعلام في جميع أنواع الدين يوالى الله ويعادى الله أعداء الله ورسوله ، فرحمه الله من إمام ما أحسن أثره على الناس وما أقبح أثر الناس عليه ، ثم إن هذا المحدث لم يكن له خبرة بأحوال الشيخ جليها وخفيها ولم يكن من أهل بلده وإنما يتلقى هذه الجوانات من أوضاع أهل الفجور والقول بالزور ويزيد من عند نفسه أموراً منكراً ، لينفر عما جاء من التوحيد أشباه الحمر المستنيرة التي فرت من قسورة . وقوله : وإنما ينسب الشرك الأصغر بل الأكبر المحدث في النار مع الكفار ينسبه إلى من يتوسل برسول الله ﷺ أو بأحد من أولياء أمته وجعله سبباً يتوصل إليه به إلى طلبته من مولاه إلى آخر كلامه . فأقول : التوسل في عرف الصحابة والتابعين : هو طلب الدعاء من الرسول في حياته ، كما كانوا يتوسلون به عند القحط ، فيدعوا الله ويستقيهم فيسقيهم الله ثم بعد مماته توسل عمر بدعاء عمه وقد تقدم بيانه ، فهذا هو التوسل المشروع ، والشيخ لا يمنع من هذا ولا ينكره ، والتوسل في عرف غلاة عباد القبور ، هو دعاء الموتي والغائبين والاستغاثة بهم في كشف الشدائد والمهمات وطلب قضاء الحاجات ومعافاة أولي العاهات إلى غير ذلك من أنواع الطلبات ، فالتوسل بهذا العرف ينكرها الشيخ وينسب من فعله إلى الشرك الأكبر ومعه الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة وأئمتها وقد تقدم بيان ذلك ، وأما زعمه أن الشيخ لم يزل معتمداً على أسبابه الدنيوية التي يرجو النفع منها لنفسه ومجانبة الأسباب التي يخاف الضرر منها على نفسه حتى يكاد خوفه ورجاؤه للأسباب يدخلانه في الشرك بالله .

فأقول : اما كون الشيخ يعتمد على الاسباب فكذب وزور ونحرص
وفجور ، واما كونه بمثابة أمر رسول الله ﷺ في قوله : احرص على ما ينفعك
واستعن بالله ولا تعجزن « الحديث فنعم لان المراد بالحرص في الحديث أن
يحرص العبد على فعل الاسباب والتي تنفع العبد في دنياه وأخراه بما شرعه الله
تعالى لعباده من الاسباب الواجبة والمستحبة والمباحة ويكون العبد في
حال فعل السبب مستعيناً بالله وحده دون كل ما سواه لئتم له سببه
ولا ينفعه سببه الا إذا نفعه الله به ، فيكون اعتماده في فعل السبب على الله
تعالى ، ففعل السبب سنة ، والتوكل على الله توحيد ، فإذا جمع بينهما تم له
حرامه بإذن الله . وقوله : فياليت شعري من أحل هذه الاسباب وتعاطيها
وحرم تلك الاسباب وتعاطيها ؟ ؟ .

فأقول : الذي أحل هذه الاسباب وتعاطيها مع عدم الاعتداد عليها رسول
الله ﷺ سيد ولد آدم امام المتوكلين وقدوة الموحدين ، بقوله في الحديث الصحيح
الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال
« المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على
ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا
وكذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل
الشیطان » واما مع الاعتداد عليها فهو قدح في التوكل ، قال شيخ الاسلام :
فالالتفات الى الاسباب شرك في التوحيد ومحو الاسباب أن تكون أسبابا
نقص في العقل ، والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع والذي
حرم تلك الاسباب الشركية رسول الله ﷺ حيث قال : لعدي ابن حاتم حين
سمعه يقرأ هذه الآية (اتخذوا ايجابهم ورهبانهم أربابا من دون الله) الآية ،
قال عدي : قلت يا رسول الله انا لسنا نعبدهم ، قال : أليس يحرمون ما أحل
الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه ، فقلت بلى ، قال : فتلك عبادتهم
رواه أحمد والترمذي وحسنه ، وقوله ﷺ لما قال بعض الصحابة قوموا

بنا نستغث برسول الله ﷺ من هذا المنافق ، فقال ﷺ « انه لا يستغاث
بي وإنما يستغاث بالله عز وجل » وقوله ﷺ « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد
استند غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وقوله ﷺ « لعن الله
زترات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وفي الصحيح عن عائشة
رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة
وما فيها من الصور ، فقال « أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد
الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق
عند الله » وفي الصحيحين عنها رضي الله عنها ، قالت لما نزل برسول الله
صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا اغتم بها كشفها
فقال وهو كذلك « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم
مساجد يحذر ما صنعوا » ولولا ذلك لا برز قبره غير أنه خشي أن يتخذ
مسجداً ، والاحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً ، فهذه الاسباب التي حذر
عنها رسول الله ﷺ ولعن فاعلمها هي دين أكثر الناس اليوم فانهم قد
افتتنوا بتعظيم القبور ودعاء أربابها والاستغاثة بهم وطلب الحاجات منهم
وكشف الكربات منهم ، وهذا هو الشرك الذي حرمه الله ورسوله وقال
شيخ الاسلام ابن تيمية بعد كلام ذكره الخامس ان يقال نحن لا تنازع في
اثبات ما اثبته الله من الاسباب والحكم لكن من هو الذي جعل
الاستغاثة بالخلق ودعاءه سبباً في الأمور التي لا يقدر عليها الا الله ، ومن
الذي قال أنك اذا استغثت بميت او غائب من البشر نبياً كان أو غيره كان
ذلك سبباً في حصول الرزق والنصر والهدى وغير ذلك بما لا يقدر عليهم الا الله ،
ومن الذي شرع ذلك وأمر به ، ومن الذي فعل ذلك من الانبياء والصحابة
والتابعين لهم باحسان ، فان هذا المقام يحتاج الى مقدمتين احدهما ان هذه
الاسباب مشروعة لا يحرم فعلها ، فانه ليس كل ما كان سبباً كونياً يجوز
تعاطيه ، فان المسافر قد يكون سفره سبباً لاخذ ماله ، وكلاهما محرم ،

والدخول في دين النصراني قد يكون سبباً لما يعطونه وهو محرم ، وشهادة الزور قد تكون سبباً لنيل المال يؤخذ من المشهود له وهو حرام ، وكثير من الفواحش والظلم قد تكون سبباً لنيل مطلب وهو محرم والسحر والكهانة سبب في بعض المطالب وهو محرم وكذلك الشرك كدعوة الكواكب والشياطين ، بل وعبادة البشر قد تكون سبباً لبعض المطالب وهو محرم ، فان الله تعالى حرم من الاسباب ما كان مفسدته راجحة على مصلحته كالخمر وان كان يحصل به بعض الاغراض احياناً ، وهذا المقام مما يظهر به ضلال هؤلاء المشركين خلقاً وامراً ، فانهم مطالبون بالادلة الشرعية انتهى .

واما قوله : أما الشرك الجلي وهو شرك في ذات المعبود او في صفاته او في افعاله فهو محال شرعاً وعقلاً عند جميع المسلمين قال تعالى (ولهمكم إله واحد) والواحد يستحيل ان يكون له ثان ، وهذا معنى الوجدانية فاقول هذا هو الشرك في توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون واعترفوا به كما تقدم بيانه في الآيات ، وكلام العلماء وفي كلام شيخ الاسلام قريباً ولم يدخلهم اقرارهم بربوبيته ووحدانيته في الاسلام ، حيث لم يقرؤا بتوحيد الالهية وهو افراد الله بالعبادة ، فان توحيد الربوبية ان توحيد الله بأفعاله الصادرة منه تعالى كالرزق والخلق والاحياء والامانة وانبات النبات وتدبير الأمور ، وان الله تعالى هو النافع الضار وأنه رب كل شيء ومليكه ، وكذلك توحيد الاسماء والصفات فانه لا سمي له ولا كفو ولا مثل له في ذاته واسمائه وصفاته ، وتوحيد الالهية أن يوحد العبد ربه بأفعاله الصادرة منه كالصلاة والزكاة والحج والصوم والحب والتعظيم والخوف والرجاء والتوكل والاستغاثة والذبح والنذر الى غير ذلك من انواع العبادة التي هي محتجة بالله فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو كافر مشرك ، ومن أتى بهذه العبادات وأخلصها لله وحده نفعه الاقرار بتوحيد الربوبية وتوحيد الاسماء والصفات ولذلك لما قال رسول الله ﷺ لكفار قريش المقرين بربوبية الله وانه الخالق والفاعل للأشياء دون ما سواه

والدخول في دين النصراني قد يكون سبباً لمال يعطونه وهو محرم ، وشهادة الزور قد تكون سبباً لنيل المال يؤخذ من المشهود له وهو حرام ، وكثير من الفواحش والظلم قد تكون سبباً لنيل مطلب وهو محرم والسحر والكهانة . سبب في بعض المطالب وهو محرم وكذلك الشرك كدعوة الكواكب والشياطين ، بل وعبادة البشر قد تكون سبباً لبعض المطالب وهو محرم ، فان الله تعالى حرم من الاسباب ما كان مقصدته واجحة على مصلحته كالخمر وان كان يحصل به بعض الاغراض احياناً ، وهذا المقام مما يظهر به ضلال هؤلاء المشركين خلقاً وامراً ، فانهم مطالبون بالدلة الشرعية انتهى .

واما قوله : أما الشرك الجلي وهو شرك في ذات المعبود او في صفاته او في افعاله فهو محال شرعاً وعقلاً عند جميع المسلمين قال تعالى (وإلهكم إله واحد) والواحد يستحيل ان يكون له ثان ، وهذا معنى الوجدانية فاقول هذا هو الشرك في توحيد الربوبية الذي أقرب به المشركون واعترفوا به كما تقدم بيانه في الآيات ، وكلام العلماء وفي كلام شيخ الاسلام ، قريباً ولم يدخلهم اقرارهم بربوبيته ووحدانيته في الاسلام ، حيث لم يقرؤا بتوحيد الألوهية وهو افراد الله بالعبادة ، فان توحيد الربوبية ان توحيد الله بأفعاله الصادرة منه تعالى كالرزق والخلق والاحياء والاموات وانبات النبات وتغيير الأمور ، وان الله تعالى هو النافع الضار وأنه رب كل شيء ومليكه ، وأنه لا سمي له ولا كفو ولا مثيل له في ذاته واسمائه وصفاته ، وتوحيد الألوهية أن يوحد العبد ربه بأفعاله الصادرة منه كالصلاة والزكاة والحج والصوم والحب والتعظيم والخوف والرجاء والتوكل والاستغاثة والذبح والنذر الى غير ذلك من أنواع العبادة التي هي مختصة بالله فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو كافر مشرك ، ومن أتى بهذه العبادات وأخلصها لله وحده نفعه الاقرار بتوحيد الربوبية وتوحيد الاسماء والصفات ولذلك لما قال رسول الله ﷺ لكفار قريش المقرين بربوبية الله وأنه الخالق والفاعل للأشياء دون كما سواه

« قولوا لا إله الا الله » قالوا اجعل الآلهة إلهاً واحداً. ان هذا الشيء عجاب
وقد تقدم بيان توحيد الربوبية وتوحيد الالهية في كلام شيخ الاسلام وابن القيم
وغيرهما من العلماء ، ولكن من يرد الله فتنته فلن يملك له من الله شيئاً ومن
يجعل الله له نوراً فما له من نور .

فصل

قال الملحد الفصل الخامس . أعلم ان تكفير المسلمين بلا حجة واضحة عليه
عظيم ورده كبير ، لانك حكمت عليهم بالخلود في النار بلا دليل واضح ،
والله در المؤلف المحقق في الفصول المتقدمة لبيان الحق الجلي ، وسنذكر كلام
شيخ الاسلام بن تيمية الحافظ مع انه هو حجته وامامهم ومعتد بهم على كلامه
وان خالفه غيره حتى الامام احمد بن حنبل المجتهد المستقل المطلق رحمه الله
تعالى فنقول : قال بن تيمية رحمه الله تنبيه ، أما أهل السنة فاجمعوا على ان
الجاهل والمخطيء من هذه الامة ولو عمل من الشرك والكفر ما يكون صاحبه
مشركاً أو كافراً انه يعذر بالخطأ والجهل حتى يتبين له الحجة التي يكفر تاركها
وهي ان يدعوه إمام أو نائبه ويبين له بياناً واضحاً لا يلتبس على مثله .
ومن اصول أهل السنة ان من تكلم من المسلمين بكلمة كفر لا يعرف معناها
فليس بكافر باجماع السلف والخلف من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والصوفية
وغيرهم من أهل النظر والاجتهاد انتهى .

فالجواب ان نقول : تكفير المسلمين بلا حجة واضحة عظيم ، والشيخ
رحمه الله لا يكفر احداً من المسلمين بعظيم ذنب ارتكبه أو جرم اجتراه ،
ولا يحكم على احد من أهل القبلة باينوا لعباد القبور بالخلود في النار . واما
ما ذكره من شأن المؤلف للفصول المتقدمة ، فبئس ما حرره فيها من الاكاذيب
الموضوعة والاقاويل المصنوعة وما قرر فيها من الشرك بالله والكذب على
العلماء فلا دردره من خانع أثيم وآفكٍ ماذق مارق لثيم . وأما كون

شيخ الاسلام وعلم الاعلام حجتنا وامامنا ومعتمدنا على كلامه . فأقول : نعم
الامام المقتضي به فحجتنا وحجته وامامنا وامامه وعمدتنا وعمدته الكتاب
والسنة وأقوال سلف الامة وأئمتها فله الحمد وله المنة وله الثناء الحسن لا نحصى
ثناء عليه بل هو كما اتني على نفسه وفوق ما يثني عليه أحد من خلقه وأما ما نقله
عن شيخ الاسلام بن تيمية فهذا النقل لم أقف عليه بهذا الرضع الذي نقله هذا
المحرف للكلم عن مواضع من شيخ الاسلام ولا شك أنه قد تصرف فيه وغير
بعض ألفاظه ، وعلى تقدير صحته وثبوته بهذا اللفظ عن شيخ الاسلام ، ففرضه
في أهل الاهواء الذين لم يخرجهم بدعتهم عن الملة وفي المسائل النظرية والاجتهادية
التي قد يخفى دليلها على بعض الناس وفيمن لم يبلغه الدعوة ولم تقم عليه الحجة .
وأما مسألة توحيد الله وإخلاص العبادة له فلم ينازع في وجوبها أحد من أهل
الاسلام لا أهل الاهواء ولا غيرهم ، وهي معلومة من الدين بالضرورة ومن
بلغته الرسالة وتصورها على ما هي عليه ، عرف ان هذا زبدتها وحاصلها وسائر
الأحكام تدور عليه . قال تعالى (قل انما يوحى الى انما الحكم إله واحد فهل أنتم
مسامون) ووجه الحصر ما أشرنا اليه من التوحيد هو الأصل المقصود بالذات
فراجع كلام المفسرين ، وأما كلامه في عدم تكفير الجاهل والمخطيء فالمقصود
به مسائل مخصوصة قد يخفى دليلها على بعض الناس كما في مسائل القدر والارجاء
ونحو ذلك مما قاله أهل الاهواء ، فان بعض أقوالهم تتضمن أموراً كفرية من
رد أدلة الكتاب والسنة المتواترة النبوية فيكون القول المتضمن لرد بعض
النصوص كفراً ولا يحكم على قائله بالكفر لاحتمال وجود مانع كالجهل وعدم
العلم بنفس النص أو بدلالته ، فان الشرائع لا تلزم إلا بعد بلوغها ولذلك ذكر
هذا في الكلام على بدع أهل الأهواء وقد نص على هذا فقال : في تكفير اناس من
أعيان المتكلمين بعد أن قرر هذه المسألة قال : وهذا اذا كان في المسائل الحقة
فقد يقال بعدم التكفير ، وأما ما يقع منهم في المسائل الظاهرة الجليلة أو ما يعلم
من الدين بالضرورة فلا يتوقف في كفر قائله .

وأما قوله : حتى يتبين له الحجة التي يكفر تاركها وهو أن يدعو امام أو نائبه ويبين له بيانا واضحا لا يلتبس على مثله . فأقول : هذا لم أجده في كلام شيخ الاسلام والذي قال رحمه الله من غير زيادة ولا نقصان في أثناء كلام له قال ونحن نعلم . بالضرورة ان رسول الله ﷺ لم يشرع لأئمة ان يدعو أحدا من الاموات لا الانبياء والصالحين ولا غيرهم لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها ، كما انه لم يشرع لأئمة السجود لميت ولا الى غير ميت ونحو ذلك ، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الامور ، وان ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله ، ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين لهم ما جاء به الرسول بما يخالفه الى آخر كلامه رحمه الله ، فزاد هؤلاء المحرفون هذه الزيادة وكتبوها بالياء التحتية المثناة ثم المثناة الفوقية وحرفوا وتصرفوا . ومراد شيخ الاسلام بن تيمية بهذا الاستدراك ان الحجة انما تقوم على المكلفين ويتربح حكمها بعد بلوغ ما جاءت به الرسل من الهدى ودين الحق وزبدة الرسالة ومقصودها الذي هو توحيد الله واسلام الوجه له واناية القلوب اليه قال الله تعالى (وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا) وقد مثل العلماء هذا الصنف بمن نشأ ببادية أو ولد في بلاد الكفار ولم تبلغه الحجة الرسالية . ولذلك قال الشيخ لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين . وقد صنف رسالة مستقلة في أن الشرائع لا تلزم قبل بلوغها وأكثر العلماء يسمون هذا في الجملة ويرتبون عليه أحكاما كثيرة في العبادات والمعاملات وغيرها فمن بلغته دعوة الرسل الى توحيد الله ووجوب الاسلام له وفقه أن الرسل جاءت بهذا لم يكن له عذر في مخالفتهم وترك عبادة الله ، وهذا هو الذي يجزم بتكفيره اذا عبد غير الله وجعل معه الانداد والآلهة ، والشيخ وغيره من المسلمين لا يتوقفون في هذا ، وشيخنا رحمه الله قد قرر هذا وبينه وفاقا لعلماء الامة واقتداء بهم ولم يكفر إلا بعد قيام الحجة وظهور الدليل ، اصتي نه رحمه الله توقف في تكفير الجاهل من عباد القبور اذا لم يتيسر له

من ينهيه ، وهذا هو المراد بقول الشيخ حتى يبين لهم ما جاء به الرسول ﷺ
فاذا حصل البيان الذي يفهمه المخاطب ويعقله فقد تبين له وليس بين بين وتبين
فرق بهذا الاعتبار لأن كل من يبين له ما جاء به الرسول واصر وعاند فهو غير
مستجيب والحجة قائمة عليه سواء كان اصراره لشبهة عرضت كما وقع للنصارى
وبعض المشركين من العرب ، أو كان ذلك عن عناد وجحود واستكبار ،
كما جرى لفرعون وقومه وكثير من مشركي العرب ، فالصنفان يحكم بكفرهم
اذا قامت الحجة التي يجب اتباعها ، ولا يلزم ان يعرف الحق في نفس الامر
كلهم عرفته اليهود وأمثالهم ، بل يكفي في التكفير الحجة وعدم قبول ما جاءت
به الرسل ، قال تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن
ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً) الى قوله (ومن لم يجعل الله له نورا فلا من
نور) وقال تعالى (وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً) الآية وقال
تعالى (أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون انهم الا كالانعام بل هم
أضل سبيلاً) وقال تعالى (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب
لا يفقهون بها) الى قوله (أولئك هم الغافلون) وقال تعالى (قل هل ننبئكم
بالاخسرين اعمالاً الذين ضلوا سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعاً) وقال تعالى (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً) وقال تعالى (فريقاً
هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله
ويحسبون انهم مهتدون) ونحو ذلك من الآيات ، واذا بلغ النصراني ما جاء به
الرسول ولم ينقد له لظنه انه رسول الامين فقط فهو كافر ، وان لم يتبين له
الصواب في نفس الامر ، وكذلك كل من بلغته دعوة الرسل بلوغاً يعرف
منه المراد والمقصود فرد ذلك لشبهة أو نحوها فهو كافر ، وان التبس عليه
الامر وهذا لا خلاف فيه . وهذا المعترض من أجهل الناس بأحكام الشرع
وسبل الهدى واطنه لا يحفظ كتاب الله ولا يدرى ما فيه من النصوص . قال
الله تعالى (وما كان الله ليضل قوماً بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون)

ولم يقل حتى يتبين لهم وقال تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه
ليبين لهم) الآية وقد نص شيخنا رحمه الله في جوابه لمن سأل عن هذه المسألة
قال رحمه الله أصل الاشكال انكم لم تفرقوا بين بلوغ الحجة ، وفهم الحجة
وبلوغ الحجة لا بد فيه من الحكم بما تقتضيه الحجة والدليل ، واما فهم الحجة
فلا يشترط ، قال الله تعالى (أم تحسب ان أكثرهم يسمعون ويعقلون انهم
الا كالانعام بل هم اضل سبيلا) انتهى بمعناه ، وقال تعالى (وجعلنا على قلوبهم
أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) فتبين بهذا أن فهم الحجة غير بلوغها وان هذا
لا يشترط في بلوغ الحجة .

وأما قوله : ومن أصول أهل السنة أن من تكلم من المسلمين بكلمة كفر
لا يعرف معناها فليس بكافر باجماع السلف والخلف الى آخره .

فأقول : هذا قبل بلوغ الحجة ، وتعريفه بأن من قال هذه الكلمة يكفر
فإذا بلغت الحجة وقامت عليه فانه يكفر بالاجماع ولا يشترط في بلوغ الحجة
وقيامها أن يفهم عن الله ورسوله ما يفهمه أهل الايمان والقبول والالتقياد لما
جاء به الرسول .

وأما قوله قال : وكنت اقرر أن الله قد غفر لهذه الامة خطاياها ، وذلك
يعم الخطأ في المسائل الخبرية والمسائل العلمية .

فأقول : قد أسقط من كلام الشيخ ما بين مراده ومقصوده ، وأول
الكلام قال : اني دائماً ومن جالسنى يعلم اني من أعظم الناس نهياً من أن
ينسب معين الى تكفيراً أو تقسيقاً أو معصية إلا اذ علم أنه قد قامت عليه الحجة
الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً أخرى وعاصياً أخرى ، واني
اقرر ان الله قد غفر لهذه الامة الى آخر كلامه رحمه الله . فصار كلام الشيخ
رحمه الله في عدم تكفير المعين قبل قيام الحجة عليه ، والمقصود به مسائل
مخصوصة قد يخفى دليلها على بعض الناس ، كما في مسائل القدر والارجاء ونحو
ذلك بما قاله أهل الاهواء ، فإن بعض أقوالهم تتضمن أموراً كفرية من رد

بعض أدلة الكتاب والسنة المتواترة النبوية ، فيكون القول المتضمن لرد بعض النصوص ككفر أو لا يحكم على قائله بالكفر لاحتمال وجود مانع كالجمل وعدم العلم بنفس النص أو بدلالته ، فإن الشرائع لا تلزم الا بعد بلوغها ، ولذلك ذكر هذا في الكلام على بدع أهل الأهواء ، وقد نص على هذا فقال : في تكفير أناس من أعيان المتكلمين بعد أن قرر هذه المسألة ، قال : وهذا إذا كان في المسائل الحفية ، فقد يقال بعدم التكفير ، وأما ما يقع منهم في المسائل الظاهرة الجلية أو مما يعلم من الدين بالضرورة فلا يتوقف في كفر قائله ، وقد تقدم هذا ، وليس النزاع بيننا وبين هؤلاء الغلاة في المسائل النظرية الحفية الاجتهادية التي يحفى دليلها ، إنما النزاع في صرف خالص حق الله تعالى للاولياء والصالحين من الدعاء والحب والخوف والرجاء والاستغاثة وغير ذلك من أنواع العبادة ، فإن هذا مما يعلم بالضرورة من دين الاسلام انه لا يستحقه الا الله تعالى ، وإن من صرف من هذه الأنواع شيئاً لغير الله فهو كافر مشرك .

وأما قوله : قال واجمع أهل السنة على ان الشخص اذا كان ممن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وحصل منه بعض الاشارة في العبادة جهلاً وتقليداً أو تأويلاً لم يلحق بالكافر المكذب برسول الله ﷺ ، بل غايته ان يكون من عصاة الموحدين ، فإن كان مجتهداً فالاثم موضوع عنه ويثاب على اجتهاده ، وإن كان جاهلاً فهو معذور ايضاً ، انتهى . فأقول : لم أقف على هذا الكلام بعينه من كلام شيخ الاسلام ، والغالب على هؤلاء الملاحدة التحريف والتصريف ، والذي نعرفه من كلام شيخ الاسلام قوله : وإذا كان كذلك فالخطيء في بعض المسائل إما ان يلحق بالكفار من المشركين وأهل الكتاب مع مباينته لهم في عامة اصول الايمان ، فإن الايمان بوجوب الواجبات الظاهرة المتواترة وتحريم المحرمات الظاهرة هو من اعظم اصول الايمان وقواعد الدين ، وإذا كان لا بد من إلحاقه اي الخطيء بأحد الصنفين ، فالحاقه بالمؤمنين الخطئين أشد شبهاً من إلحاقه بالمشركين ، وأهل الكتاب مع العلم بأن كثيراً

من اهل البدع منافقون النفاق الاكبر فما أكثر ما يوجد في الرافضة والجهمية ونحوهم زنادقة منافقون أولئك في الدرك الاسفل من النار . فتبين بهذا مراد الشيخ وانه في طوائف مخصوصة وان الجهمية غير داخلين وكذلك المشركون واهل الكتاب لم يدخلوا في هذه القاعدة ، فإنه منع إلحاق المخطيء بهذه الاصناف مع مباينته لهم في عامة اصول الايمان ولم يقع منه شرك اكبر ، وإنما وقع في نوع من البدع فهذا لا نكفره ولا نخرجه من الملة وان كان ما أورده هذا الملمد عن شيخ الاسلام صحيحاً سالمساً من التصرف والتحريف فمراده انه إذا حصل منه بعض الاشراك في العبادة الشرك الخفي الذي لا يخرج من الملة إما جهلاً أو تقليداً أو تأويلاً . وأما الشرك الاكبر فهو منافق للايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

واما قوله : فكما لا يكون الكافر مؤمناً إلا باختياره للايمان كذلك لا يكون المؤمن كافراً من حيث لا يقصد الكفر ولا يختاره بالاجماع .

فالجواب ان يقال : نعم لا يكون الكافر مؤمناً إلا باختياره للايمان واما العكس فمعاذ الله فإنه قياس باطل مردود والاجماع المذكور مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ، لأن الذين قالوا ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء ارفع بطوناً ولا اكذب ألسناً ولا اجبن عند اللقاء يعنون رسول الله ﷺ واصحابه القراء لم يقولوها من حيث لم يقصدوا الكفر ولم يختاروه ، وإنما قالوه على وجه المزح واللعب ، فرفع ذلك الى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته . فقال : يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ونحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق ، فقال : أباالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ، وانزل الله (واثن سألهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أباالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) قال شيخ الاسلام : فقد أخبر انهم كفروا بعد إيمانهم مع قولهم إنما تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له بل إنما كنا نخوض ونلعب الى آخر كلامه رحمه الله تعالى . وهذا يفيد الانسان (م ١١ - الاسنة الحداد)

الجذر ، فإن في هذا بيان ان الانسان قد يكفر بكلمة يتكلم بها أو عمل يعمل به ، وأشدّها خطراً ارادات القلوب فهي البحر الذي لا ساحل له ويفيد الخوف من النفاق الاكبر ، فإن الله تعالى اثبت لهؤلاء ايماناً قبل ان يقولوا ما قالوه ، وفي الحديث « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من وضوان الله لا يلقي لها بالا لا يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها وضوانه إلى يوم يلقاه وإنه الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يلقي لها بالا ما يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه » .

واما قوله : واما جحد ذلك جهلاً وتأويلاً فيعذر فيه فلا يكفر صاحبه لما في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ « قال رجل لم يعمل خيراً قط لأهله » وفي رواية « اسرف رجل على نفسه فلما احتضر اوصى بنيه إذا مات فأحرقوه ثم اذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبه عذاباً ما عذبه احداً من المسلمين فلما مات فعلوه ما امرهم به فأمر الله البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه ثم قال لم فعلت هذا ؟ فقال من خشيتك يارب وانت اعلم » فقله : هذا انكار لقدرة الله تعالى عليه وانكار للبعث والمعاد ومع هذا غفر الله له وعذره بجهله .

فالجواب ان يقال : قد تقدم ان الجاهل والخطيء اذا حصل منه قول أو فعل من الاقوال والافعال التي قد يكون القول أو العمل بها كفراً ، فإن الشخص المعين لا يكفر إلا بعد قيام الحجة عليه لاحتمال مانع من الجهل أو الخطأ كهذا الرجل الذي أمر أهله اذا مات أن يحرقوه ، فإن كان موحداً ليس من اهل الشرك فقد ثبت من طريق أبي كامل عن حماد ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة قال : لم يعمل خيراً قط إلا التوحيد ، وليس النزاع فيمن اخطأ أو كان جاهلاً أو متأولاً أو كان من اهل الفترات كهذا الرجل الذي اسرف على نفسه ، فانه قد قام به من خشية الله وخوفه والايام بثوابه وعقابه ما أوجب له ان امر أهله بتخريقه ، فأين هذا من هؤلاء الضلال الذين نبدوا

كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا ما تتلوا الشياطين على دعاء غير الله والشرك
 برب العالمين ؟ فسحقا لهذا الجاهل المقري ، وبعدا لكل ضال غوي ، واعلم انه
 ليس كل خطأ واجتهاد وجهل يغفر لصاحبه ، فقد اخبر الله سبحانه بجهل كثير
 من الكفار مع تصريحه بكفرهم ووصف النصارى بالجهل مع انه لا يشك مسلم
 في كفرهم ونقطع ان اكثر اليهود والنصارى اليوم جهال مقلدون ، ونعتقد
 كفرهم وكفر من شك في كفرهم ، وقد دل القرآن على أن الشك في أصول
 الدين كفر ، والشك هو التردد بين شيئين ، كالذي لا يجزم بصدق الرسول
 ولا كذبه ولا يجزم بوقوع البعث ولا عدم وقوعه ونحو ذلك كالذي لا يعتقد
 وجوب الصلاة ولا عدم وجوبها او لا يعتقد تحريم الزنا ولا عدم تحريمه ، وهذا
 كفر باجماع العلماء ، ولا عذر لمن كان حاله هكذا ، لكونه لم يفهم حجج الله
 وبياناته ، لأنه لا عذر له بعد بلوغها وان لم يفهمها ، وهل اوقع الاتحادية
 والحلولية فيهم عليه من الكفر البراح والشرك العظيم والتعطيل لحقيقة وجود
 رب العالمين ؟ الاخطأهم في هذا الباب الذي اجتهدوا فيه فضلوا واضلوا عن
 سواء السبيل ، وهل اوقع الحلاج بائفاق أهل الفتوى على قتله ؟ الا ضلال
 اجتهداه ، وهل كفر القرامطة وانتحلوا ما انتحلوه من الفضائح الشنيعة وخلع
 ربقة الشريعة ؟ إلا باجتهدهم فيما زعموا ، وهل قالت الرافضة واستباحن
 ما استباحن من الكفر والشرك وعبادة الائمة الاثنا عشر وغيرهم ، ومسبة
 أصحاب رسول الله ﷺ وأم المؤمنين ، إلا باجتهدهم فيما زعموا هؤلاء سلف
 هذا الرجل واسباهه في قوله ان كل خطأ مغفور ، وهذا لازم له لا يحصى عنه ،
 وطرد قول هذا الملحد واستدل له يفيد عدم التائب والتكفير في الخطأ في جميع
 أصول الدين كالإيمان بوجود الله وروبيته وإلهيته وقدره وقضائه والإيمان بصفات
 كماله الذاتية والفعلية ، ومسألة علمه بالحوادث والكائنات قبل كونها ، والمنع
 من التكفير والتائب بالخطأ في مثل هذا كله ، رد على كفر معطلة الذات ومعطلة
 الربوبية ومعطلة الاسماء والصفات ومعطلة أفراده تعالى بالآلهية والقائلين بأنه

لا يعلم الكائنات قبل كونها كغلاة القدرية ، ومن قال بإسناد الحوادث الى الكواكب العلوية ومن قال بالاصلين النور والظلمة فان التزم هذا الملحد هذا فهو اكفر واخل من اليهود والنصارى وان زعم ان ثم فارق بين هذا وبين مسألة النزاع التي هي دعاء الاموات والغائبين فيما لا يقدر عليه إلا رب العالمين فليوجد لنا هذا الفرق ، وليوجد لنا دليلا على صحته ، فان لم يفعل ، بطل تقريره وتأصيله وعلم اهل العلم انه مدلس مشبه ليس من اهل الفقه والدين ، ولا ممن يعرف الاسلام والمسلمين ، ويفرق بين الموحدين والمشركون ، بل هو في ظلمات الطبع والجهل والشك المبين ، وكلام شيخ الاسلام رحمه الله ، انما يعرفه ويدريه من مارس كلامه وعرف اصوله ، فانه قد صرح في غير موضع ان الخطأ قد يغفر لمن يبلغه الشرع ولم تقم عليه الحجة في مسائل مخصوصة اذا اتقى الله ما استطاع ، واجتهد بحسب طاقته ، واين التقوى واين الاجتهاد ؟ الذي يدعيه عباد القبور ، والداعون الموتي والغائبين ، كيف والقرآن يتلى في المساجد والمدارس والبيوت ؟ ونصوص السنة النبوية مجموعة مدونة معلومة الصحة والثبوت .

فصل

ثم ذكر هذا الملحد احاديث يعلم جوابها بما تقدم واقلها ذكرها الشعراني للسبكي وغيره في عدم تكفير اهل الامواء والبدع وغيرنا ممن لا يعرف أمانتهم وديانتهم مما ليس في محل النزاع ، ثم انخرط في السب والتعيب مما لا فائدة في الجواب عنه ، وآخر ما هذابه ، ان قال : وقد بسط السيد محمد البرزنجي صاحب الاشاعة في تأليفه بصحة ايمان ابي طالب ، وفي المقدمة ان علماء الاشاعة والماتريدية اجمعوا على الاعتداد بالايمان بالقلب في الآخرة ، واما في الدنيا ، والاعتداء باللفظ ونكل قلبه الى الله الذي لا يقبل إلا الايمان بالقلب ، ويخرج من النار من في قلبه ادنى ادنى مثقال ذرة من ايمان ، كما ورد في الحديث

وقد علمت ان دعوى اسلام أبي طالب مكابرة ومصادمة لقوله تعالى (ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ماتين لهم انهم اصحاب الجحيم) واما اجماع الاشاعرة والماتريدية ، قولهم واجماعهم يخالف لقول اهل السنة والجماعة ، وكلام اهل السنة والجماعة معروف في ذلك مشهور ، قرره شيخ الاسلام ابن تيمية ، في كتاب الايمان وقرره عبد الله ابن الامام احمد في كتاب السنة فمن اراد الوقوف على ذلك فليراجع كتاب الايمان لشيخ الاسلام ابن تيمية فانه قد بسط القول فيه .

فصل

قال الملحد في الفصل السادس في افتراق الامة وتعريف الفرقة الناجية ، قال فيه وصاحب الدين ، اخبر ان امته ستفترق وامرنا بلزوم السواد الأعظم من الناس ولم يزل اهل الحق ظاهرين ، واكثر الناس من الاشعرية والماتريدية من اتباع المذاهب الأربعة بحمد الله تعالى .
والجواب ان نقول : الفرقة الناجية هم اهل السنة والجماعة كما في الحديث الصحيح « افتقرت اليهود على احدى وسبعين فرقة وافتقرت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة » قالوا : من هي يا رسول الله قال : من كان على مثل ما انا عليه اليوم واصحابي فمن كان على مثل ما كان عليه اصحاب رسول الله ﷺ فهم السواد الأعظم وهم الجماعة ، وان كانوا قليلا يدل عليه حديث عبد الله بن عمرو ، قال قال : رسول الله ﷺ « لآتين على امتي ما اتي على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل » وفيه قالوا من هي يا رسول الله قال : ما انا عليه اليوم واصحابي رواه الترمذي . وقال هذا حديث حسن غريب مفسر . وفي رواية عوف بن مالك قيل يا رسول الله منهم ، من قال : الجماعة وفي رواية انس بن مالك كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة رواهما بن ماجه والأحاديث بعضها يفسر بعض ، فعلم ان السواد الاعظم هو الجماعة وهي الصحابة ، ولعله بهذا المعنى . قال : اسحاق ابن راهويه حين سئل عن معنى حديث عليكم بالسواد الاعظم هو محمد بن اسلم

وأتباعه ، فأطلق على محمد بن اسلم وأتباعه لفظ السواد الاعظم ، تشبيها لهم بالصحابة في شدة ملازمة السنة والتمسك بها ، ولذا كلفه سفيان الثوري يقول المراد بالسواد الاعظم من كان من أهل السنة والجماعة ولو واحدا كذا في الميزان للشعراني ، وفي هذا بيان غلط هذا الملحد في زعمه ان السواد الاعظم هم اكثر الناس ، وقد قال تعالى (وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) وقال (وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) قال ملا سعد الرومي في مجالس الابرار فلا بد لك ان تكون شديد التوقي من محدثات الامور . وان اتفق الجمهور فلا يغرنك اتفاقهم على ما احدث بعد الصحابة ، بل ينبغي لك ان تكون حريصا على التفتيش عن احوالهم واعمالهم ، فان اعلم الناس واقربهم الى الله تعالى تعالى اشبههم بهم ، واعرفهم بطريقهم ، اذ منهم اخذ الدين وهم اصول في نقل الشريعة عن صاحب الشرع . وقد جاء في الحديث « إذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الاعظم » والمراد به لزوم الحق وأتباعه ، وإن كان المتمسك به قليلا ، والمخالف له كثيرا ، لأن الحق ما كان عليه الجماعة الاولى وهم الصحابة ، ولا عبرة بالنظر الى كثرة الباطل بعدهم ، قلت : والاشعرية والماتريدية ممن حدث مذهبهم بعد الصحابة بل بعد الأئمة الاربعة وعلماء الحديث في وقتهم ، وقال ابن القيم في مفتاح دار السعادة في الكلام على قول امير المؤمنين علي بن ابي طالب لزياد بن كميل قوله وأولئك هم الاقلون عددا ، الاعظمون عند الله قدرا ، يعني هذا الصنف من الناس اقل الخلق عددا ، وهذا بسبب عزتهم ، فإنهم قليلون في الناس ، والناس على خلاف طريقهم ، فلمهم نبا وللناس نبا قال النبي ﷺ « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء » فالمؤمنون قليل في الناس والعلماء قليل في المؤمنين ، وهؤلاء قليل في العلماء وإياك ان تغتر بما يغتر به الجاهلون فإنهم يقولون لو كان هؤلاء على حق لم يكونوا اقل الناس عددا ، والناس على خلافهم ، فاعلم ان هؤلاء هم الناس ، ومن خالفهم فمتشبهون بالناس ، وليسوا بالناس ، فما الناس

إلا اهل الحق وان كانوا اقلهم عدداً إلى آخر كلامه . وقد قال الفضيل بن عياض ما معناه إلزم طرق الهدى ، ولا يغرك قلة السالكين ، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين ، وقال بعض السلف إذا وافقت الشريعة ولاحضت الحقيقة ، فلا تبال وان خالف رأيك جميع الخليفة ، وقال الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى في إغاثة اللهفان ، فالبصير الصادق لا يستوحش من قلة الرفيق ولا من فقدته ، إذا استشعر قلبه مرافقة الرعيل الاول الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، فتفرّد العبد في طريق طلبه ، دليل على صدق طلبه ، إلى ان قال : وما احسن ما قال ابو شامة عبد الرحمن بن اسماعيل في كتاب « الحوادث والبدع » حيث جاء الامر بلزوم الجماعة ، فالمراد به لزوم الحق واتباعه ، وإن كان المتمسك به قليلا والمخالف له كثيراً لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الاولى من عهد النبي ﷺ واصحابه ولا تنظر إلى كثرة اهل الباطل بعدهم ، قال : عمرو بن ميمون الاوزدي صحبت معاذ بن جبل باليمن فما فارقتة حتى واريته في التراب بالشام ، ثم صحبت بعده أفقه الناس عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فسمعتة يقول : عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة ، ثم سمعتة يوماً من الايام وهو يقول : سيأتي عليكم ولادة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها فصلوا الصلاة لميقاتها فهي الفريضة وصلوا معهم فإنها لكم نافلة ، فقلت يا اصحاب محمد ما ادري ما تحدثونا ، قال : وما ذاك ؟ قلت : تأمرني بالجماعة وتحضني عليها ثم تقول صل الصلاة وحدك وهي الفريضة وصل مع الجماعة وهي النافلة ، قال يا عمرو بن ميمون قد كنت اظنك من افقه اهل هذه القرية ، اتدري ما الجماعة ؟ الجماعة ما وافق الحق ، وان كنت وحدك ، قال نعم بن حماد : يعني إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل ان تقسد الجماعة ، وإن كنت وحدك فإنك انت الجماعة حينئذ ، وعن الحسن قال : السنة والذي لا إله إلا هو بين العالي والجافي فاصبروا عليها رحمكم الله فإن اهل السنة كانوا اقل الناس فيما بقي الذين لم ينصبوا

مع اهل الاتراف في اترافهم ولا مع اهل البدع في بدعهم وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم فكذلك إن شاء الله تعالى فكونوا .

قلت : فهذا الحسن يقول إن اهل السنة كانوا أقل الناس فيما بقي ، وهذا في وقته ، وهذا الملحد يقول : السواد الاعظم اهل السنة الاشعرية والماتريدية أكثر الناس فأكثر الناس عندهم اهل السنة ، فبعداً له وسحقاً له سحقاً ، وكان محمد بن اسلم الطوسي الامام المتفق على امامته من اتبع الناس للسنة في زمانه ، حتى قال : ما بلغتني سنة عن رسول الله ﷺ الا عملت بها ولقد حرصت على أن اطوف بالبيت ركباً فما مكنت من ذلك ، وسئل بعض اهل العلم في زمانه عن السواد الاعظم الذين جاء فيهم الحديث « إذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الاعظم » من السواد الاعظم ؟ قال : محمد بن اسلم الطوسي هو السواد الاعظم ، انتهى . وانقصود ان السواد الاعظم من هذه الامة من كانوا على مثل ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ في كل ما ينتحلونه ويفعلونه ويقولونه ، والاشعرية والماتريدية ليسوا كذلك ، بل هم من اهل البدع والاهواء ومن الفرق الضالة ، فانهم مخالفون لاهل السنة والجماعة في كثير من الصفات وفي الاعتقادات وبالجملة فليسوا من اهل السنة المحضة الذين لم يشوبها شيء من البدع والاهواء ، وهكذا يكون الجواب عما أورد من الاحاديث في ذكر الجماعة والسواد الاعظم .

واما قوله عن النبي ﷺ لا يخلد في النار من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وفي لفظ يخرج من النار من قال هذا لفظه بحروفه . فأقول : ان قول لا إله إلا الله محمد رسول الله قد قيدت بالقيود الثقال ، وأكثر من يقولها لا يعرف الاخلاص ، وأكثر من يقولها إنما يقولها تقليداً أو عادة ولم يخالط الايمان بشاشة قلبه ، وغالب من يفتر عند الموت وفي القبور امثال هؤلاء ، وقد جاء في الحديث الصحيح في حديث عتيان وفيه « ان الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله » وهو بطوله في الصحيحين وفي صحيح البخاري بسنده عن قتادة ، قال حدثنا انس بن مالك ان النبي ﷺ

ومعاذ رديفه على الرجل فقال : « يا معاذا قال ليبيك يا رسول الله وسعديك
قالها ثلاثا قال : ما من احد يشهد أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله صدقاً
من قلبه إلا حرمه الله على النار » الحديث ، وفي الصحيحين أيضاً عن النبي ﷺ
انه قال « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه
وحسابه على الله » وهذا الحديث في صحيح مسلم عن أبي مالك الاشجعي
فعلق عليه عصاة المال والدم في هذا الحديث بأمرين . الاول : قول لا إله
إلا الله عن علم ويقين هو مقيد في قولها في غير ما حديث كما تقدم . الثاني :
الكفر بما يعبد من دون الله ، فلم يكتف باللفظ المجرد عن المعنى بل لابد من
قولها والعمل بها . قال شيخ الاسلام بن تيمية وغيره في هذا الحديث وغيره
انه فيمن قالها ومات عليها كما جاءت مقيدة بقوله خالصاً من قلبه غير شك
فيها بصدق ويقين فان حقيقة التوحيد هو انجذاب الروح الى الله تعالى جملة ،
فمن شهد ان لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة ، لأن الاخلاص هو
انجذاب القلب الى الله تعالى ، بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحا ، فإذا مات
على تلك الحال نال ذلك ، انتهى . فليس كل من قال لا إله إلا الله يكون
موحداً مخلصاً لا يدخل النار ، ولا يخلد فيها ، اما علم هذا الجاهل المركب
ان المنافقين يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله ويصلون ويصومون
ويحجون ويجاهدون مع رسول الله ﷺ وهم في الدرك الاسفل من النار ،
وكذلك اليهود يقولون لا اله الا الله ، وكذلك بنو حنيفة يشهدون
ان لا اله الا الله محمد رسول الله ويصلون ويدعون الاسلام ، وكذلك الذين
حرقهم علي بن ابي طالب رضي الله عنه بالنار ، وهؤلاء الجهلة يقولون ان من
انكر البعث كفر وقتل ولو قال لا اله الا الله ، وان من جحد شيئاً من
اركان الاسلام كفر وقتل ولو قالها ، وكذلك من انكر فرعا مجمعا عليه فليس
كل من قال لا اله الا الله محمد رسول الله يكون مسلماً موحداً . واما نسبه عن
السوسي عن الآمدي في تقسيم الفرق الى ان قال : والتابعة هم الثلاثة والسبعون

وهي التي على ما كان عليه ﷺ واصحابه رضي الله تعالى عنهم ، وهم اهل السنة
الاشاعرة ، وكل الفرق وغيرهم من اهل النار ، انتهى من الحاشية .

فأقول : إذا كان الاشاعرة الضلال هم الذين كانوا على مثل ما كان عليه
اصحاب رسول الله ﷺ وهم اهل السنة وما سواهم من اهل النار ، فأين اهل
الحديث ؟ الذين قال الامام احمد رحمه الله فيهم ان لم يكن اهل السنة والجماعة
اهل الحديث الطائفة المنصورة فلا أدري منهم ، ومن المعلوم ان أئمة الحديث
والفقه والتفسير كسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وسالم
ابن عبد الله وطلحة بن عبيد الله وسليمان بن يسار وامثالهم ، ومن الطبقة الاولى
كمجاهد بن جبر وعطاء بن ابي رباح وحسان بن عطية وامثالهم ، ومن الطبقة
الثانية علي بن الحسين وعمر بن عبد العزيز ومحمد بن سالم الزهري ومالك
ابن انس وابن ابي ذئب وابن الماجشون وكعب بن سلمة وحماد بن زيد
والفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك وابو حنيفة النعمان بن ثابت ومحمد
ابن ادريس الشافعي واسحق بن ابراهيم واحمد بن حنبل ومحمد بن اسماعيل البخاري
ومسلم بن الحجاج القشيري واخوانهم وامثالهم ونظر ائمتهم من اهل الفقه والاثار
في كل مصر وعصر ، لم يكونوا كلهم اشاعرة ولا ماتريدية ، بل مذهب
الاشاعرة والماتريدية يخالف ما عليه هؤلاء الأئمة الاعلام ، فهم على زعم هذا
الملحد من الفرق الضالة ومن اهل النار ، بل كل من كان على مذاهب الأئمة
الاربعة ، فمن لم يكن اشعريا ولا ماترديا فهو من اهل النار ، ومن الفرق
الضالة على قول هؤلاء الملاحدة سبحانه هذا بهتان عظيم ، وقد قال شاعر اهل
السنة الحبر الامام العالم الرباني ابو محمد بن عبد الله الاندلسي القحطاني السلفي
المالكي في قصيدته المشهورة قال فيها :

والآن اهجو الاشعري وحزبه	واذيع ما كتبوا من البهتان
يامعشر المتكلمين عدوتموا	عدوان اهل السبت في الحيتان
كفرتوا اهل الشريعة والهدى	وطغتموا بالبغي والعدوان

فلأ تصرف الحق حتى انه
الله صيرني عصي موسى لكم
بأدلة القرآن ابطال سحركم
هو ملجئي هو مدبري هو منجئي
ان حل مذهبكم بأرض اجديت
إلى ان قال :

ازعمتموا ان القرآن عبارة
إيمان جبريل وإيمان الذي
هذا الجوز والعريض بزعمكم
من عاش في الدنيا ولم يعرفهما
افسلم هو عندكم ام كافر ؟
عظمت السبع السموات العلى
وزعمتم ان البلاغ لاحد
هذي الشفاشي والحارق والهوى

فهما كما تحكون قرآنان
ركب المعاصي عندكم سيان
اهما لمعرفة الهدى اصلا
واقر بالاسلام والفرقان
ام عاقل ام جاهل ام وان ؟
والعرش اخليتم من الرحمن
في آية من جملة القرآن
والمذهب المستحدث الشيطان

في آيات كثيرة تركنا ذكرها لاجل الاختصار ، فهؤلاء الاشاعرة
كما ترى مخالفون لاهل السنة ، بجانبون لهم في اكثر اعتقاداتهم ، ولو لم يكن
إلا نفهم لعلم الله على خلقه ، وتعطيله عن عرشه ، وجحد صفاته ، وزعمهم
ان القرآن عبارة عما في نفس الباري تعالى وتقدس عن قولهم علوا كبيرا .
قال ابن القيم رحمه الله تعالى ومذهبه يعني الاشعري في كلام الله انه معنى واحد
قائم بذات الرب وهو صفة قديمة ازلية ليس بحرف ولا صوت ولا ينقسم ولا له
ايضا ولا له اجزاء ، وهو عين الامر وعين النهي وعين الخبر وعين الاستخبار ،
والكل من واحد ، وهو عين التوراة والانجيل والقرآن والزيور ، وكونه
أمراً ونهياً وخبراً واستخباراً ، صفات لذلك المعنى الواحد لا انواع له ، فانه
لا ينقسم بنوع ولا جزء ، وكونه قرآناً وتوراة وانجيلاً تقسيماً للعبارات عنه لا لذاته

بل اذا عبر عن ذلك المعنى بالعربية كان قرآناً ، وان عبر عنا بالعبرانية كان تورا ، وان عنه بالسريانية كان اسمه إنجيلا ، والمعنى واحد . وهذه الألفاظ عبارة عنه ولا يسيها حكاية ، وهي خلق من المخلوقات وعنه لم يتكلم الله بهذا الكلام ولا سمع من الله وعنده ذلك المعنى سمع من الله حقيقة ، قال بن القيم وجمهور العقلاء : ويقولون ان تصور هذا المذهب كاف في الجزم بطلانه وهو لا يتصور الا كما تتصور المستحيلات المستنعات انتهى باختصار . فمن هذا قوله وهذه نجلته وهو ومن تبعه على هذا المذهب الفاسد ، يكونون هو السواد الاعظم ويكونون من أهل السنة والجماعة المحضة ، نعوذ بالله من هذا القول والله المستعان .

فصل

قال الملحد الفصل السابع فقد تبين وتحقق خلال التجدي ومن تبعه ودعواه انحصار الاسلام فيه وفي اتباعه ، وان من كان على غير ملته ودينه مشترك سواء كان حياً أو ميتاً واستحل دماء المسلمين وأموالهم .
والجواب ان نقول : قد تقدم الجواب عن هذا كله فلا نطيل باعادته وأما قوله ومع ذلك اظهر التجسيم والحركة والانتقال ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً . فأقول : اعلم ان لفظ الجسم لم ينطق به الوحي اثباتاً فيكون له الاثبات ولا نفياً فيكون له النفي ، فمن اطلقه نفياً أو اثباتاً ، سئل عما أراد به ، فان قال : أردت بالجسم معناه في لغة العرب وهو البدن الكثيف الذي لا يسمى في اللغة جسماً سواء فلا يقال للهواء جسم لغة ولا للنار ولا للماء ، فهذه اللغة وكتبها بين اظهرنا بهذا المعنى منفي عن الله عقلاً وسمعا ، وان أردتم به المركب من المادة والصورة والمركب من الجواهر الفردة ، فهذا منفي عن الله قطعاً والصواب نفيه عن الممكنات أيضاً ، فليس الجسم المخلوق مركباً من هذا ولا من هذا ، وان أردتم بالجسم ما يوصف

بالصفات ويرى بالأبصار ويتكلم ويتكلم ويسمع ويبصر ويرضى ويفض ، فهذه المعاني ثابتة لله تعالى ، وهو موصوف بها فلا ننفيها عنه بتسميتكم للموصوف بها جسماً ، وإن أردتم بالجسم ما يشار إليه إشارة حسية فقد أشار أعراف الخلق به بأصبعه رافعا بها إلى السماء بمشهد الجمع الأعظم ، مستشهداً له لا إلى القبلة ، وإن أردتم بالجسم ما يقال إن هو فقد مثل أعلم الخلق به بأئین منها على علوه على عرشه وسمع السؤال بأئین واجاب عنه ولم يقل هذا السؤال إنما يكون عن الجسم ، وإن أردتم بالجسم ما يلحقه من والي فقد نزل جبريل من عنده وعرج برسوله إليه ، واليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه . وعنده المسيح رفع إليه ، وإن أردتم بالحركة والانتقال ان الله تعالى لا ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا ولا يأتي يوم القيامة ولا يجيء ، فقد ثبت ذلك بالكتاب والسنة واجمع على ذلك أهل السنة والجماعة ، وقد ذكر بن القيم رحمه الله تعالى احاديث النزول في الصواعق المرسلة وفي كتابه حادي الأرواح ، وذكر من كلام الأئمة ، ومن الاجوبة العقلية والنقلية ما يكفي ويشفي ، فمن اراد الوقوف عليها فليراجعها هناك . ونذكر من اقوال أئمة السلف شيئاً يسيراً من ذلك ، قال ابو عثمان الصابوني : فلما صح خبر النزول عن رسول الله ﷺ ، اقر به أهل السنة وقبلوا الخبر واثبتوا النزول على ما قاله رسول الله ﷺ ، ولم يعتقدوا تشبيها له بنزول خلقه وعلموا وعرفوا وتحققوا واعتقدوا ان صفات الرب تبارك تعالى لا تشبه صفات الخلق كما ان ذاته لا تشبه ذوات الخلق تعالى الله عن قول المشبهة والمعطلة علواً كبيراً ، ولعنهم لعناً كثيراً ، وقال الامام العارف معمر ابن احمد الاصبهاني شيخ الصوفية في حدود المائة الرابعة قال : احببت أن اوصي اصحابي بوصية من السنة وموعظة من الحكمة واجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر بلا كذب واهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين ، قال : فيها وان الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل ، والاستواء معلوم والكيف فيه مجهول ، وانه عز وجل بائن عن خلقه ، والخلق منه

بائثون ، ولا حلول ولا بمازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة ، لانه الفرد البائث من الخلق الواحد الغني عن الخلق وان الله عز وجل سميع بصير عليم خبير يتكلم ويرضى ويسخط ويضحك ويعجب ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكا ، وينزل كل ليلة الى سماء الدنيا كيف شاء ، ويقول هل من داع فاستجيب له ؟ هل من مستغفر فاغفر له ؟ هل من تائب فأتوب عليه ؟ حتى يطلع الفجر ونزول الرب الى السماء بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل فمن انكر النزول او تأول فهو مبتدع ضال ، وسائر الصفوة على هذا انتهى .

وقال الشيخ الامام أبو بكر احمد بن محمد بن هارون الحلال في كتاب السنة : حدثنا أبو بكر الاثرم حدثنا ابراهيم بن الحارث يعني العبادي حدثنا الليث بن يحيى قال : سمعت ابراهيم بن الاسعث قال : أبو بكر هو صاحب الفضيل قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : ليس لنا أن نتوهم في الله كيف هو ، لأن الله تعالى وصف نفسه فابلق ، فقال (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) فلا صفة ابلق بما وصف به نفسه ، وكل هذا النزول والضحك وهذه المباهات وهذا الاطلاع كما يشاء ان ينزل وكما ان يباهى وكما يشاء ان يضحك وكما يشاء ان يطلع ، فليس لنا ان نتوهم كيف وكيف ، فاذا قال الجهمي : انا أكفر برب ينزل عن مكانه فقل بل او من يرب يفعل ما يشاء ، ونقل هذا عن الفضيل بن عياض جماعة منهم البخاري في كتاب افعال العباد ، انتهى . ونقتصر على ما قاله امام هذا الملحد الذي يزعم انه على مذهبه ، وهو مخالف له وعلى ما قاله الامام عثمان بن سعيد الدامي ، قال أبو الحسن الاشعري في كتابه الذي سماه « الابانة في اصول الديانة » وقد ذكر اصحابه انه آخر كتاب صنفه ، وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه ، فقال : فصل في ابانة قول أهل الحق والسنة فان قال قائل : قد انكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحروية والرافضة والمرجئة فعرّفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون ، قيل له : قولنا الذي نقول به وديانتنا

التي تدين بها التمسك بكلام ربنا وسنة نبينا وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد ابن حنبل نظر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مشوبته قائلون ، وما خالف قوله مخالفون لأنه الامام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ورفع به الضلالة وأوضح به المنهاج وقمع به بدعة المبتدعين وزيع الزائعين وسك الشاكين ، فرحمة الله عليه من امام مقدم ، وجيل معظم ، وكبير مفهم ، الى ان قال وانه مستو على عرشه ، كما قال الرحمن (الرحمن على العرش استوى) وان له وجهاً ، كما قال (ويبقى وجه ربك ذي الجلال والاكرام) وان له يدين بلا كيف كما قال (خلقت يدي) وقال (بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء) الى ان قال ونصدق بجميع الروايات التي اثبتتها اهل النقل من النزول من سماء الدنيا وان الرب عز وجل يقول : هل من سائل ؟ هل من مستغفر وسائر ما نقلوه واثبتوه خلافاً لما قال اهل الزيغ والتضليل ، انتهى المراد منه . وقال عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه المعروف بنقض عثمان ابن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افتري على الله في التوحيد قال : وادعى المعارض أيضاً أن قول النبي ﷺ « ان الله ينزل الى السماء الدنيا حين يمضي ثلث الليل فيقول هل من مستغفر هل من تائب هل من داع ، قال فادعى ان الله لا ينزل بنفسه ، انما ينزل امره ورحمته ، وهو على العرش وبكل مكان من غير زوال ، لأنه الحي القيوم والقيوم بزعمه من لا يزول ، قال : فيقال لهذا المعارض ، وهذا أيضاً من حجج النساء والصبيان ومن ليس عنده بيان ، ولا لمذهبه برهان ، لأن امر الله ورحمته ينزل في كل ساعة ووقت وأوان ، فما بال النبي ﷺ يجد لنزوله الليل دون النهار ، ويوقت من الليل شطره أو الاسحار فأمره ورحمته يدعوان العباد الى الاستغفار أو يقدر الامر والرحمة ان يتكلما دونه فيقولان : هل من داع فأجيبه ؟ هل من مستغفر فاعف له ؟ هل من سائل فأعطيه ؟ فان قررت مذهبك لزمك أن تدعي ان الرحمة والامر هما

الذين يدعون الى الاجابة والاستغفار بكلامه دون الله ، وهذا محال عند السفهاء فكيف عند الفقهاء ؟ قد علمت ذلك لكن تكابرون ، وما بال رحمة وامره ينزلان من عنده شطر الليل ثم يمشان الى طلوع الفجر ثم يرفعان ؟ لان رفاعة راويه يقول في حديثه حتى ينفجر الفجر ، وقد علمت انشاء الله ان هذا التأويل باطل ولا يقبله الا جاهل .

واما دعواك ان تفسير القيوم الذي لا يزول عن مكانه ولا يتحرك فلا يقبل منك هذا التفسير الا بأثر صحيح مأثور عن رسول الله ﷺ أو عن بعض اصحابه أو التابعين ، لأن الحي القيوم يفعل ما يشاء ويحرك اذا شاء ويهبط ويرفع اذا شاء ، ويقبض ويبسط ويقوم ويجلس اذا شاء . لأن اماراة ما بين الحي والميت المتحرك كل حي متحرك لا محالة ، وكل ميت غير متحرك لا محالة ، ومن يلتفت الى تفسيرك وتفسير صاحبك مع نبي الرحمة ورسول رب العزة اذ فسر نزوله مشروعا منصوبا ووقت لنزوله وقتا مخصوصا لم يدع لك ولا لاصحابك فيه لعبا ولا عويضا انتهى . ولو ذهبنا ننقل أقوال العلماء أهل السنة والجماعة المتفق على امامتهم ودرأيتهم لطال الكلام ، وبما ذكرناه يندفع الخصام ، وينجلي قتر هذا القتام من تلبيس هؤلاء الجهلة الطغام .

وأما قوله ثم اظهر عدم التوسل بسيد العالمين ، وكافة الانبياء والصالحين والملائكة المقربين ، وان الاستغاثة بهم والتوسل بكفر وشرك الى آخر كلامه . فاقول : قد تقدم الكلام على هذا وبيننا ما فيه وما هو الحق والصواب ، وجلونا غياهب الشك والشرك والارتباب .

وأما قوله : وان الأموات لا ينفع منهم نفع للحي وانه لا كرامته لهم ولا شفاعته وان من مات انقطعت كرامته حتى ادخل على العوام الشبه ، والنزاع منه في ذلك مكبرة فيما هو معلوم بالتواتر .

فاقول : قد كان من المعلوم ان الميت اذا مات وفارقت روحه جسده وذهبت حواسه وحركته بالكلية وصار وهينا في الثرى جسدا بلا روح ، انه لا ينفع الحي ولا يجيب دعوته اذا دعاه ، ولا يسمعه ولا يفيئه اذا استغاث به ، واذا كانت ارواح الانبياء الذين هم أكمل الناس وكذلك الاولياء

والصالحون في أعلا عليين فيستنع عقلا وشرعا وفطرة وقدر ان الارواح التي
فوق السموات السبع . وفي أعلا عليين انها تسع دعاء أهل الارض ، وتنقذهم
وتصرف فيهم ، هذا محال قطعا وضلال مبين فان الله قال (وهم عن دعائهم
غافلون) فكل من دعي احدا من الاموات والغائبين والانبياء والصالحين
فمن دونهم ، غافل عن دعاء داعيه بنصوص القرآن العزيز الذي لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فكيف يسوغ
عقل عاقل انهم يغيثون من استغاث بهم أو ينفعونهم بعد ان كانوا رفقا
لا يملكون لانفسهم نفعا ؟ ولا يدفعون عنها ضرا فكيف بغيرهم ؟ هذا من
احمل المحال ، لكن هؤلاء المشركون فسدت عقولهم وفطرتهم ، وزين لهم
الشیطان ما يعتقدونه من الكذب والمحال ، والشرك والضلال ، واما الانبياء
عليهم الصلاة والسلام وان لم تكن اجسامهم رفقا بل قد ثبت ان الارض
لا تأكل لحوم الانبياء فهم لا يسمعون دعاء من يدعوهم ، فانهم في الرفيق
الأعلى في أعلا عليين ، فلا يلزم من عدم اكل الارض لحومهم انهم يسمعون
من دعائهم ، أو انهم احياء في قبورهم ، بل هم عند الله كما سيأتي بيانه . قال الشيخ
صنع الله الحلبي الحنفي في كتابه « الرد على من ادعى ان الاولياء تصرفات
في الحياة وبعد الممات » هذا وانه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون
ان الاولياء تصرفات بحياتهم وبعد مماتهم ، ويستغاث بهم في الشدائد ، والبليات
وبهم تكشف المهمات ، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات مستدلين
على ان ذلك منهم كرامات وقالوا منهم ، ابدال وتقيا ووفاد ونجباء ،
وسبعون ، وسبعة واربعون ، واربعون ، واربعة والقطب وهو الفوت للناس
وعليه المدار بلا التباس ، وجوزوا له الذبائح والنذور ، واثبتوا لهم فيها
الاجور ، قال : وهذا كلام فيه تقريظ وافراط بل فيه الهلاك الابدي
والعذاب السرمدي لما فيه من روائح الشرك المحقق ومصادمة الكتاب العزيز
المصدق ، ومخالف لعقائد الأئمة وما اجتمعت عليه الامة وفي التنزيل (ومن
يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى
(م ١٢ - السنة الحداد)

ونصله جهنم وساءت مصيرا) ثم قال : فاما قولهم ان الاولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات فيرده قوله تعالى (اِلهَ مع الله - اِلَهِ الخلق والامر) وذكر من الآيات الدالة على انه المتفرد بالخلق والتدبير ، والتصرف والتقدير ، ولا شيء لغيره في شيء بوجه من الوجوه فالكل تحت ملكه وقهره تصرفاً وملكاً ، واحياء وامانة وخلقاً - الى ان قال - واما القول بالتصرف بعد الممات فهو اشنع وابعد من القول بالتصريف في الحال ، قال جل ذكره : (انك ميت وانهم ميتون) وقوله (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) الآية (كل نفس ذائقة الموت - كل نفس بما كسبت رهينة) وفي الحديث « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث » الحديث فجميع ذلك وما هو نحوه دال على انقطاع الجس والحركة من الميت ، وان ارواحهم بمسكة ، وان اعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان ، فدل ذلك ان ليس الميت تصرف في ذاته فضلاً عن غيره ، فاذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره ؟ فانه سبحانه يخبر ان الارواح عنده ، وهؤلاء الملحدون يقولون ان الارواح مطلقة متصرفة . قل انتم اعلم ام الله ؟ قال : واما قولهم ويستغاث بهم في الشدائد فهو اقبح مما قبله وابعد لمصادمة قول الله تعالى جل ذكره (ام من ينجي المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض اِلهَ مع الله - قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية ؟) وذكر آيات في هذا المعنى ثم قال : فإنه جل ذكره قرر انه الكاشف للضر لا غيره ، وانه المتفرد باجابة المضطرين ، وانه المستغاث لذلك كله ، وانه القادر على دفع الضر ، القادر على ايصال الخير فهو المتفرد بذلك ، فاذا تعين هو جل ذكره خرج غيره من ملك وني وولي ، قال : واما اعتقادهم ان هذه التصرفات لهم من الكرامات فهو من المغالطة ، لأن الكرامة شيء من عند الله يكرم به اوليائه لا قصد لهم فيه ولا تحدي ولا قدرة ولا علم ، كما في قصة مريم بنت عمران وأسيد بن حضير وابي مسلم الجولاني . قال :

واما كونهم معتقدين التأثير منهم في قضاء حاجاتهم كما تفعله جاهلية العرب ،
والصوفية الجهال ، وينادونهم ويستجدون بهم فهذا من المنكرات ، فمن
اعتقد ان لغير الله من نبي أو ولي أو روح أو غير ذلك في كشف كربة
أو قضاء حاجة تأثيراً وقد وقع في جهل خطير فهو على شفا حفرة من
السعير ، واما كونهم مستدلين على ان ذلك منهم كرامات فصالحا الله ان
تكون اولياء الله بهذه المثابة ، فهذا ظن اهل الاوثان كذا أخبر الرحمن ،
هم شفعاؤنا عند الله ، ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، أتأخذ من دونه
آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون ، فان ذكر
ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر من نبي أو ولي وغيره على وجه
الامداد منه اشراك مع الله ، إذ لا قادر على الدفع غيره ولا خير الا خيره .

فصل

ثم ذكر الملحد بعد هذا احاديث واخبارا وحكايات في كرامات الانبياء ،
والاولياء منها ما هو صحيح مؤول وباطل مقول ، ومنها ما هو خرافات
ومناجات ، وخزعبلات وحكايات ، لا يثبت بها حكم شرعي ، ولا يدل ماصح
منها من الكرامة على انهم يدعون من دون الله أو يستغاث بهم في الشدائد
والمهمات أو يطلب منهم قضاء الحاجات وتقريج الكربات ولما انتهى بنا النظر
فيها الى ما قاله بعض هؤلاء الملاحدة المسمى بالشيخ محمد بن علان في كتابه
الذي سماه انحاف اهل الاسلام والايمان رأيت فيه من الكفر العظيم الذي
ما وصل الى ساحله كفر كفار قريش في تعظيم من يعظمونه ممن يعبدونه
من دون الله ، حيث قال : والذي اقول ان الجسد الشريف لا يخلو منه زمان
ولا مكان ، ولا محل ولا امكان ، ولا عرش ولا كرسي . ولا غير ذلك
من المخلوقات ، وان امتلاء الكون به ﷺ كما امتلاء الكون الاسفل وكامتلاء
قبره به فتجده مقبياً به ، طائفاً حول البيت ، قائماً بين الملائكة الاعلى بين يدي ربه ،

لاداء الخدمة ، الا ترى الى الرائين له يقظة أو مناما يروونه في وقت واحد في امكنة متباعدة انتهى .

ثم قال الملحد المؤلف : قلت ولا يبعد هذا ثم ذكر نحو ما ذكره هذا الملحد وأقره على ذلك ، وزاد عليه ، فاكتفينا بما ذكره هذا الملحد هنا من هذه الحرافات ، وانها من اعظم المنكرات ، واعظم المكفرات لمن اعتقدها ، بما يعلم بالضرورة من دين الاسلام ان هذا لا يقوله ويعتقده من يؤمن بالله واليوم الآخر فاكتفينا ببطلان ما ذكره في حق الرسول ﷺ عن التكلف برد ما قاله وما اسلفه من الكرامات للاولياء والصالحين ، بما لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ، ولا من اقوال المحققين ، من ورثة سيد المرسلين ، من أنه اذا صحت لهم هذه الكرامة انهم يدعون من دون الله ، وينادون باسمائهم عند الشدائد ، ويستغاث بهم في كل ما يرجون ويطلبونه ، من قضاء الحاجات وجميع المقاصد .

واعلم ايها الواقف على ما حرره هذا الملحد واضرا به من المشركين انهم قد تنقصوا رسول الله ﷺ اشد التنقص وهضموه أعظم الهضم ، فانهم قد تنقصوه من حيث ظنهم انهم قد عظموه ، فانهم بهذا الغلو والافراط حيث زعموا انه لا يخلو منه زمان ومكان ، ولا محل ولا امكان ، ولا عرش ولا كرسي ، ولا غير ذلك من الخلقات ، وانه امتلاء الكون به ، فما صانه اعداء الله عن الحشوس والقاذورات ، ولا عن بطون الحيوانات من الكلاب والخنازير ولا من جميع الخلقات ، الطيب منها والمستخبثات ، كما زعم اخوانهم من الاتحادية الخلوية في حق رب العالمين ثم ان قولهم قد امتلأ به العرش والكرسي أمر مستحيل في الفطر والمعقولات ، كما هو مستحيل في المنقولات ، فأين يكون رب العرش والسموات ؟ فهو من محل المحال ، واصل الضلال ، واعلم اننا لا ننكر الكرامات التي تحصل لاولياء الله اذا صدرت على القانون المرضي ، والميزان الشرعي ، فان اولياء الله هم المتقون المقعدون بمحمد ﷺ ،

يفعلون ما أمر به وينتهون عما نهى وزجر ، ويقعدون به فيما بين لهم ان يتبعوه فيه ، فيؤيدهم الله بملائكته وروح منه ، ويقذف الله في قلوبهم من انواره ، ولهم الكرامات التي يكرم الله بها اوليائه المتقين ، وخيار اوليائه الله كراماتهم الحجة في الدين والحاجة بالمسلمين ، كما كانت معجزة نبيهم كذلك وكرامات اوليائه الله انما حصلت ببركة اتباع رسول الله ﷺ ، فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ ، مثل انشقاق القمر ، وتسييح الحصا في كفه واثيان الشجر اليه ، وحسين الجذع اليه ، واخباره ليلة المعراج بصفة بيت المقدس ، واخباره بما كان وما يكون ، وإتيانه بالكتاب العزيز ، وتكثير الطعام والشراب مرات كثيرة ، كما اشبع في الخندق العسكر من قدر الطعام وهو لم ينقص ، الى غير ذلك من معجزاته عليه الصلاة والسلام ، وكرامات الصحابة والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جداً ، مثل ما كان أسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلة فيها امثال السرج وهي الملائكة نزلت لقراءته ، وكانت الملائكة تسلم على عمران ابن حصين ، وكان سلمان وابو الدرداء يأكلان في صحفة فسبخت الصحفة أو سبغ مافيها ، وعباد بن بشر واسيد بن حضير خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة فأضاء لهما نور مثل طرف السوط فلما افترقا افترق الضوء معها ، رواه البخاري وغيره ، وقصة الصديق في الصحيحين ، لما ذهب بثلاثة الاضياف ، وحبيب بن عدي كان اسيراً عند المشركين بمكة شرفها الله وكان يؤتي بعنب وليس بمكة غنية ، وعامر بن فهير وأم ايمان لما هاجرت وسفينة مولى رسول الله ﷺ وقصته مع الاسد والبراء بن مالك كان اذا اقسم على الله أبر قسمه ، الى غير ذلك من الكرامات التي وقعت لاصحاب رسول الله ﷺ ، واما كرامات التابعين فاكثرت من ان تحصر ، ومع هذا كله فما كان احد من اهل العلم والصلاح يذهبون الى قبورهم فيدعونهم ويستغيثون بهم ، ويطلبون منهم قضاء حوائجهم ، حتى احدث الخلوفا ما احدثوه من الغلو في قبور الصالحين ، وما جرى لاصحاب رسول

الله ﷻ وللتابعين من الكرامات اكثر من ان يحصر ، وهذا بخلاف الاحوال
الشیطانية مثل حال عبد الله بن صبياد الذي ظهر في زمن النبي ﷺ وقصته
مشهورة ومثل الاسود العنسي الذي ادعى النبوة كان له من الشياطين من يخبره
ببعض الامور المغيبة ، وكذلك مسيلة الكذاب ، كان معه من الشياطين
من يخبر بالمغيبات ويعينه على بعض الامور ، وامثال هؤلاء كثير مثل الحارث
الدمشقي ، الذي خرج بالشام زمن عبد الملك ابن مروان ، وادعى النبوة ،
وكانت الشياطين يخرجون رجله من القيد ، وتمنع السلاح ان تنفذ فيه ، وتسبح
الرخامة اذا مسحها بيده ، وكان يري الناس رجالا وركبانا على خيل في الهواء
ويقول هي الملائكة ، وانما كانوا جنّاً ولما أمسكه المسلمون ليقتلوه طعنه
الطاعن بالرمح فلم ينفذ فيه ، فقال له عبد الملك انك لم تسم الله ، فسمى الله
فطعنه فقتله ، وهكذا الاحوال الشيطانية تصرف عنهم شياطينهم اذا ذكر
عندهم ما يطردوا ، مثل آية الكرسي ، ومن هؤلاء من يأتيه الشيطان بأطعمة
وفواكه وحلوى ، وغير ذلك مما لا يكون في ذلك الموضع ، ومنهم من يطير
به الجنى الى مكة أو بيت المقدس أو غيره ، ومنهم من يحمله عشية عرفة ثم
يعيده من ليلته فلا يحج حجاجاً شرعياً بل يذهب بشيابه ، ولا يحرم اذا حاذ الميقات ،
ولا يلي ولا يقف بمزدلفة ، ولا يطوف بالبيت ، ولا يقف بين الصفا والمروة
ولا يرمي الجمار ، بل يقف بعرفة بشيابه ثم يرجع من ليلته وهذا ليس بحج ،
فقال : الا تكتبوني فقالوا لست من الحجاج يعني حجاجاً شرعياً ، وبين كرامات
الاولياء وبين ما يشبهها من الاحوال الشيطانية فروق متعددة ؛ منها : ان
كرامات الاولياء سببها الايمان والتقوى ؛ والاحوال الشيطانية سببها ما نهى
الله عنه ورسوله ، وقد قال تعالى (انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها
وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) فالقول على الله بلا علم والشرك والظلم
والفواحش قد حرمها الله تعالى ورسوله ، فلا تكون سبباً لكرامة الله تعالى

بالكرامات عليها ، فاذا كانت لا تحصل بالصلاة والذكر وقراءة القرآن ، بل تحصل بما يحبه الشيطان وبالأموال التي فيها شرك كالاستغاثة بالمخلوقات ، او كانت مما يستعان بها على ظلم الخلق وفعل الفواحش فهي من الاحوال الشيطانية ، لا من الكرامات الرحمانية ، ومن هؤلاء من يستغيت بمخلوق إما حي أو ميت سواء كان ذلك الحي مسلماً أو نصرانياً أو مشركاً فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به ويقضي بعض حاجة ذلك المستغيث ، فيظن انه ذلك الشخص أو هو ملك على صورته ، وإنما هو شيطان أضله لما اشرك بالله ، كما كانت الشياطين تدخل الاصنام وتكلم المشركين . ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان ويقول له انا الحضر وربما اخبره ببعض الامور وأعاناه على بعض مطالبه ، كما قد جرى ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود والنصارى وكثير من الكفار ببعض المشرق والمغرب ، يموت لهم الميت فيأتي الشيطان بعد موته على صورته وهم يعتقدون انه ذلك الميت ويقضي الديون ويرد الودائع ويفعل اشياء تتعلق بالميت ويدخل الى زوجته ويذهب ، وربما يكونون قد احرقوا ميتهم بالنار كما تصنع كفار الهند فيظنون انه عاش بعد موته ، ومنهم من يرى عرشاً في الهوى وفوقه نور ويسمع من مخاطبه ويقول انا ربك ، فان كان من أهل المعرفة علم انه شيطان فزجره واستعاذ بالله منه فيزول ، ومنهم من يرى في منامه ان بعض الاكابر اما الصديق رضي الله عنه أو غيره قد قص شعره أو حلقه أو البسه طاقية أو ثوبه فيصبح وعلى رأسه طاقية وشعره مخلوق أو مقصر ، وإنما الجن قد حلقوا شعره أو قصروه ، وهذه الاحوال الشيطانية تحصل لمن خرج عن الكتاب والسنة وهم درجات ، والجن الذين يقتنون بهم من جنسهم وهم على مذهبهم والجن فيهم الكافر والفاسق والخطيء فإن كان الأنسي كافراً أو فاسقاً أو جاهلاً دخلوا معه في الكفر والفسوق والضلال ، وقد يعاونونه اذا وافقهم على ما يختارونه من الكفر مثل الاقسام عليهم بأسماء من يعظمونه من الجن وغيرهم ومثل ان يكتب اسماء الله

أو بعض كلامه بالنجاسة أو يقلب فاتحة الكتاب أو سورة الاخلاص أو آية الكرسي أو غيرهن ويكتبهم بنجاسة فيغيرون له الماء وينقلونه بسبب ما يرضيهم به من الكفر ، وقد يأتونه بما يهواه من امرأة أو صبي إما في الهواء وإما مدفوعاً ملجأ إليه ، الى امثال هذه الأمور التي يطول وصفها ، والايمان بالجنات والطاغوت ، والجنات والسحر والطاغوت والشیطان والاصنام ، وان كان الرجل مطيعاً لله ورسوله باطناً وظاهراً لم يمكنهم الدخول معه في ذلك أو مسالته ، ولهذا لما كانت عبادة المسلمين مشروعة في المساجد التي هي بيوت الله كان عمار المساجد ابعد عن الاحوال الشيطانية ، وكان اهل الشرك والبدع يعظمون القبور ومشاهد الموتى ، فيدعون الميت أو يدعون به أو يعتقدون ان الدعاء عنده مستجاب اقرب الى الاحوال الشيطانية انتهى .

ملخصاً من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية . والمقصود ان هذا الملحد ذكر في هذا الفصل من الاكاذيب والمنكرات والكذب على الله وعلى رسله وشرعه ودينه وعلى اولياء الله ما تنفر منه الطباع وتستنك منه الاسماع ، فمن ذلك قوله اما الانبياء فلأنهم احياء في قبورهم يأكلون ويشربون ويصلون ويحجون بل وينكحون كما وردت بذلك الاخبار .

وهذا كما ترى بما علم بالضرورة من دين الاسلام انه كذب لا اصل له ولم يقله أحد من اهل العلم الذين هم القدوة وبهم الاسوة ، بل هو من احل المحال وأضل الضلال واعظم من ذلك دعواه ان الاخبار وردت بذلك وحاشا وكلا نفوذ بالله من القول على الله بلا علم . ثم قال وتكون الاستغاثة بمعجزة منهم والشهداء ايضاً احياء عند ربهم شوهدوا نهائراً جهاراً يقاتلون الكفار يعني بذلك عالم المثال المحسوس لهم في الحياة وبعد الممات فافهم انتهى .

وهذا خلاف ما ورد في الكتاب العزيز وخلاف ما ورد في الحديث لما سئلوا ما تريدون قالوا : نريد أن تردنا الى الدنيا فنقتل في سبيلك مرة أخرى أو كما قال ﷺ . ومنها ما ذكره عن الشغرافي ذكر ان بعض مشايخه

ذكر له ان الله تعالى يوكل بقبر كل ولي ملكا يقضي حوائج من توسل بهم
كما وقع ذلك للامام الشافعي ، وهذا من الكذب الظاهر الذي لا يحتاج في رده
إلى حكايته والحكاية عن الشافعي مكذوبة موضوعة كما ذكرها شيخ الاسلام
وابن القيم . وأما ما يجري عند نفيسة واحمد البدوي وغيرهم من المعبودين ،
فمن الاحوال الشيطانية والا كاذيب المفتراة ، منها قوله : وتارة يخرج الولي
من قبره ويقضي الحاجة لأن للأولياء الانطلاق في البرزخ والسراح لأرواحهم ،
وإذا خرج شخص منهم من قبره على صورته وقضى حوائج الناس كما وقع
لسيدنا خزيمة بن عبد المطلب مع الشيخ احمد بن محمد الدمياطي . وهذه كلها
حكايات وخرافات ألّفها بعض الغلاة يضلون بها الناس ويصدونهم عن سبيل الله ،
وذكر حكايات بعد هذا تسمت من قلوب الذين يؤمنون بالآخرة ، وإنما
ذكرت هذاليتين لك موافقته لما ذكره شيخ الاسلام من الاحوال الشيطانية
من ان اهل الشرك والبدع يعظمون القبور ومشاهد الموتى فيدعون الميت
او يدعون به او يعتقدون ان الدعاء عنه مستجاب ، فيقع لهم بعض هذه
الامور من الشياطين فيظنون ان ذلك من كرامة الله لهم .

فصل

ثم قال الملحد : الفصل العاشر في كلام العلماء في ابن تيمية مع زهده وورعه
وذكر كلام الذهبي في زغل الذهب ، وذكر فيه أموراً تخالف ما قاله في
ترجمته لشيخ الاسلام ، ولعل ذلك تقية يتقي بها من اعاديه في ذلك الزمان
أو ذكر ذلك لشيء من المقاصد ، وما ذكره الذهبي في الثناء عليه يقضي على ما عابه
عليه بالهدم والرد وكذلك ما ذكره غيره بما يعيب به شيخ الاسلام لا يقابل
عشر معشار ما أثبتني به عليه :

ومن ذا الذي ينجو من الناس سالماً وللناس قال بالظنون وقيل
ثم قال : الفصل الحادي عشر في التأمم ود على النجدي انكاره التأمم والرق

أما إنكار النجدي تعليق التائم مطلقاً على الإنسان وكل دابة فمن تهوراته
إذ عده شركاً .

والجواب أن يقال : لم ينكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب تعليق التائم
والرقي مطلقاً كما زعمه هذا الملحد ، بل فضل وبين ما يجوز وما لا يجوز وعقد
لذلك باباً ، فقال رحمه الله : باب ما جاء في الرقي والتائم في الصحيح عن
أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره
فأرسل رسولاً أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت .
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الرقي
والتائم والتولة شرك » رواه أحمد وأبو داود . وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً
« من تعليق شيئاً وكل إليه » رواه أحمد والترمذي . التائم : شيء يعلق على
الأولاد عن العين ، لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف
وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه ، منهم ابن مسعود رضي الله عنه
والرقي هي التي تسمى العزائم وخص منه الدليل ما خلا من الشرك فقد رخص
فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة . والتولة : شيء يصنعونه يزعمون أنه
يجب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته . وروى أحمد عن روفيع قال :
قال رسول الله ﷺ « يا روفيع لعل الحياة تطول بك ، فأخبر الناس أن من
عقد لحيته أو تقلد وترأ أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمداً بريء منه »
وعن سعيد بن جبير قال « من قطع قميصه من إنسان كان كعدل رقبة » رواه
وكيع وله عن إبراهيم قال كانوا يكرهون التائم كلها من القرآن وغير
القرآن ، انتهى .

هذا كلام الشيخ في الرقي والتائم على الأحاديث لم يقل فيه لا يجوز تعليقها
مطلقاً ، بل كان من الأوتار التي كان أهل الجاهلية يعلقونها ويعتقدون فيها
أنها تدفع العين بأمر الشيخ بقطعها وينهى عن تعليقها ، وقوله في حديث ابن مسعود
أن الرقي والتائم والتولة شرك هذا محمول على أن الرقي والتائم الموصوفة بكونها

شركا هي التي يستعانت فيها بغير الله ، وكذلك إذا كانت بأسماء الشياطين والطلاسم والأسماء المجهولة التي لا تعرف . قال السيوطي رحمه الله : قد أجمع العلماء على جواز الرقي عند اجتماع ثلاثة شروط : أن يكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته وباللسان العربي وما يعرف معناه ، وإن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى ، فإذا كان الشيخ لم يقل إلا بما ورد عن رسول الله ﷺ وبما قاله أهل العلم من الرخصة والمنع أو اختار مذهب ابن مسعود رضي الله عنه وأصحابه فما عليه في ذلك من عتب ، ولكن أعداء الله ورسوله ينفرون الناس عن ما دعا إليه الشيخ حتى عن توحيد الله الذي هو الأصل الذي لا يصح إسلام المرء إلا به فبعداً للقوم الظالمين .

وأما قوله : تنبيه وأما انكار النجدي على الزروع الجاحم ويعدده شركا ، فمن جهله ففي كتاب خلاصة الوفا في أخبار دار المصطفى ﷺ وعلى آل وصحبه أهل الوفا للعلامة السيد السهودي الشافعي في الفصل التاسع من الباب الأول ، ذكر الحديث الذي رواه الشافعي رضي عنه عن النبي ﷺ وفي آخره وعليكم بالزروع وأكثر وأوفيه من الجاحم ، انتهى . وفي فتاوي قاضي خان الحنفي يجوز وضع الجاحم على الزروع من العين لما روي أن امرأة أتت إلى النبي ﷺ فقالت : يا نبي الله أنا أهل زرع وأنا نخاف العين فأمرها ﷺ أن تضع الجاحم على الزرع ، انتهى . فتبين جهل هذا النجدي وتهوره .

فالجواب أن نقول : قد ورد في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي بشير الانصاري رضي الله عنه المتقدم في أول الباب النهي عن تعليق الاوتار على الدواب وأمر بقطعها فكيف يأمر بتعليق الجاحم على الزروع وقال : في الحديث الآخر الذي رواه الإمام أحمد ورواه أيضا أبو يعلى والحاكم وقال : صحيح الاسناد وأقره الذهبي عن عقبة بن عامر مرفوعاً من تعلق تيمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له . وفي رواية من تعلق تيمة فقد أشرك ، قوله : من تعلق تيمة أي علقها متعلقاً بها قلبه في طلب خير

أو دفع شر ، قال المنذري : خرزة كانوا يعلقونها يرون انها تدفع عنهم الآفات وهذا جهل وضلالة إذ لا مانع ولا دافع غير الله تعالى ، وقال ابو السعادات : التائم جمع تيمة وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم فأبطله الاسلام ، قوله : وفي رواية من تعلق تيمة فقد اشرك . قال ابو السعادات إنما جعلها شركاً لأنهم ارادوا دفع المقادير المكتوبة عليهم وطلبوا دفع الاذى من غير الله الذي هو دافعه ، فاذا وضع لك كلام العلماء في هذه التعاليق وانه اذا اريد بها دفع العين ودفع المقادير المكتوبة عليهم من غير الله ان ذلك شرك ، وتبين لك ايضاً اختلاف العلماء في التائم التي من القرآن وأسماء الله وصفاته فأجازها طائفة : منهم عبد الله بن عمرو بن العاص وهو ظاهر ماروي عن عائشة وبه قال ابو جعفر الباقر وحملوا الحديث على التائم التي فيها شرك ومنع منها طائفة منهم : عبد الله بن مسعود وابن عباس ، وهو ظاهر قول حذيفة وعقبة بن عامر وابن عكيم وبه قال جماعة من التابعين منهم اصحاب ابن مسعود رضي الله عنه واحمد في رواية اختارها كثير من اصحابه وجزم بها المتأخرون ، فكيف الحال بالمجاهم التي لا منفعة فيها ولا مصلحة بل الظاهر من تعليقها انهم يعتقدون فيها انها تدفع العين عن الزرع كاعتقاد اهل الجاهلية في تعليق الاوتار والودع والحرز واعتقاد ذلك شرك إذ لا دافع إلا الله ولا يطلب دفع المؤذيات إلا بالله واسمائه وصفاته .

فاذا فهمت هذا فاعلم ان هذين الحديثين الذين اوردهما هذا الملحد من الموضوعات المكذوبات على رسول الله ﷺ قطعاً كما ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة وكذلك ابو حيان ، فالاحتجاج بهما رد على الله ورسوله وعلى اهل العلم وتكذيب لما ورد من الاحاديث الصحيحة ، فتبين ان الجهل والتهور به أليق وبقامه أصدق ، لأنه ليس من اهل العلم ولا من المعروفين بالدين والصلاح ولا بالدراية والرواية بل هو أفاك لئيم مناع للخير معتمد أثيم عتل بعد ذلك زعيم .

فصل

قال : الملحد الفصل الثاني عشر في الرد على النجدي انكاره على الله وعلى فلان ، واعظم من ذلك واشد انه يكفر من يقول هذا امانة الله ورسوله وعلى الله وعليك يا فلان والى الله واليك ومالي الا الله وانت واشباه ذلك ، وقد اجاد الشيخ محمد بن الشيخ احمد بن عبد اللطيف الاحسائي في الرد عليه ، فقال : وان ما يعتاده الناس الآن من مدد مديدة من كتابتهم الخطوط التي يبعثون بها الى من ارادوا امانة الله ورسوله صحيح لا تشريك فيه للرسول مع الله تعالى بوجهه من الوجود اذ غاية الامر انها في ذلك ونحوه كعلى الله عليك يا فلان والى الله واليك ومالي الا الله وانت ، الواو للترتيب بمنزلة ثم فلا يكون استعمالها مؤديا الى الشرك الذي قال به ابن عبد الوهاب لجهله الى آخر كلامه .

والجواب ان يقال لهذا الجاهل المركب لو كان لك معرفة وعناية بكلام الله ورسوله ولغة العرب لما تهورت بهذه المقالة واشتت هذه الجهالة ولما كان قدوتك في هذه الضلالة من لا معرفة لديه بمدارك الاحكام ولا كان من جملة العلماء الاعلام القدامى محمد بن احمد بن عبد اللطيف الاحسائي الذي هو اضل من حمار أهله ، فاسمع الآن كلام أهل العلم والايمان وحمة السنة والقرآن فقد قال ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما على قوله تعالى (فلا تجعلوا لله انداداً وانتم تعلمون) قال : الانداد هو الشرك اخفى من ديبس التمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو ان تقول : والله وحياتك يا فلانه وحياتي وتقول : لولا كلبية هذا لاتانا اللصوص وقول الرجل لصاحبه ماساء الله وسئت وقول الرجل لولا الله وفلان لا تجعل فيها فلان ، هذا كله به شرك رواه ابن أبي حاتم فبين ابن عباس رضي الله عنهما ان هذا كله من الشرك وهو الواقع اليوم على السن كثير ممن لا يعرف التوحيد ولا الشرك ، فتنبه لهذه

الامور فانها من المنكر العظيم الذي يجب النهي عنه والتغليظ فيه لكونه من اكبر الكبائر ، وهذا من ابن عباس رضي الله عنه تنبيه بالادنى من الشرك على الاعلى ، وفي سند ابي داود بسند صحيح عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان » قال اهل العلم وذلك لان المعطوف بالواو يكون مساويا للمعطوف عليه لكونها انما وضعت لمطلق الجمع فلا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً . وتسوية المخلوق بالخالق شرك ان كان في الاصغر مثل هذا فهو اصغر وان كان في الاكبر فهو اكبر كما قال : تعالى عنهم في الدار الآخرة (تالله ان كنا في ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين) بخلاف المعطوف بثم فان المعطوف بها يكون متواخيا عن المعطوف عليه جملة فلا محذور لكونه صار تابعا . وعن ابراهيم النخعي انه يكره ان يقول الرجل اعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول بالله ثم بك ، قال : ويقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان ، وقد تقدم الفرق بين ما يجوز وما لا يجوز من ذلك .

وهذا انما هو في الحي الحاضر الذي له قدرة وسبب في الشيء ، وهذا الذي يجري في حقه مثل ذلك . وما في حق الاموات الذين لا احساس لهم بمن يدعوهم ولا قدرة لهم على نفع ولا ضرر فلا يقال في حقهم شيء من ذلك فلا يجوز التعلق على شيء ما بوجه من الوجوه ، والقرآن بين ذلك وينادي بانه يجعلهم الهة اذا سألوا شيئا من ذلك أو رغب اليهم احد بقوله أو عمله الباطن أو الظاهر ، وفي سنن النسائي وصححه عن قتيلة ان يهوديا اتى النبي ﷺ فقال : انكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة ، فامرهم النبي ﷺ اذا رادوا ان يحلفوا ان يقولوا ورب الكعبة . وان يقولوا ما شاء الله ثم شئت . وله ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا قال : للنبي ﷺ ما شاء الله وشئت قال : اجعلني لله ندا بل ما شاء الله وحده ، قال : اهل العلم هذا يقرر ما تقدم من ان هذا شرك لوجود التسوية بالمعطوف في الواو ، وقوله

اجعلني لله ندا فيه بيان ان من موى العبد بالله ولو في الشرك الاصغر فقد جعله ندا لله شاء أم ابي خلافا لما يقوله الجاهلون بما يختص بالله تعالى من عبادته وما يجب النهي عنه من الشرك بنوعيه ومن يرد الله به خيرا يققه في الدين انتهى . وفي سنن ابن ماجة عن الطفيل اخي عائشة لامها قال رأيت كافي اتيت على نفر من اليهود فقلت انكم لأنتم القوم لولا انكم تقولون عزيز ابن الله قالوا وانتم لأنتم القوم لولا انكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد ثم مرت بنفر من النصارى فقلت انكم لأنتم القوم لولا انكم تقولون المسيح ابن الله قالوا وانتم لأنتم القوم لولا انكم تقولون ما شاء الله محمد فلما أصبحت اخبرت بها اخبرت ثم اتيت النبي ﷺ فاخبرته فقال هل اخبرت بها احداً قلت نعم قال فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال أما بعد فان طفيلاً رأى رؤيا اخبر بها من اخبر منكم وانكم قلتم كلمة كان يعني كذا وكذا ان انها لم عنها فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله وحده وهذه الرؤيا حق اقراها رسول الله ﷺ وعمل بمقتضاها فنهاهم ان يقولوا ما شاء الله وشاء محمد وامرهم ان يقولوا ما شاء الله وحده ، وهذا الحديث والذي قبله امرهم فيه ان يقولوا ما شاء الله وحده ولا ريب ان هذا اكمل في الاخلاص وابعد عن الشرك من ان يقولوا ثم شاء فلان لان فيه التصريح بالتوحيد المنافي للتنديد من كل وجه فالبحير يختار لنفسه اعلى مراتب الكمال في مقام التوحيد والاخلاص ، فاذا تبين لك ما قدمناه من كلام علماء الاسلام على احاديث سيد الانام قالوا وفي قوله امانة الله ورسوله وعلى الله وعليك يا فلان والى الله واليك ومالي الا الله وانت موضوع لمطابق الجمع والتشريك من غير اشكال ولا تشكيك ولا تقتضى ترتيباً ولا تعقيباً كما ذكره أهل العلم وعليه جمهور أهل العربية وما خالف هذا القول شاذلاً يلتفت اليه ، فيكون استعمالها مؤدياً للشرك الاصغر .

وأما قول الاحسائي ولو كان استعمالها مؤدياً الى الشرك لما أتى الله بها في آيات كثيرة من كتابه العزيز كقوله (والله ورسوله احق ان يرضوه) (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) (واطيعوا الله واطيعوا الرسول لعلكم ترحون) (وسيرى الله عملكم ورسوله) وغير ذلك من الآيات

وكحديث اي يوم هذا قالوا الله ورسوله اعلم . فالجواب من وجوه ، الوجه الأول : ان الله سبحانه وتعالى هو الذي قال ذلك ومن المعلوم ان طاعة الرسول واجبة استقلالاً ولو لم تذكر في القرآن فان طاعة الرسول طاعة الله قال : تعالى (من يطع الرسول فقد اطاع الله) وكذلك ارضاء الرسول واجب ، ولا يتم رضاء الله إلا برضاء رسوله لان ذلك شرط في صحة الايمان قال : تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) وكذلك ولاية الله ورسوله للمؤمنين ورؤية الله ورسوله والمؤمنين لعمل المنافقين وتوبتهم وكذلك قول الصحابة رضى الله عنهم الله ورسوله اعلم كل ذلك مما يؤدي الى طاعة الله ورسوله والايمان به والتشريك فيه جائز لا محذور فيه وليس فيه شيء من الامور التي تؤدي الى الشرك لان كلا منا ليس في منع مطلق التشريك بالواو بل في منع التشريك بالافعال المختصة بالله سبحانه ، قال : شيخ الاسلام رحمه الله ومن هذا الباب أن النبي ﷺ كان يقول في خطبته من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصها فلن يضر إلا نفسه ولن يضر الله شيئاً ، وقال لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد ففي الطاعة قرن اسم الرسول باسمه بحرف الواو وفي المشيئة أمران فيجعل ذلك بحرف ثم وذلك ان طاعة الرسول بخلاف المشيئة فليست مشيئة أحد من العباد مشيئة الله ولا مشيئة الله مستلزمة لمشيئة العباد بل ما شاء الله كان وان لم يشأ الناس وما شاء الناس لم يكن ان لم يشأ الله انتهى ، وقال بن القيم رحمه الله تعالى على قوله تعالى (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) أي الله وحده كافيك وكافي اتباعك فلا يحتاجون معه الى أحد وهنا تقديران أحدهما : ان تكون الواو عاطفة لمن على الكاف المجرورة ويجوز العطف على الضير المجرور بدون إعادة الجار على المذهب المختار ، وشواهد كثيرة وشبه المنع منه واهية ، والثاني ان تكون الواو واو مع وتكون في محل نصب

عظفا على الموضع ، فان حسبك في معني كافيك أي الله يكفيك ويكفي من
أتبعك كما تقول العرب حسبك وزيدادهم ، قاله الشاعر :

إذا كانت الهيجا وأنشقت العصا فحسبك والضعاك سيف مهند

وهذا أصح التقديرين وفيها تقدير ثالث أن تكون من في موضع رفع
بلا ابتداء أي ومن أتبعك من المؤمنين فحسبهم الله ، وفيها تقدير رابع وهو خطأ
من جهة المعني ، وهو أن تكون من في موضع رفع عظفا على اسم الله ،
ويكون المعني حسبك الله وأتباعك وهذا وإن قال به بعض الناس فهو خطأ
محض لا يجوز حمل الآية عليه ، فان الحسب والكفاية لله وحده كالتموكل والتقوى
والعبادة ، قال الله تعالى (وإن يريدوا أن يخمدوا أن يجدوا بأن حسبك الله ، هو الذي أيدك
بنصره وبالمؤمنين) ففرق بين الحسب والتأييد فجعل الحسب له وحده وجعل التأييد
له بنصره وبعبادة ، وأثنى الله سبحانه على أهل التوحيد والتموكل من عباده حيث
أفردوه بالحسب فقال تعالى (الذين قال لهم إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم
إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) ولم يقولوا حسبنا الله ورسوله ، فإذا كان
هذا قولهم ومدح الرب تعالى لهم بذلك ، فكيف يقول لرسوله حسبك الله
وأتباعك ؟ وقد أفردوا الرب تعالى بالحسب ولم يشركوا بينه وبين رسوله
فيه ، فكيف يشرك بينهم وبينه في حسب رسوله ؟ هذا من أجل الحال
وأبطل الباطل ، وتظير هذا قوله (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا
حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله أنا إلى الله راغبون) فتأمل كيف
جعل الإتياء لله ولرسوله كما قال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا) وجعل الحسب له وحده فلم يقل : وقالوا حسبنا الله ورسوله ،
بل جعله خالص حقه كما قال (أنا إلى الله راغبون) ولم يقل وإلى رسوله ، بل
الرجعة إليه وحده قال تعالى (فإذا فرغت فانصب . وإلى ربك فارغب) فالرجعة
والتموكل والانابة والحسب لله وحده ، كما أن العبادة والتقوى والسجود لله
وحده ، والنذر والخلع لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى ، انتهى . فقوله تعالى
(م ١٣ - الأئنة الحداد)

(ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) كقوله تعالى (والله ورسوله أحق أن يرضوه) وقوله (إنا وليكم الله ورسوله) وما بعدها من الآيات التي أوردناها والاحاديث بمعنى واحد في عدم تأديتها إلى الشرك وإنما تؤدي إلى طاعة الله وطاعة رسوله ، واستعمال الواو جائز فيها لا محذور فيه مما قد يؤدي إلى التشريك ، ويدخل في معنى العبادة كما قرره ابن القيم رحمه الله تعالى ، بخلاف ما يدخل في معنى العبادة ، فلا يستدل بذلك على جواز الاتيان بالواو ومطلقاً في جميع المواضع إلا مبغوس الخط من الدين والإيمان ، ولم يحصل على شيء من التحقيق والعرفان .

الوجه الثاني : أن النبي ﷺ هو الذي نهى الرجل عن قول ما شاء الله وشئت وقال « اجعلني لله ندا ؟ » فجعل الواو هنا تقتضي التشريك والتنديد ، وإنكره ، مع أن الله قد أثبت للعبد مشيئة قال تعالى (لمن شاء منكم أن يستقيم) فكيف عن يقول أنا متوكل على الله ، وعليك ، وأنا في حسب الله وحسبك وعلى إلا الله وانت ، وهذا من الله ومنك أو من بركات الله وبركاتك ، والله لي في السماء وانت لي في الأرض ، ويقول والله وحياة فلان ، أو أنا نائب إلى الله وإلى فلان ، وأرجو من الله وفلان ، ونحو ذلك فوازن بين هذه الالفاظ وبين قول ذلك الرجل للنبي ﷺ ما شاء الله وشئت ثم انظر إليها افش يقين لك أن قائلها أولى بجواب النبي ﷺ لقائل تلك الكلمة ، وأنه إذا كان قد جعله نداً لله فقد جعل من لا يداني رسول الله ﷺ في شيء من تلك الاشياء بل لعله أن يكون من أعدائه نداً لرب العالمين ، فماذا على شيخنا حين أنكر ما أنكر النبي ﷺ وجعله شركاً أصغر وفي حديث الطفيل المتقدم ذكره « لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله وحده » وهذا أعلى وأكمل ، وإن كان الاتيان بـثم جائزاً كما في حديث قتيبة فتركه أكمل في الإخلاص وأبعد عن الشرك .

الوجه الثالث : أن الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من التابعين

جعلوها من الشرك الاصغر ، وفسروا به قوله تعالى (فلا تجعلوا لله انداد
وانتم تعلمون) فعن ابن عباس رضي الله عنهما الانداد هو الشرك وذكر منه
قول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل لولا الله وفلان ،
لا تجعل فيها فلاناً هذا كله به شرك فحكم ابن عباس ان هذا كله من الشرك
والحداد الترمي الحضرمي بقول مجوازه ، ويؤمن ان الشيخ انفرد بمنعه وانه
يكفر به ، فانظر ايها المتصف من اولى بالله ورسوله واهل العلم من الصحابة
والتابعين ، اهو من قال بقولهم وتمسك به ام هذا الرجل الذي ينكر على
شيخنا وينسبه الى ما هو بريء منه ؟

الوجه الرابع : ان قوله لو كان الايمان بتم اولى لما عدلت عنها الصحابة
الى الواو الى آخر كلامه ، مما يدل على جهله وافلاسه : وانه لا معرفة لديه
بكلام الله ورسوله وكلام الصحابة رضي الله عنهم وهذه الشذرة من كلامه
تدلك على قناطر من جهلته وغباوته ، فان رسول الله ﷺ الذي انزل الله
عليه (واطيعوا الله والرسول - والله ورسوله احق ان يرضوه) هو الذي
قال للرجل لما قال له ما شاء الله وشئت قال « اجعلتي لله ندّاً » وهو
الذي قال بأبي وأمي هو ﷺ في الحديث الذي رواه النسائي وصححه
عن قتيلة وقد تقدم ان يهوديا اتى النبي ﷺ فقال انكم تشركون تقولون
ما شاء الله وشئت وتقولون : والكعبة فامرهم النبي ﷺ اذا ارادوا ان
يجلفوا ان يقولوا ورب الكعبة ، وان يقولوا شاء الله ثم شئت ، وقوله ﷺ
فيما رواه أبو داود عن حذيفة « لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن
قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان » وكذلك ما ذكر عن ابراهيم النخعي انه
يكراه ان يقول للرجل اعوذ بالله وبك ، ويجوز ان يقول بالله ثم بك ، قال
ويقول لولا الله ثم فلان ، ولا يقول لولا الله وفلان ، وكذلك الحديث
الذي اخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما عن ابي هريرة في قصة النفر الثلاثة
الذين كانوا من بني اسرائيل ابرص واقرع واعى قال فيه ثم اتى ابرص

في صورته وهيئته ، فقال : رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت في الحبال
في سفري هذا فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك ، فلو كان هذا الرجل يعقل
ما يقول لما تهور بهذه المقالة ، وركب الاحمقة من هذه الجهالة والضلالة :
ولكن على تلك القلوب اكنته . فليست وان اصغت تحجب المناديا

فتبين مما تقدم من الاحاديث ان رسول الله ﷺ أمر اصحابه ان يقولوا
ما شاء الله ثم شاء فلان فعذر الصحابة رضي الله عنهم عن الواو الى ثم امثالاً
لأمر الله ورسوله ، وطاعة له ومن لم يطع الله ورسوله ولم يمثل ما أمر به فقد
عصى الله ورسوله ، وخالف ما أمر الله به فالله المستعان .

وأما قوله : فإذا تبين لك هذه النصوص من خضرة الرسالة فما بقي
لمدع كلام .

فالجواب أن نقول : قد أوضحنا ما في هذه النصوص من الحق وبيننا مراد
الله ورسوله منها بكلام الله وكلام رسوله وكلام الصحابة وأهل العلم ، فكنا
اولى بالله ورسوله واولى العلم منكم ، وبقي لمدعانا ما اوضحناه وبينناه من
الاحاديث وكلام اهل العلم عليها ما يشفى ويكفي ، لمن كان له قلب او ألقى
السمع وهو شهيد ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ، وما بقي من
كلامه بما لم تتكلم عليه فانه مما لا فائدة في الجواب عنه وانما ذكره تكثيراً
او تكبيراً لحجم الكتاب والكثرة مما لم ننازع فيه فالله المستعان .

فصل

قال الحداد : الفصل الثالث عشر في القبة ونديها وانها قرية .

واما قول النجدي : عامله الله بعد له قريب ، ان ربي سميع مجيب ، بكفر
اهل البلد الذي فيها قبة ، وانما كالضم ، مراده تكفير المتقدمين ، والمتأخرين
من الاكابر والعلماء والصلحاء ، وكافة المسلمين من احقاب وسنين ، مخالفاً للاجماع

السكوتي على الانبياء والصالحين من عصور ودهور صالحة .
 فالجواب أن يقال : اما دعاؤه على الشيخ فقير بديع من هذا الحضرمي
 واضرابه حيث لم يجدوا ما يدفعون به الحق الا بتكذيبه واكذابه ، والدعاء
 عليه ورميه بما لم يكن في حسابيه ، ولكنه غيض الاسير على القد ، وقد زعم
 ان الشيخ يكفر اهل البلد الذي فيها قبة ، وانها كالصنم ، وهو كذب على
 الشيخ واقتراء فانه لا يكفر اهل البلد بمجرد ان فيها قبة ، واما اذا كانت
 القبة مبنية على قبر يعبد به اهل البلد من دون الله ، فان كان قد بلغتهم الدعوة
 وقامت عليهم الحجة التي يكفر تاركها فما المانع من تكفيرهم ؟ وقد اجمع على
 ذلك العلماء ، واما اذا لم تبلغهم الدعوة ولم تقم عليهم الحجة ، فقد قال رحمه
 الله في رسالته للشريف : واما الكذب والبهتان مثل قولهم انا نكفر
 بالعموم ونوجب الهجرة البنا على من قدر على اظهار دينه وانا نكفر من لم
 يكفر ومن لم يقاتل ، ومثل هذا واضعاف اضعافه ، وكل هذا من الكذب
 والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله ، واذا كنا لا نكفر
 من عبد الصنم الذي على قبر عبد القادر ، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي
 وأما لهما لأجل جهلهم وعدم من ينبيههم فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم
 يهاجر إلينا ولم يكفر ولم يقاتل ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم ، انتهى . والصنم
 هو الوثن الذي يعبد كما في القاموس وغيره ، وكذلك ما صور على صورة
 المعبود من ذهب أو فضة أو نحاس أو غيره .

وأما قوله : مراده تكفير المتقدمين والمتأخرين من الاكابر والعلماء
 والصالحين وكافة المسلمين .

فأقول : هذا من أعظم الكذب والبهتان والزور والعدوان وحقيقة قول
 هذا الملاحد أن المتقدمين والمتأخرين من الاكابر والعلماء والصالحين وكافة المسلمين
 يتخذون القباب على القبور ويرون انها قرينة ويندبون الى ذلك وانهم مجمعون
 على ذلك اجماعاً سكوتياً ، وسندكر من احاديث رسول الله ﷺ وكلام اهل

العلم ما بين كذب هذا الدجال المفتري القائل على الله وعلى رسوله وعلى اهل العلم بغير علم ، فنقول : ثبت في الصحيح والسنة عن رسول الله ﷺ انه نهى عن البناء على القبور وأمر بهدمه كما روى مسلم في صحيحه حيث قال : حدثنا يحيى : حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب بن ابي ثابت عن ابي وائل عن ابي هياج الاسدي قال : قال علي ألا ابعدك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ان لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته ، حدثنا بكر بن أبي شيبة قال حدثنا حفص بن غياث عن بن جريج عن ابي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ ان يحصص القبر وأن يبنى عليه وان يكتب عليه ، وقال ايضاً حدثنا هارون بن سعيد الايلي قال حدثنا ابن وهب قال حدثني عمرو بن الحارث أن ثاممة بن سفي حدثه قال كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بقبوره فسوي ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها ، وقال الترمذي باب ما جاء في تسوية القبور وساق بسنده عن ابي وائل ان علياً رضي الله عنه قال لابي الهياج الاسدي ألا ابعدك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ان لا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته ولا تمثالا إلا طمسته ، قال : وفي الباب عن جابر ، وقال ابن ماجه : باب ما جاء في النهي عن البناء على القبور وتحصيصها والكتابة عليها ثم ساق بسنده عن جابر قال نهى رسول الله ﷺ عن تحصيص القبور وبسنده ايضاً عن جابر ، قال نهى رسول الله ﷺ أن يكتب على القبر شيء ، وبسنده ايضاً عن أبي سعيد أن النبي ﷺ نهى أن يبنى على القبر ، وقال النووي في شرح مسلم ، قال الشافعي رحمه الله في الام رأيت الائمة بمكة يأمرؤن بهدم ما بيني ، ويؤيد الهدم قوله : ولا قبراً مشرفاً إلا سويته ، وقال الاذري رحمه الله في قوت المحتاج ثبت في صحيح مسلم النهي عن التخصيص والبناء وفي الترمذي وغيره النهي عن الكتابة ، وقال القاضي بن كج ولا يجوز ان يبنى عليها قباباً ولا غيرها والوصية بها باطلة قال الاذري ولا يبعد الجزم بالتحريم في ملكه وغيره من غير حاجة على من

علم النهي بل هو القياس الحق والوجه في البناء على القبور المباهة ومضاهاة الجبارة والكفار والتحريم ثبت بدون ذلك ، وأما بطلان الوصية ببناء القباب وغيرها من الابنية العظيمة وانفساق الاموال الكثيرة عليها ، فلا ريب في تحريمه ، والعجب كل العجب ممن يلزم ذلك الوردية من حكم الضر ويعمل بالوصية ، بذلك انتهى كلام الادريجي .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في اغاثة الملهفان : ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما أمر به ونهى عنه وما كان عليه أصحابه وبين ما عليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهما مضادا للآخر مناقضه ، بحيث لا يجتمعان أبدا ، فمنه رسول الله ﷺ عن الصلاة الى القبور وهؤلاء يصلون عندها ، ومنه عن اتخاذها مساجد ، وهؤلاء يبنون عليها المساجد ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيوت الله تعالى ، ومنه عن ايقاد السرج عليها ، وهؤلاء يوقفون الوقوف على ايقاد القناديل عليها ، ومنه ان يتخذ عيدا وهؤلاء يتخذونها أعيادا ومناسك ويجمعون لها كاجتماعهم العيد أو أكثر ، وأمر بتسويتها كما روى مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الا ابعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ان لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته وفي صحيحه أيضا عن ثمامة بن ثني قال : كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بقبوره فسوي ، ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها ، وهؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين ويرفعونها من الارض كالنيت ويعقدون عليها القباب ، ومنه عن تخصيص القبر والبناء عليه كما روى مسلم في صحيحه عن جابر قال : نهى رسول الله ﷺ عن تخصيص القبر وان يقعد عليه وان يبني عليه بناء ومنه عن الكتابة عليها كما روى أبو داود في سننه عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ نهى « عن أن تخصص القبور وأن يكتب عليها » قال الترمذي حديث حسن صحيح ، وهؤلاء يتخذون عليها الألواح ويكتبون عليها القرآن وغيره ،

ونهى ان يزداد عليها غير تراها كما روى أبو داود من حديث جابر أيضا ان رسول الله ﷺ « نهى ان يحصص القبر أو يكتب عليه أو يزداد عليه » وهؤلاء يزيدون عليه سوى التراب الآجر والاحجار والجص ، ونهى عمر بن عبد العزيز ان يبني القبر بأجر وأوصى الاسود بن يزيد ان لا تجعلوا على قبوري آجرا وقال ابراهيم النخعي : كانوا يكرهون الآجر على قبورهم ، وأوصى أبو هريرة حين حضرة الوفاة ان لا تضربوا علي فسطاطا ، وكره الامام احمد ان يضرب على القبر فسطاطا . والمقصود ان هؤلاء المعظمين للقبور والمتخذينها أعيادا الموقدين السرج الذي يبنون عليها المساجد والقباب مناقضون لما أمر به رسول الله ﷺ محادون لما جاء به ، وأعظم ذلك اتخاذها مساجد وإيقاد السرج عليها وهو من الكبائر ، وقد صرح الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم بتحريمه ، قال : أبو محمد القدسي : ولو أبيح اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله ولان فيه تضييعا للمال في غير فائدة وإفراطا في تعظيم القبور أشبه تعظيم الاصنام ، قال ، ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور لهذا الخبر ولأن النبي ﷺ قال « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا » متفق عليه ولأن تخصيص القبور عندها يشبه تعظيم الاصنام بالسجود لها والتقرب اليها ، وقد روينا أن ابتداء عبادة الاصنام تعظيم الاموات باتخاذ صورهم والتمسح بها والصلاة عندها ، انتهى . وذكر كلاما طويلا وقال في الاقناع وشرحه من كتب الحنابلة : ويكره البناء عليه أي القبر سواء لاصق البناء الارض أولا ولو في ملكه من قبة أو غيرها للنهي عن ذلك لحديث جابر قال : نهى رسول الله ﷺ « ان يحصص القبر وان يبني عليه وان يقعد عليه » رواه مسلم والترمذي وزاد : وان يكتب عليه وقال حسن صحيح ، وقال بن القيم في كتابه اغائة المهفان في مكائد الشيطان يجب هدم القباب التي على القبور لأنها أسست في معصية الرسول ، انتهى . وهو أي البناء في المقبرة المسبلة أشد كراهة ، لأنه تضيق بلا فائدة واستعمال للمسبلة فيما لم توضع له ، وعنه منع البناء في وقف عام وفاقا للشافعي وغيره ، وقال رأيت الائمة بمكة يأمرؤن

يهدم ما بيني . وما ذكره المصنف هو معنى كلام ابن قيم ، قال في الفروع فظاهر ما ذكره ابن قيم ان الاشهر لا يمنع وليس كذلك ، فان المتقول في هذا ما سأل به أبو طالب عن اتخذ حجرة في المقبرة قال لا يدفن فيها والمراد لا يختص به وهو كغيره وجزم بن الجوزي بأنه يحرم حفر قبر في مسبة قبل الحاجة فها هنا أولى ، قال الشيخ : من بني ما يختص به فيها فهو غاصب وهذا مذهب الاثثة الاربعة وغيرهم ، وقال أبو المعالي : فيه تضيق على المسلمين وفيه في ملكه اسراف واضاعة مال وكل منهى عنه قال أبو حفص تحرم الحجرة بل تهدم وهو أي القول بتحريم البناء في المسبة الصواب لما يأتي في الوقف أنه يجب صرفه للجهة التي عينها الواقف الى ان قال : ويحرم اسراجها أي القبور ، لقوله ﷺ « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » رواه أبو داود والنسائي بمعناه ، ولو أبيض لم يلعن النبي ﷺ من فعله ولان في ذلك تضيقاً للمال من غير فائدة ومغالة في تعظيم الاموات يشبه تعظيم الاصنام ، ويجزم اتخاذ المساجد عليها أي القبور وبينها لحديث أبي هريرة ان النبي ﷺ قال « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » متفق عليه وتعين ازالتها أي المساجد اذا وضعت على القبور أو بينها ، وفي كتاب الهدى النبوى لابن قيم الجوزية لو وضع المسجد والقبر معاً لم يجز ولم يصح الوقف ولا الصلاة تغليبا لجانب الحظر ، انتهى . وكلام العلماء في هذا المعنى اكثر من أن يحصر ، فاذا تبين لك ما ذكرناه فأن الاجماع السكوني من عصور ودهور صالحة لو كان أهل الشرك يعلمون ؟ .

وأما قوله : قال تلميذ ابن تيمية الامام ابن مفلح الحنبلي في الفصول : القبة والحضيرة في التربة ان كان في ملكه فعل ما يشاء وان كان في مسبة كره للتضيق بلا فائدة ، ويكون استعمالا في المسبة فيما لم توضع له ، انتهى كلام ابن مفلح .

فالجواب من وجوه : أحدها أن شيخ الاسلام ابن تيمية شيخه وابن القيم

كذلك شيخه وهما اعلم منه واعرف بمذهب الحنابلة وبمذهب الامام احمد وقدم كلامهما قريبا وهو لا يخالفهما قطعا .

الوجه الثاني : انه قد صحت الاخبار عن رسول الله ﷺ يهدمها والنهي عن البناء عليها واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل .

الوجه الثالث : انا نطالبه بصحة هذا النقل فانه غير مأمون وقد تصرف فيه وخرف بلا شك فلا يلتفت الى نقله ولا يعول عليه ، وكذلك قوله قال ابن القيم الحنبلي ما اعلم تحت اديم السماء أعلم في الفقه من مذهب احمد من ابن مفلح فأقول هذا لا يوجب ان نترك ما صح عن نبيتنا ونأخذ بقوله مع مخالفته لما قاله سادات الحنابلة ، ونحن لا نشك في امامة ابن مفلح ومعرفة وفقهه ، وشيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم هما اعلم بمذهب احمد وافقه منه ، وقول الحداد قوله في المسئلة بلا فائدة ، اشارة الى أن المقبور غير عالم وولي . واما هما فيندب قصدهما للزيارة كالانبياء عليهم السلام ويتوقع الزائر بذلك من الحر والبرد والمطر والريح والله اعلم لان للوسائل حكم المقاصد .

فالجواب ان نقول حاشا لله ومعاذ الله ان يكون هذا قصده وكلامه أو ان يكون هذا الغلو اشارته ومرامه فان تقواه لله ودينه وورعه أجل وأعظم من ان يكون من جملة اعداء الله ورسوله فيمنعه ذلك من الدخول في حوزة من حاد الله ورسوله وسلوك طريقهم ، بل طريقته وديانته على منهج شيخه شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم رحمة الله عليهما ، وابن مفلح رحمه الله ممن يوجب هدم القباب ويحرم الزيارة الشركية ويغلظ في ذلك كامثاله من أهل العلم ولكن هؤلاء الملاحدة قوم بهت ومحاولون ان يتدرج أئمة الاسلام في جملة عباد القبور وأهل البدع ويأبي الله ذلك والله ناصر دينه ورسوله وعباده المؤمنين وجاعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا .

وأما قوله : قال ابن حجر في التحفة في كتاب الوصايا : ويظهر اخذا بما مر وبما قالوه في النذر للقبور المعروف يخرجان صحتها كالوقف لضريح الشيخ الفلاني

ويصرف في مصالح قبره والبناء الجائر عليه ومن يخدمونه أو يقرؤوا عليه .
 فاقول : ان صح هذا القول عن قائله فهو مصادم لقول رسول الله ﷺ ونبيه
 عن البناء على القبر وما كان هذا سبيله فقولاه مطروح لا يعول عليه ولا يلتفت
 اليه ، وأما النذر فانه من خصائص الآلهية فمن نذر لغير الله فهو مشرك .
 وأما القراءة فقال ابن القيم رحمه الله بعد كلام له قال : وذاكرت مرة بهذا المعنى
 بعض القضاة فاعترف به وقال لكن بقي شيء آخر وهو ان الواقف قد
 يكون قصد انتفاعه بسماع القرآن على قبره ووصول بركة ذلك اليه ، فقلت
 له : انتفاعه بسماع القرآن مشروط بحياته فلما مات انقطع عمله كله واستماع القرآن
 من أفضل الاعمال الصالحة وقد انقطع بموته ولو كان ذلك ممكنا لكان السلف
 الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أولى بهذا الحظ العظيم لمسارعتهم الى
 الخير وحرصهم عليه . ولو كان خيرا لسبقونا اليه فالذي لا شك فيه انه لا يجب
 حضور التربة ولا تعمير القراءة عند القبر انتهى . وأما من يخدم القبر فلا شك
 انهم من جنس سدنة اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ولهم الحظ الوافر
 من عبادتها والعكوف عليها وتعظيمها فأهانتهم على ذلك من الاعانة على الكفر
 بالله نعوذ بالله من ذلك . وكذلك ما ذكر عن ابن حجر المكي يخالف لما ثبت
 في الاحاديث الصحيحة فلاحجة فيه وليس هو من الائمة المقتدي بهم في اصول
 الدين وفروعه ، واذا ثبت مخالفته للسنة الثابتة الصحيحة فلا يكون قرينة بل
 يكون بدعة وضلالة ومعصية . وكذلك ما ذكره أيضاً عن ابن حجر يجوز
 تجويز البناء كبيت أو قبة اذا كان على غير عالم أو نحوه اذا كان البناء في
 ملكه ومنعه في المسئلة على العالم ونحوه وما ذكره من رد الحلبي المحشي على
 المنهج من استثناء قبور الانبياء عليهم السلام والصحابة رضي الله عنهم والعلماء
 والاولياء فلا تحرم عمارتها أي في المسئلة الى آخر كلامه وهذا كله مما يخالف
 ما ثبت عن الرسول سواء كان على نبي أو عالم أو ولي أو صالح أو طالح أو غير
 ذلك ثم قال : وأما القبة على غير نحو عالم وولي فيحل كما في الاقناع للحنابلة

عن سيدنا عمر لما رآها قال : نحوها عنه وخلوا بينه وبين عمله يظله ، أي لانه لا يقصد للزيارة بخلاف النبي والعالم الى آخر كلامه .

فالجواب ان يقال قد تقدم كلام الخنابلة وانه لا يحل البناء على القبور سواء كان عالماً أو غير عالم والاثر المروي عن عمر رضي الله عنه دليل على المنع لانه قال : نحوها عنه وخلوا بينه وبين عمله يظله . اشارة الى انه لا يظله الاعمله ، فان لم يكن له عمل صالح لم يظله ما جعلتم عليه من الظلال . وأما تأويل هذا الملحد لقول عمر فهو من ابطال الباطل واحلل المحال وحاشا لله ان يكون اصحاب رسول الله ﷺ بهذه المثابة ، وكيف يكون ذلك ؟ وقد قطع الشجرة التي بويج تحتها رسول الله ﷺ يوم الحديبية لما رأهم ينتابونها للصلاة عندها ، وقال « انما هلك من كان قبلكم بتتبع اثار انبيائهم » فكيف يظن به انه انما نهى عن تظليل صاحب القبر لانه ليس نبيا وعالما فلا يقصد للزيارة وانما يقصد للزيارة الانبياء والعلماء ؟ وهذا من احل المحال وابطل الابطال ومن القول على الله وعلى رسوله واولى العلم من خلقه بغير علم وهذا غير مستنكر من كذبهم على العلماء بالتأويلات الباطلة والله اعلم . وقد أمر رضي الله بعماء قبر دانيال لما وجده الصحابة رضي الله عنهم بدستر فحفروا بالنهار ثلاثة عشر قدرا ودفنوه ليلا في احدها لئلا يعرفه الناس فينتابونه للزيارة والاستسقاء به ودعائه أو الدعاء عنده .

وأما ما نقله عن ابن حجر بقوله : وأما المحرمات فلم يعهد في زمن من الأزمنة اطباق جميع الناس خاصتهم وعامتهم عليها وهذه الامة معصومة من الاجتماع على ضلالة واذا عصمت من ذلك كان اطباقيهم جميعاً خاصتهم وعامتهم على امر حجة على جوازه في أي زمن كان سواء الازمنة الأولى أم المتأخرة . فأقول : نعم لم يعهد في زمن من الأزمنة اطباق جميع الناس خاصتهم وعامتهم على جواز البناء على القبور واتخاذها مساجد واسراجها وخدمتها وسداتها والعكوف عندها بل كان أهل العلم بالله وبدينه في كل زمان ومكان ينبهون

عن البناء عليها وعن اسراجها والعكوف عندها وعن شد الرجال اليها للزيارة ، ولم تخل الارض والله الحمد والمنة من قائم الله بحججه وبيئاته ولم يجتمع على وضع القباب على القبور وسدانتها والعكوف عليها وشد الرجال اليها بالزيارة البدعية الاعداد القبور . وأما أهل الايمان بالله واتباع رسوله المعتصمون بسنته فهم يراء الى الله بما عليه أهل الشرك وأهل البدع والله الحمد والمنة ، وإذا ثبت هذا فاجماع عباد القبور على البناء على القبور ورفع القباب عليها وسدانتها والعكوف عندها لا يكون دليلاً ولا حجة على عدم تحريم ذلك وكيف لا يكون محرماً وقد لعن رسول الله ﷺ فاعله وبعث علي بن أبي طالب ان لا يدع قبراً مشرفاً إلا سواه ولا مثلاً إلا طمسه كما تقدم بيانه ؟ .

وأما قوله : فاذا تقرر لك كلام العلماء عرفت ضلال التجدي وبيئاته العظيم بافتائه بالكفر ويهدمه لقبهم ونش قبورهم واهانتهم ، فأقول : قد تقرر عندنا وعند كل مؤمن بالله ورسوله مخالفة من ذكرت من العلماء لاحاديث رسول الله ﷺ الصحيحة الصريحة الثابتة ولاهل العلم المتمسكين بسنة رسول الله وبأئمة السلف من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين المهتدين ، وتحقق عندنا صحة ما قاله الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وأنه الحق والصواب الموافق لصريح السنة والكتاب ، وتبين لنا ضلال من خالفه ، وأما دعواه ان الشيخ يكفرها كفر إلا من كفره الله ورسوله بعبادة غير الله ، وأما هدم القباب فنعم وقد تبع في ذلك أئمة الاسلام من سادات الحنابلة وغيرهم من العلماء قال الامام محمد بن ادريس الشافعي في الام : رأيت الائمة بمكة يأمرؤن يهدم ما يبني انتهى . اذ بناء القباب انما أحدثه الرافضة فهم سلف الحداد واشباهه من عباد القبور ، وأما نبش القيور واهانة أهلها فمن الكذب والبهتان والزور والعدوان .

فصل

قال الملحد وقد حج بعض العلماء اتباعه ممن يدعي بعلمه وهم أولاد محمد ابن عبد الوهاب ومن نخا نخوم ما دليل تكفير الشيخ بالتكفير لاهل البلد بالكفر لاجل القبة قالوا : لانهم لم يزيلوها وراضون بها قال لهم : ليس هذا يكفرون على تقدير انها بدعة فقد يقدر البعض دون البعض ويلزمكم الحكم في المنكرات كلها لافي القبة خاصة وأحد يقدر على الازالة ، وقد يمكن ان احدا رضي ولا رضى غيره لأن أفعال الناس من لدن النبي ﷺ الى اليوم ما نقول بكفر قرية وبلد لحكم عمل به البعض دون البعض تكفر الكل فقالوا لا بد للشيخ من دليل وحجة والا لما قال بالتكفير عموما فقال ما هذا بكلام اذ حجوكم بحجة عن الخنفي أو المالكي أو الشافعي والحنبلي اظهروا لكم دليلا منهم لذلك ما يقولون للحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي من دليل فقال له بعضهم حجتنا على أقوالنا السيف لا غير فقال صدقت لا حجة إلا البغي والعناد. فالجواب ان نقول : هذه الحكاية لا أصل لها وهذه محاجة من لا علم لديه ولا معرفة وأولاد الشيخ رحمه الله من أجلة العلماء وعندهم من الحجج والبيانات العقلية والنقلية ما لا تقدرُونَ على جوابها أنتم ولا سلفكم الماضون فكيف بهذه الحكاية الساجدة المارجة التي هي اللاتقة بعلومكم وفهومكم ، وقد اجتمع أولاد الشيخ بعلماء مكة المشرفة وأحضروهم للمناظرة فادحضوا حججهم بالكتاب والسنة وأقوال سلف الامة وأثبتها ، وأقر لهم علماء مكة ، وكذلك لما احضرهم الشيخ حمد بن ناصر بن معمر للمناظرة لما طلب الشريف من الشيخ محمد رحمه الله أن يبعث برجل من تلامذة الشيخ للمناظرة فادحض حججهم وبين ضلالتهم وصنف في المناظرة الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب ، والعالم المنصف اذا نظر فيها علم أن الله سبحانه قد أقامهم حجة على خلقه بحسن ما أفاد فيها وأجاد واستدل به من السنة والكتاب وبأقوال العلماء الانحاج .

وأما قول هذا المحدث : وأما نص التجدي بمنع النذر مطلقاً للأكابر ، فمن افتراءه على كتب الشريعة وجهه المركب كيف وقد نص العلماء ؟ كشيخ الاسلام زكريا وتلامذته ابن حجر في التحفة والرملي في النهاية وجملة من العلماء بصحة النذر للمشائخ اذا لم ير التملك لهم وقالوا يصرف في اسراج على قبره . في قبله لنفع الزائر بذلك وغير ذلك مما اعتيد من اطعام الزائر فانظر ذلك في كتابنا « السيف الباتر » الى آخر كلامه .

فالجواب أن نقول : قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال « لعن الله زائرات زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » فالصارفون ما نذره الناذرون لغير الله من المشائخ لا يقاد السرج على القبر في القبلة لنفع الزائر داخلون في لعنة رسول الله ﷺ هذا قول رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى ، وأما كلام العلماء ، فقال ابن القيم رحمه الله تعالى في الاعلام : ومن ذلك اشتراط ابقاد سراج أو قنديل على القبر فلا يحل للواقف شرط ذلك ولا للحاكم تنفيذه ولا للمفتي تسويغه ولا للموقوف عليه فعله والتزامه ، فقد لعن رسول الله ﷺ المتخذين السرج على القبور فكيف يحل للمسلم أن يلزم أو يسوغ فعل ما لعن رسول الله ﷺ فاعله وحضرت بعض قضاة الاسلام يوماً وقد جاءه كتاب وقف على تربة ليثبته وفيه وان يؤقد على القبر كل ليلة قنديلا ، فقلت كيف يحل لك أن تثبت هذا الكتاب وتحكم بصحته مع علمك بلعنة رسول الله ﷺ المتخذين السرج على القبور ، فامسك عن اثباته . وقال الامر كما قلت أو كما قال . وقال الرافعي في شرح المنهاج وأما النذر للمشاهد التي على قبر ولي أو شيخ أو على اسم من حلها من الأولياء أو تردد في تلك البقعة من الأولياء والصالحين ، فان قصد الناذر بذلك وهو الغالب أو الواقع من قصود العامة تعظيم البقعة والمشهد أو الزاوية أو تعظيم من دفن بها أو نسبت اليه أو بنيت على اسمه ، فهذا النذر باطل غير منعقد فان معتقدهم ان لهذه الاماكن خصوصيات ويرون أنها بما يدفع بها البلاء ويستجلب بها النعماء ويستشفى بالندو لها من الادواء حتى انهم يندرون

لبعض الاحجار لما قيل لهم انه استند اليها عبد صالح وينذرون لبعض القبور السرج والشموع والزيت ويقولون القبر الفلاني أو المكان الفلاني يقبل النذر يعنون بذلك انه يحصل به الغرض المأمول من شفاء مريض أو قدوم غائب أو سلامة مال وغير ذلك من أنواع نذر المجازات فهذا النذر على هذا الوجه باطل لا شك فيه بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل مطلقا ، ومن ذلك نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر الحليل عليه السلام ولقبر غيره من الانبياء والاولياء ، فان الناذر لا يقصد بذلك الايقاد على القبر إلا تبركا وتعظيما ظانا أن ذلك قرينة فهذا مما لا ريب في بطلانه والايقاد المذكور محرم سواء انتفع به هناك منتفع ام لا ، وقال الشيخ قاسم الحنفي رحمه الله في شرح درر البحار : النذر الذي ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد كأن يكون للانسان غائب أو مريض أو له حاجة فيأتي الى بعض الصلحاء ويجعل على رأسه سترة ويقول يا سيدي فلان ان رد الله غائبي أو عوفي مريضى او قضيت حاجتي فلك من الذهب كذا أو من الفضة كذا أو من الطعام كذا أو من الماء كذا أو من الشمع والزيت كذا ، فهذا النذر باطل بالاجماع لوجوه منها : أنه نذر لمخلوق والنذر للمخلوق لا يجوز لانه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق ، ومنها : أن المنذور له ميت والميت لا يملك ، ومنها انه ظن ان الميت يتصرف في الامور دون الله واعتقاد ذلك كفر الى أن قال : اذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها وينقل الى ضرائح الاولياء تقربا اليها فحرام أجماع المسلمين نقله عنه بن نجيم في البحر الرائق ، ونقله المرشدي في تذكرته وغيرهما عنه وزاد قد ابتلى الناس بهذا لا سيما في مولد البدوي ، وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي في الرد على من أجاز الذبيح والنذر للاولياء : فهذا النذر والذبيح ان كان على اسم فلان فهو لغير الله فيكون باطلا ، وفي التنزيل ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه (قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له) والنذر لغير الله اشراك مع الله كالذبيح لغيره ،

انتهى . واما كلام الخنابلة فأكثر من ذلك وأكبر ، واما ما ذكره عن الشيخ
 زكريا وابن حجر والرملى فهو لاء ليسوا بمن يعتد بهم ولا بكلامهم وخلافهم بل
 الظاهر أنهم من الغلاة المعظمين للقبور فلا معول على كلامهم .
 واما قوله : ومن زلّ به القدم حلّ به الندم . فأقول : نعم والله زلّ بك
 القدم وحلّ بك الندم وأحاطت بك العقوبات والتقم وقد اتبعت غير سبيل المؤمنين
 قال تعالى (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)
 ثم ذكر حديثاً في الوعيد لمن كتم العلم وذكر الآيات في ذلك وانه لو ما ورد
 في ذلك لما جمع هذه الفصول في هذه الرسالة وبئس ما جمعه فيها من الضلالة
 وأتلف فيها من الجهالة لأنها مشتملة على جواز دعاء غير الله والاستغاثه به
 وصرف خالص حق الله للأولياء والأنبياء والصالحين وعلى دعوة الخلق الى الشرك
 بالله وثلب علماء المسلمين وتكفيرهم بالدعوة الى دين الله ورسوله وبيان الحق
 بحجج الله وبياناته وزعم أنه قد حرر من كلام العلماء الأعلام ما لعل من
 وقف على ذلك من المسلمين عرف الصواب والحق وظهر له الحجة والمحنة وسلك
 طريق الهدى ولم يحف عليه الردى .

وكل يدعى وصلاً لليلى وليلى لا تقر لهم بهذا كما
 ومعاذ الله ان يكون بهذه المثابة أو أن يكون عرف الحق والهدى
 واصابه أو أظهر الحجة لأهل الاصابة فمن وقف على كلامه ونظر بعين البصيرة
 في مرامه علم يقيناً أنه ممن افترى على كتب الشريعة ومن اقترح المنكرات
 الشنيعة والموضوعات المختلفة الوضعية والترهات والخرافات الفضيعة كما ذكره
 فيما مضى وفيما يأتي من اقواله الواهية الساجدة وخزغلالاته المتهافئة المارجة .

فصل

قال الحضرمي : خاتمة في زيارة الاولياء واستحباب الرحلة اليها وفوائدها وما يقع في الزيارة مع الاجتماع من المنكرات كاختلاط النساء بالرجال وفي قراءة القرآن واهداء ثوابه لهم وفي الصدقة كذلك وفي انشاد الشعر وفي مشاهد الاولياء وليس فيها قبورهم وهي فائدة عظيمة تسوى رحلة قال الامام الغزالي في الاحياء في الباب السابع من ربيع العبادات وهو ككتاب أسرار الحج ، قال عليه السلام « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى » وقد ذهب بعض العلماء الى الاستدلال بهذا الحديث في المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء وما تبين لي أن الأمر كذلك بل الزيارة مأمور بها قال عليه السلام « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » والحديث إنما ورد في المساجد وليس في معناه المشاهد لأن المساجد بعد المساجد الثلاثة متائلة فلا بلدة الا وفيها مسجد فلامعنى الى الرحلة الى مسجد آخر وأما المشاهد فلا تتساوى ، فان بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله ، نعم لو كان في موضع لا مسجد له فله الرحلة الى موضع فيه مسجد وينتقل اليه بالسكينة ان شاء ثم ليت شعري هل يمنع هذا القائل ؟ من شد الرحال الى قبور الانبياء مثل ابراهيم وموسى ويحيى وغيرهم فالمنع من ذلك في غاية الاحالة واذا جوز ذلك فقبور العلماء والاولياء والصلحاء في معناها فلا يبعد ان يكون ذلك من اغراض الرحلة كما في زيارة العلماء في الحياة من المقاصد هذا في الرحلة انتهى .

والجواب ان تقول : قد كان من المعلوم ان الغزالي قد سلك في الاحياء طريق الفلاسفة والمتكلمين في كثير من مباحث الألهيات وأصول الدين وكسا الفلسفة لحاء الشريعة حتى ظننها الانهار والجهال بالحقائق من دين الله الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب ودخل به الناس في الاسلام وهي في الحقيقة

بعض فلسفة منتنة يعرفها أولو الابصار ويحبها من سلك سبيل أهل العلم كافة في القرى والامصار قد حذر أهل العلم والبصيرة عن النظر فيها ومطالعة خافيتها وباديها بل أفق بتحريفها علماء المغرب ممن عرف بالسنة وسماها كثير منهم امانة علوم الدين ، وقام ابن عقيل اعظم قيام في الذم والتشيع وزيف ما فيه من التسيويه والترقيق وجزم بان كثيراً من مباحثه زندقة خالصة لا يقبل لصاحبها صرف ولا عدل ، واما كون بعض العلماء ذهب الى الاستدلال بهذا الحديث فنعم قد ذهب بعض العلماء الى الاستدلال بهذا الحديث في المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء ومستندهم الكتاب والسنة واجماع سلف الامة وأئمتها وليس مع من خالفهم حجة يجب المصير اليها .

واما قوله : ولم يتبين لي ان الامر كذلك فنقول نعم لم يتبين له ذلك لانه لم يكن له معرفة بالحديث ورجالته والفقهاء فيه ومعرفة معانيه وانما كان تبحره وعلمه في الكلام ولذلك ادخله فيما لا يخلص منه ودخل به في علوم الفلسفة كما قال تلميذه ابن العربي المالكي شيخنا ابو حامد دخل في جوف الفلسفة ثم اراد الخروج فلم يحسن قال الامام الحافظ ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الهادي في الصارم المنكي في الرد على السبكي في اثناء كلام له ولكن هذا الموضوع مما يشكك على كثير من الناس فينبغي لمن اراد ان يفهم دين الاسلام ان يتأمل النصوص النبوية ويعرف ما كان يفعله الصحابة والتابعون وما قاله أئمة المسلمين ليعرف الجميع عليه من المتنازع فيه فان الزيارة فيها مسائل متعددة متنازع فيها ولكن لم يتنازعوا فيما علمت في استحباب السفر الى مسجده واستحباب الصلاة والسلام عليه فيه ونحو ذلك مما شرعه الله في مسجده ولم تتنازع الأئمة الاربعة والجمهور في أن السفر الى غير الثلاثة ليس بمستحب لا لقبور الانبياء والصالحين ولا غير ذلك في ان قول النبي ﷺ « لا تشد الرحال » حديث متفق على صحته وعلى العمل به عند الأئمة المشهورين وعلى ان السفر الى زيارته القبور داخل فيه فاما ان يكون نهياً وإما ان يكون نهيّاً للاستحباب وقد جاء في الصحيح

بصيغة النهي صريحاً فتعين انه نهى فهذان طرفان لا أعلم فيها نزاعاً بين الأئمة
 الأربعة، والجمهور والأئمة الأربعة وسائر العلماء لا يوجبون الوفاء على من نذر
 ان يسافر الى أثر نبي من الانبياء قبورهم او غير قبورهم وما علمت احداً أوجبه
 غير ابن حزم الى ان قال : ولهذا فهم الصحابة من نهيه ان يسافر الى غير
 المساجد الثلاثة ان السفر الى طور سيناء داخل في النهي وان لم يكن مسجداً
 كما جاء في بصرة بن أبي بصرة وابي سعيد وابن عمر وغيرهم وحديث بصرية
 معروف في السنن والموطأ قال لأبي هريرة وقد اقبل من الطور لو ادر كك
 قبل ان تخرج اليه لما خرجت سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا تعمل المطي
 الا الى ثلاثة مساجد : مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى » واما
 ابن عمر فروى ابو زيد عمر بن شبة النمري في كتاب اخبار المدينة حدثنا
 ابن ابي الوزير حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طلق عن قرعة قال : اتيت
 ابن عمر فقلت اني أريد الطور فقال لما تشد الرجال الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام
 ومسجد المدينة والمسجد الاقصى فدع عنك الطور فلا تأته رواه احمد بن حنبل
 في مسنده ، وهذا النهي عن بصرة بن ابي بصرة وابن عمر ثم موافقة ابي هريرة
 يدل على انهم فهموا من حديث النبي ﷺ النهي فلذلك نهوا عنه ولم يحملوه على
 مجرد نفى الفضيلة وكذلك ابو سعيد الخدري وهو راويه ايضاً وحديثه
 في الصحيحين فروى ابو زيد حدثنا هشام بن عبد الملك حدثنا عبد الحميد بن هرام
 حدثنا شهر بن حوشب قال سمعت ابا سعيد وذكر عنده الصلاة في الطور فقال :
 قال رسول الله ﷺ « لا ينبغي للمطي ان تشد رحالها الا الى مسجد يتبغي
 فيه الصلاة غير لمسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى » فابو سعيد
 جعل الطور مما نهى عن شد الرحال اليه مع ان اللفظ الذي ذكره انما فيه النهي
 عن شدها الى المساجد فدل على انه علم ان المشاهد أولى بالنهي ، والطور انما
 يسافر من يسافر اليه لفضيلة البقعة وأن الله سبحانه الوادي المقدس فانه ليس هناك
 قرية للمسلمين وان كان هناك مسجد ، فاذا نهى الصحابة عن السفر الى تلك

البقعة وفيها مسجد فاذا لم يكن فيها مسجد كان النهي عنها أقوى وهذا ظاهر لا يخفى على احدنا فالصحابا الذين سمعوا الحديث من النبي ﷺ فهموا منه النهي وفهموا منه تناوله لغير المساجد وهم أعلم بما سمعوه وبسط هذا له موضع آخر والمقصود هنا ذكر ما تنازع فيه الأئمة المشهورون أو غيرهم وما لم يتنازعوا فيه فان بين الطرفين الذين لم يتنازع فيها الاثمة مسائل متعددة فيها نزاع ، ولكن طائفة من المتأخرين يستحبون السفر الى زيارة قبور الانبياء والصالحين ويفعلون ذلك ويعظمونه لكن في هؤلاء احد من المجتهدين الذين تحكى اقوالهم وتجعل خلافا على ما قبلهم من أئمة المسلمين هذا بما يجب النظر فيه والله اعلم انتهى .
وأما قوله : بل الزيارة مأمور بها قال ﷺ « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » .

فأقول : نعم هذا حق ولا مانع من زيارة القبور الزيارة الشرعية فأما شد الرحل فممنوع لما تقدم من الاحاديث ونهى الصحابة رضي الله عنهم عن السفر الى الطور وكذلك الاثمة الاربعة والجمهور لم يتنازعوا في أن السفر الى غير المساجد الثلاثة ليس بمستحب لا لقبور الانبياء والصالحين ولا لغير ذلك فان قول النبي ﷺ « لا تشد الرحال » حديث متفق على صحته وعلى العمل به عند الاثمة المشهورين ، وعلى ان السفر الى زيارة القبور داخل فيه ، فاذا كان هذا قول الاثمة الاربعة وجمهور العلماء فلا عبرة بمن خالفهم ممن لا يداينهم في الفضل والعلم والمعرفة حيث لم يتبين له ذلك ، فقد تبين ذلك للصحابة رضي الله عنهم وللاثمة الاربعة وغيرهم من العلماء .

وأما قوله : والحديث انما ورد في المساجد ، وليس معناه المشاهد لأن المساجد بعد المساجد الثلاثة متائلة إلى آخره .

فأقول جوابه من وجوه (الاول) أن الصحابة الذين هم الاسوة بهم والقادة فهموا من الحديث تناوله لغير المساجد وهم أعلم بما سمعوه ولذلك نهوا عنه فنقول لمن خالفهم أنتم أهدي أم صحابة أحمد وأهل الحجة هيهات ما الشوك

كالورد . (الوجه الثاني) ان الله تعالى أمر بعمارة المساجد ولم يذكر المشاهد وعباد القبور بدلوا دين الله فعمروا المشاهد وعطلوا المساجد مضاهاة للمشركين ومخالفة للمؤمنين قال تعالى (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) لم يقل عند كل مشهد وقال (ما كان للمشركين ان يعبروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر) إلى قوله (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآت الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك ان يكونوا من المهتدين) ولم يقل مشاهد الله بل عمار المشاهد يخشون بها غير الله ويرجون غير الله وقال تعالى (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) ولم يقل (وان المشاهد لله وقال (ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً) ولم يقل ومشاهد وقال (في بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) الآية وأيضاً فقد علم بالنقل المتواتر وبالاضطرار من دين الاسلام ان الرسول ﷺ شرع لامته عمارة المساجد بالصلاة والاجتماع للصلوات الخمس والعينين وغير ذلك وانه لم يشرع لامته أن يبنوا على قبر نبي ولا رجل صالح لا من أهل البيت ولا غيره مسجداً ولا مشهداً ولم يكن على عهده ﷺ في الاسلام مشهد مبني لا على قبر نبي ولا غيره لا على قبر ابراهيم الخليل ولا غيره ، بل لما قدم المسلمون الى الشام غير مرة ومعهم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وغيرهم لما قدم عمر لفتح بيت المقدس لم يكن أحد منهم يقصد السفر الى قبر الخليل ولا كان هناك مشهد ، بل كان هناك البناء المبني على المنارة وكان مدوراً بلا باب له مثل حجرة النبي ﷺ ثم لم يزل الامر هكذا في خلافة بني أمية وبني العباس الى أن ملك النصارى تلك البلاد في أواخر المائة الحامسة فبنوا ذلك البناء واتخذوه كنيسة ونقبوا باب البناء ، فلهذا تجد الباب منقوباً لا مبنيّاً ثم لما استنفذ المسلمون منهم تلك الارض اتخذها من اتخذها مسجداً بل كان الصحابة اذا رأوا أحداً بني مسجداً على قبر فهو عن ذلك ، وكان عمر رضي الله عنه اذا رآهم يبنون مكاناً يصلون فيه لكونه موضع نبي ينهائم عن ذلك ويقول إنما هلك من كان قبلكم باتخاذ آثار أنبيائهم مساجد من ادركته

الصلاة فليصل والا فليذهب ، فهذا وامثاله مما كانوا يحققون به التوحيد الذي أوصل الله به الرسول اليهم ويتبعون في ذلك سنته ﷺ ، والاسلام مبني على أصلين أن لا نعبد إلا الله وأن نعبد بما شرع . لا نعبد بالبدع ، انتهى من كلام شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في المنهاج .

(الوجه الثالث) انه ليس العلة في النهي عن شد الرحال الى غير المساجد الثلاثة كونها مثالة وان غير المساجد كالمشاهد المحدثه المبتدعة في الاسلام غير مثالة فيجوز شد الرحل اليها ، بل النهي عام في المساجد والمشاهد بل تعظيم المشاهد يناقض تعظيم المساجد وتعظيمها هو أول مبادئ الشرك كما هو معلوم مشهور ، فالقياس فاسد والاعتبار كاسد .

وأما قوله : ثم ليت شعري هل يمنع هذا القائل من شد الرحال الى قبور الانبياء مثل ابراهيم وموسى ويحيى وغيرهم ؟

فأقول : جوابه ما تقدم من كلام شيخ الاسلام آنفا وبه الكفاية ، ومن تأمل كلام شيخ الاسلام ابن تيمية تبين له أن الغزالي لم يكن له معرفة بمعاني كلام الله وكلام رسوله وما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم فأنهم كانوا أسبق الناس الى كل خير وفضيلة فلو كان في زيارة المشاهد فضل أو كان مندوبا اليه لكانوا اليه أسبق من الخلوف الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون والله المستعان .

وأما قوله : فالمنع من ذلك في غاية الاحالة الى آخره .

فأقول : إنما يقول هذا من لا معرفة لديه بأحاديث رسول الله ﷺ وبما قاله الصحابة والآفة الاربعة وجهور العلماء ، فلذلك صار هذا عنده في غاية الاحالة وذلك لجهله وعدم إدراكه للعلوم الشرعية ، وافسد من هذا قياسه زيارة قبور الصالحين والعلماء والاولياء على زيارتهم في الحياة وما يستوى الاحياء ولا الاموات ، بل هذا من أفسد القياس وأبطل الباطل .

وأما قوله : وأما ما يقع من المنكرات إذا قدرنا وقوع اختلاط النساء

بالرجال فنحتاج إلى أن نتكر المنكر من حيث هو ، ولا نترك الأمر الكلي للأمر الجزئي ، قال بن المقرئ في الإرشاد في باب الجهاد : وجاز رمي نساء تنرس بهن الرجال ، وقد حضر الحسن البصري وابن سيرين رحمهما الله في بعض الجنائز وكان فيهما لفظ فأراد ابن سيرين أن يرجع ، فقال الحسن له لو قلما رأينا بدعة تركنا سنة لقد تركنا سنناً كثيرة إلى آخر ما ذكر .

فالجواب أن نقول : شد الرجال إلى زيارة القبور بدعة وما يجتمع في المشاهد من الرجال والنساء ويختلون بهن من المنكرات ، ولكن الأمر أشد من ذلك وأعظم فقد يقع فيها من الشرك الأكبر وعبادة أربابها ما لا يحصى إلا الله فلا استدلال بقول الحسن رحمه الله في حضور الجنازة والصلاة عليها وما يحصل هناك من اللفظ أنه لا يترك فعل السنة من حضور الجنازة والصلاة عليها واتباعها لما يحصل من اللفظ المنهي عنه عند حضور الجنازة على سنية السفر إلى مشاهد الأنبياء والأولياء والصلحاء وشد الرجال إليها الذي هو سفر منهي عنه وبدعة في الإسلام ، وقد نهى عنه الصحابة رضي الله عنهم فقد بعد النجعة وقاس قياساً يخالف النص الصريح والعقل الصحيح ، وكذلك اللفظ المنهي عنه عند الجنازة بالمنكرات التي أعظمها الشرك بالله ودعاء الأموات والاستغاثة بهم وطلب الحاجات منهم مما لا يقدر عليه إلا الله من أبطل الباطل وأفسد القياس ، وقد ذكر شيخنا رحمه الله في منهاج التأسيس في الرد على داود بن جرجيس حكاية لبعض هؤلاء الغلاة من الزائرين لهذه المشاهد ، قال : وحكي أن رجلاً سأل الآخر كيف رأيت الجمع عند زيارة الشيخ الفلاني ، فقال لم أر أكثر منه إلا في جبال عرفات إلا أنني لم أرهم سجدوا لله سجدة قط ولا صلوا مدة ثلاثة أيام ، فقال : السائل قد تحملها الشيخ ، قال بعض الأفاضل : وباب تحمل الشيخ ، مصراعاه ما بين بصرى وعدن قد اتسع خرقة وتتابع فتقه ونال رشاش زقومه الزائر والمعتقد وساكن البلد ، انتهى .

وذكر الحضرمي كلاماً كثيراً نحو ما ذكره عن الحسن وابن سيرين عن العلماء

ثم قال الملحد: ولا تغتر بحالة من أنكروا الزيارة خشية الاختلاط أي اختلاط فيتين حمل كلامه على ما فصلناه وقررناه والا لم يكن له وجه ، وزعم أن زيارة الاولياء بدعة لأنها لم تكن في زمن السلف ممنوع وبتقدير تسليمه فليست بدعة منهبي عنها ، بل قد تكون البدعة واجبة كما صرحوا به ، انتهى . الجواب لابن حجر والجواب عن هذا مجرد حكايته لظهور بطلانه وسخافة عقل مبديه وقلة حياته وورعه سواء كان الجواب لابن حجر أو اكبر منه أو دونه ا قوله ﷺ « لعن الله زئرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » ولقوله ﷺ « كل بدعة ضلالة » وإذا كان كل بدعة ضلالة ينص رسول الله ﷺ فأى عالم من علماء السلف أو غيرهم يمنع كونها بدعة؟ ويرد على رسول الله قوله أو يكون من البدع شيء حسن أو جائز وقد سمي ذلك رسول ﷺ ضلالة ، ثم ذكر فائدة قال : كان ﷺ يزور قبا يوم السبت ولا يسن للنساء زيارة غيره ، قال بعضهم ومثله سائر الانبياء والعلماء وذكر كلاماً سوى هذا لا فائدة في الجواب عنه وقد تقدم ما يكفي ، ثم ذكر حكايات ومناجات نذكر منها بعضاً ليعرف المسلم قدر نعمة الله عليه بالاسلام والتوحيد ولا يغتر بما لفق هؤلاء الملاحدة بما ذكروه عن ليس من العلماء المعروفين بالعلم والدين والدراية ، وإنما هم من الغلاة والدعاة الى عبادة غير الله ، قال الحضرمي الملحد : وذكر الشيخ محمد ابن عبد الرحمن باجمال في كتابه البر الرؤف في مناقب الشيخ معروف مانصه روي الشيخ الكبير محمد بن الحسن البجلي رضي الله عنه قال : رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت يا رسول الله اي الاعمال أفضل ؟ فقال : وقوفك بين يدي ولي الله تعالى كحلب شاة أو كشن بيضة خير لك من ان تقطع في العبادة إربا إربا ، فقلت يا رسول الله حيا كان أو ميتا ، قال : حيا كان أو ميتا ، وذكر ذلك أيضاً سيدنا علي بن أبي بكر علوي في كتاب معارج الهداية ، وقال سيدنا الحبيب الحسن بن سيدنا الحبيب عبد الله الحداد نفع الله به امين ، قال والذي إذا أردتم ان تفعلوا شيئاً من الامور أو تابكم شيء وأنا ميت فاطلّعوا

إلي عند قبوري واعلموني بذلك فاني أنفعكم حياً وميتاً ، وقال السيد العارف بالله محمد بن زين بن سميح في كتابه غاية القصد والمراد في خاتمة الباب السادس وقال رضي الله عنه الولي يكون اعتناؤه بقرابته واللائنين به بعد موته أكثر من اعتناؤه بهم في حياته لأنه في حياته مشغول بالتكليف وبعد موته طرح عنه الاعباء وتجرد ، انتهى . وذكر شيئاً من هذه الحرافات ، ثم قال في الحكاية الثمانين بعد المائتين ان رجلاً من أهل الخطوة وصل من باب المغرب في ستة أيام الى تريم لزيارة سيدي القطب عبد الله الحداد وامره شيخه بالمغرب لما استشاره للصح ، فقال له اخرج لزيارة القطب عبد الله الحداد بالمشرق خير لك من كذا وكذا حجة ، قال فخرجت لزيارة سيدي ، انتهى . قلت وهذا من جنس حكايات الرافضة ، قال : وقال الامام الشعراني في العهود المحمدية ، واما موالد الاولياء المكملين كالامام الشافعي والامام الليث وذو النون المصري وسيدي احمد البدوي وسيدي ابراهيم الدسوقي واضرابهم فحضورها مطلوب من حيث الامر بزيارة قبورهم ، وان حصل في بعض موالد هؤلاء بعض لهُو ولعب فما يحصل إن شاء الله من مددهم وتنفيق سلع الناس يرجع على مايقع فيها من اللهو ونحو ذلك ، انتهى .

قال وذكر الشعراني في كتابه الطبقات في ترجمة الامام السيد احمد البدوي قال اردت التخلف سنة من السنين عن ميعاد حضوري للمولد الذي يقرأ عند قبره فرأيت سيدي احمد ومعه جريدة خضراء وهو يدعو الناس من سائر الاقطار والناس خلفه ويمينه وشماله اما وخلائق لا يحضون فمر علي وانا تبصر فقال : أما تذهب قلت اني وجع فقال الوجع لا يمنع المحب ثم اراني خلقاً كثيراً من الاولياء وغيرهم الاحياء والاموات من الشيوخ والزمنائشون معه ويزحفون يحضرون المولد ثم اراني جماعة من الاسرى جاءوا من بلاد الافرنج مقيدون مغلولين يزحفون على مقاعدهم ثم قال انظر الى هؤلاء في هذه الحال ولا يخلفون فقوى عزمي على الحضور وقلت له انشاء الله تعالى فقال لا بد من الترسيم فرسم

على سبعين عظيمين اسودين كافيال وقال لاتفارقاه حتى تحضرا به ، قلت :وهؤلاء
كلهم شياطين يؤذونه الى حضوره الى مواضع الكفر والشرك بالله قال واخبرني
للشيخ محمد الشاوي ان سيدي محمد السردى شيخه تخلف سنة عن الحضور
فعاثه سيدي احمد البدوي وقال موضع محضره رسول الله ﷺ والانبياء عليهم
السلام والاولياء ما تحضره فخرج الشيخ محمد الى المولد فوجد الناس واجعين
وفاته لإجتماع فكان يلبس ثيابهم ويمر بها على وجهه واخبرني أيضاً ان شيخنا
انكر حضور مولده فسلم الايمان فلم تكن فيه شعرة تحن الى دين الاسلام
فاستغاث بسيدي احمد فقال بشرط ان لا تعود فقال نعم فرد عليه ثوب ايمانه
ثم قال له : وماذا تنكر؟ قال اختلاط الرجال بالنساء قال له سيدي ذلك واقع
في الطواف ولم يمنع احد منه ثم قال وعزة الربوبية ما عصى احد في مولدي
الاوقاب وحسنت توبته واذا كنت ارمي الوحوش والسماك في البحار اجمعها
بعضها من بعض فيعجزني الله من حماية من بحضرة مولدي ثم ذكر حكايات
ومنامات اعظم من هذه واشنع واخبث بما يمج سماعه أهل الايمان بالله ورسوله
وتنفر منه طباعهم وانما ذكرت قليلا بما ذكره ليعتبر المؤمن وليعرف قدر نعمة
الله عليه بالاسلام وان هؤلاء الغلاة الملاحدة قد سلبت عقولهم وانتكست
قلوبهم وعميت بصائر ابصارهم فهم في غمرة ساهون وفي ضلالتهم يعمهون
وليس احد منهم يستحي من ذكر هذه الخرافات ولا ينزجر عن تسطير هذه
الموضوعات والثرهات ان هم الا كالا نعام بل هم اضل سبيلا ثم ذكر كلاما في
انتفاع الميت بالقراءة عنده وفي الصدقة للميت فاما القراءة عنده فقد تقدم
كلام ابن القيم رحمه الله في النهي عن ذلك وان انتفاعه به مشروط بحياته
وأما الصدقة فهو ينتفع بها ان لم يقصد بالصدقة العاكفين عند القبور من سدنتها
والملازمين عندها وقد تقدم كلام العلماء في المنع من النذر لها وانه باطل
وكذلك منعوا من الصدقة عليهم واعانتهم على معصية الله ورسوله ثم قال :
إنشاد الشعر في المساجد وغيرها وحضران الذكر فجائز ومباح واطال الكلام

الى ان قال ومن خاتمة الفتاوى أيضا سئل عن رقص الصوفية عند تواجدهم هل له اصل؟ فاجاب بقوله نعم له أصل فقد ورد في الحديث ان جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه رقص بين يدي النبي ﷺ لما قال له اسبغت خلقي وخلقي وذلك من لذة هذا الخطاب ولم ينكر عليه ﷺ وقد صح القيام والرقص في مجلس الصحابة عن جماعة من كبار الائمة منهم عز الدين شيخ الاسلام ابن عبدالسلام . فاقول ما ذكره هذا المحدث من رقص جعفر بن ابي طالب وقرار رسول الله ﷺ وكذلك القيام والرقص في مجالس الصحابة رضي الله عنهم فمن الموضوعات المكذوبات التي لا يمتري فيها عاقل فضلا عن العالم والله ذو القائل .

تلي الكتاب فاطر قوا لا خيفة	لكنه اطراق ساء لا هي
واني الغنا فكالميرتنا هقوا	والله ما رقصوا لاجل الله
دف ومزمار ونعمة شادن	فمتى عهدت عبادة بملاهي
ثقل الكتاب عليهم لما رأوا	تقييده باوامر ونواهي
سمعوا له رعدا وبرقا إذ حوى	زجرا وتخويفا بفعل مناهي
ورواه اعظم قاطع للنفس عن	شهواتها ياذبحها المتناهي
واني المناع موافقا اغراضها	فلاجل ذلك غدا عظيم الاجاه
ابن المساعد للهوى من قاطع	اسبابه عند الجهول الساهي
ان لم يكن خمر الجسوم فانه	خمر العقول بمائل ومضاهي
فانظر الى النشوان عند شرابه	وانظر الى النسوان عند ملاهي
وانظر الى غزيق ذا ثوابه	من بعد تمزيق الفؤاد اللاهي
واحكم بأيّ الحمرتين بآلة	بحريم والتائم عند الله
وما احسن ما قال بعض العلماء وقد شاهد أفعالهم .	

الاقل لهم قول عبد نصوح	وحق النصيحة ان تتبع
متى علم الناس في ديننا	بان الغنا سنة تتبع

وان يأكل المر أكل الحما
وقالوا مكرنا بحب الاله
كذلك البهائم ان شبع
ويسكره النائي ثم الغنا
فيا للعقول ويا للنهي
ثم ان مساجدنا بالسمع
ولي من أبيات في معارضة بداء الاماني قلت فيها :

ونبرا من طرائق محداث
بالحان وتصدي ورقص
واذا كار ملفقة وشعر
فحينئذ كالكلاب لذي انتحال
وتلقى الشيخ فيهم مثل قرد
بأي شريعة جاءت بهذا
فلا والله في دين النصارى
ولا في شرعة المعصوم هذا
أصبح المصطفى فعلوه اذم
وعن جاء ذلك ليت شعري
في دين الاله الرقص يا من
فما في الدين من لعب وهو
باشعار مشيبة بسعدى
أهل صحت بذلك مستندات
عن المعصوم بالشرع المزكى
وعن هو وعن لعب ورقص
وعن احداث وضاع جهول

ملاه من ملاعب ذي الضلال
ومزمار ودف ذي اغتيال
باصوات تروق لذي الحبال
وحينا كالخيل أو البغال
يلاعبهم ويرقص في المجال
فلم نسمعه في العصر الحوال
ولا دين اليهود اتى بحال
فعمن جاء يا أهل الضلال
بفضل سبق حازوا للكمال
بمن ابداه منهم في انتحال
تهور في المقالة بالحال
ورقص والتلحن في المقال
وهند او يربات الجمال
احاديث روين بنلا اختلال
عن الادناس من قيل وقال
انت عن ماجن اوذى خبال
بدين المصطفى السامي المعالي

وزنديق يشين الدين كيلا
فدو العقل السليم اذ رأى ذا
فهل صحت بذلك مسندات
كذبتهم وافترتهم واجترتهم
واشتمت بنا الكفار لما
وقلت ان هذا الرقص دين
وعن أهل الصفا قد جاء هذا
وأت بالمناكر والمحازي
فأما عن ذوي التقوي فحاشا
وأهل الابتداع وإيس منهم
وكان سلوكهم حقا على ما
بأذكار وأوراد ورواها
وخال يشهد الشرع المزكي
ومع هذا اذا ما جاء حال
من النكت التي للقوم تروى
أبو ان يقبلوا هناك إلا
كتاب الله او نص صحيح
وقد قالوا ولا يغرك شخص
ويشي فوق ظهر الماء رهوا
ولم يك سالكاً في نهج من قد
فذلك من شياطين غوات
وقد كانوا رويوا في الرقص نصاً
رووا عن جعفر هذا وقالوا
أقول المصطفى أشبهت خلقي
فدع عنك ابتداعاً واختراعاً

يسوغ لداخل فيه بحال
ابي ان لا يدين بهذا الحال
بهذا الرقص عن صحب وآل
فلا والله يعرف ذا بحال
غدوتم ضحكة لذوي الهزال
طريق السالكين لذي الجلال
نعم عن كل مبتدع وغال
ورقص كالحير وكالروال
فهم أهل التقى والابتغال
لعصري ذو ابتداع في انتحال
عليه الشرع دل من الكمال
عن الاثبات عن صحب وآل
له بالاقضى في كل حال
بأمر وارد لذوي الكمال
وتعرض في الفنا في ذا الحال
يحكم الشاهدين بلا اختلال
صريح واضح لذي المعال
الى الآفاق طار ولا ييال
وياتي بالحوارق بالفعال
أتى بالشرع في كل الحصال
لمن والا هو من كل غال
فبعداً للغواة ذوي الضلال
تلذذ بالخطاب لدى المقال
وقالوا صح عن صحب وآل
وسر في أثر اصحاب الكمال

ثم ذكر الملحد ان الاولياء يتصورون في المثال المحسوس كثيراً أحياء
وأمواء وذكروا حكايات كثيرة ومنها ان بعض السياحين المكاشفين انه اتفق
بقظة بسيدنا عبد القادر الجيلاني في مشهده ببلاد المغرب قال وقال : لا بد
ما تجيء الى بغداد الى عند قبري فيها ، واعلمني بعض الاخيار المنشدن انه اتفق
برجل من أهل الكشف بالهند يعظمه الناس ولايته ظاهرة باهرة قال أمرني
في مشهد سيدي محيي الدين عبد القادر أن أنشد مديح سيدي القطب عبد الله
الحداد في الشيخ عبد القادر فأنشدت فدخل رجل مهاب فقام المكاشف وقبل
يديه وجلس بين يديه كالصفور فلما أتممت القصيدة قام وخرج فلما خرج قال
لي المكاشف لم لا تمت لسيدي محيي الدين عبد القادر لما دخل عندنا ؟ قلت له لم
أعلم أنه محيي الدين وهذا آخر ما أوردنا من حكاياته وخرافاته ومناماته ليعتبر
بها الموحد ويسأل الله السلامة والعافية فان لكل من هؤلاء ابصاراً وسماعاً
وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا أفئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون
بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون ، ثم أورد هذا الملحد قصيدة للملأ
ابن بكر عبد الرحمن بن عمر الاحسائي يهجو فيها أهل الاسلام ويرميهم
بالدواهي العظام ويكذب على الشيخ ويرمي بالأوهام التي لا نطاق ولا ترام
ولا يحكيها عن الشيخ من شئ رائحة الايمان والاسلام وقد اجبته عليها عكساً
ونقضاً ولم استوف الجواب خوفاً من الاطناب والاسهاب قال الاحسائي .
بدت فتنة كالليل قد عظت الافقا وشاعت وكادت تبلغ الغرب والشرقا
فاظلمت الارجا من شرها الذي استطار بما اغوى جهاراً وما أشقا
تزلزل منها الدين أي تزلزل وكادت تهوي من شرها العروة الوثقى
وقامت على ساق الغواية وانبرت تثير قتام الكفر في وجه من تلقا
أغارت بأوهاد الضلال وانجذت وعانت بأهل الدين توسعهم رشقا
الى آخرها والجواب ومن الله استمد الصواب

فجانب هذا المارق الماذق الاشقا
 بدت فتنة كالليل قد غطت الافقا
 بل السنة الغراء يا قدم قد بدت
 لعمرى قد أخطأ وجاء بفرية
 بدت من حساوي غوي وجاهل
 وسمى الهدى غيا لحث مراره
 واغني به الملا ابا بكر الذي
 وحاد عن التقوى جهاراً وما رعوى
 فسياء هذا القدم بالبغي فتنة
 ولو وفق الاشقى وقال بنظمه
 فانورت الارحاء من خيرها الذي
 تزلزل منها الكفر أي تزلزل
 وقامت على ساق الهداية وانبرت
 أغارت بأوهاد الرشاد وانجذت
 وأهدت فضلت تستميل برشدها
 على فتوة في الدين جات فشبهت
 مبرى خيرها في قلب كل موحد
 بدت من أمام خامر الحق قلبه
 ولكنه قد حاد عن نهج رشده
 بدت من غوي خامر الكفر قلبه
 بدا شرها من شر أرض وبقعة
 فتباً له من مارق مستعلم
 بكفر شيخ المسلمين محمداً
 ودعوتهم للحق والرشد جهرة

فقال وقد أخطأ وقد جانب الصدقا
 وشاعت وكادت تبلغ الغرب والشرقا
 وقد كان ليل الشرك قد طبق الافقا
 تضعض منها الدين وانقط واندقا
 تنكب عن نهج الهدى وارضى الحقا
 وعد وانه لما ارتضى الكفر والفسقا
 بنظم له بالافك قد جانب الحقا
 الى الرشد لما ان بدا حين ما انشقا
 ولكنه قد جانب الحق والصدقا
 هداية هذا الشيخ قد غطت الافقا
 استطار بنا أهدي جهاراً وما اشقا
 واطد فينا الرشد بالعروة الوثقا
 تزيل قام الكفر عنا ومن تلقا
 وعائت بأهل الشرك توسعهم رشقا
 وقد تورت الباب اربابها حقا
 كشهد حل في معاملة مدقا
 فكم مهتد منهم وكم عالم اتقا
 واتباعه يا ويل من خالف الحقا
 فقال الغوي المارق الماذق الاشقا
 واتباعه الجلف السواسية الحقا
 وابشعها مرآة واكثرها فسقا
 ومن ماذق لم يعرف الحق والصدقا
 باخلاص توحيد لمن برأ الخلقا
 فبعداً له بعداً وسحقاً له سحقاً

ولو قال هذا القدم من خير بقعة
واسلسها اهلاً لمنبع الهدى
لكان بهذا القول اهدى طريقة
نحنا غير هذا النحو بغياً وفرية
وقد قال من بهتانته وافترائه
بها قرن ابليس كما جاء ظاهره
أقول لعبري ما أصبت ولم تكن
فقد جاء هذا النص يافدم ظاهراً
وعق عن الحق المبين وقد عتوا
وبعني به شرق المدينة لم يكن
وأومى الى أهل العراق مشرقاً
رواه بن فاروق للزمان مشافها
نشا عارض الكفران فيها وحلها
وشيع الهدى في نجدنا اظهر الهدى
وزال ظلام الغي عنها وقد زهت
وأصبح صبح الحق بالنور مشرقاً
واتباعه يا وغد من كل عالم
واعرابها بعد الغواية اسلموا
وقولك قد صدوا عن البيت فرقة
وجاؤا اموراً لا تطاق وغيروا
وقولك زوراً بل فجوراً وفرية
فما كان هذا القول منك بصائب
وقد قال هذا القدم في هفواته
خناذر شيء للرسول وزائر

تلاً منها الحق والدين وانثقا
وأوسعها جلاً واحسنها خلقاً
وأقرب للتقوى ولكننا الاسقا
وأنكر دين الله وانتجع الفسقا
بتأويله للنص اذ جانب الحق
وهذا هو المعنى اقبح به روقاً
على المنهج الأسى ولم تعرف الصدقا
لأهل العراق الحبث من كان قد شفا
وقد خرجوا في قول سيدنا شرقاً
عنى شريبت الله في قول من عقا
فهم شرق دار المصطفى فاعرف الحق
به أهل هاتيك الديار ومن يلقا
فأمطرها من كفره وأبلاً ودقا
وحقق فيها الحق بل طبق الافقا
بتوحيد مولانا الذي برأ الخلقا
وطوق نجدا بالهدى كلها طوقا
وكل تقى بجانب الكفر والفسقا
وقددخلوا في الدين واستعملوا الصدقا
نعم كان هذا عندما جانبوا الحق
من الدين بل راموا لمروتقه فتقا
ويدنون بالايوا من يقطع الطرقا
ولكنهم يؤون من جاهد الحقا
وقد خال ان الحق في كل ما القا
له عندهم في دينهم مشرق حقاً

نعم ان هذا النذر لله وحده
بل الشرك بالمعبود جل ثناؤه
وراجعه في اقوال كل محقق
كذا من غدا بالمصطفى متوسلا
اقول نعم من كان يدعو محمدا
ومن زار قبراً واستغاث بمن به
ومن كان ابقى قبة فهو عندنا
واعظم من هذا فجورا وفرية
بابطل دين الله مع كتب أهله
ومن قال مولانا وسيدنا وقد
كذا من بنفث المصطفى او بشعره
فذا كله زور وبهت وفرية
كما قال عدوانا وظلما وخال ما
يقولون نحن المسلمين وغيرنا
فست مئين فترة الدين قد مضت
اقول لقد اخطا وقال ضلالة
واعظم من هذا ضلالا وفرية
بان قال دعواه النبوة ظاهر
نعم قام بالتوحيد والدين والهدى
الى جنة المأوى جوار محمد
وما ضلوا من قبلهم من ذوى الهدى
ولا زعموا حاشا هو انه اتى
سوى ما عن ربهم ورسوله
فمن أجل هذا قد شرفتم وقلتمو

فاشركهم بالمصطفى اوجب الفسقا
فراجعه في التنزيل تتلوا له نطقا
تجده لعمرى واضحا ساطعا صدقا
وزار ولياً أو لقبتة ابقا
نبي الهدى قد قارف الشرك والحقا
هنالك مقبوراً به كان قد عفا
كما قال اهل العلم قد قارف الفسقا
مقالته الفحشا فسحقا له سحقا
وتحريقها حرقا وتمزيقها مزقا
عني المصطفى قالوا هو المشرك الاشقا
تبرك أو آثار من ادرك السبقا
بكل الذي قد قال قد جانب الصدقا
تقوله من افكه منهجنا حقا
على الشرك احقاباً مضت تعبد الخلقا
فلست ترى من يعبد الله أو تلقا
فاعظم به قبحاً واقبح به نطقا
مقالته الشنعا بمن أظهر الحقا
وذا فرية منهم على انه الاتقا
ونرجو له الزلفى فيرقى الى المرقا
بأظهاره للدين سحقاً لمن عفا
ولا فتقوا ياوغد في ديننا فتقا
اليهم بذنا وحي وقد أحكم العلقا
وقاموا به حتى لقد طبق الافقا
من الزور والبهتان ما قاله الاشقا

تفاسير أهل الحق بل وافقوا الصديق
 وذوا عوج ان قال لا يحسن النطقا
 تصدون عن دين الهدى من اتي الحقا
 من الدرس تفسيرا من العالم الاتقا
 بما قد أفاد الشيخ في الدرس أو القا
 وذو عوج في النطق لم يعرف الحقا
 وقد عدموا الادراك والفهم والحدقا
 مناقبهم حدقا وفهما فلن ترقا
 منازل أهل العلم ياوغد أو تلقا
 منورة بالدين اكرم بها خلقا
 وما مستهم فيها من السوء ما يلقا
 الى فوق ترونا نحو من برأ الخلقا
 فليس ترى فيهم جفاء ولا حققا
 فما الارض تعطى العطف واللطف والرفقا
 وبحجيرة الرحمن أن يرحم الخلقا
 ليعلم علم الغيب أو قال ذا حدقا
 فيحجرة مولانا الذي قسم الرزقا
 ولو كان ذا عقل لما قاله نطقا
 فكم ولو الادبار واستبشعو الملقا
 وسل ساكن الاحياء أهل كان ذا حققا
 نخطبهم خطا ونصعقهم مصعقا
 ونشدحها شدحا ونفلقها فلقا
 وساما الى بصرى بل الغرب والشرقا
 وكانوا أولي باس فسل كل من تلقا

وما حرفوا القرآن أو كان يخالفوا
 وما فسر الجلف البليد الدهموا
 ولكنه من زوركم وافترائكم
 نعم كان منهم من اذا كان حاضرا
 يذاكر من يلقاه من كل صاحب
 فهل كان جلفا أو بليدا يزعمكم
 وقد قال خاضوا خوض عمياء عاهر
 وهيات لا يجديك هذا وقد علت
 الى مرتقى حلوا به وتأهلوا
 سحياً يسامهم بها فوجوههم
 والو انهم من خير آلو ان خلقه
 واعينهم من خشية الله ذرف
 وارضهموا قد ظهروا الله تربها
 وما الأمر إلا للمهيمن وحده
 واعظم من هذا التجازف قوله
 يقول بلا علم لديه ولم يكن
 فليس لهم من رحمة الله قسمة
 ومن عجب ان قد تهوّن قائلا
 وما أقدموا في معرك عن شجاعة
 فسل كل من لا قاموا من عداهموا
 يدال علينا مرة ثم نقتني
 ونضرب من هاماتهم كل قبعد
 فقد ملكوا نجداً وغوراً واتهموا
 حنيفة في دينها حنيفة

خدع عنك هذا الخوط فالحق واضح
وما أخذوا إلا بصدق ولم يكن
وقد قل عرش الكفر وانهد ركنه
وشادوا من الاسلام ركناً مؤطدا
ولا قائم منكم ذوى الكفر ينبري
فكلا تراه ساركتاً أو مججما
واكثركم قد خامر الخوف قلبه
واما ولالة الوقت فالله كفهم
وما قعدوا عن نصرة الشرك قلة
ولما اتاهم يتنغى الدين ثوبوا
نعم ايها الغاوي أيا الله انه
أردنا الهدى يعلو على الدين كله
واني لارجو الله ان يعلو الهدى
فقد رمت ان لا يعبد الله وحده
فتأييد دين الله لاسك حاصل
نعم قد أراد الله اعلاء دينه
وأخر ذوى الكفران والشرك والردى
ومن أجل هذا قلت فيضا وغيطه
ومما دهاني والهجوم كثيرة
وأوجع قلبي اذا أمضَ ومهجتي
دعاة الى دين الضلال تجمعوا
واذ كوبه نارا من البغي تلتظي
اقول نعم هذا دهاك وقد عرى
وصار شجا في خلق كل منافق

وشاهده ما قد مضى والذي يبقا
بمكر ولا خدع وليس لنا خلقا
وقد جهد الاعداء ان يحكموا الرتقا
فلا أحد منكم يروم له فتقا
لاطفاء نور قد علا واستوي سمقا
بحمد ولي الحمد ما يوم النطقا
لعزة أهل الحق اوهاه ما يلقا
بسر وبيص تحتلي الهام والخلقا
ولكنه عن ذلة فاعرف الحقا
اليه ولكن بعد ان أوسع الخرقا
لما رمتو فتقا ورمتا له رتقا
وتسحق أنوار الهدى في الورى سمقا
ويمحق آثاراً لكم عاجلا محقا
وان يعبد الاقوام من دونه الخلقا
فله لطف من خليقته دقا
فاعلاه مولانا وقد طبق الافقا
فمت كمدا واخساً فلن ترتقى مرقا
فمت كمدا ان قد علاك الهدى حقاً
شجاشوش الالباب واعترض الخلقا
والم أحشائي وأوسعها شقا
توسوس بالاغواء لتجذب الخلقا
وتسفع بالاحراق أوجه من تلقا
سواك من الكفار واستوسعو الخرقا
وشوش البابا لهم واعتري الخلقا

وأكد أكبادا وافئدة عنت
 وألم احشاء وأوسع شقها
 فهلا عدو الله قلت توزعا
 دعاة الى دين الهدى قد تجمعوا
 دعاه الى ما قال نار تأججت
 ودابوا بدين الله جل جلاله
 فلا آمر بالسكر او رادع لهم
 ولا زاجر للعرف او منكر لهم
 فلما اطمأنوا واستنار هداهمو
 على زعم أنف الكافرين لما دعوا
 فيا حسن ما ابدوا واجل فعلة
 ويا قبح افعال المعادي لدينهم
 وباضية الدين الخفيفي عند من
 كهذا الغوى المنبري في ضلاله
 فقد غاضه نصره لدين محمد
 وقد قال هذا القدم في هديانه
 وقد أولعوا فيه من الشر مدية
 وأجر واجباد النى جهرا وفوقوا
 فكادت قناة الدين بعد اعتدائها
 ولو قال هذا القدم للخير قد دعو
 ولكنه قد زاغ عن نهج رسته
 فكم من عروق للضلال قطعت
 وكم فوقت نحو الضلالة أسهما
 وتعلی منار الدين بعد الخفاظه

امض بها نور الهدى حين ما شقا
 فلا نعمت يوما ولا ارتسقى الفتقا
 وديننا وتصديقا لمن أظهر الحقا
 ولوقلت ذا افلحت لكنما الاسقا
 على قلبه لما استجابوا لما ألقا
 ولم يعبدوا الانداد من دونه حمقا
 عن الحق والتقوى ولا كاره تلقا
 بل الكل يدعو للهدى دائما طلقا
 رجوا وارنجوا ما كان ارفع في المرقا
 اليه من التوحيد والعروة الوثقا
 تردوا بها واستقبلوا المنهج الاتقا
 واسوأ ما ابدى واشنع ألقا
 يسوم له خسفا ويرجو له محقا
 وفي غيه لا يرعوى للهدى حمقا
 وقد هاطه لما علا كل من عقا
 ولو كان ذا رشد لما قاله نطقا
 اذ قطعت عرقا ستبيعه عرقا
 الى فخره من بغيهم اسهما زرقا
 تقارب ان تندق قصفا وتندقا
 لكان لعنرو الله قد أوضح الصدقا
 وهيهات لا يجدي لدينا الذي ألقا
 وكم من جياذ للجهاد ارتقت مرقا
 تخرق اكبادا لهم قد قست خرقا
 وتحفظه من ان يهان ويندقا

وليس قناة الدين الا ثقيفة
 بها من مقيم غيرنا بتفضل
 فكنا بحمد الله انصار دينه
 وماذا عسى ان قال ذا القدم بعد ذا
 ليسلب نجداً كل خير ونعمة
 ويأخذها أخذاً شديداً معاجلاً
 فقد خاب ما يرجو ويأمل ضلة
 فقد أوليت نجاد من الله نعمة
 ونصراً وتأييداً وعزاً مؤثلاً
 وأهلك من عاداهموا واهانهم
 وغوثنا امواهم وديارهم
 فله رب الحمد والشكر والثنا
 فقد صارت العقبي لنا وعداتنا
 وصل إلهي كل آت وساعة
 محمد المعصوم والآل كلهم
 وتابعهم والتابعين لتبهمهم
 معدلة فيما لدينا ولن تلقا
 علينا من المولى ففضل واستبقا
 نزيح غبار الكفر عن وجهه الاتقا
 دعاء على نجاد فقال وما أبقا
 ويجعلها دكا ويصعقها صعقا
 ويحصدها حصداً ويمحقها محقا
 وباء بنا أبدى وعاد على الاشقا
 وفضلاً واحساناً وأعلاها الحقا
 وكبتاً لمن ناواهم وارضى الفسقا
 وستتهم شتى ومزقهم مزقا
 فكانت لنا فيثاً وقد محقوا محقا
 على كل ما أولى وأعطى وما تلقا
 ابادهم المولى واصعقهم صعقا
 على المصطفى من كان اعلم بل اتقا
 وأصحابه من أدر كوا الفضل والسبقا
 على السنن المحمود والمنهج الاتقا

فصل

قال الملحد : الفصل الرابع عشر من هفوات النجدي انكاره بالتوسل
 والاستغاثة والمناداة بأسمائهم أي الاموات والتبرك بالاخيار حتى النبي ﷺ
 قال الشيخ محمد حياة المدني والتوسل بالاعمال الحسنة وبدعاء الاخيار جائز
 كما نص عليه بن تيمية في الصراط المستقيم والتوسل بالاموات زعم بن تيمية
 انه ممنوع وقد صح عن بعض الصحابة انه أمر بعض المحتاجين أن يتوسلوا به
 ﷺ بعد موته في خلافة عثمان رضي الله عنه فتوسل به فقضيت حاجته كما ذكره

الطبراني والعقل يقتضيه لأنه اذا جاز التوسل بالعمل الصالح الذي يرضاه العظيم
جاهه لديه يجوز برسالة ونبوته وكرامة النبي ﷺ التي لها شرف وعز عنده أولى
فالمؤمن اذا قال اللهم اني اتوسل اليك بنبيك محمد ﷺ لا يريد التوسل بمجرد
ذاته التي يشاؤك فيها نوع الانسان وانما يريد نبوته التي فاقت على سائر الكلمات
فلا فرق بين ان يتوسل بدعائه أو نبوته وما ذكره بن تيمية من الفرق ليس
بشيء «وجاء توسلوا بجاهي فانه عند الله العظيم» وفي كتاب نهج السعادة قال ﷺ
«توسلوا بي وبأهل بيتي الى الله فانه لا يرد متوسل بناه» وقد صح توسل أيننا آدم
بالنبي فقبل توبته لما توسل به رواده بن حبان في صحيحه والله أعلم ، انتهى كلام
محمد حياة .

والجواب ان يقال قد تقدم الكلام على الاستغاثة والمناداة بأسمائهم أي
الاموات والتبرك بالاخير حتى النبي ﷺ فيما مضى فلا فائدة في اعادته وأما
التوسل فنقول قد كان من المعلوم عند ذوي المعارف والفهوم ان لفظ التوسل
بالشخص والتوجه به والسؤال به فيه اجمال واشتراك بحسب الاصطلاح فمعناه
في لغة الصحابة رضي الله عنهم وعرفهم ان يطلب منه الدعاء والشفاعة في حياته
فيكون التوسل والتوجه به في الحقيقة بدعائه وشفاعته وذلك لا محذور فيه
والتوسل أقسام فقسم مشروع وهو التوسل بالأعمال الصالحة وبدعاء النبي ﷺ
في حياته كما استسقى عمر رضي الله عنه بدعاء العباس ومعاوية رضي الله عنهما
بدعاء يزيد ابن الاسود الجرشي وقسم محرم وبدعة مذمومة وهو التوسل بحق
العبد وجاهه وحرمة وذاته نبياً كان أو ولياً أو صالحاً كأن يقول الانسان
اللهم اني أسألك بنبيك أو بجاه نبيك محمد ﷺ أو بجاه عباد الله الصالحين أو بحقهم
أو بحجرتهم ونحو ذلك أو بذواتهم لأن ذلك لم يرد به نص عن الرسول ﷺ
ولا فعله احد من الصحابة ولا التابعين رضي الله عنهم قال شيخ الاسلام في
اقتضاء الصراط المستقيم فلفظ التوسل بالشخص والتوجه به والسؤال به فيه
اجمال واشتراك غلط بسببه من لم يفهم مقصود الصحابة يراد التسبب به لكونه

داعيا وشافعا مثلا او لكون الداعي محبا له مطيعا لامره مقتديا به فيكون التسبب اما بمحبة السائل واتباعه له واما بدعاء الوسيلة وشفاعته ويراد به الاقسام به والتوسل بذاته فلا يكون التوسل لا منه ولا من السائل بل بذاته او بمجرد الاقسام به على الله فهذا الثاني هو الذي كرهوه ونهوا عنه وكذلك السؤال بالشيء قد يراد به المعنى الاول وهو التسبب لكونه سببا في حصول المطلوب وقد يراد به الاقسام الى آخر ما قال رحمه الله تعالى فاذا عرفت ان التوسل في عرف الصحابة ولغتهم طلب الدعاء والشفاعة وان هذا هو المشروع وانما عداه اما شرك او محرم او مكروه مبتدع عرفت ان قصد هؤلاء الملاحدة بالتوسل هو دعاء الانبياء والاولياء والصالحين والاستغاثة بهم وصرف خالص حق الله تعالى لهم بجميع انواع العبادات وقد بينها فيما تقدم فقول هذا الملحد عن الشيخ محمد حياة المدني زعم ابن تيمية انه ممنوع يعني التوسل بالاموات فتعهم هو ممنوع كما ذكره شيخ الاسلام ومعه الكتاب والسنة وليس مع من خالفه إلا الاوهام ومضال الافهام والقياس الفاسد المخالف لصريح المعقول والمنقول وقد تقدم بيان ذلك والكلام عليه فيما مضى وسيأتي الكلام على حديث بن حنيف .

وأما استدلاله بقوله : توسلوا بجاهي فإنه عند الله عظيم .

فأقول : هذا الحديث موضوع مكذوب على رسول الله ﷺ كما ذكره أهل العلم وابطل منه واكذب الحديث الذي رواه في كتاب السعادة ، وهو حديث موضوع فلا حجة فيهما ، ومن تعلق بالموضوعات فقد تعلق بخيط العنكبوت ، وسيأتي الكلام على توسل أبينا آدم بالنبي وانه مكذوب موضوع وهذا غاية ما يعتمد عليه هؤلاء الغلاة الملاحدة .

وأما قول محمد حياة وما ذكره بن تيمية من الفرق ليس بشيء .

فأقول : إذا كان هذا الرجل المسمى محمد حياة لم يعرف الاحاديث الموضوعية المكذوبة على رسول الله ﷺ فكيف يعرف الفرق بين ما يجوز وما لا يجوز وذلك دليل على عدم معرفته وقصوره .

فصل

وأما قوله : ففي الجواهر المتعلم لابن حجر ، ومن السنة قصة سواد بن قارب المروية الطبراني في معجمه الكبير وآخر قصته :

فاشهد ان الله لا رب غيره وأنك مأمون على كل غائب
وانك أدني المرسلين وسيلة إلى الله يابن الاكرمين الاطائب
فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل وان كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة - بمنغن فتيلاً عن سواد بن قارب

فالجواب أن نقول : ليس في هذه القصة حجة على أنه يجوز للانسان أن يدعو غير الله لا من الانبياء ولا من الاولياء ولا غيرهم ، وليس هذا في محل النزاع ، لأن قول سواد ابن قارب هذا من جنس طلب دعائه واستغفاره ﷺ في حياته ، والنزاع ليس في هذا ، والمطلوب هنا دعاؤه الذي يستطيعه كل أحد ممن ترجى إجابة دعائه ، ويجوز التماس الدعاء منه ، وقال النبي ﷺ لعمر : « لا تنسنا يا أخي من دعائك » فلا يستدل بهذه القصة إلا مغالط ملبس ، وكذلك ما ذكره بعد هذا من حديث أنس سألت رسول الله ﷺ أن يشفع إلى يوم القيامة فقال : « أنا فاعل » وهذا كالذي قبله ولا محذور فيه وليس في محل النزاع .

وأما قوله : وحديث ابن عمر من زار قبري وجبت له شفاعتي . فالجواب ان يقال : هذا حديث منكر ضعيف الاسناد واهي الطريق لا يصلح الاحتجاج بمثله ولم يصححه أحد من الحفاظ المشهورين ، ولا اعتمد عليه احد من الائمة المحققين ، بل انما رواه مثل الطبراني الذي يجمع في كتابه غرائب السنن ويكثر فيه من رواية الاحاديث الضعيفة والمنكرة بل والموضوعة كما ذكره الحافظ ابن عبد الهادي وشيخ الاسلام وغيرهما فلا حجة فيه .
وأما قوله : والثاني من جاءني زائراً لا يعمل حاجة إلا زيارتي كان حقاً علي

ان اكون له شقيقاً يوم القيامة صححه ابن السكن وأطال .

فالجواب أن يقال : هذا الحديث ليس فيه ذكر زيارة القبر ولا ذكر الزيارة بعد الموت مع انه حديث ضعيف الاسناد منكر المتن لا يصلح الاحتجاج به ولا يجوز الاعتماد على مثله ولم يخرج له احد من الائمة المعتمد على ما اطلقوه في روايتهم ولا صححه امام يعتمد على تصحيحه وقد تفرد به هذا الشيخ الذي لم يعرف بنقل العلم ولم يشتهر بجملة ، ولم يعرف من حاله ما يوجب قبول خبره ، وهو مسلمة بن سالم الجهني الذي لم يشتهر إلا برواية هذا الحديث المنكر وحديث آخر موضوع ذكره الطبراني بالاسناد المتقدم ، انتهى من كلام الحافظ بن عبد الهادي وإذا كان ذلك كذلك فلا حجة فيه ، وسيأتي الكلام على نوسل آدم بالنبي .

وأما قوله : وفي صلاة الحاجة : إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضي لي ، رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة والحاكم في المستدرک في حديث الاعمى وامره ان يدعو بهذا الدعاء وذكره الى آخره .

فالجواب ان نقول : ليس هذا في محل النزاع وغاية ما في هذا الحديث والذي قبله ان النبي ﷺ علمه دعاء امره فيه ان يسأل الله قبول شفاعة نبيه فيه ، هذا يدل على ان النبي ﷺ شفع فيه وامره ان يسأل الله قبول شفاعته وهذا ليس فيه جواز دعائه والاستغاثة به بعد وفاته ، وقد تقدم الكلام عليه فيما مضى بما أغنى عن اعادته عند دعواه عدم الفرق بين الدعاء والدعاء .

فصل

وقوله : ومن ثم استعمل الصحابة هذا الدعاء في حاجاتهم بعد موته ﷺ وقد علمه راويه عثمان بن حنيف زمان خلافة عثمان رضي الله عنه رجلاً ففعل فقضاها ، رواه الطبراني والبيهقي .

فالجواب أن يقال : في سند هذا الحديث روح بن صلاح وقد ضعفه بن عدي بل قد قال بعضهم ان امارات الوضع لائحة عليه فكيف يعارض به جميع كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وعمل أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ، وهل سمعت أحداً منهم جاء اليه بعد وفاته إلى قبره الشريف فطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله ؟ وهم حريصون على مثل هذه المثوبات ، لاسيما والنفوس مولعة بقضاء حوائجها تتشبث بكل ما تقدر عليه ، فلو صح عند أحد منهم أدنى شيء من ذلك لو رأيت أصحابه ينتابون قبره الشريف في حوائجهم زمراً زمراً ، ومثل ذلك تتوفر الهمم والدواعي على نقله ولا وسع الله طريقاً لم يتسع للصحابة والتابعين وصلاحاء علماء الدين ، نعم كان ابن عمر يأتي القبر المكرم ويقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبت ثم ينصرف وكذلك أنس وغيره فإذا أودوا الدعاء استقبلوا القبلة ، انتهى . ثم اعلم ان هذا الحديث مخالف لعمل الصحابة رضي الله عنهم ، وقد قال ﷺ « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » وأما دعوى هؤلاء الغلاة أن الصحابة استعملوا هذا الدعاء بعد وفاته فإن هذا بما يعلم بالضرورة أنه من الكذب على الصحابة رضي الله عنهم ولو كان هذا الاستعمال صحيحاً لتوفرت الهمم والدواعي على نقله ، ولما عدل الفاروق إلى التوسل بدعاء العباس ومعاوية بدعاء يزيد ابن الاسود الجرشي ولما كان يمكنهم لو كان هذا الحديث صحيحاً معروفاً عندهم أن يتوسلوا بالنبي ﷺ ولا يطلبون من العباس أن يدعو لهم ، وبما يوضح لك الأمر أن هذا الحديث غير صحيح ان رواته مختلفين في متنه وسنده مع أنه لم يذكر في شيء من الكتب المعتمدة ، وإنما ذكره مثل البيهقي والطبراني وغيرهما ، وهؤلاء يذكرون مثل هذه الاحاديث الضعيفة والموضوعة على وجه التنبيه ، وقد رأى علماء الاسلام الجهابذة النقاد ظلمات الوضع لائحة عليه فاعرضوا عنه ولم يلتفتوا إليه والله أعلم .

وأما قوله : وذكر الطبراني بسند جيد ان النبي ﷺ ذكر في دعائه بحق نبيك والانباء الذين من قبلي ، انتهى .

فأقول : في سنده روح بن صلاح وقد ضعفه بن عدى وكم في الطبراني من حديث يخالف هذا ويدل على وجوب التوسل بأسماء الله وصفاته وإثابة الوجوه إليه فما أعمى عينك عنها هل هناك شيء أعماك عنها سوى الجبل والهوى ؟ وقد تكلم في هذا الحديث غير واحد ، وقال شيخ الاسلام : قد بالغت في البحث والاستقصاء فما وجدت أحدا قال بجوازه إلا ابن عبد السلام في حق نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام أترى هذا الحديث خفي على علماء الامة لم يعلموا ما دل عليه ؟ ثم لو سلمنا صحته أو حسنه ففقه مامر في حديث الاعمى ان المراد بدعاء نبيك الى آخره أي وسيلة بذوات الانبياء لمن عصى أمرهم وخرج عما جاؤا به من التوحيد والشرع ، وفي الحديث « يا صفية عمة رسول الله ﷺ ويا غاطمة بنت محمد استروا أنفسكم لا اغنى عنكم من الله شيئا » وقال تعالى (وضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين) قال شيخ الاسلام : فاذا قال الداعي أسألك بحق فلان وفلان لم يدع له وهو أنه لم يسأله باتباعه لذلك الشخص او محبته وطاعته بل بنفس ذاته وما جعله له ربه من الكرامة لم يكن قد سأله بسبب يوجب المطلوب ، انتهى . ثم ذكر كلاماً قد تقدم واعاده ليكبر حجم الكتاب ، ولا فائدة في اعادة الجواب عنه ثم ذكر حديث بلال بن الحارث وسيأتي الكلام عليه بعد .

وأما قوله : وفي المواهب اللدنية ان عمر لما استسقى بالعباس قال : يا أيها الناس ان رسول الله كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا به في عمة العباس واتخذوه وسيلة الى الله ، فأقول : هذا لا يصح ولم يسنده الى كتاب يعتمد على مثله فلا حجة فيه ولا اعتماد عليه ولا بد من ذكر رواه وتوثيقهم والا فلا .

وأما قوله : وفيها أيضا قال مالك رضي الله عنه لم تصرف وجهك عن قبره
ﷺ وهو وسيلتك ووسيلة آدم عليه السلام ؟

فالجواب أن يقال : هذا الكلام من حكاية ذكرها القاضي عياض في الشفاء
قال ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله ﷺ فقال :
لا ترفع صوتك في هذا المسجد ، فان الله أدب قوما فقال (لا ترفعوا أصواتكم
فوق صوت النبي) الآية . ومدح قوما فقال (ان الذين يغضون أصواتهم عند
رسول الله) الآية . وذم قوما فقال (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات)
الآية . وحرمة ميتا كحرمة حيا فاستكان لها أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله
استقبل القبلة وادع أُم استقبل رسول الله ﷺ ؟ فقال : ولم تصرف وجهك
عنه ؟ وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم يوم القيامة بل استقبله واستشفع به
فيشفعه الله فيك قال تعالى (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك) الآية ، انتهى .
وهذه الحكاية لا حجة فيها لمبطل لما سنذكره انشاء الله تعالى ، قال الامام
الحافظ أبو عبد الله محمد ابن احمد أبو عبد الهادي في الصارم المنكي قلت
المعروف عن مالك أنه لا يستقبل القبر عند الدعاء وهذه الحكاية الذي ذكرها
القاضي عياض ورواها بإسناده عن مالك ليست بصحيحة عنه ، وقد ذكر
المعتز في موضع من كتابه ان اسنادها ، اسناد جيد وهو مخطيء في هذا
القول خطأ فاحشا بل اسنادها اسناد ليس بمجيد بل هو اسناد مظلم منقطع ،
وهو مشتمل على من يتهم بالكذب وعلى من يجهل خاله وابن حميد هو محمد
ابن حميد الرازي وهو ضعيف كثير المناكير غير محتج بروايته ولم يسمع عن
مالك شيئا ولم يلقه بل روايته عنه منقطعة غير متصلة ، وقد ظن المعتز أنه
أبو سفيان محمد بن حميد المعمرى أحد الثقات المخرج لهم في صحيح مسلم ،
الى أن قال : وقد تكلم في محمد بن حميد الرازي وهو الذي رويت عنه هذه
الحكاية من غير واحد من الأئمة ولنسبة بعضهم الى الكذب ، قال يعقوب
ابن شيبة السدوسي : محمد بن حميد الرازي كثير المناكير ، وقال البخاري :

حديثه فيه نظر وقال النسائي : ليس بثقة وقال ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني :
 ردي المذهب غير ثقة وقال فضلك الرازي عندي عن بن حميد خمسون ألف
 حديث لا أحدث عنه مجرف ، وقال أبو العباس احمد بن محمد الازهري :
 سمعت اسحاق بن منصور يقول : أشهد على محمد بن حميد وعبيد ابن اسحاق
 العطار بين يدي الله انهما كذابان ، وقال صالح بن محمد الحافظ كان على ما بلغه
 من حديث سفيان يحمله على مهران وما بلغه من حديث منصور يحمله على
 عمرو ابن قيس ثم قال كل شيء كان يحدثنا ابن حميد كذا نتهيه فيه ، وقال
 في مواضع أخر : كانت أحاديثه تزيد وما رأيت أحدا أجرا على الله منه كان
 يأخذ أحاديث الناس فيقلب بعضها على بعض ، وقال في موضع آخر ما رأيت
 أحدا أصدق بالكذب من رجلين سليمان الشاذكوني ومحمد بن حميد الرازي
 كان يحفظ حديثه كله ، وكان حديثه كل يوم يزيد ثم أطال الحافظ الكلام
 فيه الى أن قال فاذا كانت هذه حال محمد بن حميد الرازي عن أئمة هذا الشأن
 فكيف يقال في حكاية روايتها منقطعة إسنادها جيد مع أن في طريقها اليه من
 ليس بمعروف الى أن قال فانظر هذه الحكاية وضعفها وانقطاعها ونكارتها
 وجهالة بعض روايتها ونسبة بعضهم الى الكذب ومخالفتها لما ثبت عن مالك
 وغيره من العلماء قال وأما الحكاية في تلاوة مالك (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم)
 الآية . فهو والله أعلم باطل فان هذا لم يذكره أحد من الأئمة فيما أعلم ولم يذكر
 أحد منهم انه استحب أن يسأل بعد الموت للاستغفار ولا غيره وكلامه
 المنصوص عنه وأمثاله ينافي هذا ، انتهى . وهؤلاء الجهلة يستدلون بهذه الحكاية
 الواهية ويعتمدون عليها وفيها وحرمة ميتا كحرمة حيا فاثبت في هذه
 الحكاية انه عليه السلام حيث وأن حرمة ميتا كحرمة حيا وهم يزعمون أنه حي في
 قبره يأكل ويشرب وينكح ويحج وهذا تناقض ظاهر .
 وأما قوله : وفي حديث أنس وكلام الاعرابي يستشفع به الى ربه والنبى
 يسع الى أن قال في قصيدته بحضرة عليه السلام :
 وليس لنا إلا اليك فرارنا وأين فرار الناس إلا الى الرسل ؟

فالجواب من وجهين الاول : أن في سنده مسلم الملائي وهو واه جدا قال الذهبي في الميزان مسلم بن كيسان أبو عبد الله الضبي الكوفي الملائي الأعور عن أنس وعن ابراهيم النخعي وعنه الثوري وأبو كيع الجراح بن بليح قال الفلاس متروك الحديث ، وقال احمد لا يكتب حديثه وقال يحيى ليس بثقة ، وقال البخاري يتكلمون فيه ، وقال النسائي وغيره متروك ، وفيه كلام طويل تركناه لأجل الاختصار ، الوجه الثاني : أن ما ثبت منها هو التوسل بدعاء الاحياء وهذا مما لا ينكره أحد وعلى كل حال فلا حجة في هذا وما كان هذا سبيله فهو مطرح لا يلتفت اليه ، والله أعلم .

وأما قوله : وفي سنن ابي داود وغيره ان أعرابياً قال النبي ﷺ جهدت الانفس وجاع العيال وهلك المال فادع الله فاننا نستشفع بك الى الله الى آخر الحديث انتهى .

فأقول : وقامه وبالله عليك فقال النبي ﷺ ويحك أتدري ما تقول ؟ وسبح رسول الله ﷺ فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه اصحابه . ثم قال ويحك انه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك ويحك أتدري ما الله ؟ ان عرشه على سمواته هكذا وقال باصابعه مثل القبة عليه وأنه يسطر أطيظ الرجل بالراكب .

فالجواب ان يقال : هذا الحديث رواه أبو داود بإسناد حسن عنده في الرد على الجهمية من حديث محمد بن اسحاق بن يسار ولا حجة فيه لمبطل لان الاستشفاع بالرسول ﷺ المراد به استلاب دعائه ، وليس خاصا به ﷺ بل كل حي صالح يرجى أن يستجاب له فلا بأس ان يطلب منه ان يدعو للسائل بالمطالب الخاصة والعامة كما قال ﷺ لعمر لما أراد أن يعتمر من المدينة لاتنسنا يا أخي من صالح دعائك » وهذا لاتزاع فيه ، وأما الميت فانما يشرع في حقه الدعاء له على جنازته وعلى قبره وغير ذلك ، وهذا هو الذي يشرع في حق وأما دعاؤه فلم يشرع بل قد دل الكتاب والسنة على النهي عنه والوعيد عليه

كما قال تعالى (والذين تدعون من دونه ما يكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشركم)
 فيبين الله تعالى ان دعاء من لا يسمع ولا يستجيب شرك يكفر به المدعو يوم
 القيمة أي ينكره ويعادي من فعله كما في آية الاحقاف (واذا حشر الناس كانوا
 لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) فكل ميت أو غائب لا يسمع ولا يستجيب
 ولا ينفع ولا يضر والصحابة رضى الله عنهم لاسيا أهل السوابق منهم كالحلفاء
 الراشدين لم ينقل عن أحد منهم ولا عن غيرهم أنهم أنزلوا حاجتهم بالنبي ﷺ في
 أوقات الجذب كما وقع لعمر رضى الله عنه لما خرج ليستسقى بالناس خرج بالعباس
 غم النبي ﷺ فأمره ان يستسقى لأنه حي حاضر يدعوره فلو جاز أن يستسقى
 بإحد بعد وفاته لاستسقى عمر رضى الله عنه والسابقون الاولون بالنبي ﷺ بهذا
 يظهر الفرق بين الحي والميت لأن المقصود من الحي دعاؤه اذا كان حاضراً اذ أنهم
 في الحقيقة انما توجهوا الى الله بطلب دعاء من يدعوه ويتضرع اليه وهم كذلك
 يدعون ربهم فمن تعدي المشروع الى ما لا يشرع ضل وأضل ولو كان دعاء
 الميت خيراً لكان الصحابة اليه أسبق وعليه أحرص وبهم اليق وبحقه اعلم
 واقوم ، فمن تمسك بكتاب الله فجا ، ومن تركه واعتمد على عقله هلك وبالله
 التوفيق ، وقد ترك هذا الملحد آخر الحديث لما فيه من الرد عليهم في معتقدهم
 الفاسد فان هؤلاء الملاحدة لا يثبتون علو الله على عرشه فوق خلقه لان هذا
 عندهم يستلزم ان يكون الله تبارك وتعالى جسماً وقد أوضحنا الكلام عليه فيما
 تقدم ثم ذكر الملحد حديث الاعمى وقد تقدم الكلام عليه .

وأما قوله : ويكفيك فهم العلماء كافة من الآية (ولو أنهم اذ ظلموا انفسهم
 جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً) وانها للعموم
 في الحالين الحياة والمات لاستصحاب الاتيان بها لزارئه ﷺ وقد قام الاجتماع
 السكوتي أيضاً بذلك وهو حجة .

فالجواب ان يقال : قد سبق هذا الملحد الى الاستللال بهذه الآية من
 المشبهين أقوام وذكروا من الشبه نحو ما ذكره هذا وأكثر واعظم تليسا

وتقويها واجابهم على ذلك الائمة الجهابذة الحفاظ الذين هم القدوة وبهم الاسوة
وحسبنا ما ذكروه ووضحوه وبهذا تعلم كذب هذا الملحد المفتري بقوله وقد
قام الاجماع السكوتي أيضاً بذلك ولو كان من أهل المعرفة والعلم لما هذي
بهذا الكلام السامع ، قال الامام الحافظ المحقق أبو عبد الله محمد بن احمد
ابن عبد الهادي الحنبلي المقدسي قدس الله روحه على ما ذكره السبكي : فأما
استدلاله بقوله تعالى (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك) الآية . فالكلام فيها
في مقامين أحدهما : عدم دلالتها على مطلوبه الثاني بيان دلالتها على تقبضه وانما
يتبين الأمران بفهم الآية وما أريد بها وسيقت له وما فهمه منها أعلم الامة
بالقرآن ومعانيه وهم سلف الامة ، ومن سلك سبيلهم ولم يفهم منا أحد من
السلف والخلف الا المجيء اليه في حياته ليستغفر لهم وقد ذم تعالى من تخلف
عن هذا المجيء ، اذا ظلم نفسه وأخبر أنه من المنافقين فقال تعالى (واذا قيل
لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم
مستكبرون) وكذلك هذه الآية انما هي في المنافق الذي رضى بحكم كعب
ابن الاشرف وغيره من الطواغيت دون حكم رسول الله ﷺ فظلم نفسه بهذا اعظم
ظلم ثم لم يجيء الى رسول الله ﷺ ليستغفر له فان المجيء اليه ليستغفر له توبة
وتصل من الذنب وهذه كانت عادة الصحابة معه ﷺ أن أحدهم متى صدر
منه ما يقتضي التوبة جاء اليه فقال يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي
وكان هذا فرقا بينهم وبين المنافقين فلما استأثر الله عز وجل بنبيه ﷺ ونقله
من بين ظهورهم الى دار كرامته لم يكن احد منهم قط يأتي الى قبره ويقول :
يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي ، ومن نقل هذا عن أحد منهم ، فقد
جاهر بالكذب والبهت وافترى على كل الصحابة والتابعين وتابعيهم ،
وهم خير القرون على الاطلاق حيث تركوا هذا الواجب الذي
ذم الله سبحانه من تخلف عنه وجعل التخلف عنه من امارات النفاق ،
وكيف اغفل هذا الامر أئمة الاسلام وهداة الانام ؟ فلم يدعوا اليه ولم يرشدوا
(م ١٦ - الأسنة الحداد)

اليه ولم يفعله احد منهم البتة ، ووفق له من لا يؤبه له من الناس ولا يعد في
أهل العلم ، بل المنقول الثابت منهم ما قد عرف مما يسوء الغلاة فيما يكرهه
وينهى عنه من الغلو والشرك الحفاة عما يحبه ويأمر به من التوحيد والعبودية ،
ولما كان المنقول شحا في حلق الغلاة وقذا في عيونهم وريبة في قلوبهم وقابلوه
بالتكذيب والطعن في الناقل ومن استحى منهم من أهل العلم بالأثار قابله
بالتحريف والتبديل ، ويأبى الله إلا ان يعلي منار الحق ويظهر ادلته ليهتد
المسترشد وتقوم الحجة على المعاند فيعلى الله الحق من يشاء ويضع برده وبطوره
وغصص اهله من يشاء وبالله العجب أن كان ظلم الامة لأنفسها ، ونبيها حي بين
أظهرها موجود وقد دعيت فيه الى المجيء اليه ليستغفر لها وذم من تخلف عن
هذا المجيء ، فلما توفي عليه السلام ارتفع ظلمها لأنفسها بحيث لا يحتاج احد منهم الى
المجيء اليه ليستغفر له وهذا بين ان هذا التأويل الذي تأول عليه المعترض هذه
الآية ، تأويل باطل ولو كان حقا لسبقونا اليه علما وعملا وارشادا ونصيحة ،
ولا يجوز احداث تأويل في آية او سنة لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه
ولا بينوه للامة فان هذا يتضمن انهم جهلوا الحق في هذا وضلوا عنه واهتدى
اليه هذا المعترض المستأخر فكيف اذا كان التأويل بخلاف تأويلهم ويناقضه
وبطلان هذا التأويل أشهر من أن يطلب في رده وانما ننبه عليه بعض التنبيه ،
وبما يدل على بطلان تأويله قطعا انه لا يشك مسلم ان من دعى الى رسول الله
عليه السلام في حياته وقد ظلم نفسه ليستغفر له فأعرض عن المجيء وأباه مع قدرته
عليه كان مذموماً غاية الذم مغبوضا بالنفاق ولا كان كذلك من دعى الى قبره
ليستغفر له ومن سوى بين الامر بين المدعوي وبين الدعوتين ، فقد جاهر
بالباطل وقال على الله وكلامه ورسوله وامناء دينه غير الحق ، واما دلالة الآية
على خلاف تأويله فهو أنه سبحانه صدرها بقوله : (وما أرسلنا من رسول إلا
ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك) وهذا يدل على ان مجيئهم
اليه ليستغفر لهم إذ ظلموا أنفسهم طاعة له ، ولهذا ذم من تخلف عن هذه الطاعة

ولم يقل مسلم ان على من ظلم نفسه بعد موته ان يذهب الى قبره ويسأله ان يستغفر له ولو كان هذا طاعة له لكان خير القرون عَصَوْا هذه الطاعة وعطلوها ووفق لها هؤلاء الغلاة العصاة وهذا بخلاف قوله (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فانه نفى الايمان عن من لم يحكمه وتحكيمه تحكيم ما جاء به حيا وميتا ، ففي حياته كان هو الحاكم بينهم بالوحي وبعد وفاته نوابه وخلفاؤه يوضح ذلك انه قال : « لا تجعلوا قبوري عيدا » ولو كان يشرع لكل مذهب ان يأتي الى قبره ليستغفر له لكان القبر اعظم اعياد المذنبين ، وهذا مضادة صريحة لدينه وما جاء به ، انتهى . فأني دليل يدل على ما ذهب اليه هؤلاء الغلاة الملاحدة من دعائه والاستغاثة به الى غير ذلك من انواع الطلبات التي هي مختصة بفاطر الارض والسماوات لو كان اهل الشرك يعلمون ولكنهم في غمرتهم وفي ريبهم يترددون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

فصل

ثم ذكر المالحد توسل العدني ابي بكر ابن عبد الله العيدروس في قصيدته التي قال فيها :

بسم الله مولانا ابتدأنا
توسلنا به في كل أمر

ونحمده على نعماء فينا
غياث الخلق رب العالمينا

وقد أجبت بما نصه :

ألا أيها الانسان سَمِعاً	وعذ بالله رب العالمينا
توسل مشرك غالٍ جهول	ويُدعى القطب قطب الكافرينا
وذاك العيدروس وذو الحازي	وذو الاشراك بالمتوسلينا
توسل اولاً بصفات ربي	وبالاسماء وهي له يقينا
نقربها وثبتهَا وندعو	بها الرحمن لا متأولينا

وبالقرآن قال وكتب ربي
من الاسماء للرحمن هذا
ولكن قد توسل بعد هذا
وبالهادي توسلنا ولذنا
وأهملوا مع الاصحاب جمعاً
بكل طوائف الاملاك ندعو
وبالعلماء بأمر الله طرأ
اخص به الامام القطبي حقاً
وهذا كله لا نص فيه
ولا عن صحبه والآل طراً
وحاشاهم من الاشراك بل ذا
وان ملاذنا الرحمن ربي
فأواه السعير غداً ويلقا
وان دعاءنا لله حقاً
ومن يدعو إلهاً غير ربي
ومن صعب وآل أو ولي
غداً كفر واشراك مبين
ولو كان المراد بما غناه
بذات المصطفى وذوات صعب
لكان توسلاً لا خير فيه
ولكن الغوي أراد ما قد
يريدون الشفاعة والترقي
فيدعون الملائكة العوالى
ويدعون النبي وكل مولى

وما في الغيب مخزوناً مصوناً
جميعاً كله قد كان ديناً
فقال مجاهرّاً لا مستكيناً
وكل الانبياء والمرسلين
توسلنا بكل التابعين
بما في غيب ربي أجمعين
بكل الاولياء والصالحين
وجيه الدين تاج العارفين
عن المعصوم أزكى العالمين
بلا شك ولا عن تابعينا
غلو من طغاة معتدين
ومن يشرك به كالكافرين
هناك ما يسوء المشركين
باخلاص له مناً وديننا
من الاملاك أو من مرسلينا
وغير الاولياء كالصالحين
قتباً للغواة الظالمين
توسله بكل اجمعين
وآل المصطفى والتابعين
ومكروهاً وبدعيّاً يقيناً
أراد المشركون الأولونا
إلى الزلفى بجاء المرسلين
كما يدعون رب العالمين
لهم يدعون والصالحين

لكشف ملمة وزوال هم
ويرجون الفياث إذا دَعَوْهم
فكيف العيدروس ولست ادري
أم المدعو هذا كان خيبا
وسيان النبي إذا دَعَوْه
ولكني رأيت لهم علوا
فان رمت النجاة غدا وترجو
نعيا لا يبيد وليس يفنى
فلا تشرك بربك قط شيئا
وفي آثار أصحاب كرام
ودع عنك الغلاة ذوى المخازي
كهذا الناظم المقتون أو من
وكالحداد والحب المسمى

وغم قد امض السائلينا
بكل الأوليا متوسلينا
اذالك مسلم كالعابدين
لئما كالغلاة الزائغينا
وطالح من دعوه والصالحينا
به مستقبحا عقلا وديننا
بدار الحلد دار المتقين
جوار المصطفى والمرسلينا
وسر في أثر أزكى العالمينا
وسر في أثر كل التابعينا
وأهل الفي والمتعذلينا
نحنا نحو الغلاة الزائغينا
بدحلان وكل المشركينا

فصل

ثم ذكر أناساً من الغلاة غير من تقدم من توسل واستغاث بالنبي وبآله
في قصائد ذكر فيها من غلوهم واشراكهم ما يبيح سماعه ولا حاجة بنا إلى رد
جميع سقطاتهم وورطاتهم ، ثم قال : وقال ابن حجر في الخيرات الحسان في
مناقب ابي حنيفة النعمان في الفصل الخامس والعشرين ان الامام الشافعي ايام
هو ببغداد يتوسل بالامام ابي حنيفة يحىء الى قبته فيركع ركعتين ثم يقصد
ضريح النعمان يتوسل به في قضاء حاجته ، وقد ثبت توسل الامام احمد
بالشافعي رضي الله عنهما حتي تعجب ابنه عبد الله من ذلك ، فقال له الامام
احمد ان الشافعي كالشمس للناس وكالعافية للبدن .

فالجواب أن يقال : لهذا الجاهل كيف يثبت دين الله تعالى بمثل هذه الاقوال الكاسدة ، والشبهات الفاسدة ، التي لا تروج ولا تنفق لدي كل ذي عقل سليم ، ولا يشبه بها إلا كل خب لئيم ؛ ومن لا معرفة لديه بالعلوم النافعة الشرعية ، والاحاديث الصحيحة الصريحة النبوية ، وكلام العلماء الاعلام ، من أئمة الاسلام .

ثم أن هذه الحكاية من الكذب المعلوم كذبه بالاضطرار ، عند من له معرفة بالنقل والاثار ، فإن الشافعي لما قدم بغداد لم يكن ببغداد قبر ينتاب للدعاء عنده البتة بل ولم يكن هذا على عهد الشافعي معروفا وقد رأى الشافعي بالحجاز واليمن والشام والعراق ومصر وقبور الانبياء والصحابة والتابعين من كان أصحابها عنده وعند المسلمين أفضل من أبي حنيفة وأمثاله من العلماء فما باله لم يتوخ الدعاء إلا عنده ، ثم ان أصحاب أبي حنيفة الذين أدركوه مثل أبي يوسف ومحمد بن الحسن وزفر والحسن بن زياد وطبقته لم يكونوا يتحرون الدعاء عند قبر أبي حنيفة ولا غيره ، ثم ان الشافعي قد صرح في بعض كتبه بكرامة تعظيم قبور المخلوقين خشية الفتنة بها ، وإنما يضع هذه الحكايات من يقل علمه ودينه ، وأما أن يكون المنقول من هذه الحكايات عن مجهول لا يعرف ونحن لو روي لنا بمثل هذه المسببة أحاديث عن لا ينطق عن الهوى ، لما جاز التسك بها حتى تثبت ، فكيف بالمنقول عن غيره ؟ ثم هذه الحجج دائرة بين نقل لا يجوز اثبات الشرع به أو قياس لا يجوز استحباب العبادات بمثله ، مع العلم بأن الرسول لم يشرعها وتركه مع قيام المقتضى بمنزلة فعله وإنما ثبت العبادات بمثل هذه الحكايات والمقاييس من غير نقل عن الانبياء والنصارى وأمثالهم وإنما المتبع في اثبات أحكام الله كتاب وسنة رسوله ﷺ وسبيل السابقين الاولين لا يجوز اثبات حكم شرعي بدون هذه الاصول الثلاثة نصاً واستنباطاً بحال .

وأما قوله وقد ثبت توسل الامام أحمد بالشافعي فهو من نط ما قبله مما يعلم

كل عاقل فضلا عن العالم بالضرورة أنه من الكذب بل لا بد من رفع هذه الامور الى أصحابها بسند يعتمد عليه ودونه لا يسمع ثم لو ثبت ذلك فأفعالهم وتقريراتهم ليست من الحجة في شيء وحاشاهم من ذلك فهم أجل قدراً وأعظم خطراً من أن تجري منهم هذه الامور ، وهي لم يفعلها أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ، وشيخ الاسلام بن تيمية قدس الله روحه أجاب في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم عن مثل شبه هذا الملحد بوجهين مجمل ومفصل ، وقد جاد فيها وافادا ، نذكر المجل من كلامه طلباً للأختصار ، قال رحمه الله تعالى : أما المجل فالنقض فان اليهود والنصارى عندهم من الحكايات والقياسات من هذا النمط كثير بل المشركون الذين بعث اليهم رسول الله ﷺ كانوا يدعون عند أوثانهم فيستجاب لهم احيانا كما قد يستجاب لهؤلاء احيانا وفي وقتنا هذا عند النصارى من هذا طائفة ، فان كان هذا وحده دليلا على أن الله يرضى ذلك ويحبّه ، فليطرد الدليل ، وذلك كفر متناقض ثم انك تجد كثيرا من هؤلاء الذين يستغيثون عند نبي أو غيره كل منهم قد اتخذ وثنًا احسن به الظن وساء الظن بآخر ، وكل منهم يزعم أن قرينه يستجاب عنده ولا يستجاب عند غيره ، فمن الحال اصابهم جميعا وموافقة بعضهم دون بعض ، تحكم وترجيح بلا مرجح ، والتدين بدينهم جميعا جمع بين الاضداد ، فان اكثر هؤلاء انما يكون تأثيرهم فيما يزعمون بقدر اقبالهم على وثنهم وانصرافهم عن غيره وموافقتهم جميعا فيما يثبتونه دون ما ينفقونه بضعف التأثير على زعمهم ، فان الواحد اذا احسن الظن بالاجابة عند هذا وهذا لم يكن تأثير مثل تأثير الحسن الظن بواحد دون آخر ، وهذه كلها من خصائص الاوثان ثم إنه قد استجيب لبلعام ابن باعورا في قوم موسى المؤمنين ، وسلبه الله تعالى الأيمان ، والمشركون قد يستسقون فيسقون ويستنصرون ، انتهى . وفيه كفاية لمن كشف الله عن بصيرته حجب الغفلة والله الهادي الى سواء ثم ذكر حكايات واستغاثات لبعض الغلاة في الصالحين جوابها ما تقدم .

فصل

ثم قال : والآن في الدرعية أعلمنى من حضر في صلاتهم يوم الجمعة شهراً يصلي معهم كل جمعة والخطيب ابن محمد ابن عبد الالهاب حسين الأعشى يقول في خطبته الثانية ومن توسل بالنبي فقد كفر .

والجواب أن يقال : هذا التفات من هذا الملحد بعد فراغه من الخرافات والحكايات والخزعبلات الى الاكاذيب المزورة الموضوعات ، وهذه الحكاية التي نقلها عن الشيخ حسين ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب مكذوبة موضوعة ليس لها أصل بل هي من نط ما تقدم من الزور والبهتان ومن جنس ما يذكره بعد من الهذيان .

وأما قوله عن أخى الشيخ سليمان انه قال له يوما كم أركان الاسلام يا محمد بن عبد الوهاب ؟ فقال له خمسة فقال له بل أنت جعلتها ستة السادس من لم يتبعك ليس بمسلم هذا ركن سادس عندك للاسلام .

فالجواب أن يقال : قد علم أهل العلم والايان براءة الشيخ من هذا ، وان دعوته الى طاعة الله ورسوله يأمر بتوحيده وينهى عن الشرك به وعن معصيته ومعصية رسوله ويصرح بأن من عرف الاسلام ودان به فهو المسلم في أي زمان وأي مكان ويشهد الله كثيراً في رسائله ويشهد أولى العلم من خلقه أن أحداً من أعدائه ان جاءه عن الله او عن رسوله بدليل يرد شيئاً من قوله ويحكم بخطئه ليقبله على الرأس والعين ويترك ما خالفه أو عارضه ، وهذا معروف بحمد الله وانما يرميه بمثل هذا البهت وينسب اليه من جعل زوره وقدحه في أهل العلم والايان جسراً يتوصل منه ويعبر الى ما انطوى عليه ، وزين له الشيطان من عبادة الصالحين والتوسل بهم وعدم الدخول تحت أمر أولى العلم ، وترك القبول منهم والاستغناء بما نشأ عليه أهل الضلال واعتادوه من العقائد الضالة والمذاهب الجائرة قال تعالى حاكياً عن فرعون وقومه

فما رموا به كليه موسى ونبيه هارون عليهما السلام من قصد العلو والدعوة
الى انفسهما (قالوا اجئتنا لتلقنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء
في الارض وما نحن لكما بمؤمنين) وقال (لقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان
مبين الى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا أنؤمن لبشرين
مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين) فانظر الى ما افادته
اللام ان كنت من ذوي الالباب والافهام ، وقال تعالى عن قوم نوح انهم
قالوا لنبيهم (ما هذا إلا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل
ملائكة ما سمعنا بهذا في آياتنا الاولين) وانظر يا من نور الله قلبه ما زعم هذا
المعترض ونزله على هذه الآيات الكريكات تعرف أن آل فرعون وقوم نوح لهم
ورثة واتباع وعصاة واشياع يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ،
ويتكبرون على ورثة الرسل وأعلام الهدى تعاضها وحرجا ، ولا بد من الحساب
يوم يقوم الناس لرب العالمين ، وقد رأيت رسالة لشيخنا رحمه الله تعالى تشهد
لما قررناه ونصها : من محمد بن عبد الوهاب الى الاخ أحمد التويجري ألهمه الله
رشده وبعد وصل الخط أوصاك الله الى ما يرضيه ، واشرفنا على الرسالة
المذكورة وصاحبها ينتسب الى مذهب الامام احمد رحمه الله تعالى وما تضمنته
من الشبه الباطلة في تهوين أمر الشرك بل في إباحته فمن أين الامور بطلائنا من
سلم من الهوى والتعصب وكذلك تمويه على النظم بأن ابن عبد الوهاب يقول
الذي ما يدخل تحت طاعتي كافر ، ونقول سبحانه هذا بيتان عظيم ، بل تشهد
الله على ما يعلمه من قلوبنا بأن من عمل بالتوحيد وتبرأ من الشرك وأهله فهو
المسلم في أي زمان وأي مكان وانا نكفر من أشرك بالله في الالهية بعد ماتين
له الحجة على بطلان الشرك ، كذلك نكفر من حسنه للناس او اقام الشبه
الباطلة على إباحته وكذلك من قام بسيفه دون هذه المشاهد التي يشرك بالله
عندها وقاتل من انكرها وسعي في إزالتها والله المستعان ، انتهى المقصود منه .
او ما نسبته ذلك إلى اخيه سليمان فلا مانع من ذلك لولا وجوب رد خبر هذا

الفاسق وعدم قبوله إلا بعد التبين ثم لو فرضت صحته فمن سليمان وما سليمان ؟
هذه دلائل السنة والقرآن تدفع في صدره وتدرأ في نحره وقد اشتهر ضلاله
ومخافته لأخيه مع جهله وعدم ادراكه لشيء من فنون العلم ، انتهى من كلام
شيخنا رحمه الله من رده على جلاء الغمة . ثم قال رحمه الله تعالى : وقد رأيت
له رسالة يعترض على الشيخ وتأملتها فإذا هي رسالة جاهل بالعلم والصناعة
مزجى التحصيل والبضاعة لا يدري ما طحاها ولا يحسن الاستدلال بذلك على
من فطرها وسواها ، وقد من الله وقت تسويد هذا بالوقوف على رسالة
لسليمان ، فيها البشارة برجوعه عن مذهبه الاول وأنه قد استبان له التوحيد
والايمان وندم على ما فرط من الضلال والطغيان ، فذكرها رحمه الله وجوابها
من ارسلها اليه فمن اراد الوقوف عليها فهي مذكورة في رده مضباح الظلام
في الرد على من كذب على الشيخ الامام : ونسب اليه تكفير اهل الايمان
والاسلام ، وذكرها ايضا الشيخ المحقق محمد بشير في صيانة الانسان وهذا
بعض ألفاظ سليمان في رسالته إلى احمد بن محمد التويجري واخوانه قال
ولكن يا اخواني معلومكم ما جرى منا من مخالفة الحق واتباعنا
سبيل الشيطان ، ومجاهدتنا في الصد عن اتباع سبيل الهدى ، والآث
معلومكم لم يبق من أعمارنا إلا البشير والايام معدودة والانفاس محسوبة ،
والمأمول منا ان نقوم لله ونفعل مع الهدى اكثر مما فعلناه مع الضلال ، وان
يكون ذلك لله وحده لا شريك له لا لسواه ، لعل الله ان يمحو عنا سيئات
ما بقي ، والمطلوب منكم اكثر مما تفعلون الآن ، وان تقوموا لله قيام صدق ،
وان تبينوا للناس الحق علي وجهه وان تصرحوا لهم تصرحاً بيناً بما أنتم عليه
أولاً من الغي والضلال فيا اخواني الله الله فالامر اعظم من ذلك ، فلو خرجنا
نحار الى الله في الفلوات وعدنا الناس من السفهاء والمجانين في ذلك لما كان ذلك
بكثير منا الى ان قال : ومع هذا فلا عذر لكم عن التبين الكامل الذي لم يبق
معه لبس وان تذاكروا دائماً في مجالسكم ما جرى منا ومنكم أولاً وان تقوموا

مع الحق اكثر من قيامكم مع الباطل فلا احق من ذلك الى آخر كلامه رحمه الله .
وأما قول هذا الملقب : وقال لابن عبد الوهاب رجل آخر ، كم يعتق الله كل
ليلة في رمضان ؟ فقال مائة ألف في كل ليلة وفي آخر ليلة مثل ما في الشهر
جميعه ، فلما علمه بذلك قال لم يبلغ من تبعك عشر عشر ماذكرت من هؤلاء
المسلمين الذين يعتقهم الله ، وقد حصرت المسلمين فيك ومن تبعك .

فالجواب ان نقول : قد اجاب على هذا بعض العلماء المحققين فقال اقول :
جوابه من وجوه : الاول عدم الاعتماد على خبر الفاسق الكاذب المفتري
إلا بعد التبين ، والثاني ان في نفس هذا الخبر والحكاية ما يقضي كذبه من
ان محمد بن عبد الوهاب قال له يعتق في كل ليلة مائة ألف وفي آخر ليلة يعتق
مثل ما أعتق في الشهر كله فان هذا العدد لم يقع في حديث صحيح
ولا حسن ، انما وقع في رواية ضعيفة شديدة الضعف أو موضوعة ، ومحمد
ابن عبد الوهاب بحمد الله تعالى كان من نقاد أهل الحديث ، فكيف يتصور
ان يجيب بهذا الجواب السخيف الساقط ؟ نعم جاء في حديث ولله عتقاء من
النار وذلك كل ليلة وفي حديث أنه يغفر لامته في آخر ليلة من رمضان ،
وعلى هذا فليس فيه اشكال على ان هذين الحديثين أنهما فيهما مقال ، أما الأول :
فلان الترمذي قال في جامعه بعد ذكر هذا الحديث وحديث أبي هريرة الذي
رواه أبو بكر بن عياش حديث غريب لا نعرفه من رواية أبي بكر بن عياش
عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة إلا من حديث أبي بكر وسألت محمد
ابن إسماعيل عن هذا الحديث فقال حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الأحوص
عن الأعمش عن مجاهد قوله قال اذا كانت أو ليلة من شهر رمضان وذكر
الحديث قال محمد : وهذا اصح عندي من حديث أبي بكر بن عياش وأما الثاني :
فلأن في سنده هشام بن زياد المقدم ضعفه أحمد وغيره قال النسائي : متروك ،
وقال ابن حبان يروي الموضوعات عن الثقات ، وقال أبو داود كان غير ثقة ،
وقال البخاري يتكلمون فيه كذا في الميزان والثالث : أن عدد المعتقين الواقع في

الرواية المذكورة في هذه الحكاية ان كان في كل زمان فهذا في غاية السقوط فإنه لا يصدق في زمان بداية الاسلام حين كان المسلمون قليلين لم يبلغوا هذا العدد ، وان كان في بعض الزمان فقد بلغ اتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بعض الزمان اضعاف اضعاف العدد المذكور ، على انه لو فرض عدم بلوغ اتباع الشيخ هذا العدد فايّ محذور على هذا التقدير ؟ اذ وجود المسلمين قبل الشيخ أو بعده موافق لهذا العدد كاف في صدق هذه الرواية ، الرابع : ان صدقه في كل زمان من أوضح الابطال ، اذ يجيء في قرب الساعة زمان يقبض فيه روح كل مؤمن فكيف يصدق هذا الحديث فهو اما باطل أو مؤول بأن يحمل على زمان يبلغ فيه عدد المسلمين هذا المبلغ أو يزيد وهذا التأويل كما يمكن من جانب من ليس من لبياع الشيخ كذلك ، يمكن من جانب اتباعه من غير فرق والخامس : ان بناء هذا التشنيع على ان يكون الشيخ قائلاً بمصر المسلمين في نفسه واتباعه وقد علم فيما تقدم ان هذا افتراء على الشيخ صريح ، انتهى .

وأما قوله : وقال له اخر لم جعلت من نادى ولياً في قبره مشركاً ، قل مجنون ؟ كأنه نادى جداراً لا ينفعه ، فان المشرك الذي يجعل لله ندا وهذا انما نادى من لا ينفعه في عقيدتك وفي اعتقاد المنادي انه نافع له ، وقد جاء « لو اعتقد احدكم في حجر لنفعه »

فالجواب ان يقال : أولاً هذه الحكاية لا أصل لها بل هي من التزيورات المصنوعات ، الموضوعات على الشيخ ان هذا قيل له وحاشا وكلا ، والشيخ اجل قدراً واعظم خطراً من ان يخاطب بهذه المجونات ، وعلى تقدير ثبوت هذه الحكاية وحاشا وكلا ، يقال من نادى ولياً في قبره فهو مشرك لانه لا ينفع ولا يضر ، ومن نادى جداراً أو حجراً أو شجراً كان المنادي أو غير ذلك ، فناداه واستغاث به في كشف كربة أو ازالة شدة أو قضاء حاجة سواء اعتقد فيه أنه ينفعه ويضره أو لم يعتقد فهو كافر مشرك ، وكفره أعظم من

كفر من اعتقد في ولي أو نبي ، وقد كفر الله من اعتقد في الاشجار كالعزى
وفي الاحجار كمناة واللات ، وعلى هذا فليسوا بكفار عند هذا الملحد ،
فسبحان من طبع على قلوب اعدائه الى ان باغوا الى هذه الغاية .

وأما قوله : وقد جاء لو اعتقد احدكم في حجر لنفعه ، فهذا الحديث
موضع مكذوب على رسول الله ﷺ وضعه سلف هؤلاء الملاحدة الغلاة من
عباد القبور المعظمين لها ، فهم على اثارهم يهرعون وفي مهامه الغى يعمهون .

وأما قوله : وقال له رئيس قبيلة اخر ما تقول اذا اخبرك رجل دين
صادق تعرفه بالصدق بأن قوماً عظيمة قاصدتك وراء الجبل ولم يجدوا للقوم
أثراً ولا واحداً ولا جاءوا تلك الارض أصلاً اتصدق الألف أم الواحد
الصادق ؟ عندك قال : اصدق الألف قال له : اذا جميع المسلمين من العلماء
الأحياء كلهم والاموات في كتبهم يكذبون ما أثبت به ويزيفونه فنصدقهم
ونكذبك .

فالجواب ان نقول : هذه الحكاية الكاذبة الخاطئة ، قد اجاب عليها بعض
المحققين فقال اقول : الجواب عليه من وجوه : الأول عدم الاعتماد على هذا
النقل ، والثاني : ان ما حكاه عن الشيخ في جواب الصورة المفروضة من انه
قال اصدق الألف لا يتصور ان يكون جواباً صحيحاً عموماً بل اذا كان
الألف ذوي صدق ودين وأمانة ممن لا يخافون في الحق لومة لائم وأما من
ليس بذئ صدق أو دين أو أمانة أو يخاف الناس كخشية الله فليكن الجواب
على عكس ما حكى عن الشيخ وحين حكى الجواب عموماً فهذا أول دليل على
كذب هذه الحكاية ، والثالث : أن هذا المثل ليس في محله فان ما عليه
الشيخ ليس خبر رجل صادق ذي دين وأمانة بل هو قول رسول كريم ذي
قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين ، فلا اعتداد بقول من خالفه وان
كانوا الوفا . اذ الشيخ لم يدع الى رأيه والى رأي أحد من الصحابة والتابعين
أو تابع التابعين أو رأي غيرهم من العلماء انما دعا الى اخلاص التوحيد الذي

هو منطوق صريح بغير واحدة من الايات ، والرابع : ان قول السائل ان جميع المسلمين من العلماء الاحياء والاموات في كتبهم يكذبونك فيما أثبت به ويزيفونه كذب صريح هذا شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم وابن كثير وابن عبد الهادي وغيرهم من أهل التوحيد ممن قبل الشيخ يصدقون الشيخ فيما اتى به بل لو ادعى ان جميع المسلمين من العلماء الاحياء والاموات موافقون للشيخ لكان له وجه فان كلهم يقولون ان الدعاء عبادة وعبادة غير الله شرك ، انتهى .

وأما قوله وقال له رجل آخر : الدين الذي جئت به متصل او منفصل فقال له : حتي مشائخي ومشائخهم الى ستمائة سنة كلهم مشركون فقال له الرجل دينك منفصل لا متصل فعمن أخذته قال وحي الهام كالحضر : قال له ليس محصورا فيك كل يدعي وحي الهام .

فالجواب ان يقال : وهذا ايضا من غلط ما قبله من الأكاذيب المفتريات والحكايات الموضوعات فان هذا ما قيل للشيخ أصلا ولا أجاب على هذا أبدا ، والشيخ أجل قدرا وورعا وعلما ودراية من ان يجيب بمثل هذا الجواب الساقط ، ولم يقل الشيخ قط ان مشائخه ومشائخهم الى ستمائة سنة كلهم مشركون ، وان ديني وحي الهام ، ومعاذ الله من ذلك وذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار .

وأما قوله : ثم قال له ان التوسل بجمع عليه عند أهل السنة بالنبي ﷺ حتى ابن تيمية ذكر فيه وجهين وذكر كلام محمد بن عبد السلام الشافعي وحتى الافاض والخوارج والمبتدعة قائلون بصحة التوسل به ﷺ ولا حجة لك بالتكفير أصلا .

فالجواب ان يقال : وهذه ايضا من الكذب والبهتان فان الشيخ قد قال في الرسالة التي كتبها الى عبد الله بن سحيم في جواب هذا الطعن سبحانه هذا بهتان عظيم ، والشيخ رحمه الله يعلم ان التوسل بالنبي ﷺ التوسل الشرعي في

حياته حق كما كانوا يتوسلون به عند القحط وغيره ، وقد قدمنا معنى التوسل بالنبي وانه طلب الدعاء منه والاستشفاع وهذا لا ينكره أحد وليس النزاع فيه ، وانما النزاع في التوسل بالاصطلاح الحادث الذي انكره شيخ الاسلام بن تيمية وابن القيم وكافة أهل العلم والدين ، فهذا اجماع عباد القبور واهل السنة مخالفون لهم في ذلك وشيخ الاسلام لم يحك فيه وجهين بل ذلك الاقسام على الله بنبيه فأجازه بن عبد السلام بالنبي خاصة ومنعه عن غيره عموما ولم يتابعه على ذلك شيخ الاسلام بل ذكر انه لا يعلم قائلا به غير بن عبد السلام واما الارفاض والخوارج والمبتدعة فتعمهم سلفك في هذا وبئس السلف ونحن نبرأ الى الله منك ومنهم ومن تبعك على اعتقاد صحة هذا التوسل بهذا الاصطلاح المحدث . واما قوله فقال له عمر : استسقى بالعباس لم لا استسقى بالنبي ﷺ ؟ فقال له : حجة عليك استسقاؤه بالعباس بأنه يصح التوسل بغيره ، فأقول : هذا الدعاء بلا دليل بل يردده لفظ الحديث فان فيه ان عمر رضي الله عنه قال : اللهم انا كنا نتوسل اليك بعم نبينا ﷺ فتسقيننا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ، هذا لفظ البخاري وهو عند الاسماعيلي من رواية محمد بن المثنى عن الانصاري باسناد البخاري الى أنس قال : كانوا اذا قحطوا على عهد النبي ﷺ استسقوا به فيستسقي لهم فيسقون فلما كان في ايامه عمر فذكر الحديث هكذا في الفتح ، فلو كان يصح بميت غيره لما عدل الفاروق الى العباس ، وهم في حال شدة وحاجة الى الغوث ، فكان هذا دليلا على انه لا يجوز بميت لا به ولا غيره .

واما قوله : وحجتك بحديث عمر فعمر روي حديث توسل آدم بمحمد لما اكل من الشجرة وعصي ربه فتاب عليه بتوسله بمحمد ﷺ فسكت ولم يرد جوابا وبقي على عمايته .

فالجواب ان يقال : قد بينا ان هذه الحكاية لا اصل لها والشيخ يعلم ان هذا الحديث كذب على رسول الله ﷺ فكيف يسكت عن الجواب ؟ فهذا بما يبين كذب هذه الحكاية وانها مقطعة ، وسيأتي الكلام على هذا الحديث في محله .

واما قوله لما صح فيه وفي اتباعه كما جاء في الحديث الذي في البخاري وذكر حديث الخوارج ، فالجواب ان نقول : ليس هذا الحديث في الشيخ راتباه ، وانما هو في الخوارج الذين مرقوا ، والشيخ يرى منهم ومما يعتقدون بل هو من اهل السنة والجماعة المخالفين للخوارج ولعباد القبور وقد تقدم الكلام على ذلك فيما مضى .

فصل

ثم قال الملحد : وينبغي اليوم في هذا الوقت من الحوادث التي حدثت في التلم في الدين باعتقاد العلماء قول البدعي ان الاستغاثة شرك ، فالعالم والمقتدي به ينبغي له ان يظهر الاستغاثة ليقندي به .

والجواب ان يقال : ما كان الشيخ بدعيا بل كان حنفيا مسلما وما كان من المشركين ، وقد سبق كلام الشيخ على ان الاستغاثة بغير الله شرك شيخ الاسلام بن تيمية وتلميذه ابن القيم وكافة علماء المسلمين ، قال شيخ الاسلام رحمه الله في الرسالة السنية : فاذا كان على عهد النبي ﷺ من ينتسب الى الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة ، فليعلم المنتسب الى الاسلام والسنة في هذه الازمان قد يمرق ايضا من الاسلام لأسباب منها : الغلو في بعض المشائخ بل الغلو في علي بن أبي طالب بل الغلو في المسيح عليه السلام فكل من غلا في نبي او رجل صالح ، وجعل فيه نوعا من الالهية مثل ان يقول ياسيدي فلان انصرني او اغثنني او ارزقني او انا في حسبك ونحو هذه الاقوال ، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب وإلا قتل الى آخر كلامه ، وقد تقدم والمقصود انه جعل الاستغاثة شركا وضلالا ، وقال ابن القيم رحمه الله ومن انواعه يعني الشرك طلب الحوائج من الموتي والاستغاثة بهم والتوجه اليهم وهذا أصل الشرك العالم ، فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ضلعا عن استغاث به او سأل ان يشفع له الى الله ، وهذا من جهله بالشافع

والشفوع عنه الى آخر كلامه ، قال هذا الملحد يزعم ان القول بأن الاستغانة
بغير الله شرك من الحوادث التي حدثت من الظلم في الدين ، فينبغي للعلماء ان
يظهروا الاستغانة ليقنّدي بهم في ذلك ، ثم قال : فقد نقل عن الامام محمد
ابن ادريس الشافعي عالم قريش رضي الله عنه يقال عنه انه قال : اني اخالف
حفصا الفرد حتي في قول لا إله إلا الله او كما قال من نحو هذا ، ومقصود هذا
الملحد ان مخالفة شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب في كل شيء مطلوبة ، لأنه
في زعمه مبتدع ، ثم ذكر اجماع العلماء من اهل المذاهب الاربعة بأن
ابن عبد الوهاب واتباعه زنادقة وانهم لم ينتحلوا ديناً يعتمد عليه ، وليس هذا
بمستنكر ولا يبدع من تجازف هذا الملحد وعداوته لمن قام بتوجيه الله
واخلاص العبادة له والدعوة الى ذلك فانه المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل .
واما دعوى اجماع العلماء من اهل المذاهب الاربعة على ان الشيخ واتباعه
زنادقة الى آخر كلامه ، فهذه الدعوى من ايين الكذب وأبطل الباطل واحل
المحال فان هذا مما لا يمكن وقوعه ومن الذي قال ذلك بمن يعتد بقوله اللهم
إلا من كان من دجاجة عباد القبور مع تعمده للكذب والفجور وقول الزور .
واما قوله : وما معهم من الحق كمن معه زباد فيخلطه بعذرة ، فانظر
كلام هذا الملحد وما اراد بالحق الذي هو كالزباد وما اراد بالعذرة التي خالطت
الحق ثم احكم ايها المسلم بما اراك الله من الحق والله المستعان .

ثم قال والله در الشيخ محمد بن عبد الله بن فيروز الحنبلي لما قام مجتهدا
ابتغاء مرضاة الله في اطفاء بدعة هذا الحثيث كلما رأى وجها لبعض اهل المذاهب
الأربعة تبع ذلك الوجه اذا كان مخالفا لما يعمل او يقوله ابن عبد الوهاب
البدعي واتباعه وذلك لأجل اظهار المخالفة .

والجواب ان يقال : قد كان من المعلوم ان محمد ابن فيروز من أئمة الضلال
ومن شرق بهذا الدين واطهر عداوة المسلمين وبالغ في عداوة اهل التوحيد
بكل ممكن ولا يبعد ان يصدر منه ذلك ، وقد كتب وصية يستغث فيها بوالى
(م ١٧ - الاسنة الحداد)

البصرة سليمان باشا ويستجيشه على أهل الاسلام وقد وصلت منظومته الى الشيخ
حسين بن قنم رحمه الله فأجاب عليها فأفاد وأجاد فقال رحمه الله تعالى :

على وجهها المسموم بالشوم قد خطا
نخطت فاخطت في المساعي مرامها
وثارت لنار الشرك تذكي ضرامها
لقد شوهت مازخرفته بزورها
وقد جاء منشيها بزور ومنكر
وحان به داعي الغناد لميع
فضل عن الارشاد للحق واعتدى
وجاوز منهاج الهداية راضياً
بجاول تشييداً ورفعاً لما وهت
ويسعى بتجريض وتهيج فتنة
وربك بالمرصاد ممن يريد أن
فلا عجباً من يعيش عن ذكر ربه
لقد حاب مسعى من غدا طول عمره
ولا كابن فيروز يروم سفاهة
وصار يذود الناس عما آتى به
ويدعو الى نهج الضلالة معلناً
يغالب أمر الله والله غالب
ويرجو من المخلوق عوناً ونصرة
وذاك من الاقدار ما فك نفسه
لئن كان يدعو لتفريج كربته
فبشره بالخسران والذل ان سعى
ومن جرب الاشياء يكفيه ماجرى

عروس هوى ممقوتة زارت الشطأ
ومرسلها عن نيل مقصوده أخطا
وسارت فبارت والاله لها قضا
كما انها بالين قد أحكمت ربطا
وفحش وبهتان يعط به عطا
تكب عن سبل الهداية واشتطا
وغط اناساً في طريقته غطا
عن الدين وبالدينيا فما نالها بسطا
فواعده فوق البسيطة وانخطا
تصير اذا شئت طاء العدى شحطا
يؤسس ركن الشرك من بعد ان خطا
يقبض له الشيطان ينشطه نشطا
يصد عن التوحيد من دان او شطا
دفاعاً لحق في البرية قد وطأ
أجل شفيع في الورى للآوا يعطا
ومنهاج أهل الزينج جهراً به أطا
ويندب من لا يملك الرفع والخطا
يناديه من بعد اغشنا بلا ابطا
ولم يغن عنه المال اذ بذل الشرطا
فليس سوى الرحمن ندعو بلا استبطا
يهدم لهذا الدين أو وافق الضفطا
ويلقي اباطيلا عن الاهتدى شحطا

وينظر في عقبى الحيانة والردى
وللشهم في تلك القضايا مواعظ
وكم دولة كادت وقادت جموعها
يريدون اخفاء لما الله مظهر
رويداً فوعد الله لا بد واقع
ومن عارض الاقدار أو سخط القضا
وما ذاك الا معتد ذو حماقة
فويل له يوم القصاص وحيث لا
سمت عصبة التوحيد عما يشينهم
أوصف بالطاغوت من جدد الهدى
وأعلن بالاسلام والدعوة التي
وقام بأمر الحق في جاهلية
وأطلع مولاه نجوم سعوته
فسبحان من عم العباد بجله
يكفر قوماً بالكتاب تمسكوا
وما عموا بالكفر بل خصصوا به
أفي محكم التنزيل تكفير من دعا
أهل الهوى والزيف والفرق التي
وهل جاء في التنزيل والوحي شاهد
ومن قد نجا في الدين سنة صحبه
فتباً وسحقاً ياله من مقالة
أبا عُمَرَ هُنَيْتَ بَلْ هُنَيْتِ الْوَرَى
اليك القرى والمدن ترنو عيونها
وترتاح من عليا سعود ونصره

فكل امرئ خان اليهود غدا سقطا
يرد بها عنه الغواية والمهبطا
فبادت وما فادت وما ادركت مسطاً
واتمام نور الله بالحفظ قد حيطا
وقد وعد التمكن من عمل القسطا
فربك قهار له المنع والاعطا
توغل في الابلان واغتر وانقطا
مناص وأهل النار تسرطهم سوطا
وعن وصفهم بالكفر لكنه الاخطا
وأحيا أصول الدين والسنة الوسطا
لها كسط المختار رؤس العدى كسطا
وأهل الردى والشرك تحسبه خلطا
بآل سعود حين صاروا له سبطا
وفي هذه الدنيا بامهاله غطا
وبالهدى والاجماع ما خالفوا الشرطا
أناسا من الاشرار اعماهم حبطا
الى الله والتقوى واسلام من شطا
تحرف وحي الله حازوا الهدى خرطا
بتحقيق اسلام الروافض قد خطا
ينادي عليهم انهم خبطوا خطا
من الافك والبهتان قد سحبت مرطا
بما نلت والتوحيد حاز بك البسطا
تذاك ترعاها فتبلؤها قسطا
وتغبط نجادا والحسا الآن والخطا

فجهز لها المنصور بالبشر نلقه
فقد طرّز الاقبال آيات فوزه
ودم شارباً كأس المسرة والهنا
وازكى صلاة يفضح المسك عُرْفها
كذا الآل والاصحاب ماخط كاتب
والمقصود ان هذا الرجل اعني بن فيروز من أئمة أهل الضلال الداعين الى
الشرك بالله بالافك الزور والمحال فأبادهم الله تعالى ومزقهم ايدي سبا وأعلى
الله كلمته ونصر جنده فكانوا هم الغالبين ، وجعل الله العقاب للاسلام وأهله
وبحق الشرك ومن قام معهم في عداوة أهل التوحيد ، فكان لم يغنوا بالامس
فله الحمد وله المنه .

فصل

ثم قال الملحد : وسنزيدكم بياناً في التوسل والاستغاثة بالانبياء والصالحين
والاولياء ، قال الامام الرمي في شرحه في ايضاح الامام النووي : وأعلم ان
ما يدل لطلب التوسل به ﷺ ، وان ذلك هو سيرة السلف الصالح من الانبياء
والاولياء وغيرهم ما أخرجه الحاكم وصححه أنه ﷺ قال : « لما اقترف آدم
عليه السلام الخطيئة قال يارب أسألك بمحمد رسول الله ﷺ الا ماغفرت لي
فقال تعالى يا آدم كيف عرفت محمدآ ولم أخلقه قال يارب انك لما خلقتني بيدك
ونفخت فيّ من روحك رفعت وأسمي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً
لا إله الا الله محمد رسول الله ﷺ فعلمت انك لم تضيف الى اسمك الا أحب
الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم انه لأحب الخلق اليّ واذا سألتني بحقه
فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك » وأطال .

والجواب ان يقال : هذا الحديث موضوع مكذوب باتفاق أهل العلم
بالحديث كما جزم به شيخ الاسلام في كتاب الاستغاثة في الرد على ابن البكري

وأهل العلم بينوا ذلك قال الذهبي في الميزان : روى عبد الله بن مسلم أبو الحارث
الفهرى عن اسماعيل بن مسلمة ابن قعنب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم
خبراً باطلاً فيه « يا آدم لولا محمد ما خلقتك » رواه البيهقي في دلائل النبوة
قال في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الأوسط والصفير ، وفيه من
لا يعرفهم ، انتهى : وذكر الحافظ بن عبد الهادي عن الامام مالك رضي الله
عنه انه قال فيه : اذهب الى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يحدثك عن أبيه عن
نوح وقال الربيع بن سليمان : سمعت الشافعي يقول : سأل رجل عبد الرحمن
ابن زيد بن أسلم حدثك أبوك عن أبيه عن جده ان سفينة نوح طافت بالبيت
وصلت ركعتين قال : نعم ، وقال ابن خزيمة : عبد الرحمن بن زيد ليس بمن
يحتج أهل العلم بحديثه ، وقال الحافظ أبو نعيم الاصبهاني : حدث عن أبيه
لا شيء ، وقال في الصارم المنكي أيضاً : واني لا تعجب منه كيف قلد الحاكم
فيما صححه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الذي رواه في التوسل وفيه
قول : الله لآدم « ولولا محمد ما خلقتك » مع انه حديث غير صحيح ولا ثابت
بل هو حديث ضعيف الاسناد جداً وقد حكم عليه بعض الائمة بالوضع ، وليس
اسناده من الحاكم الى عبد الرحمن بن زيد صحيحاً بل هو مفتعل على عبد الرحمن
كما سنينه ولو كان صحيحاً الى عبد الرحمن لكان ضعيفاً غير محتج به ، لأن
عبد الرحمن في طريقه ، وقد اخطأ الحاكم في تصحيحه ، وتناقض تناقضاً فاحشاً
كما عرف له ذلك في غير موضع ، فانه قال في كتاب الضعفاء بعد ان ذكر
عبد الرحمن منهم وقال ما حكيت عنه فيما تقدم انه روى عن أبيه احاديث
موضوعة لا تحفي على من تأملها من أهل الصنعة ان الحمل فيها عليه قال في آخر
الكتاب هؤلاء الذين قدمت ذكرهم قد ظهر عندي جرحهم لأن الجرح
لا يثبت إلا ببينة فهم الذين ابين جرحهم لمن طالبني به ، فان الجرح لا يستحل
تقليداً ، والذي اختاره لصاحب هذا الشأن لا يكتب حديث واحد من
هؤلاء الذين سميتهم ، فالراوي لحديثهم داخل في قوله عليه السلام « من حدث عني

محدث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » هذا كله كلام الحاكم أبي عبد الله صاحب المستدرك وهو متضمن أن عبد الرحمن بن زيد قد ظهر له جرحه بالدليل ، وإن الراوي لحديثه داخل في قوله عليه السلام : « من حدث عني بمحدث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » انتهى .

فتبين من كلام العلماء حملة السنة وأهل الجرح والتعديل الذين حفظ الله بهم الدين عن تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الزائفين ، أن هذا الحديث موضوع مكذوب لا يعتمد عليه ، وأقل أحواله أن يكون ضعيفاً ، ولا نقول على رسول الله حديثاً لا يحزم بصحته وثبوته وإن كان قد صححه الحاكم ، فالجرح مقدم على التعديل مع أنه قد قال في عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ما قال فنأخذ بقوله مع أقوال أئمة هذا الشأن ولا نأخذ بغلطه وخطائه فيما أخطأ فيه .

ثم ذكر الملحد في التوسل كلاماً طويلاً نحو ما مرّ عن من لا يعتمد على قوله ولا يعول عليه كالسبكي وغيره ممن لا يحتج بقوله ، وبما بين لك أيها المسلم شدة غباوتهم وسخافة عقولهم ما ذكره بقوله وكذلك التوسل بالأنبياء والصحابة والتابعين والعلماء والصالحين والاستغاثة بهم أحياء وأمواتاً لأنهم يعرفون الله أكثر منا ، ومن كان هذا غاية علمه ودينه وبقينه ومعرفته فحقيق أن لا يكثرث بأسبابه وإطنايه بما هذا محصله إذ كله عجيبة بلا طعن ، فلنقتصر على ما ذكرنا من إيضاح بطلان ما موّ هواه من الحرافات والهذيان ، وبما يزيد المسلم بصيرة فيما يحكيه هؤلاء الغلاة الملاحدة قوله : فإذا كان الشرع وارداً بالتوسل بالأنبياء والملائكة أحياء وأمواتاً ، فهل تتوسل بالظلمة ؟ بأن نقول اللهم رب فرعون وقارون ونمرود وهامان اغفر لي مع أنه ربه أم نقول كما ثبت ؟ اللهم رب الكعبة وبانيها وفاطمة وأبيها وبعثها ونبيها نور بصري وبصيرتي وسري وسريتي ، وقد جرب هذا الدعاء بنور البصر عند الاكتحال . وهذا الدعاء من الأوضاع المكنوبة فإنه لم يذكر له سند ولا عزاء إلى

كتاب ولا الى عالم من العلماء المقدي بهم ، وما كان هذا سبيله فهو مطرح ساقط . ثم ذكر بعد هذا قوله : فالعجب من النجدي كيف ساغ له ان ينكر على الاكابر بل يسميهم مشركين لما استغاثوا بالاموات وتوجهوا بهم مستشفعين بهم الى بارئهم مع تضافر النصوص المتقدمة على جواز التوسل والاستغاثة ومع ذلك انكر الاحاديث وخرق الاجماع واظهر الابتداع .

فنقول : هذا كله كذب إلا إنكار الاحاديث وخرق إجماع عباد القبور فان الشيخ لا ينكر على الاكابر من أهل العلم وانما انكر الكذب على العلماء ونسبة فعل الشرك اليهم وحاشا أهل العلم واكابر السلف والحلف ان يكونوا بهذه المثابة والنصوص المتقدمة إما موضوعة أو مصروفة مؤلة عما وضعت له والشيخ رحمه الله ما خرق الاجماع ولا اظهر الابتداع بل وافق الاجماع واظهر الاتباع ونفي الابتداع وأما اجماع عباد القبور فخرقه واجب على كل مسلم . وأما قوله : وقد ورد اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك الى آخره .

فأقول : هذا الحديث فيه عطية العوفي وهو ضعيف وعلى تقدير ثبوته وصحته هو من هذا الباب فان حق السائلين عليه سبحانه ان يجيبهم وحق المطيعين له ان يطيعهم فالسؤال له والطاعة له سبب لحصول اجابته واثابته فهو من التوسل به والتوجه والتسبب به ولو قدر انه قسم لكان قسما بما هو من صفاته فان اجابته واثابته من افعاله وأقواله فصار هذا كقوله ﷺ في الحديث الصحيح «اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك» والاستعاذة لا تصح بمخلوق كما نص عليه الامام احمد وغيره من الائمة ، انتهى من كلام شيخ الاسلام بن تيسية رحمه الله وقد تقدم الكلام على قوله اسألك بحقي وحق التبيين من قبلي وانه موضوع مكذوب وكذلك الكلام على حديث الاعمى ، وأما ما ذكره في صحيح البخاري ومسلم من دعاء الانسان بصالح عمله كما في حديث أهل الغار ، فهذا هو المشروع المسنون المأثور في الاحاديث الصحيحة ، وأما قياس من

قاس الذوات بالأعمال الصالحة فهو قياس فاسد مردود كما ذكره أهل العلم
وأوضحه صاحب صيانة الإنسان فافاد واجاد .

وأما قوله : قال الشيخ عيسى بن مطلق المالكي في الرد في رسالته على
انكار النجدي على البوصري وذكر في كلامه البيت الذي أنشده الاعرابي ،
الذي أتى النبي ﷺ وأنه أتى فيه بأداة الحصر التي هي قوله إلا اليك فرارنا ،
وقوله إلا إلى الرسل فهو اعظم وأبلغ من قول البوصري ، فأقول : قد تقدم
الكلام على ذلك وإن في سنده الملائي وهو واه فلا اعتماد عليه والشيخ محمد
رحمه الله أعلم بحديث رسول الله ﷺ منكم ، فلا يعتمد على الموضوعات
ولا على ما لا يصح سنده بالروايات والثقات ، فاعلمي عن هذا الحديث فصار
انتصار هذا المكي للبوصري لما صدر منه من الأقوال الشريكية بهذا الحديث
الذي لا يصح ولا يعتمد على مثله ، فالحمد لله الذي جعلهم بهذه المثابة ، وكذلك
الحديث الذي ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال :
« أوحى الله إلى عيسى عليه السلام أن آمن بمحمد ومرت من أدركه من أمتك أن
يؤمنوا به فلو لا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء
فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن » ذكره بن حجر
في كتابه الدر المنظم ، وهذا الحديث لا يصح بل هو من الموضوعات ولم
يذكر له سند ولا عزاء إلى شيء من الكتب المعتمدة ، فلا بد من ذكر
رواياته وتوثيقهم والا فلا يسح ، وإن ذكره بن حجر فهو كفيरे بما ذكره
من المكذوبات الموضوعات .

ثم ذكر كلاما لا حاصل في الجواب عنه ، وقد تقدم الكلام على جنسه ،
ثم قال : ومنه ما روي البيهقي وابن أبي شيبة بسند صحيح عن مالك الدار
وكان خازن عمر قال : أصاب الناس قحط في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال : يا رسول الله استسق لأمتك فانهم قد
هلكوا ، فأتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال : إئت عمر فاقرئه السلام وأخبره

أنهم مسقون وقل له عليك الكيس الكيس أي الفعل ، فأتى الرجل عمر فأخبره
فبكي عمر ، ثم قال : يارب ما آلوا إلا ما عجزت عنه وبين سيف في الفتوح ،
ان الذي رأي هذا في المنام بلال ابن الحارث أحد الصحابة رضوان الله
عليهم أجمعين .

والجواب ان نقول : ليس في هذا الحديث دلالة على جواز دعاء النبي ﷺ
والتوسل به والاستغاثة به بل هو من جنس المنامات التي لا يعتمد عليها في
الأحكام ولا يثبت بها حكم شرعي ، وأيضاً ففي هذا الحديث مقال مشهور ،
قال الحافظ في الفتوح : وروي ابن أبي شبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح
السمان عن مالك الداري وكان خازن عمر رضي الله عنه ، قال : أصاب الناس
قحط في زمن عمر رضي الله عنه فجاء رجل الى قبر النبي ﷺ في المنام « فقل
له إئت عملك » الحديث ، وقد روى سيف في الفتوح ان الذي رأي في المنام
المذكور هو بلال ابن الحارث المزني أحد الصحابة ، انتهى . فعلم أن ما روي
بإسناد صحيح ليس فيه ان الجائي أحد الصحابة ضعيف غاية الضعف قال الذهبي
في الميزان سيف ابن عمر الضبيعي الأسدي ويقال التميمي البرجمي ويقال
السعدي الكوفي مصنف الفتوح والرواة وغير ذلك هو كالواقدي يروي عن
هشام ابن عروة وعبيد الله بن عمر وجابر الجعفي وخلق كثير من المجهولين
كان اخبار باعارفاً روي عنه عبادة بن المفلس وأبو معير القطيعي والنضر
ابن حماد العتكي وجماعة قال عباس عن يحيى ضعيف وروي مطين عن يحيى
فليس خير منه قال أبو داود ليس شيء وقال أبو حاتم متروك قال الحافظ في
التقريب سيف ابن عمر التميمي صاحب الردة ويقال له الضبي ويقال غير ذلك
الكوفي ضعيف في الحديث عمدة في الاخبار افحش ابن حبان القول فيه انتهى
وقال الذهبي في الكاشف قال بن معين وغيره ضعيف فهذا بعض ما قيل في
حديث بلال بن الحارث الذي رواه البيهقي وابن أبي شبة وعلى تقدير ثبوت
صحته فغاية ما فيه انه رأي رسول الله ﷺ في المنام وهو يأمره ان يأتي عمر

فيأمره ان يخرج يستسقي بالناس وهذا ليس من هذا الباب الذي نحن بصدد الكلام فيه فان هذا قد يقع كثيرا لمن هو دون النبي ﷺ وهذا لا يدل على جواز التوسل بالأموات والاستغاثة بهم بوجه من الوجوه لما بينا فيما مضى .
وأما قوله في تفسير قوله : وعليك الكيس الكيس ، أي الفعل فهو تصحيف منه ، قال في القاموس : الكيس خلاف الحق والجماع والطب والجود والعقل والغلبة بالكياسة ، قال : والكيس الجيد الظريف ، فأين الأمر بالفعل ؟ واطنه سمع ان العقل من معاني هذه الكلمة ، فحسب انه الفعل ، ولا عجب من قلة معرفته .

ثم ذكر جملة ممن صنف في التوسل ورد على الشيخ محمد رحمه الله تعالى وكل من ذكر ليسوا من أهل العلم المحققين ، بل من الغلاة المفتريين والدعاة إلى غير سبيل المؤمنين ، ثم ذكر جملاً من المفتريات التي تقدم ذكرها في أول كتابه ، وقد ذكر الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالته لما دخلوا مكة المشرفة نصف النهار من شهر محرم سنة ١٢١٨ واجتمع بعلماء مكة واشرافها وفأوضحهم فيما يدعون في رسالته اليه من التوحيد لله وحده والنهي عن الشرك بما كانوا عليه فوافقوا على ذلك جملة وتفصيلاً وبايعوا على ذلك ، وفيما ذكر لعلماء مكة ، قال : وأما ما يكذب علينا سترأ للحق وتليساً على الخلق بأننا نفسر القرآن برأينا ونأخذ من الحديث ما وفق فهمنا من دون مراجعة شرح ولا مغول على الشيخ وأنا نضع من رتبة نبينا محمد ﷺ بقولنا النبي رمة في قبره وعصا أحدنا انقع له منه وليس له شفاعة وان زيارته غير مندوبة وأنه كان لا يعرف معنى لا إله إلا الله حتى أنزل الله عليه ، فاعلم انه لا إله إلا الله مع كون الآية مدنية وأنا لا نعتمد أقواله وتلف مؤلفات أهل المذاهب لكون فيها الحق والباطل وأنا مجسمه وأنا نكفر الناس على الاطلاق أهل زماننا ، ومن بعد الستمائة إلا من هو على ما نحن عليه ، ومن فروع ذلك أنا لا تقبل بيعة أحد حتى يقرر على نفسه بأنه

كان مشركاً وان أبويه ماتا على الاشرار بالله وانا تنهي عن الصلاة على النبي ﷺ ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقاً وان من دان بما نحن عليه سقط عنه جميع التبعات حتى الديون ، وانا لا نرى حقاً لأهل البيت رضوان الله عليهم ، وانا نجبر على تزويج غير الكفو لهم وانا نجبر بعض الشيوخ على فراق زوجته الشابة لتشكح شابا اذا ترافعوا اليها فجميع هذه الخرافات وأشباهها لما استفهمنا عنها من ذكرها ولا كان جوابنا على كل مسألة من ذلك سبحانه هذا بهتان عظيم فمن روى عنا شيئاً من ذلك او نسب اليها فقد كذب علينا وافترى ومن شاهد حالنا ورأى مجلسنا وتحقق ما عندنا علم قطعاً ان جميع ذلك وضعه علينا جماهير أعداء الدين واخوان الشياطين تغييراً للناس عن الاذعان لإخلاص التوحيد لله بالعبادة وانا نعتقد ان من فعل أنواعاً من الكبائر كالقتل للمسلم بغير حق ، والزنا والربا وشرب الخمر وتكرر ذلك منه لا يخرج بفعل ذلك عن دائرة الاسلام ولا يخلد به في دار الانتقام إذا كان موحداً لله في جميع أنواع العبادة ، انتهى .

وبهذا تعلم انما ذكره هذا الملحد ههنا وفيما مضى ، انه من الكذب والعدوان والزور والبهتان فانه المستعان .

فصل

ثم ذكر الملحد الفصل الخامس عشر وذكر فيه أنموذجاً من المفتريات المتقدم ذكرها وحاصله في الصلاة على النبي ﷺ بعد الاذان على المنابر ليلة الجمعة وانه غير بدعة ، وذكر رد محمد بشير قاضي رأس الحجة من بلدان عمان وفيه أي رد محمد بشير راعي رأس الحجة في الصواعق والرمود ان الربابة في بيت الحاطئة أقل اثماً من ينجي ويذكر بالصلاة على النبي ﷺ على المنابر وينهى عن الدعاء بعد الصلاة . زعم هؤلاء المفترون ان الشيخ يقول ذلك .

ونقول سبحانه هذا جهتان عظيم ، واذا تأمله المنصف وجده كله خرافات وتلفيقات وتمويهات لا يذكرها من له المام بالعلوم الشرعية ومعرفة بالاحكام الفرعية وقد تقدم الكلام عليها ، وذكرنا أول من أحدثها وما سبب ذلك ، وذكر أهل العلم انها من البدع المحدثه في الاسلام ، بخلاف ما ذكره قاضي رأس الحية من انه إن تكن الصلاة على النبي على المنابر بعد الأذان من ليلة الجمعة بدعة ، فتأليف الكتب ، وتدوين الحديث ، وترتيب مسائل الفقه ، والتراويل والجرح والتعديل ، وتدوين اللغة والتفسير ، كل ذلك بدعة على زعمه . واذا لم تكن بدعة فالصلاة المحدثه على المنابر ليلة الجمعة بعد القروب المفضلة أولى أن لا يكون بدعة على تأصيله وتفصيله والمناقل بسير فينظر ما الجامع بينهما وما الفارق ، وكذلك ذكر ما أحدثه الناس من رفع اليدين بالدعاء بعد الصلاة المكتوبة ، وقد تقدم الكلام على ذلك كما هو معروف في المهدي النبوي لأبن القيم ، وفي اجوبة شيخ الاسلام ابن تيمية ، واما الادعية المأثورة دير الصلاة فالشيخ يأمر بها ويذكر سنتها وما يتروى عليها من الفضل وقد طوينا الكلام على ما في هذا الفضل لانه قد تكرر الجواب عنه واكثره مما لا طائل في الجواب عنه لعدم الفائدة المترتبة على ذلك .

فصل

ثم ذكر الفصل السادس عشر ، وذكر فيه أن الشيخ محمد رحمه الله يقول : في مذهب الامام ابي حنيفة انه ليس بشيء .

فالجواب أن نقول : جميع ما في هذا الفصل بما ذكره عن الشيخ في الطعن على الامام أبي حنيفة كذب وزور وفجور ، والشيخ لا يقول هذا فيمن هو دون ابي حنيفة رحمه الله ، فكيف بالامام المعظم والكبير المفهم ، رابع الأئمة الاربعة المشهود لهم بالعلم والدراية والتقدم ، والفضل والفقه ، والورع والزهد ، وغير ذلك . وأما رد عبد الوهاب بن احمد بركات المكي فهو رد على

لا شيء انما أصَّلَ وفصلَ واجاب نفسه بنفسه ، فهو الذي اخترع الكذب والافك من عند نفسه ، والجواب عليه او تلقى أكاذيب اعداء الله ورسوله ولم يثبت ويتبين في ذلك بل صدق ما يعتاده من توهم ، وهكذا حال كل مبطل .

وأما ما ذكره الحداد فيمن ابتدع بدعة وما ذكر في ذلك من الاحاديث والابحار من الوعيد ، فهو الصق به وبأصحابه إذ هم أهل البدع والمحدثات في الدين ، والبدع منهم خرجت واليهم تعود ، ثم قال بعد ذلك : وفيما تقدم كفاية وافهم ما أمليناه عليك اذا رأيتهم واجتمعت بهم أن تحكم عليهم بحكم الأئمة الاربعة ولا تقبل منه ما يخالف كلامهم ، وان استدلل بحديث وغيره لأن داود الظاهري يأخذ بظاهر الحديث مع انه مجتهد لم يعد وأخلافه يخرق الاجماع ، لانهم لا يعدون خلافه خلافاً معتبراً كما ذكره في الاذكار الامام النووي .

فالجواب أن نقول : هذا ليس بصحيح بل يقبل الحق ممن قال به ، ولا نرد قوله اذا وافق الحق وقال بالدليل . قال حبر الامة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما لمن خالقه في متعة الحج : يوشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء ، اقول : قال رسول الله ﷺ ، وتقولون قال أبو بكر وعمر . وقال الامام احمد عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون الى رأي سفيان والله يقول : (فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب أليم) اتدري ما الفتنة ؟ الفتنة : الشرك ، لعلة اذا رد بعض قوله ان يقع في قلبه شيء من الزيف فيهلك ، وقال الامام مالك : مامنا إلا راد ومردود عليه ، إلا رسول الله ﷺ ، وقال الشافعي : إذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط . وقال ابو حنيفة : هذا رأي ، فمن جاءنا برأي خير منه قبلناه او كلاما نحو هذا .

هذه أقوال الأئمة الاربعة ، وهذا للمحدثين قول : وان استدلل بحديث

فسحقا للقوم الظالمين ، واما داود بن علي فقد اعتد اهل العلم بخلافه إلا فيما خالف النص وهو يظن انه ظاهر الحديث ولا يقبل قول النووي فيه ، وقد خالفه اهل العلم والدين . واما دعواه ان الشيخ محمد يدعى الاجتهاد ، فهو من الكذب والزور والاحاد ، واما اذا وضع النص واستبان الدليل فهو لا يعدل بقول رسول الله ﷺ قول احد من الخلق كائنا من كان ، قال الامام الشافعي رحمه الله أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ ، فليس له ان يدعها لقول احد كائنا من كان . واما من رد على الشيخ محمد رحمه الله من علماء السوء كعبد اللطيف صاحب تجريد سيف الجهاد ومحمد ابن عفالق صاحب الشبكة ، فانما ردوا عليه في تجريد توحيد الالهية ، وتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ ، وانكاره للشرك اصغره واكبره ، وهؤلاء واضراهم ليسوا من اهل العلم المقندى بهم ، بل هم أئمة ضلال ودعاة إلى النار ، فاهون بهم وبما قالوا ، واكثر ما طعنوا به على الشيخ ، انما هي تزويرات واكاذيب ملفقة .

واما قوله : واكثر في الرد عليه علماء الحنابلة ردا بليغاً في كتب ورسائل كثيرة اظهار للحق الى آخره .

فأقول : جوابه من وجوه الاول : ان كثيراً من العلماء المحققين اجابوا على تلك الرسائل وانتصروا للشيخ . والثاني : ان رد كثير من العلماء على الشيخ لا يقتضي بطلان ما عليه الشيخ وحقيقية ما عليه خصومه انما معيار الحقية شهادة الكتاب العزيز والسنة المطهرة واذا كانت قوله وعمله موافقا للنقلين الكتاب والسنة فلا مبالاة بمخالفة احد كائنا من كان . والثالث : ان غير واحد من علماء الصحابة والتابعين وتابع التابعين قد خالفه كثير من العلماء . فهذا مما لا يشارك الشيخ فيه غيره ، فلا وجه للطعن ، والله در الشيخ الامام احمد ابن علي بن مشرف الاحصائي المالكي رحمه الله حيث قال : فيمن طعن على الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وحفيده الامام الشيخ عبد الرحمن

ابن حسن بن الشيخ محمد رحمه الله تعالى :

من ذا يعيب أئمة الاسلام
او من يعاديهم سوى ذي ريبة
فهو النجوم هدى لأصحاب السرى
انصار سنة احمد كم استوا
منهم بنجد عالم ومجدد
نصر الهدى ونقي الردى ورمي العدى
وحى حى التوحيد من شبه العدى
وادلة التوحيد الف شملها
ومشاهد الاشراك هدى بناءها
من بعد ان عكفت عليها فرقة
طافوا بأرجاء القبور وقرّبوا
فاتاهموا بالنور من صبح الهدى
فجزاه رب العرش خير جزائه
ونحا طريقته الامام حفيده
اعني بذلك شيخنا علم الهدى
قد رد من كل العلوم شواردا
فلقد كفى وشفى بتصنيفاته
فهو دعاة الدين بل انصاره
قل للسفيه ومن سعى في ثلبهم
لو كنت من اهل الوغى ابصرتنا
لكن اراك من البهائم راتعا
فاسمع هداك الله نظما راقعا
وخريدة زفت اليك بدلها
وعلى النبي محمد وصحابه

اهل النهى والفضل والاحلام
في الدين ليس بثابت الاقدام
وهو لدين الله كالاعلام
للمسلمين قواعد الاحكام
لدين ذو علم وذو اقدام
بنواقب من علمه وسهام
وضلالهم اكرم به من حام
فاواح ليل الشك والاوهام
بدليل وحي قاطع وحسام
نبذوا الهدى وشرائع الاسلام
نسكا لها كعبادة الاصنام
فجلى به قطعاً من الاظلام
وحياه بالاحسان والانعام
اكرم به من عالم وامام
زين لاهل العلم والحكام
تدّت وقاد صعا بها يزمام
واذل من أضحي الدّ خصام
كم يقضوا من معشر نوام
اني تضر شوامخ الاعلام
ولقيت كل سميدع مقدم
فكرهت نظم الدر للانعام
ازهاره فتحت من الاكام
تسقي الضجيع يبارد بسام
والآل خير نحية وسلام

وأما قوله وتبرياً أن يدعي من لا معرفة له بمذهب الإمام أحمد بن حنبل
أن النجدي محمد بن عبد الوهاب حيث كان أولاً حنبلياً ثم ضل وابتدع
إلى آخره .

فأقول : قد كان الشيخ محمد رحمه الله على مذهب أحمد أولاً وآخرأ ،
ولم يعب عليه أعداء الله ورسوله إخلاص العبادة لله بجميع أنواعها وإنكار
الشرك في العبادة ، وأما الفروع فهو أسعد بمذهب الإمام أحمد من غيره ممن
يدعى أنه حنبلي والله المستعان ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فصل

ثم قال الملحد : الفصل السابع عشر وفيه نختم الكتاب أعلم أن من هفوات
النجدي منعه الرحلة لزيارة سيد المرسلين وخاتم النبيين وحبيب رب العالمين
محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين .

والجواب أن نقول هذا كذب وزور وهتان وقد تقدم الجواب عن هذا
مراراً بما أغني عن أعادته وتقدم الجواب على قوله بل زار ناس من الأحياء
فلما وصلوا إلى الدرعية خلق لحام وأركبهم مقلوبين من الدرعية إلى الأحياء
إلى آخره . وبيننا أن هذا لا أصل له .

وأما قوله مع أن ابن تيمية شيخ الإسلام ما يمنع الزيارة وإن قال بعدم
استحباب الرحلة وأباً محمد قال لا تستحب الرحلة إلا لزيارته ﷺ لما قدمناه في
خاتمة الفصل الثالث عشر ، فأقول وكذلك الشيخ محمد ابن عبد الوهاب لا يمنع
من الزيارة كما قال شيخ الإسلام ويمنع من شد الرجال إلا إلى ثلاثة المساجد
كما منع شيخ الإسلام ابن تيمية ويرى أن المنع للنهي لا للنفي وقال بالمنع
مطلقاً ، وقوله : وقد رد عليه الإمام الغزالي في الأحياء .

فأقول فيه غلط من وجهين : الأول أن الغزالي كان في القرن الخامس
وكان مولده سنة خمسين وأربع مائة وتوفي في سنة خمس وخمسمائة فكيف يرد

على شيخ الاسلام ابن تيمية وشيخ الاسلام ابن تيمية انما ولد في القرن السابع
سنة احدى وستين وستمائة وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة فكان بين وفاة
الغزالي وبين مولد شيخ الاسلام قريبا من مائتي سنة وهذا مما يدل على
كذب هؤلاء وعدم معرفتهم فلو كان لهذا معرفة لما قال : ورد عليه الامام
الغزالي في الاحياء وهو لم يوجد بعد بل كان بينهما مدد مديدة ، وأعوام
عديدة ، بل الذي رد على الغزالي وعلى غيره شيخ الاسلام وبين الحق
وأوضحه بأدلة كما قدمناه . الوجه الثاني : ان كلام الغزالي مخالف لنص
رسول الله ﷺ مع مخالفته لما أفهمه اصحاب رسول الله ﷺ من النهي عن شد
الرحال إلا الى المساجد الثلاثة كما قال أبو بصرة لأبي هريرة لما رحل الى الطور
وهناك مسجد وكذلك بن عمر وابو سعيد الخدري وغيره مما تقدم بيانه
فلا معول على كلام الغزالي ورده بغير دليل بل بعموم الامر بالزيارة ثم ان
ما حكاه الغزالي رحمه الله ومن وافقه من متأخري الفقهاء من زيارة القبر فمراهم
السفر المجرد عن فعل العبادة من الصلاة والدعاء عنده بل يصلي ويسلم عليه
ويسأل له الوسيلة ثم يسلم على أبي بكر ثم عمر ولا يقصد الصلاة عند القبر للجنة
ﷺ المتخذين قبور أنبيائهم مساجد واللعنة في كلام الله ورسوله لا تجامع
إلا الحرمة والاثم لا مجرد الكراهة ولقوله ﷺ « اللهم لا تجعل قبري وثنا
يعبد أشد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وأما زعمه ان
الشيخ مخالف لشيخ الاسلام فمن الكذب والبهتان بل هو موافق له
غير مخالف .

وأما قوله والله رد العلامة المحقق راشد ابن خنن الحنفي حيث رد على
النجدي بقوله :

وكن قاصدا بالسير منك زيارة	لمن حلها رغما لانف المذاق
فمن قال لا تشد رحالك نحوه	على القصد بل في ضمن شيء مطابق
فقد خالف الاجماع منه ضلالة	فسحقا لمن يتبع ضلالة مارق

(م ١٨ - الاسنة الحداد)

فزر قبره ان الزيارة سنة
ونافس بها أيام عمر ككلها
توجه الى وجه الرقيب مقابلا
وقف من بعيد مطرقا متادبا
وسلم بلا صوت رفيع على الذي
محمد الجالى عن القلب رينه
والجواب ومن الله استمد الصواب :

الاول لذي جهل بكل الحقائق
ومن سلكوا نهجا من الدين واضحا
أوامك اصحاب النبي محمد
اذا ما اتى نحو المدينة قاصدا
يصلى به اعني التحية أو لا
ويأتي بتسليم على خير مرسل
اهل انت اهدى أم صحابة احمد
كذبت لعمر والله فيما ادعته
وجازفت فيما قلته متشدقا
وخالفت نص المصطفى ونبذته
فمن قال لا تشدد رحالك نحوه
فقد وافق النص الشريف ولم يجد
ووافق اصحاب النبي محمد
وما خالف الاجماع يافدم فائده
على واعتدى في الدين وهو يظنه
وقد حاد عن نهج الشريعة وارتضى
وقال عنادا للهداة الذينهم

واقوم منهاج لاهل السوابق
وكأن لعمر اهدى الطرائق
ذوو العلم والتحقيق اذكي الخلائق
من الصحب ذو اشواق اليه وشائق
ومن بعدها يأتي بذلة وامق
كما هو في منصوص اهل الحقائق
وتابعهم اهل النهي والسوابق
وجئت به من منكرات المخارق
وكنيت بقول الزور احذق ماذق
وراءك ظهرياً ولما توافق
على القصد بل ضمن شيء مطابق
على المنهج الاسني ورب المشارق
وخالف ما قد قاله كل ماذق
ولا تتبع اقوال طاغ ومارق
بذلك في اهدى طريق موافق
مقالة غال جاهل ذي مخارق
احق واهدى من غوي منافق

وكن قاصداً بالسير منك زيارة
 ووالله مامنا لذلك منكبر
 وذلك ان الشد للرحل انما
 ينال به الانسان فضلاً محققاً
 ومن بعد ذا فاقصد الى القبر زائراً
 وسر نحوه في ذلة وتواضع
 وسلم على الصديق بعد نبينا
 واياك ان تأخذ بأقوال مارق
 وكن لائذا بالله جلّ جلاله
 فحق نبي الله طاعة أمره
 وتوقيره والاتباع لهديه
 فذلك مختص به دون عبده
 وصل على المعصوم رب وآله

لمن حلّها رغباً لأنف المماذق
 ولكننا ندعو لاهدي الطرائق
 لمسجده قد كان قولاً لصديق
 لفاصده ليست بأقوال ماذق
 وسلم على المعصوم أركى الخلائق
 وتوقير مشتاق اليه وشائق
 ومن بعده الفاروق غيظ المنافع
 تلوذ به من كل خطب مضائق
 لتنجو في يوم البكا والشاهق
 وتصديقه والانتها عن مشاقق
 فاما الذي لله رب الخلائق
 فدع عنك ما قد أحدثوا من شقاق
 وأصحابه أهل العلى والسوابق

فصل

واما قوله : وما كفرت به العلماء الحجاج قوله إذا رأى الناس يطوفون
 بقبر رسول الله ﷺ انهم يطوفون بأعواد ورمه ذكر بعض العلماء فيمن زعم
 ان الحجاج كان كافراً وبسط في ذلك حتى ذكر ما تقدم .

فالجواب : انه لا يصح هذا القول عن الحجاج مع فجوره وظلمه وعتوه
 وعدوانه ، وانه لوجوه منها ، انه لم يكن في وقت الحجاج أحد يطوف قبره
 الشريف ولا أحد يتمكن من ذلك ولم يحدث هذا الغلو الى بعد القرون المفضلة
 ومنها ان الطواف بالقبر لا يجوز بل الطواف انما يكون لبيت الله ، فمن
 طاف بقبر رسول الله ﷺ فقد ضاها به بيت الله والطواف بالبيت عبادة لله
 فمن طاف بقبر رسوله فقد اشركه في عبادة الله ، ومنها الكذب على العلماء

انهم كفروا بالحاج بنهي الناس عن الطواف بقبر رسول الله ﷺ وهذا من الكذب على العلماء ، قال ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية .

يا من له عقل ونور قد غدا
يشي به في الناس كل زمان
لكننا قلنا مقالة صارخ
في كل وقت بينكم باذان
الرب رب الرسول فعبدته
حقاً وليس لنا إله ثان
فلذلك لم نعبد مثل عبادة الرحمن فعل المشرك النصراني
كلا ولم تغلوا الغلو كما نهى
عنه الرسول مخافة الكفران
لله حق لا يكون لعبد
ولعبده حق هما حقان
لا تجعلوا الحقين حقاً واحداً
من غير تمييز ولا فرقان
فالجج للرحمن دون رسوله
وكذا الصلاة وذبح ذي القربان
وكذا السجود ونذرنا ونمنا
وكذا متاب العبد من عصيان
وكذا التوكل والاثابة والتقى
وكذا الرجاء وخشية الرحمن
وكذا العبادة واستغاثتنا به
اياك نعبد ذان توحيدان
وعليهما قام الوجود بأمره
دنيا وأخرى هذا الركنان
وكذلك التسبيح والتكبير والتهليل حق إلهنا الديان
لكنما التعزير والتوقيير حق للرسول بمقتضى القرآن
والحب والايان والتصديق لا
تختص به حقان مشركان
هذي تفاصيل الحقوق ثلاثة
لا تجعلوها يا أولي العدوان
حق الاله عبادة بالامر لا
يهوى النفوس فذاك للشيطان
من غير اشراك به شيئاً هما
سبب النجاة فعبدا السبيان
ورسوله فهو المطاع وقوله المقبول إذ هو صاحب البرهان
الى ان قال

ولقد نهى ذا الخلق عن اطرائه فعل النصارى عابد الصلبان

ولقد نهانا ان نصير قبره عبدا حذار الشرك بالرحمن
ودعا بأن لا يجعل القبر الذي قد ضمه وثناً من الاوثان
فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى اعتدت أرجاؤه بدعائه في عزة وحماية وصيان
ولقد غدا عند الوفاة مصرحاً باللعن يصرخ فيهمو بأذان
وعنى الاولى جعلوا القبور مساجدا وهم اليهود وعابدو الصلبان
والله لولا ذاك أبرز قبره لكنهم حجبوه بالحيطان
قصداً إلى تسنيم حجرته ليسنع السجود له على الأذقان قصدوا إلى تسنيم حجرته ليسنع السجود له على الأذقان
يا فرقة جهلت نصوص نبينهم وقصوده وحقيقة الايمان
فسطوا على أتباعه وجنوده بالبغي والعدوان والبهتان
لا تعجلوا وتبينوا وتثبتوا فصابكم ما فيه من جيران
قلنا الذي قال الائمة قبلنا وبه النصوص أتت على التبيان
القصد حج البيت وهو فريضة الرحمن واجبة على الاعيان القصد حج البيت وهو فريضة الرحمن واجبة على الاعيان
ورحالتنا شدت اليه من بقا ع الارض قاصيها كذاك الداني
من لم يزور بيت الآله فما له من حجة سهم ولا سهمان
وكذا نشد رحالتنا للمسجد النبوي خير مساجد البلدان وكذا نشد رحالتنا للمسجد النبوي خير مساجد البلدان
من بعد مكة أو على الاطلاق فيه الخلف منذ زمان من بعد مكة أو على الاطلاق فيه الخلف منذ زمان
ونراه عند النذر فرضاً لكن النعمان يأتي ذا وللعنان
أصل هو النافي الوجوب فانه ما جنسه فرضاً على الانسان
ولنا براهين تدل بأنه بالنذر مفترض على الانسان
أمر الرسول لكل فاذر طاعة بوفائه بالنذر بالاحسان
وصلاتنا فيه بألف في سوا ما خلا ذا الحجر والاركان
وكذا صلاة في قبا فكعمرة في أجراها والفضل للنمان
فإذا أتينا المسجد النبوي صلينا التحية اولا ثنتان فإذا أتينا المسجد النبوي صلينا التحية اولا ثنتان

بتمام أركان لها وخشوعها وحضور قلب فعل ذي الاحسان
ثم اثنتين للزيارة نقصد القبر الشريف ولو على الاجفان
فتقوم دون القبر وقفه خاضع متذل في السر والاعلان
فكانه في القبر حي ناطق فالواقفون نواكس الادقان
ملكتهوا تلك المهابة فاعترت تلك القوائم كثرة الرجفان
وتفجرت تلك العيون بأمها ولطال ما غاضت على الازمان
واني المسلم بالسلام بهيئة ووقار ذي علم وذو إيمان
لم يرفع الاصوات حول ضريحه كلا ولم يسجد على الاذقان
كلا ولم يُرَ طائفاً بالقبر أسبوعاً كأن القبر بيت ثان
ثم اثنتى بدعائه متوجها لله نحو البيت ذي الاركان
هذي زيارة من غدا متسكاً بشريعة الاسلام والايمان
من أفضل الأعمال هاتيك الزبارة وهي يوم الحشر في الميزان
لا تلبسوا الحق الذي جاءت به سنن الرسول بأعظم البطلان
هذي زيارتنا ولم تنكر البدع المضلة يا أولي العدوان
وحديث شد الرحل نص ثابت يجب المصير اليه بالبرهان
فتأمل رحمك الله كلام ابن القيم من أن شد الرحال إنما هو إلى المساجد
الثلاثة وان الزائر إنما يقصد بشد الرحل المسجد النبوي ، فإذا أتى المسجد صلى
فيه أولاً تحية المسجد ، ثم ينثني للزيارة من الروضة الشريفة الى الحضرة المشيقة
فيقوم دون القبر وقفه خاضع متذل منكس الرأس كأنه في قبره حي ناطق
ثم يسلم على النبي ﷺ وعلى صاحبيه كما ورد ، ثم ان اراد الدعاء انصرف الى البيت
بوجهه ودعا ولا يتوجه إلى وجه الوجه كما زعمه من اعصى الله بصيرة قلبه ولا
يسجد على الاعتاب كما يفعل الغلاة ولا يطوف بالقبر أسبوعاً كأنه بيت الله
الحرام كما ذكره هذا الملحد والله الهادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم .

فصل

قال المصنف: فنلخص لك من كتاب خلاصة الوفا في اخبار دار المصطفى ، ثم ذكر أحاديثا في الزيارة كقوله : من زار قبري وجبت له شفاعتي ، وقوله : « من زار قبري حلت له شفاعتي » وقوله « من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني » وقوله « من زارني إلى المدينة كنت له شفيعاً أو شهيداً » وقوله « من زارني متعمداً كان في جواربي يوم القيمة ومن مات مات في أحد الحرمين بعثه الله عز وجل من الآمنين يوم القيامة » وقوله « من حج حجة الاسلام وزار قبري وغزى غزوة وصلى في بيت المقدس لم يسأله الله فيما افترض عليه » وذكر غيره هذه الاحاديث أحاديث أخرى ، وهذه الاحاديث كلها ضعيفة منكورة بل موضوعة لا يعتمد عليها ولا يحتج بها ، ومن أراد تحقيق الكلام عليها وعلى أسانيدها وما ذكره أهل العلم من أهل الجرح والتعديل فذلك مبسوط في الجواب الباهر لشيخ الاسلام بن تيمية وفي الصارم المنسكي في الرد على السبكي للامام الحافظ بن عبد الهادي ، وفي صيانة الانسان لمحمد بشير .

وأما ما ذكره بعد ذلك من الاحاديث كقوله عليه السلام فيما رواه أبو داود عن أبي هريرة مرفوعاً « ما من أحد يسلم على الا رد الله على روعي حتى أورد عليه السلام » وغير ذلك من الاحاديث الواردة في المعنى .

فأقول هذه الاحاديث لا تنكرها وثبتها كما أثبتها أهل العلم ، ولكن لا تقتضي جواز شد الرحال اليها ، فإذا مر المسلم على مقابر المسلمين أو زاوم من غير شد رحل اليها الزيارة الشرعية ، وقال الادعية المروية فحق لا مرية فيه والذي يقتضيه منطوق هذه الاحاديث عدم حياتهم في قبورهم لأنه صرح فيها ان الله تعالى يرد عليه روحه حتى يرد السلام على المسلم .

وأما ما ذكر من الاحاديث في ذكر حياتهم في قبورهم ، فقال ابن القيم

رحمه الله تعالى في الكافية الشافية فصل في الكلام في حياة الانبياء في قبورهم :

ولأجل هذا رام ناصر قولكم ترقيعه يا كثرة الخلق

قال الرسول بقبره حي كما قد كان فوق الارض والرجان

من فوقه أطباق ذاك التراب واللبنيات قد عرضت على الجدران

لو كان حيا في الضريح حياته قبل المات بغير ما فرقان

ما كان تحت الارض بل من فوقها والله هذي سنة الرحمان

أتراه تحت الارض حيا ثم لا يفتيهموا بشرائع الايمان

ويريح أمته من الآراء والخلف العظيم وسائر البهتان

أم كان حيا عاجزا عن نطقه وعن الجواب لسائل لهفان

وعن الحراك فما الحياة اللاء قد اثبتوها اوضحوا ببيان

هذا ولم لا جاءه أصحابه يشكون بأس الفاجر الفتان

إذ كان ذلك ذاهبهم ونبيهم حي يشاهدهم شهود عيان

هل جاءكم اثر بأن صحابه سألوه فتيا وهو في الاكفان

فأجابهم بجواب حي ناطق فأتوا إذا بالحق والبرهان

هلا أجابهم جوابا شافيا ان كان حيا ناطقا بلسان

هذا وما شئت ركائبه عن الحجرات للقاصي من البلدان

مع شدة الحرص العظيم له على اوشادهم بطرائق التبيان

أتراه يشهد رأيهم وخلافهم ويكون للتبيان ذا كتمان

ان قلتمو سبق البيان صدقتموا قد كان بال تكرار ذا احسان

هذا وكم من امر أشكل بعده اعني على العلماء كل زمان

أو ما ترى الفاروق ودبابة قد كان منه العهد ذا تبيان

بالجد في ميوائه وكمالة وبيعض أبواب الربا الفتان

قد قصر الفاروق عند فريقكم إذ لم يسله وهو في الاكفان

أتراهو يأتون حول ضريحه لسؤالهم أمهمو اعز حسان

ونبيهم حيّ يشاهدهم ويسمعهم ولا يأتي لهم ببيان
 افكان يعجزان يحيب بقوله ان كان حيا داخل البنيان
 ياقومنا استحيوا من العقلاء والمبعوث بالقرآن والرحمان
 والله لا قدر الرسول عرفتمو كلا ولا للنفس والانسان
 من كان هذا القدر مبلغ علمه فليست بالوصت والكتمان
 ولقد أبان الله ان رسوله ميت كما قد جاء في القرآن
 افجاء ان الله باعته لنا في القبر قبل قيامة الأبدان
 اثلاث موثبات تكون لرسوله ولغيرهم من خلقه موتان
 اذ عند نفخ الصور لا يبق امرء في الارض حيا قط بالبرهان
 افهل يموت الرسل ام يبقوا اذا مات الوري ام هل لكم قولان
 فتكلموا بالعلم لا الدعوى وجيئوا بالدليل فنحن ذو اذهان
 أو لم يقل من قبلكم للرافع الأصوات حول القبر بالنكران
 لا ترفعوا الاصوات حرمة عبده ميتا كحرمة لدى الحيوان
 قد كان يمكنهم يقولوا انه حيّ ففضوا الصوت بالاحسان
 لكنهم بالله اعلم منكموا ورسوله وحقائق الايمان
 ولقد أتوا يوما الى العباس يستسقون من قحط وجذب زمان
 هذا ويدينهموا وبين نبيهم عرض الجدار وحجرة النسوان
 فنبيهم حيّ ويستسقون غير نبيهم حاشا أولى الايمان

فصل

فما احتجوا به على حياة الرسل والانبياء في القبور :
 فان احتججتم بالشهيد بانه حيّ كما قد جاء في القرآن
 والرسول اكمل حالة منه بلا شك وهذا اظهر التبيان

فلذلك كانوا بالحياة احق من
وبأن عقد نسائه لم يفسخ
ولاجل هذا لم يحل لغيره
افليس في هذا دليل انه
أو لم ير المختار موسى قائماً
افميت يأتي الصلاة وان ذا
أو لم يقل اني ارد على الذي
ايرد ميت السلام على الذي
هذا وقد جاء الحديث بأنهم
وبأن اعمال العباد عليه تع
يوم الخميس ويوم الاثنين الذي
شهدائنا بالعقل والايان
ففساؤه في عصاة وصيان
منهن واحدة على الازمان
حي لمن كانت له أذنان
في قبره لصلاة ذي القربان
عين الحال وواضح البطلان
يأتي بتسليم مع الاحسان
يأتي به هذا من البهتان
أحياء في الاجداث ذا تبيان
رض دائماً في جمعة يومان
قد خص بالفضل العظيم الشأن

فصل

في الجواب عما احتجوا به في هذه المسألة : فقال أصل دليلكم في ذلك
حجتنا عليكم وهي ذات بيان :

ان الشهيد حياته منصوبة
هذا مع النهي المؤكد اننا
ونسأوه حل لنا من بعده
هذا وان الارض تأكل لحمه
لكنه مع ذلك حي فارح
فالرسل أولى بالحياة لديه مع
وهي الطرية في التراب واكلها
ولبعض اتباع الرسول يكون ذا
فانظر الى قلب الدليل عليهم
لا بالقياس القائم الاركان
ندعوه ميتا ذاك في القرآن
والمال مقسوم على السهبان
وسباعها مع أمة الديدان
مستبشر بكرامة الرحمان
موت الجسوم وهذه الابدان
فهو الحرام عليه بالبرهان
أيضاً وقد وجدوه رأي عيان
حرقاً بحرف ظاهر التبيان

لكن رسول الله 'خص' نساؤه
 'خيون بين رسوله وسواه فاخ
 شكر الاله لمن ذلك وربنا
 قصر الرسول على أولئك رحمة
 وكذلك أيضاً قصرهنّ عليه مع
 زوجاته في هذه الدنيا وفي الآ
 فلذا حرمن على سواه بعده
 لكن اتين بعده شرعية
 هذا ورؤيته الكليم مصليا
 في القلب منه حسيكة هل قاله
 ولذاك اعرض في الصحيح محمد
 والدارقطني الامام أعله
 انس يقول رأى الكليم مصليا
 بين السياق الى السياق تفاوتاً
 لكن تقلد مسلم وسواه
 فرواه اثبات اعلام الهدى
 لكن هذا ليس مختصاً به
 فروي بن حبان الصدوق وغيره
 فيه صلاة العصر في قبر الذي
 فتشل الشمس الذي قد كان ير
 عند الغروب يخاف فوت صلاته
 حتى أصل العصر قبل فواتها
 هذا مع الموت المحقق لا الذي
 هذا وثابت البناني قد دعا الر
 ان لا يزال مصليا في قبره
 بخصيصّة عن سائر النسوان
 ترون الرسول لصحة الايمان
 سبحانه للعبد ذو شكر ان
 منه بين وشكر ذي الاحسان
 لوم بلا شك ولا حساب
 خري يقينا واضح البرهان
 اذ ذلك صون عن فراش ثان
 فيها الحداد وملزم الاوطان
 في قبره اثر عظيم الشان
 فالحق ما قد قال ذو البرهان
 عنه على عمد بلا نسيان
 برواية معلومة التبيان
 في قبره فاعجب لذي العرفان
 لا تطرحه فما هما ميان
 من صح هذا عنده ببيان
 حفاظ هذا الدين في الازمان
 والله ذو فضل وذو احسان
 خيرا صحيحا عنده ذا شأن
 قد مات وهو محقق الايمان
 عاها للأجل صلاة ذي القربان
 فيقول للملكين هل تدعان
 قالا ستفعل ذلك بعد الآن
 حكيت لنا بثبوت القولان
 حمان دعوة صادق الايقان
 ان كان اعطا ذاك من انسان

لكن رؤيته لموسي ليلة الـ
 يرويه اصحاب الصحاح جميعهم
 ولذلك ظن معارضا لصلاته
 واجيب عنه بأنه اسرى به
 فراه ثم وفي الضريح وليس ذا
 هذا ورد نبينا لسلام من
 ما ذلك مختصاً به أيضاً كما
 من زار قبر اخ له فأتى بتـ
 ردّ الاله عليه حقاً روحه
 وحديث ذكر حياتهم بقبورهم
 فانظر الى الاسناد تعرف حاله
 هذا ونحن نقول هم احياء
 والتراب تحتهم وفوق رؤوسهم
 مثل الذي قد قلموه معاذنا
 بل عند ربهم تعالى مثلاً
 لكن حياتهم اجل وحالهم
 هذا واما عرض أعمال العبا
 واتى به أثر فان صح الحديث
 لكن هذا ليس مختصاً به
 فعلى ابي الانسان يعرض سعيه
 ان كان سعيها صالحاً فرحوا به
 أو كان سعيها سيئاً حزنوا وقا
 ولذا استعاذ من الصحابة من روى
 يارب انى عائد من خربة

معراج فوق جميع ذي الاكوان
 والقطع موجبه بلا نكران
 في قبره اذ ليس يجتمعان
 ليراه ثم مشاهداً بعيان
 يتناقض اذ امكن الوقتان
 يأتي بتسليم مع الاحسان
 قد قاله المبعوث بالقرآن
 لميم عليه وهو ذو ايمان
 حتى يرد عليه ردّ بيان
 لما يصح وظاهر النكران
 ان كنت ذا علم بهذا الشأن
 كن عندنا كحياة ذي الابدان
 وعن الشائل ثم عن ايمان
 بالله من افك ومن بهتان
 قد قال في الشهداء في القرآن
 اعلى واكمل عند ذي الاحسان
 د عليه فهو الحق ذو إمكان
 به فحق ليس ذا نكران
 أيضاً بأثار روين حسان
 وعلى اقاربه مع الاخوان
 واستبشروا بالذة الفرحان
 لوا رب راجعه الى الاحسان
 هذا الحديث عقيبه بلسان
 أخزى بها عند القريب الدان

ذلك الشهيد المرتضى بن روضة
 لكن هذا ذوا اختصاص والذي
 هذي نهايات لاقدام الوري
 والحق فيه ليس تحمله عقو
 ولجلهم بالروح مع احكامها
 فارض الذي رضي الاله لهم به
 هل في عقولهم بان الروح في
 وترد اوقات السلام عليه من
 وكذلك ان زوت القبور مسلما
 فهموا يردون السلام عليك
 هذا واجواف الطيور الحضر
 من ليس يحمل عقله هذا فلا
 للروح شأن غير ذي الاجسام لا
 وهو الذي حار الوري فيه فلم
 هذا وامر فوق ذا لو قلته
 فلذلك امسكت العنان ولو أرى
 هذا وقولي انها ليست كما
 لا داخل فينا ولا هي خارج
 والله لا الرحمن اثبتم ولا
 عطلتمو الابدان عن ارواحها

المحبو بالغفران والرضوان
 للمصطفى ما يعمد الثقلان
 في ذا المقام الضنك صعب الشأن
 ل بنى الزمان لغلظة الازهان
 وصفاتها للائف بالابدان
 اتريد تنقص حكمة الديان
 اعلى الرفيق مقيسة بجنان
 اتباعه في سائر الازمان
 ردت لهم ارواحهم للآف
 لكن لست تسمعه بذى الآذان
 مسكنها لدي الجنات والرضوان
 تظلمه واعذره على النكران
 تهمله شأن الروح اعجب شان
 يعرفه إلا الفرد في الازمان
 بادرت بالانكار والعدوان
 ذاك الرفيق جريت في الميدان
 قد قال اهل الافك والبهتان
 عنا كما قالوه في الديان
 ارواحكم يا مدعي العرفان
 والعرش عظم من الرحمن

وقال ايضا في كتاب الروح بعد كلام سبق وقد بينا ان عرض مقعد الميت
 عليه من الجنة او النار ، لا يدل على ان الروح في القبر ولا على فنائه دائما من
 جميع الوجوه ، بل لما اشراف واتصال بالقبر وفنائه وذلك القدر منها يعرض
 عليه مقعده ، فان للروح شأنا آخر تكون في الرفيق الاعلى في أعلا عليين ،

ولها اتصال بالبدن بحيث اذا سلم المسلم على الميت رد الله عليه روحه فيرد عليه السلام وهي في الملاء الاعلى ، وانما يغلط اكثر الناس في هذا الموضع حيث يعتقد ان الروح من جنس ما يعبد من الاجسام اذا شغلت مكاناً لم يمكن ان تكون في غيره ، وهذا غلط محض بل الروح تكون فوق السموات في اعلا عليين فتورد الى القبر وترد السلام وتعلم بالمسلم وهي في مكانها وروح رسول الله ﷺ في الرفيق الاعلى دائماً ويردها الله سبحانه وتعالى الى القبر فيرد السلام على من يسلم عليه ويسمع كلامه . وقد رأى رسول الله ﷺ موسى قائماً يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة او السابعة ، فاما ان تكون سريع الحركة والانتقال كالمح البصر ، واما ان يكون متصل منها بالقبر وفنائه بمنزلة شعاع الشمس وجرمها في السماء ، انتهى . وجميع ما ذكره الحافظ شمس الدين ابن القيم هو مقتضى الكتاب والسنة وعليه سلف الامة وائمتها وهو الحق الذي ندين الله به ، وبه الكفاية في جواب هؤلاء الغلاة الملاحدة .

فصل

وأما ما ذكره بقوله . وروى ابن عساكر بسند جيد عن ابي الدرداء رضي الله عنه قصة نزول بلال بن رباح رضي الله عنه بدرا بعد فتح عمر رضي الله عنه لبيت المقدس ، ثم قال ان بلالا وآي النبي ﷺ وهو يقول « ما هذه الجفوة يا بلال اما آن لك ان تزورنا » الى آخره . وقوله : وفي فتوح الشام ان عمر رضي الله عنه قال لكعب الاحبار بعد فتح بيت المقدس : هل لك ان تسير معي الى المدينة وتزور قبر النبي ﷺ فقال : نعم يا امير المؤمنين ، الى آخره . فالجواب ان يقال : هذا الاثر المذكور عن بلال ليس بصحيح عنه ولو كان صحيحاً عنه لم يكن فيه دليل على محل النزاع . وقوله بسند جيد خطأ منه ، وقد ذكر هذا الاثر الحاكم ابو احمد محمد بن احمد بن اسحاق النيسابوري الحافظ في الجزء الخامس من فوائده ، ومن طريقه ذكره ابن عساكر في ترجمة بلال

وهو أثر غريب منكر واسناده مجهول وفيه انقطاع ، وقد تقدم به محمد ابن الفيض الغساني عن ابراهيم بن محمد بن سليمان بن بلال عن ابيه عن جده و ابراهيم بن محمد هذا شيخ لم يعرف بثقة وامانة ولا ضبط ولا عدالة ، بل هو مجهول غير معروف بالنقل ، ولا مشهور بالرواية ، ولم يرو عنه غير محمد ابن الفيض ، روي عنه هذا الاثر المنكر ذكره الحافظ ابن عبد الهادي في الرد على السبكي واطال الكلام فيه . قال : والحاصل ان مثل هذا الاسناد لا يصلح الاعتماد عليه ولا يرجع عند التنازع اليه عند احد من أئمة هذا الشأن انتهى . وقال رحمه الله على قوله : وقد استفاض عن امير المؤمنين عمر ابن عبد العزيز رحمه الله انه كان يرسل البريد من الشام يقول : سلم على رسول الله ﷺ ، قال : والجواب من وجوه احدها المطالبة بصحة الاسناد الى عمر بن عبد العزيز ولم يذكر المعترض الاسناد في ذلك الى عمر لينظر فيه هل هو صحيح ام لا ؟ وكأنه لم يظفر به ، فانه لو ظفر به ووقف عليه لبادر الى ذكره ، ولو كان اسناد ضعيفا كما هي عادته وكما ذكر اسناد الاثر المروي عن بلال ، وان كان غير صحيح الوجه الثاني ان ما نقل عن عمر بن عبد العزيز من ابراهه البريد من الشام قاصداً الى المدينة لمجرد الزيارة ليس بصحيح عنه ، بل في اسناده عنه ضعف وانقطاع ، وذكر كلاما طويلا ، فليراجع هناك ، وقال على قوله : وفي فتوح الشام ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال لكعب الاحبار الى آخره . قال وهو مطالب اولا ببيان صحته . وثانياً ببيان دلالة على مطلوبه ، ولا سبيل له الى واحد من الامرين ، ومن المعلوم ان هذا من الاكاذيب والموضوعات على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وفتوح الشام فيه كذب كثير ، وهذا لا يخفى على احاد طلبة العلم ، ولكن شأن هذا المعترض الاحتجاج دائماً بما يظنه موافقاً لهواه ولو كان من المنخقة والموقودة والمتردية وليس هذا شأن العلماء ، بل المستدل بحديث أو أثر عليه ان يبين صحته ودلالته على مطلوبه ، وهذا المنقول عن عمر رضي الله عنه لو كان ثابتاً عنه لم

يكن فيه دليل على محل النزاع ، وقد عرف ان شيخ الاسلام لا ينكر الزيارة على الوجه المشروع ولا يكرها بل يخصها ويندب الى فعلها ، والله الموفق للصواب ، انتهى . من الصارم المنكي .

فصل

ثم ذكر بعد ذلك الحكاية المنسوبة الى الاعرابي الذي رواها العنبي ، قال وروى ابو سعيد السمعاني عن علي كرم الله وجهه ورضي عنه ، قال : قدم علينا اعرابي . الى آخره .

والجواب أن يقال : هذه القصة ذكرها طائفة من متأخري الفقهاء ولم يذكرها غيرهم ممن يعتد به ويقتدي به كالأئمة المتبوعين واكابر أصحابهم واهل الوجوه في مذاهبهم كآشوب وابن القاسم وسحنون وابن وهب وعبد الملك وابنه والقاضي اسماعيل من المالكية ولا من الشافعية كالزني والبويطي وابن عبد الحكم ومن بعدهم كابن خزيمة وابن سريج وأمثالهم ونظرائهم من اهل الوجوه وكأبي يوسف من أصحاب أبي حنيفة ومحمد بن الحسن اللؤلؤي وزفر ابن الهذيل ومن بعدهم كالطحاوي حامل لواء المذهب وكذلك اصحاب احمد واصحاب الوجوه في مذهبه لم يذكرها أحد منهم كعبد الله وصالح والحلال والاثرم وأبي عبد العزيز والمروذي وأبي بكر الخطاب ومن بعدهم كابن عقيل وابن بطة وبعض من ذكر هذه الحكاية يروها بلا اسناد وبعضهم عن محمد بن حرب الهلالي وبعضهم يروها عن محمد ابن حرب عن أبي الحسن الزعفراني عن الاعرابي . وقد ذكرها البيهقي باسناد مظلم عن محمد بن روح ابن يزيد البصري ، حدثني أبو حرب الهلالي - قال : حج اعرابي فذكر نحو ما تقدم ووضح لها بعض الكذابين اسنادا الى علي ابن أبي طالب كما روي أبو الحسن علي بن علي ابن ابراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الكرخي عن علي بن محمد ابن علي حدثنا احمد بن محمد الهيثم الطائي ، قال : حدثنا أبي عن أبيه سلمة

ابن كهيل عن أبي صادق عن علي ابن أبي طالب فذكر نحو ما تقدم ، قال الحافظ بن عبد الهادي . هذا الخبر منكر موضوع لا يصلح الاعتماد عليه ولا يحسن المضير اليه واسناده ظلمات بعضها فوق بعض ، والهيم جد احمد بن محمد ابن الهيثم اظنه ابن عدي الطائي فان يكن هو فكذاب متروك وإلا فمجهول وقال ابن عباس الدوري : سمعت يحيى بن معين يقول الهيم ابن عدي كوفي ليس بثقة كان يكذب وقال العجلي وأبو داود كذاب ، وقال أبو حاتم الرازي النسائي الدولابي والازدي متروك الحديث ، وقال السعدي ساقط قد كشف قناعه وقال أبو زرعة : ليس بشيء وقال ابن عدي ما أقل ماله من المسند وإنما هو صاحب اخبار واسمار ونسب وأشعار ، وقال الحاكم أبو عبد الله : الهيم ابن عدي الطائي في علمه ومحلّه حدث عن جماعة من الثقة احاديث منكورة وقال العباس بن محمد سمعت بعض اصحابنا يقول قالت جارية الهيم كان مولاي يقوم عامة الليل يصلي فاذا أصبح جلس يكذب . فاذا كانت هذه الحكاية عند أهل العلم بهذه المثابة لم تثبت بسند يعول عليه ويحتج به فكيف يقول هذا الملحد فئودي من القبر قد غفر لك وقد تقدم عن أهل العلم ان بعض الكذابين وضع لها اسنادا الى علي كما ترى وقد علمت ان حملة الشريعة المطهرة ونقادها جزموا بأن هذه الحكاية لم تثبت وانها من الموضوعات .

وأما قوله : واذا ثبت ان الزيارة قرينة فالسفر اليها قرينة .

فالجواب ان يقال : لا نسلم ان مطلق زيارة قبر النبي ﷺ قرينة بل القرينة هي الزيارة التي لا يقع فيها شد وحل بدليل حديث لا تشد الرحال الحديث ، وأما خروجه ﷺ من المدينة لزيارة الشهداء فالثابت بالحديث المذكور انما هو مشروعية الانتقال الذي هو دون السفر للزيارة ولا ينكره أحد ، والانتقال الذي تنكر مشروعيته هو السفر ، وهو ليس بثابت قال الحافظ بن عبد الهادي رحمه الله على قول السبكي ان الزيارة قرينة ، قال : الكلام عليه من وجوه الاول مطالبة بتصحيح دعواه والا كانت مجردة عما يثبتها ، الثاني ان القرينة (م - ١٩ الأئمة الحداد)

هي ما جعله الله ورسوله قربة اما بأمره واما باخباره انها قربة واما بالثناء على فاعلها واما يجعل الفعل سبباً لثواب يتعلق عليه أو تكفير سيئات أو غير ذلك من الوجوه التي يستدل بها على كون الفعل محبوباً لله مقرباً اليه ، الثالث انه لا يكفي مجرد كون الفعل محبوباً له في كونه قربة وانما يكون قربة اذا لم يستلزم امراً لم يفاوض مكرهاً له ، أو تقويت امر هو أحب اليه من ذلك الفعل وأما اذا استلزم ذلك فلا يكون قربة وهذا كما ان اعطاء غير المؤلفة من فقراء المسلمين وذوي الحاجات منهم وان كان محبوباً لله فانه لا يكون قربة اذا تضمن فوات ما هو أحب اليه من اعطاء من يحصل بعطيته قوة في الاسلام وأهله ، وان كان قوياً غنياً غير مستحق ، وكذلك التخلي لتوافل العبادات انما يكون قربة اذا لم يستلزم تعطيل الجهاد الذي هو أحب الى الله سبحانه من ترك التوافل وحينئذ فلا يكون قربة في تلك الحال وان كانت قربة في غيرها وكذلك الصلاة في وقت النهي انما لم تكن قربة لاستلزامها ما يبغضه الله سبحانه ويكرهه من التشبه ظاهراً باعدائه الذين يسجدون للشمس في ذلك الوقت فها هنا أمران يمنعان كون الفعل قربة استلزامه لأمر مكره مبغوض ، وتقويته لمحبوب هو أحب الى الله من ذلك الفعل ومن تأمل هذا الموضع حق التأمل أطلعه على سر الشريعة ومراتب الاعمال وتفاوتها في الحب والبغض والضر والنفع ، بحسب قوة فهمه وإدراكه ، ومواد توفيق الله له بل مبنى الشريعة على هذه القاعدة وهي تحصيل خير الخيرين ، وتقويت ادناهما ، وتقويت شر الشرين باحتيال ادناهما بل مصالح الدنيا كلها قائمة على هذا الاصل ومن تأمل نهى النبي ﷺ أولاً عن زيارة القبور سد الذريعة الشرك ، وان فاتت مصلحة الزيارة ثم لما استقر التوحيد في قلوبهم وتمكن منها غاية التمكن أذن في القدر النافع من الزيارة وحرم ما هو دافع الى غيره فحرم اتخاذ المساجد عليها وابقاد السرج عليها والصلاة اليها فحرم جعلها قبلة ومسجداً ، ونهى عن اتخاذ قبره الكريم عيداً وسأل ربه تعالى ان لا يجعل قبره وثناً يعبد ، وقد استجاب له ربه تعالى بأن

حال بين قبره وبين المشركين بما لم يبق معهم وصول الى عبادة قبره وأمر
الامة بالصلاة عليه حيث كانوا ، عقيب قوله : « لا تتخذوا قبوري عيداً ، فقال
وصلوا عليّ حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني » فهو ﷺ احرص الناس على تحصيل
القرب لامته وقطع اسباب أضرارها عنهم ، وانما دخل الداخل على من ضعفت
بصيرته في الدين وكانت بضاعته في العلم مزجاة ، فلم يتسع صدره للجمع بين
الامرين ولم يتفطن لارتباط احدهما بالآخرة ، وهذا القدر بعينه هو الذي ضاقت
عنه عقول الخوارج وقصرت عنه افهامهم ، حتى قال له قائلهم في قسمته إعدل
فإنك لم تعدل فانه لما لاحظ مصلحة التسوية ولم يلتفت الى مصلحة الايثار
وما يترتب على فواته من المفسد . قال ما قال فهو لاء سلف كل متمقل متعلم
على ما جاء به الرسول بعقله أو رأيه أو قياسه أو ذوقه ، والمقصود ان كون
الفعل قربة ملحوظ فيه هذان الامران .

الوجه الرابع : انه كيف يتقرب الى الرسول صلوات الله وسلامه عليه بعين
ما نهى عنه وحذر منه الامة بقوله : « لا تتخذوا قبوري عيداً » ومعلوم أن
جعل الزيارة من أفضل القرب مستلزم لجعل القبر من أجل الاعياد ، وهذا
ضد ما حذر عنه الامة ونهاهم عنه وتقرب اليه بما يسخطه ويبغضه انتهى .

فصل

ثم ذكر الملحد : بعد هذا ما تقدم من الاحاديث في التوسل وكلام من
يعتضدهم في جواز الاستغاثة بالاموات والغائبين ودعائهم اما قد ، تقدم
الكلام عليه ومراوده بذلك تكبير حجم كتابه ، ثم ذكر بعد ختم الكتاب
قوله قال : العبد الراجي عفواً لله المؤلف السيد علوي ابن احمد ابن حسن
ابن القطب الغوث الى آخره .

فاقول تأمل ايها الموحّد كلام هذا الجاهل الملحد ، حيث اعتقد ان جدّه

عبد الله الحداد باعلوي هو القطب الغوث . وقد قال شيخ الاسلام رحمه الله :
في المنهاج الوجه الثالث ان يقال . القائلون بهذه الامور منهم من ينسب الى
أحد هؤلاء ما لا يجوز نسبته الى احد من البشر مثل دعوى بعضهم ، ان الغوث
أو القطب هو الذي يمد اهل الارض في هدايتهم ونصرهم ورزقهم وان هذا
لا يصل الى احد الا بواسطة نزوله على ذلك الشخص ، وهذا باطل باجماع
المسلمين وهو من جنس قول النصارى في الباب وكذا ما يدعيه بعضهم من
ان الواحد من هؤلاء يعلم كل ولي لله كان أو يكون اسمه واسم أبيه ومنزلته
من الله ، ونحو ذلك من المقالات الباطلة التي تتضمن ان الواحد من البشر شارك
الله في بعض خصائصه . مثل انه كان بكل شيء عليم أو على كل شيء قدير ،
ونحو ذلك كما يقول بعضهم في النبي ﷺ وفي شيوخه ، ان علم أحدهم ينطبق
على علم الله ، وقدرته منطبقة على قدرة الله فيعلم ما يعلمه الله ويقدر على ما يقدر
الله عليه فهذه المقالات وما يشبهها من جنس قول النصارى والغالية في علي
وهي باطلة باجماع المسلمين ، ومنهم من ينسب الى الواحد من هؤلاء ما تجوز
نسبته الى الانبياء أو صالحى المؤمنين من الكرامات كدعوة مجابة ومكاشفات
من مكاشفات الصالحين فهذا القدر يقع كثيراً من الاشخاص الموجودين المعانين
الى آخر كلامه ، وقد نسب هذا الملحد الى جده عبد الله الحداد اعظم مما تنسبه
الرافضة وغلاة المشركين ، بل هذا من رؤوس الغلاة الملحدين وأعيانهم ،
وإذا أردت الوقوف على كفره وضلاله فراجع ما ذكره في الفصل السابع
وخاتمته بما ذكر في الاولياء وكراماتهم بما هو من خصائص الالهية ، وكذلك
اعتقاده في جده انه القطب الغوث ، والقطب الغوث اعتقادهم هو الذي يمد اهل
لارض في هدايتهم ونصرهم ورزقهم ، ويكفيك هذا القدر من اعتقاده في كفره
وعتوه وعناده ، والله المستعان .

فصل

واما ما ذكره من ردّ محمد بن سليمان الكردي الذي جعله خاتمة لكتابه وزعم انه رد بليغ عظيم النفع جليل القدر ، وانه ليس كغيره من العلماء ، إذ هو في ذلك الوقت عمدة اهل الحرمين وامام الشافعية في وقته ، فلما وقفت على كلامه لم اجذ شيئاً بما ذكره في حقّه ، ومن لهذا الرد بالبلاغة والقدر العظيم والنفع العام إلا كما قال الله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه) إذ لا فكرة ثابتة ، ولا روية كاسبة ، ولا طريقة صائبة ، لكن على تقدير تعظيمهم له وشهرته عندهم ننبه على غلطه وبهتانه ، وعلى تعمدته للزور وعدوانه ، وانه إنما اعتمد في رده على أكاذيب مزورة ، وأقاويل ملفقة ، لاحقيقة لها عند التحقيق ، ولا ثبات لها على قدم التصديق والتوفيق . وهذا نص كلامه :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وحده ، لاشبهة في ان العلم إنما يدرك بالاخذ عن المشايخ ، فمن كان شيخه الكتاب فان خطأه اكثر من الصواب ودعوى الاجتهاد اليوم في غاية البعد . وقد قال الامام الرافعي والنووي وسبقهما إليه الفخر الرازي ، الناس كالمجمعين اليوم على انه لا مجتهد . قال الشيخ ابن حجر في فتاويه ، بل قال بعض الاصوليين منّا ، لم يوجد بعد عصر الشافعي مجتهد مستقل ، أي من كل الوجوه ، انتهى . وقال ابن الصلاح : ومن دهر طويل يزيد على ثلاثمائة سنة عدم المجتهد والمستقبل ، انتهى . وهذا الامام السيوطي مع سعة اطلاعه وباعه في العلوم وابتكاره عدة من العلوم ولم يسبق إليها ، ادعى الاجتهاد النسبي لا الاستقلال كما صرح به السيوطي نفسه في بعض تأليفه ، ومع ذلك انكروه عليه ولم يسلموه له مع ان تأليفه نافت على خمسمائة مؤلف ، وقد ادعى الاجتهاد جماعة من الائمة غير السيوطي ، كالسبكي والبلقيني وابن دقيق العيد وغيرهم ، لكن قال الشيخ ابن حجر : التحقيق

انهم إنما ثبت لهم نوع اجتهاد لا الاستقلال ، فدعوى الاجتهاد لمن لم يقرب منهم باطلة ، وإذا ا طرح مؤلفات اهل الشرع فبماذا يتمسك ذلك الرجل ؟ فانه لم يدرك النبي ﷺ ولا أحداً من أصحابه ، فان كان عنده شيء من العلم فهو من مؤلفات اهل الشرع وحيث كانت على ضلال ، فعمن أخذ الهدى فليبينه لنا ؟ فان كتب الائمة الاربعة ومقلديهم "جل" مأخذها من الكتاب والسنة فكيف ، أخذ هو ما يخالفها ؟ وهو كما علمت لم يبلغ رتبة الاجتهاد وحكم من لم يبلغها إذا وأي حديثاً صحيحاً ولم تسمح نفسه بمخالفته ان يفتش من أخذه به من المجتهدين فليقلده فيه كما نبه عليه النووي في الروضة ، وإلا فلا يجوز الاستنباط من الكتاب والسنة إلا لمن بلغ رتبة الاجتهاد المستقل ، فيجب على هذا الرجل الرجوع إلى الحق ورفض الدعاوي الباطلة ، إلى آخر كلامه .

والجواب عليه من وجوه : الوجه الاول : ان الشيخ رحمه الله أخذ العلم عن الاشياخ والعلماء الذين كانوا في وقته ، فرحل إلى البصرة ، وإلى المدينة المنورة ، وإلى الاحساء ، وهي إذ ذاك آهلة بالعلماء ، ومنحه الله الفهم في كتابه وسنة رسوله فافتقن أثر الصالحين من العلماء المجتهدين ، ونظر في الكتب المدونة لأهل السنة والجماعة أصولاً وفروعاً ، ولم يكن اعتماده على الكتب من غير فهم لما فيها وتعقل لمعانيها ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ولم تزل الامة تعمل بالكتاب قديماً وحديثاً ، وأجمع الصحابة على العمل بالكتاب ، وكذلك الخلفاء بعدهم ، وليس اعتماد الناس في العلم الاعلى الكتب ، فان لم يعملوا بما فيها انقطعت الشريعة ، وقد كان رسول الله ﷺ يكتب كتبه إلى الآفاق والنواحي فيعمل بها من تصل إليه ، ولا يقول هذا كتاب ، وكذلك خلفاؤه بعده ، والناس إلى اليوم فركت السن بهذا الخيال البارد والفساد من أبطل الباطل والحيف بخون والكتاب لا يخون ، وبهذا تعلم قصور هذا الكردي في العلم والدين وانه مزجي البضاعة منها . الوجه الثاني : ان هذه الدعوى ، اعني دعوى الاجتهاد من الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الكذب ومن الزور والبهتان ، فان الشيخ رحمه الله على ما أعطاه الله تعالى من المعرفة

والعلم والاطلاع لا يدعي الاجتهاد المطلق لاهو ولا احد من اتباعه المشهورين
المعروفين بالعلم والمعرفة ، ولا نقل ذلك عنهم من يعتد بنقله ، وإنما افتراه
عليهم وحكاه عنهم أشباه هؤلاء الذين اتباع كل ناعق الذين لم يستضئوا بنور
العلم ولم يلجؤا إلى ركن وثيق الفهم . قال الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد
ابن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في رسالته التي كتبها بعد دخول مكة المشرفة
ونحن في الفروع على مذهب الامام احمد بن حنبل ، ولا ننكر على من قلده
أحد الائمة الاربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة والزيدية
والامامية ونحوهم لا نقرهم ظاهراً على شيء من مذاهبهم الفاسدة ، بل نجبرهم
على تقليد أحد الائمة الاربعة ، ولا نستحق بمرتبة الاجتهاد المطلق ولا أحد
منا يدعيها إلا أنا في بعض المسائل إذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة
غير منسوخ ولا يخص ولا معارض بأقوي منه ، وقال به أحد الائمة الاربعة
أخذنا به وتركنا المذهب كأثر الجد والاخوة ، فانا نقدم الجد بالارث وان
خالفه مذهب الخابلة ، انتهى . فاذا تحققت ان هذا كلام الشيخ عبد الله
ابن الشيخ محمد ، وأنه نفى هذه الدعوى وانهم لا يستحقون بمرتبة الاجتهاد
المطلق ولا أحد منهم يدعيها تبين لك كذب هؤلاء على الشيخ وانهم إنما يريدون
عليه ويصنفون بمجرد الاكاذيب والدعاوي الباطلة التي لاحقيقة لها عند التحقيق
الوجه الثاني : ان دعواه ان الاجتهاد قد انقطع والناس كالمجمعين على ذلك
كما حكاه عن الرازي وعن النووي والرافعي وغيرهم دعوى مجردة فان هؤلاء
ومن عداهم من جميع المقلدين ليس قولهم حجة على غيرهم من يرى ان الاجتهاد
لم ينقطع وانه لا تخلو الارض من قائم لله بحججه كيلا تبطل حجج الله وبياناته
قال ابن القيم رحمه الله تعالى : في أعلام الموقعين الوجه الحادي والثمانون ان
المقلدين حكموا على الله قدرأ وشرعاً بالحكم الباطل جهار الخالف لما أخبر الله
به رسوله ، فأخلوا الارض من القائمين لله بحججه وقالوا لم يبق في الارض عالم
منذ الاعصار المتقدمة ، فقالت طائفة ليس لأحد أن يختار بعد أبي حنيفة وأبي

يوسف وزفر بن الهذيل ومحمد بن الحسن والحسن بن زياد اللؤلؤي ، وهذا قول كثير من الحنفية ، وقال بكر بن العلاء القشيري المالكي ، ليس لأحد أن يختار بعد المائتين من الهجرة . وقال آخرون ، ليس لأحد أن يختار بعد الازعاجي وسفيان الثوري ووكيعة بن الجراح وعبد الله بن المبارك . وقالت طائفة ، ليس لأحد أن يختار بعد الشافعي . واختلف المقلدون من أتباعه فيمن يؤخذ بقوله من المنتسبين اليه ويكون له وجه يفي ويحكم به ، من ليس كذلك وجعلهم ثلاث مراتب ، طائفة أصحاب وجوه كابن سريج والقتال وابن حامد وطائفة أصحاب احتمالات لأصحاب وجوه ، كربي الممالي . وطائفة ليسوا أصحاب وجوه ولا احتمالات ، كأبي حامد وغيره ، واختلفوا متى انسد باب الاجتهاد على أقوال كثيرة ما أنزل الله بها من سلطان ؟ وعند هؤلاء ، أن الارض قد خلت من قائم لله بحججه ولم يبق فيها من يتكلم بالعلم . ولم يحل لأحد أن ينظر في كتاب الله ولا سنة رسوله ، لأخذ الاحكام منها ، ولا يقضي ويفتي بما فيها ، حتى يعرضه على قول مقلده ومتبوعه ، فإن وافقه حكم به وأفتى به ، وإلا رده ولم يقبله . وهذه أقوال كما ترى قد بلغت من الفساد والبطلان والتناقض ، والقول على الله بلا علم وابطال حججه والزهد في كتابه وسنة رسوله ، وتلقي الاحكام منها مبلغها ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ويصدق قول رسوله . انه لا تحلو الارض من قائم لله بحججه ، ولن تزال طائفة من أمتي على محض الحق الذي بعث به وانه لا يزال يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الامة من يجدد لها دينها ، ويكفي في فساد هذه الاقوال ان يقال لاربابها . فاذا لم يكن لأحد أن يختار بعد من ذكرتم ، فمن أين وقع لكم اختيار تقليدكم دون غيرهم ؟ وكيف حرمت على الرجل أن يختار ما يؤديه اليه اجتهاده من القول الموافق لكتاب الله وسنة رسوله ؟ وأنجم لانفسكم اختيار قول من قلدهم وأوجبتم على الامة تقليده ، وحرمت تقليد من سواه ، ورجعتموه على تقليد من سواه ، فما الذي سوَّغ لكم هذا الاختيار الذي لا دليل عليه من كتاب

ولا سنة ولا إجماع ولا قياس ولا قول صاحب؟ وحرمت اختيار ما عليه الدليل الكتاب والسنة وأقوال الصحابة ، ويقال لكم فإذا كان لا يجوز الاختيار إلا بعد المائتين عندك ولا عند غيرك ، فمن أين ساغ لك وأنت لم تولد إلا بعد المائتين بنحو ستين سنة أن تختار قول مالك دون من هو أفضل منه من الصحابة والتابعين ؟ أو من هو مثله من فقهاء الأمصار أو من جاء بعده . وموجب هذا القول . أن أشهب وابن الماجشون ومطرف بن عبيد الله واصبغ بن الفرج وسحنون بن سعيد وإحمد بن المعدل ومن في طبقتهم من الفقهاء كان لهم أن يختار إلى الانسلاخ ذي الحجة من سنة مائتين ، فلما إستهل هلال المحرم من سنة اخدي ومائتين ، وغابت الشمس من تلك الليلة حرم عليهم في الوقت بلا مهلة ما كان مطلقاً لهم من الاختيار . ويقال للآخرين : اليس من المصائب وعجائب الدنيا تجوزهم الاختيار والاجتهاد ، والقول في دين الله بالرأي والقياس لمن ذكرتم من أئمتكم ؟ ثم لا تجوزون الاجتهاد والاختيار لحفاظ الاسلام واعلم الأمة بكتاب الله وسنة رسوله وأقوال الصحابة وفتاواهم ، كأحمد بن حنبل والشافعي وإسحق بن راهوية ومحمد بن اسماعيل البخاري ودาวود بن علي ونظرائهم على سعة علمهم بالسنن ، ووقوفهم على الصحيح منها والسقيم وتحريرهم في معرفة أقوال الصحابة والتابعين ودقة نظرهم ولطف استخراجهم للدلائل ، ومن قال منهم بالقياس فقياسه من أقرب القياس إلى الصواب وابعده عن الفساد وأقربه إلى النصوص من شدة ورعهم وما منحهم الله من محبة المؤمنين لهم وتعظيمهم للمسلمين ، علمائهم وعامتهم لهم فإن احتج كل فريق منهم بترجيح متبوعه بوجه من وجوه الترجيح في تقدم زمان أو زهد أو ورع أو لقاء شيوخ وأئمة لم يلقيهم من بعده أو كثرة أتباع لم يكونوا لغيره أمكن الفريق الآخر أن يبدوا لمتبوعهم من الترجيح بذلك أو غيره ما هو مثل هذا أو فوقه ، وأمكن غير هؤلاء كلهم أن يقولوا لهم جميعاً نفوذ قولكم هذا ان لم يأنفوا من التناقض يوجب عليكم ان تتركوا قول متبوعكم لقول من هو أقدم منه من الصحابة

والتابعين . وأعلم وأورع وأزهّد وأكثر اتباعاً واجل فإن اتباع ابن عباس وابن مسعود وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل ، بل اتباع عمر وعلي من اتباع الائمة الآخرين في الكثرة والجلالة . وهذا ابو هريرة قال البخاري . حمل العلم عنه ثمانمائة رجل ما بين صاحب وتابع ، وهذا زيد بن ثابت من جملة اصحابه عبد الله بن عباس وأين في اتباع الائمة مثل عطاء وطاوس ومجاهد وعكرمة وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وجابر بن زيد . واين في اتباعهم مثل السعيد بن والشعي ومسروق وعلقمة والاسود وشريح ؟ واين في اتباعهم مثل نافع وسالم والقاسم وعروة وخارجة بن زيد وسليمان بن يسار وابي بكر بن عبد الرحمن ؟ فما الذي جعل الائمة باتباعهم أسعد من هؤلاء باتباعهم ؟ ولكن اولئك واتباعهم على قدر عصرهم لعظمتهم وجلالتهم وكبرهم منع المتأخرين من الاقتداء بهم وقالوا بلسان قالم وحالم هؤلاء كبار علينا لنا من زبونهم كما صرحوا وشهدوا على أنفسهم فإن اقدارهم تتقاصر عن تلقي العلم من القرآن والسنة ، وقالوا : لنا اهلاً لذلك لا لقصور الكتاب والسنة ولكن لعجزنا نحن وقصورنا فاكتفينا بمن هو اعلم بهما منا ، فيقال لهم فلم تنكروا على من اقتدى بهما وحكمهما وتحاكم اليهما وعرض اقرال العلماء عليهما ، فما وافقهما قبله وما خالفهما رده فهب انكم لم تصلوا إلى هذا العنقود ، فلم تنكروا على من وصل إليه وذاق خلاوته ، وكيف تحجرتكم الواسع من فضل الله الذي ليس على قياس عقل العالمين ولا على اقتراحاتهم ، وهم وان كانوا في عصركم ونشأوا معكم وبينكم وبينهم نسب قريب فانه بمن علي من يشاء من عباده ، وقد أنكر الله سبحانه وتعالى على من رد النبوة بأن الله صرفها عن عظماء القرى ، وعن رؤسائهم وأعطاهم لمن ليس كذلك بقوله (اقم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون) وقد قال النبي ﷺ « مثل أمي كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره » ؟ وقد أخبر الله سبحانه عن السابقين

بأنهم ثلثة من الاولين وقليل من الآخرين ، وأخبر سبحانه انه بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ، قال (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم) ثم أخبر ان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم انتهى . وهذا تمام الحادي والثمانين وجهاً في ذم التقليد وذكر ما احتجوا به ، وجوابهم بنقض أدلتهم وحججهم ومن أراد الوقوف على ذلك فهو مبسوط في اعلام الموقعين ، وقال رحمه الله : وقد اطلنا الكلام في القياس والتقليد وذكرنا من مآخذهما وحجج أصحابها وما لهم وما عليهم من المنقول والمعقول ما لا يجده الناظر في كتاب من كتب القوم من اولها إلى آخرها ولا يظفر في غير هذا الكتاب ابداً ، وذلك بحول الله وقوته ومعونته وقتحه فله الحمد والمنة ، وما كان فيه من صواب فمن الله وهو المان به ، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان وليس الله ورسوله ودينه في شيء منه وبالله التوفيق .

الوجه الرابع : ان الشيخ رحمه الله واتباعه مع عدم ادعائهم للاجتihad المطلق لا يقدمون على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قول أحد كائناً من كان لاجماع العلماء على ذلك ، قال الامام الشافعي رحمه الله اجمع العلماء على ان من استبان له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد كائناً من كان فاذا تبين هذا ، فقد قال الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد في رسالته التي كتبها بعد دخول مكة فاذا قوى الدليل ارشدناهم بالنص وان خالف المذهب ، وذلك يكون نادراً جداً ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض ولا مناقضة لعدم الاجتهاد المطلق ، وقد سبق جمع من أئمة المذاهب الأربعة لاختيارات لهم في بعض المسائل مخالفة لمذهب الملتزمين تقليد صاحبه ، انتهى . فإذا أخذ الشيخ واتباعه بما صح عن رسول الله ﷺ ولم يكن منسوخاً ولا مخصصاً ولا معارضاً بأقوى منه وقال به أحد الأئمة فلا عتب عليه ولا لوم يلحقه في ذلك ، وقد تبع في ذلك سلف الامة وأئمتها ، قال ابن عباس رضي

الله عنهما لمن ناظره في متعة الحج يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء .
أقول قال رسول الله ﷺ ، وتقولون قال أبو بكر وعمر ، وقال الامام احمد
ابن حنبل رحمه الله عجبث لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون إلى رأي
سفيان ، والله تعالى يقول (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة
أو يصيبهم عذاب أليم) اندري ما الفتنة ؟ الفتنة : الشرك ، لعله إذا رد بعض
قوله : ان يقع في قلبه شيء من الزرع فيهلك ، وقال الامام مالك : كل
يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله ﷺ ، وفي لفظ ما منّا الا راد أو
مردود عليه الا صاحب هذا القبر ، وقال الامام الشافعي رحمه الله أجمع الناس
على أن من استبان له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد
من الناس وتواتر عنه ، قال اذا صح الحديث فاضربوا بقولي عرض الحائط ،
وصح عنه انه قال : إذا رويت عن رسول الله ﷺ حديثاً ولم أخذه به فاعلموا
ان عقلي قد ذهب ، وصح عنه انه قال لا قول لاحد مع سنة سنّها رسول الله
ﷺ ، وقال احمد بن حنبل بن علي بن عيسى بن ماهان الرازي سمعت الربيع
يقول سمعت الشافعي يقول كل مسألة تكلمت فيها صح الخبر فيها عن رسول
الله ﷺ عند أهل النقل بخلاف ما قلت فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتي ،
وقال حرملة بن يحيى ، قال الشافعي ما قلت وقد كان رسول الله ﷺ قد
قال بخلاف قولي بما يصح فحديث النبي ﷺ اولى « لا تقلدوني » وقال الحاكم
سمعت الاصح يقول سمعت الربيع يقول سمعت الشافعي يقول وروى حديثاً
فقال له رجل تأخذ بهذا يا أبا عبد الله ، فقال متى رويت عن رسول الله ﷺ
حديثاً صحيحاً فلم أخذه به فاشهدكم ان عقلي قد ذهب وأشار بيده الى رؤسهم
وقال الحميدي سأل رجل الشافعي عن مسألة فأفتاه ، وقال : قال النبي ﷺ
كذا ، فقال الرجل اتقول بهذا قال أرأيت في وسطي زنادا أتاني خرجت
من الكنيسة أقول : قال النبي ﷺ وتقول لي اتقول بهذا اروي عن النبي
ﷺ ولا أقول به ، وقال الحاكم أنبأني أبو عمر والساك مشافهة : ان ابا سعيد

الحصاص حدثهم قال : سمعت الربيع بن سليمان يقول : سمعت الشافعي يقول : وسأله رجل عن مسألة ، فقال روي عن النبي ﷺ انه قال كذا وكذا فقال له السائل يا أبا عبد الله اتقول بهذا ؟ فارتعد الشافعي واصفر وحال لونه ، وقال ويحك اي ارض تقلني واي سماء تظلني اذا رويت عن رسول الله ﷺ شيئاً فلم اقل به نعم على الرأس والعينين ، نعم على الرأس والعينين .

الوجه الخامس : ان الاجتهاد حالة تقبل التجزي والانقسام كما قال ابن القيم رحمه الله الفائدة الثانية والثلاثون ان الاجتهاد حالة تقبل التجزي والانقسام فيكون الرجل مجتهدا في نوع من العلم مقلداً في غيره أو في باب من أبوابه كمن استفرغ وسعه في نوع العلم بالفرائض وادلتها واستنباطها من الكتاب والسنة دون غيرها من العلوم او في باب الجهاد الحج او غير ذلك فهذا ليس له القتوى فيما لم يجتهد فيه ولا تكون معرفته بما اجتهد فيه مسوغة له الافتاء بما لا يعلم في غيره وهل له ان يفتي في النوع الذي اجتهد فيه ، فيه ثلاثة أوجه اصحها الجواز بل هو الصواب المقطوع به والثاني المنع والثالث الجواز في الفرائض دون غيرها فحجة الجواز انه قد عرف الحق بدليله وقد بذل جهده في معرفة الصواب فحكمه في ذلك حكم المجتهد المطلق في سائر الانواع وحجة المنع تعلق ابواب الشرع واحكامه بعضها ببعض فالجهل ببعضها مظنة للتقصير في الباب والنوع الذي عرفه لا يخفي الارتباط بين كتاب النكاح والطلاق والعدة وكتاب الجهاد وما يتعلق به وكتاب الحدود والأقضية والاحكام وكذلك عامة ابواب الفقه ومن فرق الفرائض وغيرها رأى انقطاع احكام قسمة الموارث ومعرفة الفروض ومعرفة مستحقها عن كتاب البيوع والاجارات والرهون وغيرها وعدم تعلقاتها . وايضا فان عامة احكام الموارث قطعية وهي منصوص عليها في كتاب الله ، فان قيل فماتقولون فيمن بذل جهده في معرفة مسألة أو مسألتين ؟ هل له ان يفتي بهما قيل ؟ نعم يجوز في اصح القولين وهما وجهان لاصحاب الامام احمد وهل هذا الامن التبليغ عن الله وعن رسوله

وجزى الله من أعان الاسلام ولو بشر كلمة خيرا ، ومنع هذا من الافتاء بما علم خطأ محض وبالله التوفيق ، انتهى . فاذا كان هذا كلام أئمة الاسلام فماذا على الشيخ واتباعه من العيب واللوم اذا تكلموا في مسألة من مسائل العلم بما صح عندهم فيها من كتاب الله وسنة رسوله وكلام العلماء وان خالفت بعض مذاهب الأئمة المقلدين مع ان هذا لا يقع ان وجد إلا نادوا ولكن اعداء الله ورسوله يريدون ان ينفروا الناس بهذه الأمور عن الدخول فيما دعاهم اليه الشيخ من اخلاص التوحيد لله تعالى وسلوك طريقة السلف الصالح فالله المستعان .

واما قوله : واذا اطرح مؤلفات اهل الشرع فبماذا يتمسك ذلك الرجل الى آخره ؟

فأقول : ما اطرح الشيخ مؤلفات اهل الشرع حاشا وكلا بل هذا من الكذب والعدوان والزور والبهتان فان هذا لا اصل له بل قد قال الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد رحمه الله ثم انا نستعين على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة المعتبرة ومن اجلها لدينا تفسير ابن جرير ومختصره لابن كثير الشافعي وكذلك البغوي والبيضاوي والحازن والحداد والجلالين وغيرهم ، وعلى فهم الحديث بشروح الأئمة المبرزين كالعسقلاني والقسطلاني على البخاري والنووي على مسلم والمنائوي على جامع الصغير ونحرص على كتب الحديث خصوصا الامهات الست وشروحها ونعتق بسائر الكتب في سائر الفنون أصولا وفروعا وقواعد وسيرا ونحوا وصرفا وجميع علوم الامة ولا نأمر باتلاف شيء من المؤلفات اصلا إلا ما اشتبه على ما يوقع الناس في الشرك كروض الرباحين وما يحصل بسببه خلل في العقائد كعلم المنطق فانه قد حرمه جمع من العلماء على ان لا تفحص عن مثل ذلك وكالدلائل إلا ان تظاهر به صاحبه معاندا اتلف عليه وما اتفق لبعض البدوان في اتلاف بعض كتب اهل الطائفة انما صدر من الجهلة وقد زجر هو وغيره عن مثل ذلك ، انتهى . فأين دعوي اطراح مؤلفات اهل الشرع ؟ بل هذا مما يكذب عليهم ستر الحق وتليبنا على الخلق

في اشياء كثيرة قد ذكرها الشيخ في الرسالة وسند كرها فيما بعد انشاء الله تعالى فتبين ان جواب هذا الكردي ليس على اصل صحيح بل على الأوضاع والا كاذيب المخترعة وبما ذكرنا يتبين لكل منصف ان الشيخ واتباعه انما يتنسكون بكتاب الله وسنة رسوله وبكتب اهل الشرع وحيث كان هذا الحال صار ما يتسك به الشيخ هو الحق والهدى وليس والله الحمد على ضلال ولا بضلالة كما يزعمه اعداء الله ورسوله .

واما قوله : وهو كما علمت لم يبلغ رتبة الاجتهاد فأقول قد تقدم الجواب عن هذا .

واما قوله : وحكم من لم يبلغها اذا رأى حديثا صحيحا الى آخره .

فالجواب ان نقول قد تقدم قول بن عباس رضي الله عنه يوشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء أقول : قال رسول الله ﷺ وتقولون قال ابو بكر وعمر ، وقول الامام احمد عجت لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون الى رأي سفيان والله يقول (فليحذر الذين يخالفون عن امره) الآية . وقول الامام الشافعي ، اذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط وقوله ايضا ، اجمع الناس على ان من استبان له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له ان يدعها لقول أحد من الناس فتبين ان هذا الكردي ممن خرق الاجماع وخالف قول امامه الذي اتفق الناس على امامته ودرايته وعلمه واطلاعه لقول النووي وغيره ممن لا يداني الامام الشافعي ولا يقاربه في علمه وورعه واطلاعه وهذا خروج عما التزمه من التقليد وقد تقدم كلام شمس الدين ابن القيم في هذا المبحث وبه الكفاية وبه يعلم كل منصف عدول هؤلاء الملاحدة الغلاة عن طريقة السلف وعن سبيل المؤمنين .

واما قوله : واما تكفيره للمسلمين فقد صح عنه انه ﷺ قال : اذا قال الرجل لأخيه : يا كافر فقد باء بها أحدهما الى آخر كلامه .

فالجواب ان نقول : ما كفر الشيخ احدا من المسلمين ولم يكفر رحمه الله

إلا من نطق الكتاب والسنة بتكثيره واجمع على ذلك الأئمة بعد بلوغ الحجة وقيامها وقد تقدم بيان ذلك مرارا عديدة بل كانت هذه الدعوى من الكذب والبهتان الذي لا يمتري فيه عاقل . وأما استدلاله بقول النبي ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى » فكيف ساغ لهذا الرجل استحلال ما لم يحمله ﷺ إلى آخر كلامه ؟

فالجواب أن يقال : هذا حق والشيخ ما كفر ولا استحل دماءهم وأموالهم إلا بنقض شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن من دعا غير الله واستغاث به وتوكل عليه ولجأ إليه وذبح له ونذر فقد نقض شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإن تلفظ بالشهادتين وصلى وزكى أما علم هذا الغبي أن المنافقين يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ويذكرون ويجاهدون مع رسول الله ﷺ وهم في الدرك الأسفل من النار واجمعت الأئمة على كفر بني عبيد القداح مع أنهم يتكلمون بالشهادتين ويصلون ويبينون المساجد في القاهرة مصر وغيرها وصف بن الجوزي كتاباً في وجوب غزوهم وقتالهم سماه النصر على مصر والصحابة رضي الله عنهم كفروا من منع الزكاة وقتلهم مع أقرارهم بالشهادتين والائتيان بالصلاة والصوم والحج حتى أن بعض العلماء كفر من أنكر فرعاً مجعاً عليه كتوريت الجد والاخت وإن صلى وصام فكيف بمن يدعو الصالحين ويصرف لهم خالص العبادة ولها وهذا مذكور في المختصرات من كتب المذاهب الأربعة بل كفروا ببعض الألفاظ التي تجري على ألسن بعض الجهال وإن صلى وصام من جرت على لسانه فإذا ثبت هذا فاستحلال دم من هذه حاله وماله حلال باجماع العلماء فلا يشك في ذلك إلا جاهل زائع مفتون وهكذا يكون الجواب عن قوله تعالى (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) وقوله « وقوله ما أمرت

ان اشق عن قلوب الناس ولا مراثرهم « وقوله لاسامة حين قتل من قال
لااله الا الله « هلا شقت عن قلبه » فمن صدر منه ناقض للشهادتين يخرج به عن
الاسلام فهو كافر وان تلفظ بالشهادتين وصلى وزكا وصام وحج كما هو معروف
مشهور عن اهل العلم في كل كتاب فلا يشك في ذلك الا جاهل مرتاب .

وأما قوله : ولا يجوز للمجتهد المستقل ان يحمل الناس على مذهبه ، نعم ان
كان قاضيا ورفعت اليه قضية فانه انما يحكم فيها بما يظهر له من الادلة .

فأقول : نعم لا يجوز للمجتهد ان يحمل الناس على مذهبه والشيخ رحمه الله
لا يدعي الاجتهاد المطلق ولا يحمل الناس إلا على ما ورد به النص الجلي الذي
ليس منسوخا ولا مخصصا ولا معارضا باقوى .

وأما قوله : والنذر للاولياء فيه تفصيل عند أئمة الشافعية . فأقول قد تقدم
الجواب عن هذا بما اغنى عن عادته ، وذكر بعد هذا أسئلة وأجوبة للشافعية في
النذر ، قد تقدم الجواب عنها ثم قال : وأما التمسح بالقبور وبترابها ،
واختلف أئمتنا في ذلك فمنهم من اباح ذلك بل استحبه ومنهم من منع منه
واطال الكلام فيه بما لا دليل على جوازه من كلام امام يعتد على قوله ، قال
شيخ الاسلام في اقتضاء الصراط المستقيم ولهذا كرهت الائمة استلام القبر
وتقبيله وبنوه بناء منعوا الناس ان يصلوا اليه وكانت حجرة عائشة التي دفنوه
فيها ملاصقة لمسجده وكانت ما بين منبره وبينه هو الروضة ومضى الامر على
ذلك في عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم الى ان قال فمن اهل العلم من كره
ذلك كسعيد بن المسيب ومنهم من لم يكرهه ، قال أبو بكر الاثر قلت لأبي
عبد الله احمد بن حنبل قبر النبي ﷺ ويسمى به ، فقال ما أعرف هذا ،
قلت له فالمنبر فقال أما المنبر فنعم قد جاء فيه : قال أبو عبد الله شيء يروونه عن
ابن ابي فديك عن ابن ابي ذئب عن ابن عمر انه مسح على المنبر ، قال ويروونه
عن سعيد بن المسيب في الروماتة الى ان قال ، قلت لابي عبد الله انهم يلصقون
بطونهم بجدار القبر وقلت له رأيت اهل العلم من اهل المدينة لا يمسونه
(م - ٢٠ - الاسنة الحداد)

ويقومون ناحيته فيسلمون فقال أبو عبد الله نعم وهكذا كان ابن عمر يفعل ثم قال أبو عبد الله باني هو وامي عليه السلام فقد رخص أحمد وغيره في التمسح بالمنبر والرمانة التي هي موضع مقعد النبي عليه السلام وبده ولم يرخصوا في التمسح بقبره وقد حكى بعض أصحابنا رواية في مسح قبره لأن أحمد شيع بعض الموق فوضع يده على قبره يدعوه والفرق بين الموضعين ظاهر وكره مالك التمسح بالمنبر كما كره التمسح بالقبر ، فاما اليوم فقد احترق المنبر وما بقيت الرمانة وانما بقي من المنبر خشبة صغيرة فقد زال ما رخص فيه لأن الأثر المنقول عن ابن عمر وغيره انما هو التمسح بمقعده ، وروى الأثرم باسناده عن القعني عن مالك عن عبد الله ابن دينار ، قال رأيت ابن عمر يقف على قبر النبي عليه السلام فيسلم عليه وعلى أبي بكر وعمر ، انتهى .

فهذا ما روي عن أحمد رحمه الله وما ذكره ابن حجر عن العز بن جماعة وغيره عن أحمد فلا يصح وكذلك المحب الطبري عن العلماء فلا يصح وكذلك ما ذكر السبكي والحديث المروي عن أبي أيوب من الموضوعات وأقل ما يكون فيه انه ضعيف لا يعمل به وأما ما ذكره في الجوهر المنظم بسند جيد ان بلالا رضي الله عنه لما زار النبي عليه السلام من الشام جعل يبكي ويمرغ وجهه على القبر الشريف فهو حديث موضوع مكذوب وسنده غير جيد ولا معروف بالصحة وكذلك ما ذكره في الحلف بغير الله انه اذا لم يقصد التعظيم لا يكفر بذلك وهل يأنم بذلك أولا اختلفوا فيه .

فأقول : ان كان قصد التعظيم فلا كلام وان لم يقصد التعظيم فهو كفر أصغر كما ثبت ذلك في الاحاديث ولا حاجة بنا الى أقوال هؤلاء مع ما ورد في الحديث من انه شرك أو كفر أصغر واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل .
وأما قوله : وجعل الوسائط بين العبد وبين الله ان صار يدعوهم كما يدعو الاله في الامور أو يعتقد تأثيرهم في شيء دون الله فهو كفر وان كان المراد من جعلهم وسائط انه يتوسل بهم الى الله في قضاء مهماته مع اعتقاد ان الله هو

النافع الضار المؤثر في الامور دون غيره ، فالذي يظهر عدم كفره وان كان هذا اللفظ يتبادر منه الكفر ومن ثم اطلق صاحب الفروع ومن الخاتبة القول بكفره قال : قالوا اجماعا الى آخر كلامه .

فالجواب : أن نقول من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويستغني بهم في مهامته ويلجأ اليهم في جميع حاجاته فهو كافر سواء اعتقد التأثير ممن يدعوهم أو لم يعتقد التأثير فان هذا هو حال كفار العرب سواء بسواء هم مقرون ومعتفون أن الله هو الخالق النافع الضار المؤثر وان آفئتهم لا تفعل من ذلك شيئاً ولم يدخلهم ذلك في الاسلام ، قال شيخ الاسلام رحمه الله في مسألة الوساطة بعد أن ذكر كلاماً وان أراد بالوساطة انه لا بد من واسطة يتخذها العباد بينهم وبين الله في جلب المنافع ودفع المضار مثل ان يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونهم ذلك ويرجونهم فيه فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء شفعاء يجلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار ، ثم ذكر آيات الى ان قال : ومن سوى الانبياء ومشايخ العلم والدين واثبتهم وسائط بين الرسول وامته يبلغونهم ويعلمونهم ويؤدبونهم ويقعدون بهم فقد أصاب في ذلك وهؤلاء اذا اجتمعوا فاجتمعهم حجة قاطعة لاجتماعهم على ضلالة الى ان قال وإن اثبتهم وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين بين الملك وبين رعيته بحيث يكونون هم يرفعون الى الله حوائج خلقه وان الله انما يهدي عباده ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم بمعنى ان الخلق يسألونهم وهم يسألون الله كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقرتهم منهم والناس يسألونهم أدباً منهم ان يباشروا سؤال الملك أو لانت طلبتهم من الوسائط انفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب الى الملك من الطالب فمن اثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب ان يستتاب فان تاب وإلا قتل وهؤلاء المشبهون شبهوا الخالق بالخلق وجعلوا لله انداداً وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لا تتسع

له هذه الفتوى فان الوسائط التي بين الملوك وبين الناس تكون على احد وجوه ثلاثة، أما الاخبارهم من أحوال الناس مالا يعرفونه ومن قال ان الله لا يعرف أحوال العباد حتى يخبره بذلك بعض الملائكة والانبياء أو غيرهم فهو كافر بل هو سبحانه يعلم السر واخفى لا يخفى عليه خافية^١ في الارض ولا في السماء وهو السميع البصير، يسمع ضجيج الاصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلظه المسائل ولا يتبرم بالحاح الملحين . الوجه الثاني : ان يكون الملك عاجزا عن تدبير رعيته ودفع اعدائهم إلا باعوان يعينونه فلا بد له من أعوان وأنصار لذله وعجزه ، والله سبحانه ليس له ظهير ولا ولي من الدن ، قال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير) وقال تعالى (الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن) وكل ما في الوجود من الاسباب فهو سبحانه خالقه وربّه وملكيه فهو الغني عن كل ما سواه فقير اليه بخلاف الملوك المحتاجين الى ظهورائهم وهم في الحقيقة شركاؤهم والله سبحانه ليس له شريك في الملك لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، ولهذا لا يشفع عنده أحد الا بأذنه لا ملك ولا نبي ولا غيرهما فان من يشفع عند غيره بغير اذنه فهو شريك في حصول المطلوب لانه أثر فيه بشفاعته حتى جعله يفعل ما يطلب منه والله سبحانه وتعالى لا شريك له بوجه من الوجوه وسمي الشفيع شفيعاً لانه يشفع غيره أي يصير له شفعا ، قال تعالى : (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها) وكل من اعان غيره على امر فقد شفعه فيه والله تعالى وترّ لا يشفعه أحد بوجه من الوجوه .

الوجه الثالث : ان يكون الملك ليس مرید النفع لرعيته والاحسان اليهم ورحمتهم إلا بمحرك يحركه من خارج ، فاذا خاطب الملك من ينصحه ويعظه

أو من يدل عليه بحيث يكون يرجوه ويخافه وتحركت إرادة الملك وهمة
 في قضاء حوائج رعيته ، إما لما يحصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير ،
 وإما لما يحصل من الرغبة والرغبة من كلام المدل عليه ، والله تعالى هو رب
 كل شيء ومليكه وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها ، وكل الأسباب إنما
 تكون بمشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وهو الذي أجرى نفع العباد
 بعضهم على أيدي بعض ، فجعل هذا يحسن الى هذا ويدعو له ويشفع فيه ،
 ونحو ذلك ، فهو الذي خلق ذلك كله ، وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن
 والداعي والشافع إرادة الاحسان ، والدعاء والشفاعة ، ولا يجوز ان يكون
 في الوجود من يُكرهه على خلاف مراده أو يُعلمه ما لم يكن يعلمه أو من
 يرجوه الرب ويخافه ، ولهذا قال النبي ﷺ : « لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي
 إن سئلت اللهم أرحمني إن سئلت ، ولكن ليعزم المسألة ، فإن الله لا مكركه له »
 والشفعاء الذين عنده لا يشفعون إلا بإذنه قال الله تعالى : (ولا يشفعون إلا لمن
 ارتضى) وقال تعالى : (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) بخلاف الملوك
 فإن الشافع عندهم قد يكون له ملك ، وقد يكون شريكاً لهم في الملك ، وقد
 يكون مظاهراً لهم معاوناً على ملكه ، وهؤلاء يشفعون عند الملوك بغير إذن
 الملوك لهم ، والملك يقبل شفاعتهم تارة على انعامهم عليه حتى انه يقبل شفاعة
 ولده وزوجته ، لذلك فانه محتاج الى الزوجة والى الولد حتى لو اعرض عنه
 ولده وزوجته لتضرر بذلك ، ويقبل شفاعة مملوكه ، فانه ان لم يقبل شفاعته
 يخاف انه لا يطيعه أو ان يسعى في ضرره . وشفاعة العباد بعضهم عند بعض
 كلها من هذا الجنس ، فلا يقبل أحد شفاعة أحد إلا لرغبة أو رهبة ، والله تعالى
 لا يرجو أحداً ولا يخافه ولا يحتاج الى أحد ، بل هو الغني وذكرنا في هذا
 المعنى الى ان قال : والمقصود هنا ان من اثبت وسائط بين الله تعالى وبين خلقه
 كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك ، بل هذا دين المشركين
 عباد الاوثان ، كانوا يقولون انها تماثيل الانبياء والصالحين ، وانها وسائط

تقربون بها الى الله تعالى. وهو من الشرك الذي انكره الله تعالى على النصارى
ثم ذكريات في المعنى انتهى .

فانظر الى كلام شيخ الاسلام رحمه الله ، ولم يقل كما قال هؤلاء الجهمية من
جعلهم وسائط انه يتوسل بهم الى الله تعالى في قضاء مهماته مع اعتقاد ان الله هو
النافع الضار المؤثر في الامور الى آخره . فانه رحمه الله يعلم ان هذا هو اعتقاد
كفار العرب والله المستعان .

فصل

وأما ما نقله عن مفتي الحرمين عبد الوهاب المصري . من ان المراد من عبارة
صاحب الفروع ان من جعلهم وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم كفر
اجماعاً على انهم المعظمون والفاعلون ، فهذا القول من اسقط الاقوال وأسحقها
وابعدها عن الصواب . وعن مقصود شيخ الاسلام ، فلا يعول على هذا المفهوم
الفاسد ، ويلتفت اليه الا قليل معرفة وعلم ودين .

وأما ما ذكره عن محمد بن عفاًلق في تهكم المقلدين بقوله : ومن العجب انه
يستدل يعني محمد بن عبد الوهاب بقوله في الاقناع : ومن جعل بينه وبين الله
وسائط الى آخر المسألة ، والاقناع نقله عن الشيخ ابن تيمية . وفي خطبة الاقناع
وربما عزوت قولاً لقائله ، خروجا من تبعته ، فكيف يستدل بكلام عزاه في
الاقناع الى الشيخ . وقد قدّم في الخطبة ان العزو للخروج من تبعته فقد
تبرأ من تبعته لعزوه الى الشيخ لانها من المسائل التي انفرد بها ابن تيمية وامتنع
لاجلها وحس ، وقامت القيامة من علماء عصره ومن بعدهم الى ان قال : فانظر
كيف ترك المجمع عليه عند الاربعة واتباعهم ، واستدل بما هو معزى لمن شذبه
وانفرد ولم يعرف لاصطلاح صاحب الاقناع .

فالجواب عليه من وجوه : الاول : ان هذا النقل نقله صاحب الفروع ،

وصاحب الاقناع والانصاف مستدلين به مقررين له مختارين له ولم يذكروا له مخالفاً ، بل ذكروا له الاجماع عليه .

الوجه الثاني : ان هؤلاء الائمة ذكروا الاجماع عليه ، وهذا الجاهل المركب الذي هو اضل من حمار أهله يزعم ان هذا بما انفرد به شيخ الاسلام وشذبه وانها من المسائل التي امتحن لأجلها وحبس ، وقامت عليه القيامة من علماء عصره ، وهذا الكذب الذي لا يمتري فيه عاقل فضلاً عن العالم ، فان هذه المسألة ليست من المسائل التي انفرد بها بل ذكر الاصحاب الاجماع عليها ولكن اعمى القلب ليس بمهتد ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

الوجه الثالث : ان شيخ الاسلام ليس داخل فيمن عزا قوله خروجاً عن تبعة ما عزا له ، فان شيخ الاسلام من سادات الخباية ومن يعتمد على قوله عندهم خصوصاً صاحب الاقناع والفروع والانصاف ، فان هؤلاء لا يذكرون قول شيخ الاسلام الا للاستدلال به والاعتماد على قوله وهم اعلم بقول امامهم وشيخهم وقدوتهم من بن عقالي الجاهل الذي لا يدري ولا يدري انه لا يدري ، وحيث ذكر هذا الكلام انما يموه به على الطعام من أشباه الانعام ، واما الخباية واولوا العلم من غيرهم فهم يعلمون رتبة شيخ الاسلام في العلم والجلالة واذا حكى الاجماع فهو عمدة فيما حكاه عندهم ، ثم ان الشيخ محمد رحمه الله اعلم بمذهب احمد وباصطلاح صاحب الاقناع من بهذا الذي اعمى الله بصيرة قلبه .

الوجه الرابع : ان حكاية الاجماع عن جميع علماء الامة سلفاً وخلفاً ، واذا اجعت الامة فاجماهم حق ، ولا تجمع الامة على ضلالة ، وليس هو اجماع الخباية فقط فلا يخرج عن هذا الاجماع إلا ضال مضل ، ومن خرج عنه ، فقوله شاذ وان اعتمد على جواز الوسائط فهو كافر مشرك .

واما قوله : وقول السائل تجتمع فيه مادتان إلى آخره ، هذه العبارة غير مألوفة في كلام ائمتنا وبالجملة فمن استجمع شروط الاسلام ووجد منه مكفرة

واحداً حكم بكفره وخروجه عن الاسلام نعم اطلق الشارع في بعض المعاصي إلى آخره

فأقول : نعم قد يجتمع فيه مادتان كفر وإسلام وإيمان ونفاق ، قال الله تعالى (هم للكفر يومئذ اقرب منهم للإيمان) لكنه كفر دون كفر ونفاق دون نفاق ، فإن الكفر أنواع والنفاق أنواع ، وقد ذكر هذا شيخ الاسلام وابن القيم وذكر شيخ الاسلام أن هذا قول أهل السنة والجماعة ولم يخالف في ذلك إلا الخوارج فانهم لم يجعلوا الناس إلا مستحقاً للشواب فقط ومستحقاً للعقاب فقط .

وأما قوله : في جواب السائل عن قوله ﷺ « لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالهم الى يوم القيامة » ولم يخضري الآن حديث فيه موضع الطائفة المذكورة واظن اني رأيت في كلام بعضهم انهم بالشام والمراد بيوم القيامة في الحديث قيامتهم إلى آخره .

فالجواب : أن يقال قد اختلف العلماء في محل هذه الطائفة ، فقال ابن بطال انها تكون في بيت المقدس ، كما رواه الطبراني من حديث أبي أمامة ، قيل يارسول الله : وأين هم ؟ قال ببيت المقدس ، وقال معاذ ابن جبل رضي الله عنه هم بالشام . وفي كلام الطبراني ما يدل على أنه لا يجب أن تكون في الشام أو في بيت المقدس دائماً ، بل قد تكون في موضع آخر في بعض الأزمنة ، قال شيخنا في فتح المجيد : ويشهد له الواقع وحال أهل الشام وأهل بيت المقدس من أزمنة طويلة لا يعرف فيهم من قام بهذا الأمر بعد شيخ الاسلام ابن تيمية رضي الله عنه وأصحابه في القرن السابع وأول الثامن ، فانهم في زمانهم على الحق يدعون اليه ويناضون عليه ويجاهدون فيه ، وقد يجيء من أمثالهم بعد بالشام من يقوم مقامهم بالدعوة الى الحق والتمسك بالسنة ، والله على كل شيء قدير . ومما يؤيد هذا ان أهل الحق والسنة في زمن الائمة الاربعة وتوافر العلماء في ذلك الزمان وقبلة وبعده لم يكونوا في محل واحد بل في غالب

الامصار في الشام منهم أئمة وفي الحجاز وفي مصر وفي العراق واليمن وكلهم على الحق يناضلون ويجاهدون اهل البدع ، ولهم المصنفات التي صارت أعلاماً لأهل السنة ، وحجة على كل مبتدع فعلى هذا ، فهذه الطائفة قد تجتمع وقد تفترق وقد تكون بالشام وقد تكون في غيره ، فان حديث أبي أمامة وقول معاذ لا يفيد حصرها بالشام ، وإنما يفيد انها تكون في الشام في بعض الازمان لا في كلها ، انتهى . وغالب ما في السؤالات المذكورة ، قد ذكرها هذا الملحق في كتابه هذا مُفَرَّقة ، وتقدم الجواب عليها ، وكذلك التقرير إنما حاصله في ذكر أكاذيب وملفات من تزويرات هؤلاء الوضعيين المفتريين ، وقد نبهنا على ذلك فيما مضى فلا نطيل باعادة الجواب عنها .

خاتمة : في ذكر شيء من معتقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وأتباعه وما دعا اليه من التوحيد ونها عنه من الشرك ، وبيان ذلك بما كتبه الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد دخول مكة المشرفة ، قال رحمه الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيينا محمد الامين ، وعلى آله وصحبه والتابعين . وبعد : فاننا معاشر غزو الموحدين لما من الله علينا ، وله الحمد بدخول مكة المشرفة ، نصف النهار يوم السبت ثامن شهر محرم الحرام سنة ١٢١٨ بعد ان طلب اشراف مكة وعلماؤها وكافة العامة من أمير الغزو سعود حمه الله الامان ، وقد كانوا تواطئوا أمراء الحبيص وأمير مكة على قتال أو الاقامة في الحرم لصدوه عن البيت ، فلما زحفت أجناد الموحدين ألقى الله الرعب في قلوبهم ، فتفرقوا شذر مذر كل واحد يعد الاياب غنيمه ، وبذل الأمير حينئذ الامان لمن بالحرم الشريف ودخلنا شعارنا التلبية آمنين محلّقين رؤوسنا ومقصرين غير خائفين من أحد من المخلوقين ، بل من مالك يوم الدين ومن حين دخل الجند الحرم ، وهم على كثرتهم مضطربون متأدبون لم يعصداً

به شجراً ولم ينفروا صيداً ولم يريقوا دمماً إلا دم الهدى أو ما أحل الله من
بيسة الانعام على الوجه المشروع ، ولما تمت عمرتنا جمعنا الناس ضحوة الاحد
وعرض الامير عافاه الله ، على العلماء ما نطلب من الناس ونقاتلهم عليه ، وهو
اخلاص التوحيد لله تعالى وحده ، وعرفهم انه لم يكن بيننا وبينهم خلاف له
وقنع إلا في أمرين : أحدهما . اخلاص التوحيد لله تعالى ومعرفة أنواع العبادة
وأن الدعاء من جملتها وتحقيق معنى الشرك الذي قاتل الناس علينا نبينا محمد ﷺ
واستمر دعاؤه برهه من الزمان بعد النبوة الى ذلك التوحيد ، وترك الاشراك
قبل أن تفرض عليه أركان الاسلام الاربعة .

والثاني الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي لم يبق عندهم إلا اسمه
وانحى أثره ورسمه فوافقونا على استحسان ما نحن عليه جملةً وتفصيلاً وبايعوا
ذلك الامير على الكتاب والسنة وقبل منهم وعفا عنهم كافة فلم يحصل على احد
منهم أدنى مشقة ولم يزل يرفق بهم غاية الرفق لا سيما العلماء ويقرر لهم حال
اجتماعهم وحال انفرادهم ، لدينا أدلة ما نحن عليه ، ونطلب منهم المناصحة
والمذاكرة وبيان الحق ، وعرفناهم بأن صرح لهم الامير حال اجتماعهم بأننا
قابلوا ماوضحوا برهانه من كتاب أو سنة ، أو أثر عن السلف الصالح ، كالحلفاء
الراشدين المأمورين بأتباعهم بقوله ﷺ « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين
من بعدي » وعن الأئمة الاربعة المجتهدين ومن تلقى العلم عنهم ، الى آخر
القرن الثالث لقوله ﷺ « خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وعرفناهم
إننا دائرون مع الحق أينما دار وتابعون للدليل الجلي الواضح ، ولا نبالي حينئذ
بمخالفة ما سلف عليه من قبلنا ، فلم ينقموا علينا أمراً فلاحينا عليهم في مسألة
طلب الحاجيات من الاموات ان بقي لديهم شبهة ، فذكر بعضهم شبهة أو
شبهتين ، فرددناها بالدلائل القاطعة من الكتاب والسنة ، حتى أذعنوا ولم يبق
عند احد منهم شك ولا ارتياب ، إنما قاتلنا الناس عليه ، انه الحق الجلي الذي
لا غبار عليه ، وحلفوا لنا الايمان المعقدة من دون استحلاف لهم على انشراح

صدورهم وجزم ضمائرهم ، انه لم يبق لديهم شك في أن من قال : يا رسول الله
أو يا ابن عباس أو يا عبد القادر أو غيرهم من المخلوقين ، طالب بذلك دفع شر
أو جلب خير . من كل ما يقدر عليه الا الله تعالى ، من شفاء المريض والنصر
على العدو والحفظ من المكروه ، ونحو ذلك انه مشرك الشرك الاكبر يهدو
دمه ويبيع ماله ، وان كان يعتقد أن الفاعل المؤثر في تصريف الكون هو الله
وحده ، لكنه قصد المخلوقين بالدعاء مستشفعاً بهم ، ومتقرباً لهم لقضاء حاجته
من الله بسرهم وبشفاعتهم له فيها أيام البرزخ ، وان ما وضع من البناء على
قبور الصالحين ، صارت في هذه الازمان أصناماً تقصد لطلب الحاجات ،
ويتضرع عندها ويهتف بأهلها في الشدائد كما كانت تفعله الجاهلية الاولى ، وكان
من جملتهم مفتي الحنفية الشيخ عبد المالك القلعي ، وحسين المغربي مفتي المالكية
وعقيل بن يحيى العلوي . فبعد ذلك أزلنا جميع ما كان يعبد بالتعظيم والاعتقاد
فيه ويرجى النفع ودفع الضر بسببه من جميع البناء على القبور وغيرها ، حتى
لم يبق في البقعة المطهرة طاغوت يعبد ، فالحمد لله على ذلك ، ثم رفعت المكوس
والرسوم ، وكسرت آلات التنباك ونودى بتحريمه ، وأحرقت أماكن
الحشاشين والمشهورين بالفجور ، ونودى بالمواظبة على الصلوات في الجماعات وعدم
التفرق في ذلك ، بأن يجتمعوا في كل صلاة على امام واحد ، يكون ذلك
الامام من احد المقلدين للاربعة رضوان الله عليهم ، واجتمعت الكلمة حينئذ
وعبدوا الله وحده ، وحصلت الالفة وسقطت الكلفة ، وأمر عليهم واستتب
الامر من دون سفك دم ولا هتك عرض ولا مشقة على أحد ، والحمد لله رب
العالمين . ثم دفعت لهم الرسائل المؤلفة للشيخ محمد رحمه الله . في التوحيد
المتضمنة للبراهين وتقرير الأدلة على ذلك بالآيات المحكمات والاحاديث المتواترة
كما يثلج الصدر ، واختصر من ذلك رسالة مختصرة للعوام تنشر في مجالسهم
وتدرس في محافلهم ، ويبين لهم العلماء معانيها ليعرفوا التوحيد فيتمسكون
بعروته الوثيقة ، ويتضح لهم الشرك فينفروا عنه وهم على بصيرة آمنين ، وكان

فيمين حضر مع علماء مكة وشاهد غالب ماصار حسين بن محمد ابن الحسين
الابريقي الحضرمي ، ثم الحياني ولم يزل يتردد علينا ويجمع بسعود وخاصة من
أهل المعرفة ، ويسأل عن غير مسألة الشفاعة الذي جرد السيف بسببها من دون
حياء ولا خجل لعدم سابقة جرم له . فاخبرناه بأن مذهبنا في أصول الدين
مذهب أهل السنة والجماعة . وطريقتنا طريقة السلف التي هي الطريق الاسلام ،
بل والاعلم والاحكم ، خلافاً لمن قال طريقة الخلف أعلم وهي انا نفر بآيات
الصفات واحاديثها على ظهرها ونكل علمها الى الله مع اعتقاد حقائقها فان
مالكا هو من أجل علماء السلف لما سئل عن الاستواء في قوله تعالى :
(الرحمن على العرش استوى قال الاستواء) معلوم والكيف مجهول والايمان به
واجب والسؤال عنه بدعة ونعتقد أن الخير والشر كله بمشيئة الله تعالى
ولا يكون في ملكه إلا ما أراد فان العبد لا يقدر على خلق أفعاله بل له
كسب ورتب عليه الثواب فضلا والعقاب عدلا لا يجب على الله لعبده شيء وانه
يراه المؤمنون في الآخرة بلا كيف ولا احاطة ونحن أيضا في الفروع على
مذهب الامام احمد بن حنبل ولا ننكر على من قلد أحد الأئمة الأربعة دون
غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة والزيدية والامامية ونحوهم لا نقرهم
ظاهراً على شيء من مذاهبهم الفاسدة بل نجبرهم على تقليد أحد الأئمة الأربعة
ولا نستحق بمرتبة الاجتهاد المطلق ولا أحد منا يدعيها إلا انا في بعض المسائل
اذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض
بأقوى منه وقال به أحد الأئمة الأربعة أخذنا به وتركنا المذهب كارت الجد
والاخوة فانا نقدم الجد بالارث وان خالفه مذهب الحنابلة ولا نفتش على أحد
في مذهبه ولا نعترض عليه إلا اذا اطلعنا على نص جلي مخالف لمذهب أحد
الأئمة وكانت المسألة مما يحصل بها شعائر ظاهرة كإمام الصلاة فنأمر الحنفي
والمالكي مثلاً بالمحافظة على نحو الطمأنينة في الاعتدال والجلوس بين السجدين
لوضوح دليل ذلك بخلاف جهر الامام الشافعي بالبسلة فلا تأمره بالامرار

حوشتان ما بين المسألتين فاذا قوي الدليل أرشدناهم بالنص وأن خالف المذهب وذلك يكون نادراً جداً ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض ولا مناقضة لعدم الاجتهاد المطلق وقد سبق جمع من أئمة المذاهب الأربعة لاختيارات لهم في بعض المسائل مخالفة لمذهب المتزمين تقليد صاحبه ثم انا نستعين على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة المعتمدة ومن أجلها لدينا تفسير ابن جرير ومختصره لابن كثير الشافعي وكذلك البغوي ونحوها .

وعلى فهم الحديث بشروح الأئمة المبرزين كالعسقلاني والقسطلاني على البخاري والنووي على مسلم والمناوي على الجامع الصغير ونحوه على كتب الحديث خصوصاً الامهات الست وشروحها ونعتي بسائر الكتب في سائر الفنون أصولاً وفروعاً وقواعد وسيراً ونحواً وصرفاً وجميع علوم الأئمة . ولا تأمر بالتلاف شيء من المؤلفات أصلاً إلا ما اشتمل على ما يوقع الناس في الشرك كروض الرباحين وما يحصل بسببه خلل في العقائد كعلم المنطق فانه قد حرمه جمع من العلماء على انا لا نفحص عن مثل ذلك وكالدلائل إلا إن تظاهر به صاحبه معانداً اتلف عليه وما اتفق لبعض البدوان في اتلاف بعض كتب أهل الطائفة انما صدر من الجهلة وقد زجر هو وغيره عن مثل ذلك . وبما نحن عليه انا لا نرى سبي العرب ولم نفعله ولم نقايل غيرهم ولا نرى قتل النساء والصبيان ، واما ما يكذب علينا ستراً للحق وتلييساً على الخلق باننا نفسر القرآن برأينا ونأخذ من الحديث ما وافق فهمنا من دون مراجعة مخرج ولا معمول على شيخ وانا نضع من رتبة نبينا محمد ﷺ بقولنا النبي رمة في قبره وعصا أحدنا اتقع له منه وليس له شفاعة وان زيارته غير مندوبة وانه كان لا يعرف معني لا إله إلا الله حتى أنزل عليه فاعلم انه لا إله إلا الله مع كون الآية مدنية وانا لا نعتد أقوال العلماء وننتلف مؤلفات أهل المذاهب لكون فيها الحق والباطل وانا نجسمه وانا نكفر الناس على الاطلاق أهل زماننا ومن بعد الستمائة إلا من هو على ما نحن عليه ومن فروع ذلك انا لا نقبل بيعة أحد

إلا بعد التقرير عليه بأنه كان مشركا وإن أبويه ماتا على الشرك بالله وأنا تنهى
عن الصلاة على النبي ﷺ ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقا وأن من دان
بما نحن عليه سقطت عنه جميع التبعات حتي الديون وأنا لا نرى حق أهل البيت
رضوان الله عليهم وأنا نجبرهم على تزويج غير الكفو لهم وأنا نجبر بعض الشيوخ
على فراق زوجته الشابة لتتكح شابا إذا ترفعوا إلينا فلا وجه لذلك فجميع
هذه الخرافات واشباهها لما استفهمنا عنها من ذكر ، أولاً كان جوابنا في كل
مسألة من ذلك سبحانه هذا بهتان عظيم فمن روى عنا شيئا من ذلك أو نسب
إلينا فقد كذب علينا وافتوى ومن شاهد حالنا وحضر مجالسنا وتحقق ما عندنا
علم قطعا أن جميع ذلك وضعه علينا وافتراه أعداء الدين وأخوان الشياطين
تفويها للناس عن الإذعان باخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة وترك أنواع الشرك
الذي نص عليه بأنه لا يغفره ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فانا نعتقد أن من
الكبائر كقتل المسلم بغير حق والزنا والربا وشرب الخمر وتكرار منه ذلك أنه
لا يخرج بفعله ذلك عن دائرة الاسلام ولا يخلد به في دار الانتقام اذا مات
موحدا لله تعالى بجميع أنواع العبادة والذي نعتقد أن رتبة نبينا محمد ﷺ
أعلى مراتب المخلوقين على الإطلاق وأنه حي في قبره حياة برزخية أبلغ حياة
أشهداء المنصوص عليها في التنزيل اذ هو أفضل منهم بلا ريب وأنه يسمع سلام
المسلم عليه وتسن زيارته إلا أنه لا يشد الرحل إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه
وإذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس ومن اتقى نفسه أوقاته بالاشتغال بالصلاة
عليه ، الصلاة الواردة عنه فقد فاز بسعادة الدارين وكفى همه وغمه كما جاء في
الحديث عنه . ولا ننكر كرامات الأولياء ونعترف لهم بالحق وانهم على هدى
من ربهم مهما ساروا على الطريقة الشرعية والقوانين المرعية إلا أنهم لا يستحقون
شيئا من أنواع العبادات لا حال الحياة ولا بعد الممات بل يطلب من أحدهم
الدعاء في حال حياته بل ومن كل مسلم فقد جاء في الحديث «دعاء المسلم
مستجاب لأخيه» الحديث وأمر عمر وعلي بسؤال الاستغفار من أويس ففعلا

ونثبت الشفاعة لنبينا محمد ﷺ يوم القيامة حسب ما ورد وكذا نثبتها لسائر الانبياء والملائكة والاولياء والاطفال حسب ما ورد أيضا ونسألها من المالك والآذن فيها لمن يشاء من الموحدين الذينهم أسعد الناس بها كما ورد بأن يقول أحدنا متضرعاً الى الله تعالى اللهم شفّع فينا عبادك الصالحين أو ملائكتك أو نحو ذلك مما يطلب من الله لا منهم فلا يقال يا رسول الله أو يا ولي الله أسألك الشفاعة أو غيرهما كادر كني أو اغثنى أو اسفع لي أو انصرني على عدوي أو نحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى فإذا طلبت ذلك عن ذكر أيام البرزخ كان من اقسام الشرك إذ لم يرو بذلك نص من كتاب أو سنة ولا أثر عن السلف الصالح على ذلك بل ورد الكتاب والسنة واجماع السلف ان ذلك شرك اكبر قاتل عليه رسول الله ﷺ فان قلت ما تقول في الحلف بغير الله والتوسل به ؟ قلت ننظر الى حال المقسم ان قصد به التعظيم كتعظيم الله أو اشد كما يقع لبعض غلاة المشركين من أهل زماننا اذا استحلّفه بشيخه أي معبوده الذي يعتد في جميع أموره عليه لا يرضى فهو كافر من أقبح المشركين وأجهلهم اجماعاً وان لم يقصد التعظيم بل سبق لسانه اليه فهذا ليس بشرك اكبر فنهى عنه ويؤمر صاحبه بالاستغفار عن تلك الهفوة .

واما التوسل : وهو ان يقول القائل : « اللهم اني أتوسل اليك بمجاه نبيك محمد ﷺ أو بحق نبيك أو بمجاه عبادك الصالحين أو بحق عبدك فلان فهذا من أقسام البدعة المذمومة ، ولم يرد بذلك نص كرفع الصوت بالصلاة على النبي ﷺ عند الآذان ، وأما أهل البيت ، فقد ورد سؤال على الدرعية في مثل ذلك ، وعن جواز نكاح الفاطميين غير الفاطمي ، وكان الجواب عليه مما نصه أهل البيت رضوان الله عليهم ولا يشك في طلب حبهم ومودتهم لما ورد فيه كتاب أو سنة ، فيجب حبهم ومودتهم إلا أن الاسلام ساوى بين الخلق فلا فضل لأحد إلا بالتقوى ، ولهم مع ذلك التوقير والتكريم والاحلال والسائر العلماء ، مثل ذلك كالجوس في صدر المجالس والبداية بهم في التكريم والتقديم

في الطريق إلى موضع التكريم ، ونحو ذلك إذا تقارب أحدهم مع غيره في السن أو العلم ، وما اعتيد في بعض البلاد من تقديم صغيرهم وجاهلهم على من هو أمثل منه ، حتى أنه إذا لم يقبل يده كلما صافحه عاتبه وصارمه أو ضاربه وخاصة ، فهذا مما لم يرد به نص ولا دل عليه دليل بل منكر يجب إزالته ، ولو قبل يد أحدهم لقدم من سفر أو لمشيخة علم ، أو في بعض الاوقات أو لطول غيبته ، فلا بأس به إلا أنه لما ألف في الجاهلية الاخرى ان التقليل صار علماً لمن يعتقد فيه أو في اسلافه أو عادة المتكبرين من غيرهم نهينا عنه مطلقاً ، لا سيما لمن ذكر حسماً لذرائع الشرك ما أمكن .

وأما هدمنا بيت السيدة خديجة وقة المولد وبعض الزوايا المنسوبة لبعض الاولياء حسماً لتلك المسادة وتنفيراً من الاشرار بالله ما أمكن لعظم شأنه ، فإنه لا يغفر ، وهو اقبح من نسبة الولد إلى الله تعالى ، إذ الولد كمال في حق المخلوق ، وأما الشرك فنقص حتى في حق المخلوق لقوله تعالى (ضرب لكم مثلاً من انفسكم هل لكم بما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم) الآية . وأما نكاح الفاطمية غير الفاطمي فبإثرائه إجماعاً ، بل ولا كراهة في ذلك قد زوج علي بن عمر بن الخطاب ، وكفى بها قدوة ، وتزوجت سكينه بنت الحسين ابن علي بأربعة ليس فيهم فاطمي ، بل ولا هاشمي ، ولم يزل عمل السلف على ذلك من دون انكار إلا أنا لا نجبر احداً على تزويج موليته ما لم تطلب هي وتمتنع من غير الكفر ، والعرب أكفاه بعضهم لبعض ، فما اعتيد في بعض البلاد من المنع دليل التكبير وطلب التعظيم ، وقد يحصل بسبب ذلك فساد كبير ، كما ورد ، بل يجوز الانكاح لغير الكفر ، وقد تزوج زيد وهو من الموالي ام المؤمنين وهي قرشية ، والمسألة معروفة الثقل عند اهل المذهب ، انتهى . فان قال قائل منفر عن قبول الحق والاذعان له يلزم من تقريركم وقطعكم في ان من قال يا رسول الله اسألك الشفاعة انه مشرك مهدر الدم ان يقال يكفر غالب الامة لا سيما المتأخرين لتصريح علمائهم المعبرين ان ذلك مندوب وشن

الغارة على من خالف في ذلك . قلت : لا يلزم ذلك لان لازم المذهب ليس
بمذهب كما هو مقرر ، ومثل ذلك لا يلزم ان نكون بحسمة ، وان قلنا بجهة
العلو كما ورد الحديث بذلك ، ونحن نقول فيمن مات : تلك امة قد خلت
ولا نكفر إلا لمن بلغته دعوتنا للحق ووضحت له الحجة وقامت عليه الحجة
واصر مستكبراً معانداً كغالب من نقائلهم اليوم يصرون على ذلك الاشراك
ويعتنعون من فعل الواجبات ويتظاهرون بأفعال الكبار المحرمات ، وغير
الغالب إنما نقائله لمناصرتهم لمن هذه حاله ورضى به ولتكثر سواد من ذكروا
التغليب معه ، فله حينئذ حكمة في قتاله ، ونعتذر عن 'مقرر' بأنهم مخطئون
معذورون لعدم عصمتهم من الخطأ ، والاجماع في ذلك قطعياً من شن الغارة
فقد غلط من هو خير منه ، كمثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فلما نبهته
المرأة رجع في مسألة المهر ، وفي غير ذلك يعرف ذلك في سيرته ، بل غلط
الصحابه وهم جمع ونبينا محمد ﷺ بين أظهرهم سار فيهم نوره ، فقالوا : اجعل
لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فان قلت : هذا فيمن ذهل فلما نبه انتبه ،
فما القول فيمن حرر الادلة واطلع على كلام الاثمة القدوة ، واستمر مصرأ
على ذلك حتى مات ؟

قلت ولا مانع أن نعتذر لمن ذكر ولا نقول انه كافر ، ولا لما تقدم انه
مخطئ وان استمر على خطئه لعدم من يناضل عن هذه المسألة في وقته ، بلسانه
وسيفه ولسانه ، فلم تقم عليه الحجة ولا وضعت له المحجة ، بل الغالب على زمن
المؤلفين المذكورين ، التواطى على هجر كلام أئمة السنة في ذلك رأساً ، ومن
اطلع عليه أعرض عنه قبل ان يتمكن في قلبه ، ولم يزل أكبرهم انتهى اصاغرم
عن مطلق النظر في ذلك وصوله الملوك قاهرة لمن وقر في قلبه شيء من ذلك
الا من شاء الله منهم ، هذا وقد رأى معاوية واصحابه رضي الله عنهم ، منابذة
أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب رضي الله عنه ، بل وقتاله ومناجزته الحرب
وهم في ذلك مخطئون بالاجماع ، واستمروا في ذلك الخطأ حتى ماتوا ولم
(م ٢١ - الأسنة الحداد)

يشتهر عن أحد من السلف تكفير أحد منهم إجماعاً بل ولا تفسيقه بل اثبتوا لهم اجر الاجتهاد وان كانوا مخطئين ، كما ذلك مشهور عند اهل السنة ، ونحن كذلك لا نقول بكفر من صحة ديانته وشهر صلاحه وعلمه وورعه وزهده ، وحسنت سيرته وبلغ من نصحه الامة ببذل نفسه لتدريس العلوم النافعة والتأليف فيها ، وان كان مخطئاً في هذه المسألة أو غيرها ، كابن حجر الهيثمي فانما تعلم كلامه في الدر المنظم ولا ننكر سعة علمه ، ولهذا نعني بكتبه كشرح الاربعين والزواجر وغيرها ، ونعتمد على نقله إذا نقل ، لأنه من جملة العلماء المسلمين . هذا ما نحن عليه مخاطبين به من له عقل أو علم وهو متصف بالانصاف ، خال عن الميل الى التعصب والاعتساف ، ينظر الى ما يقال لا الى من قال . وأما من شأنه لزوم مألوفة وعادته سواء كان حقاً أو غير حق ، فقلد من قال الله تعالى فيهم « إنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » عادته وجبلته ان يعرف الحق بالرجال لا الرجال بالحق فلا مخاطبه وأمثاله الا بالسيف حتى يستقيم اوده ويصح معوجه ، وجنود التوحيد بمحمد الله منصوره ، وراياتهم بالسعد والاقبال منشورة ، (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) (وان حزب الله هم الغالبون) . قال تعالى (وإن جندنا لهم الغالبون) (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) (والعاقبة للمتقين) . هذا وما نحن عليه ان البدعة وهي ما حدثت بعد القرون الثلاثة ، مذمومة مطلقاً خلافاً لمن قال حسنة وقبيحة ، ولين قسمها خمسة اقسام الا ان أمكن جمع بأن يقال الحسنة ما عليه السلف الصالح شاملة الواجبة والمندوبة والمباحة ، ويكون تسميتها بدعة مجازاً والقبيحة ما عدا ذلك شاملة للحرمة والمكرهه ، فلا بأس بهذا الجمع فمن البدع المذمومة الذي انتهى عنها ، رفع الصوت في مواضع الأذان بغير الأذان سواء كان آيات أو صلاة على النبي ﷺ أو ذكر غير ذلك بعد أذان أو في ليلة الجمعة أو رمضان أو العيدين ، فكل ذلك بدعة مذمومة ، وقد ابطالنا ما كان مألوفاً بمكة من التذكير والترجيم ونحوه ، واعترف علماء المذاهب انه

بدعة ، ومنها قراءة الحديث عن أبي هريرة بين يدي خطبة الجمعة ،
فقد صرح شارح الجامع الصغير بأنه بدعة ، ومنها الاجتماع في وقت
مخصوص من يقرأ سيرة المولد الشريف اعتقاد انه قرينة مخصوصة مطلوبة
دون علم السير ، فان ذلك لم يردو منها اتخاذ الماسيخ فانما تنهى عن التظاهر
باتخاذها ، ومنها الاجماع على رواتب المشائخ برفع الصوت وقراءة الفواتح
والتوسل بهم من المهمات كراتب السمان وراتب الحداد ونحوهما ، بل قد
يشتمل ما ذكر على شرك اكبر ، فيقاتلون على ذلك ، فان سلموا منه أرسدوا
الى أنه على هذه الصورة المألوفة غير سنة بل بدعة ، فان أبوا أعذرهم الحاكم
بما يراه ردعاً . واما احزاب العلماء المنتخبة من الكتاب والسنة ، فلا مانع
من قراءتها والمواظبة ، فان الاذكار والصلاة على النبي ﷺ والاستغفار وتلاوة
القرآن ونحو ذلك مطلوب شرعاً والمعنى به مثاب مأجور ، فكلمها اكثر منه
العبد كان أو فر ثواباً لكن على الوجه المشروع من دون تنطع ولا تغيير ولا تحريف
وقد قال تعالى (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية) وقال تعالى (والله الاسماء الحسنى
فادعوه بها) والله درّ النووي في جمعه كتاب الاذكار فعلى الحريص على ذلك
به نفيه الكفاية للموقف ومنها ما اعتيد في بعض البلاد من قراءة مولد النبي ﷺ
بقصائد بالحن وتخلط بالصلاة عليه وبالاذكار والقراءة ويكون بعد صلاة
التراويح ويعتقدونه على هذه الهيئة من القرب بل تتوهم العامة ان ذلك من
السنن الماثورة ينهى من ذلك وأما صلاة التراويح فسنة لا بأس بالجماعة فيها
والمواظبة عليها ومنها ما اعتيد في بعض البلاد من صلاة الخمسة الفروض بعد
آخر جمعة من رمضان وهذه من البدع المنكرة اجماعاً فيزجرون عن ذلك
أشد الزجر ومنها رفع الصوت بالذكر عند حمل الميت او عند رش القبر بالماء
وغير ذلك مما لم يرد عن سلف وقد ألف الشيخ الطرطوشي المغربي كتاباً نفيساً
سماه الباعث على انكار البدع والحوادث واختصره ابن شامة المقرئ فعلى
المعنى بدينه بتحصيله وانما تنهى عن البدع المتخذة ديناً وقرينة واما ما لا يتخذ

ديننا ولا قرية كالقهوة وانشاد قصائد الغزل ومدح الملوك فلا تنهى عنه ما لم
يخلط بغيره اما ذكر او اعتكاف في مسجد ويعتقد انه قرية لأن خسان رد
على أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب وقال : قد انشدته بين يدي من هو خير منك
فقبل عمر ، ويحل كل لعب مباح لان النبي ﷺ أقر الحبشة على اللعب في يوم
العيد في مسجده ﷺ ، ويحل الرجز والحدو في نحو العمارة والتدريب على الحرب
بانواعه وما يورث الحماسة فيه كطبل الحرب دون آلات الملاهي فانها محرمة ،
والفرق ظاهر ولا بأس بدف العرس وقد قال ﷺ « بعثت بالحنيفية السمحة
ليعلم يهود ان في ديننا فسحة » هذا وعندنا ان الامام ابن القيم وشيخه اماما حق
من اهل السنة وكتبهم عندنا من اعز الكتب إلا انا غير مقلدين لهم في كل مسألة
فان كل احد يؤخذ من قوله ويترك إلا نبينا محمد ﷺ ومعلوم مخالفتنا لهم في
عدة مسائل ، منها طلاق الثالث بلفظ واحد في مجلس ، فانا نقول تبعاً للأئمة
الأربعة ، ونرى الوقوف صحيحاً والنذر جائزاً ، ويجب الوفاء به في غير المعصية
ومن البدع المنهي عنها قراءة الفواتح للمشايع بعد الصلوات الخمس والاطراء في
مدحهم والتوسل بهم على الوجه المعتاد في كثير من البلاد وبعد مجامع
العبادات معتقدين ان ذلك من اقرب القرب وهو ربما جر إلى الشرك
من حيث لا يشعر الانسان ، فان الانسان يحصل منه الشرك من دون شعور
به لحقائه ، ولولا ذلك لما استعاذ النبي ﷺ منه بقوله « اللهم اني أعوذ بك ان
أشرك بك وانا اعلم ، واستغفرك لما تعلم انت علام الغيوب » وينبغي المحافظة
على هذه الكلمات والتحرز عن الشرك ما امكن ، فان عمر ابن الخطاب رضي
الله عنه قال : انما تنقص عرى الاسلام عروة عروة ، قالوا متى ؟ قال : اذا
دخل في الاسلام من لا يعرف الجاهلية ، أو كما قال : وذلك لأنه يفعل
الشرك ويعتقد انه قرية نعوذ بالله من الخذلان وزوال الايمان ، هذا ما حضرني
حال المراجعة مع المذكور مسددة تردده وهو يطالبني كل حين بنقل ذلك
وتحريره ، فلما ألح على نقلته له هذا من دون مراجعة كتاب ، وأنا في غابة

الاشتغال بما هو أهم من أمر الغزو ، فمن أراد تحقيق ما نحن عليه فليقدم عليه
الدرعية فسرى ما يسر خاطره من الدروس في فنون العلم خصوصاً التفسير
والحديث ، ويرى ما يبهره بحمد الله وعونه من إقامة شعائر الدين والرفق
بالضعفاء والوفود والمساكين ، ولا ننكر لطريقة الصوفية وتنزيه الباطن من
رذائل المعاصي المتعلقة بالقلب والجوارح ، مهما استقام صاحبها على القانون
الشرعي ، والمنهج القويم المرعي ، إلا أننا لا نتكلف له تأويلات في كلامه
ولا في أفعاله ولا نعول ونستعين ونستنصر ونتوكل في جميع أمورنا إلا على
الله تعالى وهو حسبنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير وصلى الله على
سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، قال ذلك عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب
عفا الله عنه والمسلمين . تَبَيَّنَ قال شيخنا الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ
عبد الرحمن ابن حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى .

فصل

ونقص عليك شيئاً من سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ونذكر طرفاً
من أخباره وأحواله ، ليعلم الناظر فيه حقيقة أمره فلا يروج عليه تشيع من
استحوذ عليه الشيطان واغراه ، وبالغ في كفره واستهواه .

فنقول : قد عرف واشتهر واستفاض من تقارير الشيخ ومراسلاته
ومصنفاته المسبوعة المقرومة عليه وما ثبت بخطه وعرف واشتهر من أمره
ودعوته وما عليه الفضلاء والنبلاء من أصحابه وتلامذته ، أنه على ما كان عليه
السلف الصالح وأئمة الدين أهل الفقه والفتوى في باب معرفة الله واثبات صفات
كماه ونعوت جلالة التي نطق بها الكتاب العزيز ، وصحت بها الأخبار النبوية
وتلقتها أصحاب رسول الله ﷺ بالقبول والتسليم ، يثبتونها ويؤمنون بها
ويعبرونها كما جاءت ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف وقد
درج على هذا من بعدهم من التابعين وتابعيهم من أهل العلم والإيمان وسلف

الامة وأئمتها كسعيد بن المسيب وعروة ابن الزبير والقاسم بن محمد وسالم
ابن عبد الله وطلحة ابن عبيد الله وسليمان بن يسار وأمثالهم ، ومن الطبقة
الأولى كمجاهد ابن جبر وعطا بن أبي رباح والحسن البصري وابن سيرين وعامر
الشعبي وجنادة ابن ابى امية وحسان ابن عطية وأمثالهم ، ومن الطبقة الثانية علي
ابن الحسين وعمر ابن عبد العزيز ومحمد ابن مسلم الزهري ومالك ابن أنس
وابن ابى ذئب وابن الماجشون ، وكحماد ابن سلمة وحماد بن زيد والفضيل
ابن عياض وعبد الله بن المبارك وأبي حنيفة النعمان بن ثابت ومحمد بن ادريس
واسحاق ابن ابراهيم بن راهويه واحمد ابن حنبل ومحمد ابن اسماعيل البخاري
ومسلم ابن الحجاج القشيري واخوانهم وأمثالهم ونظرانهم من أهل الفقه والأثر
في كل مصر وعصر .

وأما توحيد العبادة والالهية فلا خلاف بين اهل الاسلام فيما قاله الشيخ
وثبت عنه من المعتقد الذي دعا اليه ، يوضح ذلك ان أصل الاسلام وقاعدته
شهادة ان لا إله إلا الله ، وهي أصل الايمان بالله وحده وهي افضل شعب
الايمان وهذا الاصل لا بد فيه من العلم والعمل والاقرار باجماع المسلمين ،
ومدلوله وجوب عبادة الله وحده لا شريك له والبراءة من عبادة ما سواه كائنا
من كان ، وهذا هو الحكمة التي خلقت لها الانس والجن وأرسلت لها الرسل
وانزلت بها الكتب ، وهي تتضمن كمال الدين والحب وتتضمن كمال الطاعة
والتعظيم ، وهذا هو دين الاسلام ، وهو يتضمن الاستسلام لله وحده ، فمن
استسلم له ولغيره كان مشركا ، ومن لم يستسلم له كان مستكبرا عن عبادته ،
قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)
وقال تعالى (وما ارسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه انه لا إله إلا انا
فاعبدون) وقال تعالى عن الخليل (اذ قال لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون
إلا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون)
وقال تعالى (افرايتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فأنهم عدو لي

إلا رب العالمين) وقال تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا براء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) وقال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وذكر عن رسله نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم انهم قالوا لقومهم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، وقال عن أهل الكهف (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا اذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) وقال تعالى (ان الله لا يفر ان يشرك به) في موضعين من كتابه وقال تعالى (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) قال رحمه الله والشرك المراد بهذه الآيات ونحوها يدخل فيها شرك عبادة القبور وعبادة الانبياء والملائكة والصالحين فان هذا هو شرك جاهلية العرب الذين بعث فيهم عبد الله ورسوله محمد ﷺ فانهم كانوا يدعونها ويلتجئون اليها ويسألونها على وجه التوسل بجاهها وشفاعتها لتقربهم الى الله كما حكى الله ذلك عنهم في مواضع من كتابه ، كقوله تعالى (ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الآية . وقال تعالى (فلولوا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفكرون) .

قال رحمه الله ومعلوم أن المشركين لم يزعموا ان الانبياء والاولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السموات والارض واستقلوا بشيء من التدبير والتأثير والايجاد ولو في خلق ذرة من الذرات ، قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) فهم معترفون بهذا مقرون به

لا ينازعون فيه ، ولذلك حسن موقع الاستفهام وقامت الحجة بما أقرؤا به من هذه الجمل وبطلت عبادة من لا يكشف الضر ويمسك الرحمة ولا يخفى ما في التنكير من العموم والشمول المتناول لاقل شيء وأدناه من ضراً ورحمة ، وقال تعالى : (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون) الى قوله (فأني تسحرون) وقال تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) ذكر فيه السلف كأبن عباس وغيره إيمانهم هنا بما أقرؤا به من ربوبيته وملكوته وفسر شركهم بعبادة غيره ، قال رحمه الله وقد بين القرآن في غير موضع أن من المشركين من أشرك بالملائكة ، ومنهم من أشرك بالانبياء والصالحين ، ومنهم من أشرك بالكواكب ، ومنهم من أشرك بالاصنام ، وقد رد عليهم جميعهم وكفر كل أصنافهم كما قال تعالى (ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) وقال تعالى (اتخذوا أنبياءهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم) الآية وقال (لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون) ونحو ذلك في القرآن كثير وبه يعلم المؤمن ان عبادة الانبياء والصالحين كعبادة الكواكب والاصنام ، من حيث الشرك والكفر بعبادة غير الله .

قال رحمه الله : وهذه العبادات التي صرفها المشركون لأهتهم هي افعال العبد الصادرة منه كالحب والخضوع والانابة والتوكل والاستعانة والاستغاثة والخوف والرجاء والنسك والتقوى والطواف ببيته ورجاء وقلق القلوب والآمال بفيضه ومدته وإحسانه وكرمه ، فهذه الانواع أشرف أنواع العبادة وأجلها ، بل هي لب سائر الأعمال الاسلامية وخلاصتها ، وكل عمل يخلو منها ، فهو خداج مردود على صاحبه وانما أشرك وكفر من كفر من المشركين ، بقصد غير الله بهذا وتأهيله لذلك قال تعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون) وقال تعالى (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون) وقال تعالى (اتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن

بضر) الآية وقال تعالى (والذين تدعون من دونه الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون) الآية . وحكى عن أهل النار أنهم يقولون لأهلهم التي عبدوها مع الله (تالله ان كنا لفي خلال مين اذ نسويكم رب العالمين) . ومعلوم أنهم ماسوونهم به في الخلق والتدبير والتأثير ، وانما كانت التسوية في الحب والخضوع والتعظيم والدعاء ونحو ذلك من العبادات .

قال رحمه الله : فجنس هؤلاء المشركين وأمثالهم من يعبد الاولياء والصالحين ، فحكم بأنهم مشركون ونزى كفرهم اذا قامت عليهم الحجة الرسالية وما عدا هذا من الذنوب التي دونه في الرتبة والمفسدة لا تكفر بها ولا نحكم على أحد من أهل القبلة الذين باينوا لعباد الاوثان والاصنام والقبور بكفر بمجرد ذنب ارتكبه وعظيم جرم اجتروحه ، وغلاة الجهمية والقدرية والرافضة ونحوهم بمن كفرهم السلف لا يخرج فيهم عن أفعال أئمة الهدى والفتوى من سلف هذه الامة ، ونبرأ الى الله بما أنت به الخوارج وقالته في أهل الذنوب من المسلمين ، قال رحمه الله : ومجرد الالباء بلفظ الشهادة من غير علم بمعناها ولا عمل بمقتضاها لا يكون به المكلف مسلماً بل هو حجة على ابن آدم ، خلافاً لمن زعم ان الايمان مجرد الاقرار كالكرامية ومجرد التصديق كالجهمية ، وقد أكذب الله المنافقين فيما أتوا به وزعموه من الشهادة ، وسجل على كذبهم مع أنهم أتوا بالفاظ مؤكدة بأنواع من التأكيدات .

قال تعالى (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) فأكدوا بلفظ الشهادة ، وإن المؤكدة ، واللام ، والجملة الاسمية فأكذبهم واكد تكذيبهم بمثل ما أكدوا به شهادتهم سواء بسواء ، وزاد التصريح باللقب الشنيع والعلم البشيع الفضيع ، وبهذا تعلم ان مسمى الايمان لا بد فيه من الصدق والعمل ، ومن شهد ان لا إله إلا الله وعبد غيره ، فلا شهادة له ، وان صلى وزكى وصام واتى بشيء من اعمال الاسلام ، قال تعالى لمن آمن ببعض الكتاب ورد بعضا (افتؤمنون

ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) الآية . وقال تعالى (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا) الآية . وقال تعالى (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه) الآية . والكفر نوعان مطلق ومقيد ، فالمطلق ان يكفر بجميع ما جاء به الرسول والمقيد ان يكفر ببعض ما جاء به الرسول حتى ان بعض العلماء كفر من انكر فرعاً مجعلاً عليه كتوريت الجد والاخت ، وان صلى وصام فكيف بمن يدعو الصالحين ، ويصرف لهم خالص العبادة ولها ، وهذا مذكور في المختصرات من كتب المذاهب الاربعية ، بل كفروا ببعض الالفاظ التي تجري على ألسن بعض الجهال ، وإن صلى وصام من جرت على لسانه .

قال رحمه الله والصحابة كفروا من منع الزكاة وقتلواهم مع اقرارهم بالشهادتين والأتيان بالصلاة والصوم والحج : قال رحمه الله واجتمعت الامة على كفر بني عبيد القداح مع أنهم يتكلمون بالشهادتين ويصلون ويبنون المساجد في قاهرة مصر وغيرها ، وذكر ان ابن الجوزي صنف كتاباً في وجوب غزوهم وقتلهم سمى النصر على مصر ، قال وهذا يعرفه من له أدنى المام بشيء من العلم والدين ، فتشبيه عبادة القبور بانهم يصلون ويصومون ويؤمنون بالبعث مجرد تعصية على العوام وتلبيس لئفك شركهم ، ويقال باسلامهم وإيمانهم ، ويأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون .

وأما مسائل القدر والجبر والارجاء والامامة والتشيع ونحو ذلك من المقالات والنحل فهو أيضاً فيها على ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الهدى والدين يبرأ بما قالته القدرية النفاة ، والناصرة المجبرة ، وما قالته المرجئة والرافضة ، وما عليه غلاة الشيعة والناصرة ، يوالي جميع أصحاب رسول الله ﷺ ويكف عما شجر بينهم ، ويرى أنهم أحق الناس بالعتق عما يصدر منهم ، وأقرب الخلق الى مغفرة الله واحسانه لفضائلهم وسوابقهم وجهادهم ، وما جرى

على ايديهم من فتح القلوب بالعلم النافع والعمل الصالح وفتح البلاد ومحو آثار
الشرك وعبادة الاوثان والثيران والاصنام والكواكب ونحو ذلك مما عبده
جهال الانام ، ويرى البراءة بما عليه الرافضة وانهم سفهاء لثام ويرى أن أفضل
الامة بعد نبيها أبو بكر فعن عثمان رضي الله عنهم أجمعين ويعتقد ان
القرآن الذي نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين وخاتم النبيين ، كلام
الله غير مخلوق منه بدأ واليه يعود ، ويبرأ من رأي الجهمية القائلين بخلق
القرآن ، ويحكي تكفيرهم عن جمهور السلف أهل العلم والايمان ويبرأ من رأي
الكلاية اتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب ، القائلين بأن كلام الله هو المعنى
القائم بنفس الباري وان ما نزل به جبرائيل حكاية او عبارة عن المعنى النفسي ،
ويقول هذا من قول الجهمية وأول من قسم هذا التقسيم هو ابن كلاب واخذ
عنه الاشعري وغيره كالثقلاني ، وتخالف الجهمية في كل ما قالوه وابتدعوه في
دين الله ، ولا يرى ما ابتدعه الصوفية من البدع والطرائق المحدثه المخالفة لهدي
رسول الله ﷺ وسنته في العبادات والحلوات ، والاذكار المخالفة للمشروع .

ولا يرى ترك السنن والاخبار النبوية لرأي فقيه ومذهب عالم خالف ذلك
باجتهاد ، بل السنة اجل في صدره واعظم عنده من ان تترك لقول احد كائناً
من كان ، قال عمر بن عبد العزيز لا رأي لاحد مع سنة سنها رسول الله ﷺ
نعم عند الضرورة وعدم الاهلية والمعرفة بالسنن والاخبار وقواعد الاستنباط
والاستظهار ، يصار الى التقليد لا مطلقاً ، بل فيما يتعسر ويخفى ؛ ولا يرى
إيجاب ما قاله المجتهد إلا بدليل تقوم به الحجة من الكتاب والسنة خلافاً للغلاة
المقلدين ؛ ويوالي الائمة الاربعة ، ويرى فضلهم وامامتهم ، وانهم من الفضل
والفضائل في غاية ورتبة يقصر عنها المتطاول ؛ ويوالي كافة اهل الاسلام وعلماهم
من اهل الحديث والفقه والتفسير واهل الزهد والعبادة ؛ ويرى المنع من
الانفراد عن أئمة الدين من السلف الماضين برأي مبتدع او قول مخترع ،
فلا يحدث في الدين ما ليس له اصل يتبع ، وما ليس من أقوال اهل العلم

والاثر ؛ ويؤمن بما نطق به الكتاب وصحت به الاخبار وجاء الوعيد عليه من تحريم دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم ؛ ولا يبيح من ذلك إلا ما أباحه الشرع وأهدره الرسول ، ومن نسب اليه خلاف هذا فقد كذب وافترى . وقال ما ليس له به علم ، وسيجزيه الله ما وعد به أمثاله من المفتري . وابدى رحمه الله من التقارير المفيدة والابحاث الفريدة على كلمة الاخلاص والتوحيد شهادة ان لا إله إلا الله ما دل عليه الكتاب المصدق ، والاجماع المستبين المحقق ، من نفي استحقاق العبادة والالهية عما سوى الله ، واثبات ذلك لله سبحانه على وجه الكمال المنافي لكليات الشرك وجزئياته ، وان هذا هو معناها وضعاً ومطابقة خلافاً لمن زعم غير ذلك من المتكلمين ، كمن يفسر ذلك بالقدرة على الاختراع ، او بأنه تعالى غني عما سواه مفتقر اليه ما عداه ، فان هذا لازم المعنى ، إذ الاله الحق لا يكون إلا قادراً غنياً عما سواه ، واما كون هذا هو المعنى المقصود بالوضع فليس كذلك ، والمتكلمون خفي عليهم هذا وظنوا ان تحقيق توحيد الربوبية والقدرة ، هو الغاية المقصودة ، والفناء فيه هو تحقيق التوحيد ، وليس الامر كذلك ، بل هذا لا يكفي في الايمان وأصل الاسلام ، إلا إذا اضيف اليه واقترون به توحيد الالهية ، وافراد الله بالعبادة والحب والخضوع والتعظيم والانابة والتوكل والخوف والرجاء وطاعة الله وطاعة رسوله ، هذا اصل الاسلام وقاعدته والتوحيد الاول توحيد الربوبية والقدرة والخالق والايجاد هو الذي بنى عليه توحيد العمل والارادة ، وهو دليله الاكبر واصله الاعظم ، كما قال تعالى (والهمك إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) إلى آخر الآيات . قال العلامة ابن القيم رحمه الله شعراً :

إن كان ربك واحداً سبحانه فاخصه بالتوحيد مع احسان
او كان ربك واحداً أنشاك لم يشركه إذ أنشاك رب ثان
فكذلك ايضاً وحده فاعبده لا تعبد سواه يا اخا العرفان
وهذه الجمل منقولة عن سلف الائمة من المفسرين وغيرهم من اهل اللغة

إجمالاً وتفصيلاً . وقد قرر رحمه الله ، على شهادة ان محمداً رسول الله من بيان ما تستلزمه هذه الشهادة وتستدعيه وتقتضيه من تجريد المتابعة والقيام بالحقوق النبوية من الحب والتوقير والنصر والمتابعة والطاعة وتقديم سنه ﷺ على كل سنة وقول ، والوقوف معها حيث ما وقفت ، والانتفاء حيث انتهت في اصول الدين وفروعه باطنه وظاهره وخفيه وجليه كليه وجزئيه ظهر به فضله وتأكد علمه ونبله ، وانه سباق غايات وصاحب آيات ، لا يُشَقُّ غباره ، ولا تدرك في البحث والافادة آثاره ، وان اعداءه ومنازعيه ، وخصومه في الفضل وشانئيه ، يصدق عليهم المثل السائر ، بين اهل المحابر والدفاتر ، شعراً :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالناس اعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغياً انه لدميم

وله رحمه الله من المناقب والمآثر ما لا يحصى على اهل الفضائل والبصائر ، وبما اختصه الله به من الكرامة تسلط اعداء الدين وخصوم عباد الله المؤمنين على مسبته والتعرض لبهته وعيبه ، قال الشافعي رحمه الله تعالى : ما أرى الناس ابتلوا بشتم أصحاب رسول الله ﷺ الا ليزيدهم الله بذلك ثواباً عند انقطاع أعمالهم .

وأفضل الأمة بعد نبيها أبو بكر ، وعمر ، وقد ابتليا من طعن أهل الجاهالة والفاقة بما لا يخفى ، وما حكيناه عن الشيخ حكاة أهل المقالات عن أهل السنة والجماعة مجملًا ومفصلاً ، وهذه عبارة أبي الحسن الأشعري في كتابه مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، قال أبو الحسن الأشعري : جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة الاقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون من ذلك شيئاً ، والله تعالى إله واحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ، وأن الله تعالى على عرشه ، كما قال (الرحمن على العرش استوى)

وان له يدين بلا كيف كما قال (لما خلقت بيدي) وكما قال ، (بل يدها
 مبسوطتان) وان له عينين بلا كيف وان له وجها جيل ذكره كما قال تعالى
 (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) ، وان اسماء الله تعالى لا يقال انها
 غير الله كما قالت المعتزلة والخواارج واقروا ان الله علما كما قال (أنزله بعلمه)
 واو كما قال (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) واثبتوا السمع والبصر
 ولم ينفوا ذلك كما نفته المعتزلة ، واثبتوا الله القوة كما قال تعالى (أولم يروا ان
 الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) وقالوا انه لا يكون من خير ولا شر
 إلا ما شاء الله ، وان الاشياء تكون بمشيئة الله تعالى كما قال تعالى (وما تشاؤون
 إلا ان يشاء الله) وكما قال المسلمون ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن ، وقالوا
 ان احدا لا يستطيع ان يفعل شيئا قبل ان يفعله ، او ان يكون احد يقدر
 على ان يخرج عن علم الله وان يفعل شيئا علم الله انه لا يفعله ، واقروا انه
 لا خالق إلا الله ، وأن أعمال العباد مخلقاها الله ، وان العباد لا يقدر ان
 يخلقوا شيئا ، وان الله تعالى وفق المؤمنين لطاعته ، وخذل الكافرين بمعصيته ،
 ولطف للمؤمنين ونظر لهم وأصلحهم وهداهم ولم يلطف للكافرين ولا أصلحهم
 ولا هداهم ، ولو أصلحهم لكانوا صالحين ولو هدامهم لكانوا مهتدين ، وان الله
 تعالى يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف لهم حتى يكونوا مؤمنين ولكنه اراد
 ان يكونوا كافرين كما علم وخذلهم وأضلهم وطبع على قلوبهم ، وان الخير والشر
 بقضاء الله وقدره ويؤمنون بقضاء الله وقدره وخيره وشره خلوه وممره ،
 ويؤمنون انهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله كما قال ،
 ويلجئون أمرهم الى الله ويثبتون الحاجة الى الله في كل وقت والفقر الى الله
 في كل حال ، ويقولون ان القرآن كلام الله غير مخلوق والكلام في الوقف
 واللفظ من قال باللفظ او بالوقف فهو مبتدع عندهم لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق
 ولا يقال غير مخلوق ، ويقولون ان الله تعالى يرى بالابصار يوم القيامة كما يرى
 القمر ليلة البدر ويراه المؤمنون ولا يراه الكافرون لانهم عن الله محجوبون ،

قال الله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وان موسى سأل الله سبحانه الرؤية في الدنيا وان الله تعالى تجلى للجبل فجعله دكا فاعلمه بذلك انه لا يراه في الدنيا بل يراه في الآخرة ، ولم يكفروا احداً من اهل القبلة بذنب يرتكبه كتنهوا الزنا والسرقه وما اشبه ذلك من الكبائر ، وهم بما معهم من الايمان مؤمنون وان ارتكبوا الكبائر ، والايمان عندهم هو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره وحلوه ومره ، وان ما اخطأهم لم يكن ليصيبهم وما اصابهم لم يكن ليخطئهم ، والاسلام هو أن يشهد أن لا إله الا الله على ما جاء الحديث ، والاسلام عندهم غير الايمان ، ويقولون بأن الله مقلب القلوب ويقولون بشفاعه رسول الله ﷺ وانها لأهل الكبائر من امته وبعبذاب القبر وان الحوض حق والمحاسبه من الله للعباد حق ، والوقوف بين يدي الله حق ، ويقولون بأن الايمان قول وعمل يزيد وينقص ، ولا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق ، ويقولون اسماء الله هي الله ، ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار ، ولا يحكمون بالجنة لأحد من المومنين ، حتى يكون الله انزلهم حيث شاء ، ويقولون أمرهم الى الله إن شاء عذبهم وان شاء غفر لهم ، ويؤمنون بأن الله تعالى يخرج قوماً من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ ، وينكرون الجدل والمراء في الدين والخصومة في القدر والمناظرة فيما تناظر فيه اهل الجدل ويتنازعون فيه من أمر دينهم بالتسليم للروايات الصحيحة ، ولما جاءت به الآثار التي رواها الثقات عدلاً عن عدل حتى ينتهي ذلك الى رسول الله ﷺ ولا يقول كيف ولا لم ؟ لأن ذلك بدعة ، ويقولون ان الله لم يأمر بالشر بل نهى عنه وأمر بالخير ولم يرض بالشر وان كان مريداً له ، ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ ويأخذون بفضائلهم ويمسكون عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم ، ويقدمون ابا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علياً رضي الله عنهم . ويقولون أنهم الخلفاء الراشدون المهتدون ، وانهم أفضل الناس كلهم بعد

النبي ﷺ ، ويصدقون بالاحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ أن الله ينزل من السماء الدنيا فيقول هل من مستغفر كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ ، يأخذون بالكتاب والسنة ، كما قال الله تعالى (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله) ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين ، ولا يبتدعون في دينهم ما لم يأذن به الله ، ويقولون ان الله تعالى يجيء يوم القيامة كما قال (وجاء ربك والملك صفا صفا) وان الله تعالى يقرب من خلقه كيف يشاء كما قال تعالى (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) ويرون العيد والجمعة والجماعة خلف كل إمام بر وفاجر ويشبتون المسح على الخفين في الحضر والسفر ، ويشبتون فرض الجهاد للمشركين منذ بعث الله نبيه ﷺ إلى آخر عصاة تقاتل الدجال ، وبعد ذلك يرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح وان لا يخرج عليهم بالسيف وان لا يقاتلوا في الفتنة ، ويصدقون بخروج الدجال وان عيسى ابن مريم يقتله ، ويؤمنون بمنكر ونكير والمعراج والرويا في المنام ، وان الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل اليهم ، ويصدقون بان في الدنيا سحرة وان الساحر كافر ، وان السحر كائن موجود في الدنيا ، ويرون الصلاة على كل من مات من اهل القبلة مؤمنهم وفاجرهم ، ويقولون ان الجنة والنار مخلوقتان ، وان من مات مات بأجله ، وكذلك من قتل قتل بأجله ، وان الارزاق من قبل الله تعالى يرزقها عباده حلالا كانت أو حراماً ، وأن الشيطان يوسوس للانسان ويشككه ويخبطه وأن الصالحين قد يجوز أن ينخصهم الله تعالى بآيات تظهر عليهم ، وان السنة لا تنسخ القرآن وان الاطفال أمرهم الى الله ان شاء عذبهم ، وان شاء فعل بهم ما أراد ، وان الله عالم ما العباد عاملون ، وكتب ان ذلك يكون ، وان الأمر بيد الله تعالى ، ويرون الصبر على حكم الله والأخذ بما أمر الله به ، والانتها عما نهى عنه وإخلاص العمل والنصيحة للمسلمين ، ويدينون بعبادة الله في العابدين والنصيحة لجماعة المسلمين واجتناب الكبائر والزنا وقول الزوا

والمعصية والفخر والكبر والازراء على الناس والعجب ، ويرون مجانبة كلّ
داع الى بدعة والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر في الفقه مع
التواضع والاستكانة وحسن الخلق وبذل المعروف وكف الأذى وترك الغيبة
والنميمة والسعاية وتفقد المأكل والمشرب ، فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه
ويروونه ، وبكل ما ذكرنا من قولهم ، نقول واليه نذهب ، وما توفيقنا
إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وهذا آخر ما أردنا من جواب هذا
المسؤول على وجه الاختصار ، وقد تركنا كثيراً من كلامه وخرافاته ، والله
المسؤول المرجو الأجابة أن يهدينا صراطه المستقيم ، وان يجنبنا بفضل ورحمة
طريق أصحاب الجحيم ، والحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات ، ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
تسليماً كثيراً الى يوم الدين ، ورحم الله كاتبه وغفر له ذنوبه وستر عليه عيوبه
وهده الى الطيب من القول ، وهده الى صراط الحميد ، وتوفاه على الاسلام
والايمان والديه وذريته واخوانه وجميع المسلمين والمؤمنين بمته وكرمه
ولطفه وعفوه آمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة الكتاب	٣
تعتت ابن عفالق في أسئلته التي وجهها الى الشيخ محمد رحمه الله	٤
الذين تعرضوا للرد على الامام محمد كلهم من الهيج الرعاع	١٠
فرية نسبة انتقاص الرسول ﷺ الى الشيخ	١٦
مفتريات منسوبة الى الشيخ	١٩
ثناء العلماء على الشيخ	٢١
رسالة الامام عبد العزيز بن سعود في بيان حقيقة الدعوة	٢٣
كلام الشيخ ابن غنام المؤرخ في انتشار الشرك والبدع	٤٨
قصيدة الامير محمد بن اسماعيل الصنعاني في غربة الدين	٥٥
الشيخ لا يكفر الا من كفره الله ورسوله	٥٦
قصيدة ملا عمران في الثناء على الشيخ	٥٨
المفاسد العظيمة في اتخاذ القبور أعياداً	٧٠
المشرق المذكور في الاحاديث	٨٣
حقيقة دعوة الشيخ وبراءته من مذهب الخوارج	٩١
فضل بني تميم	١٠١
أدلة توحيد الالهية	١٠٧
أنواع التوحيد	١١٠
دعاء الاموات شرك مهبا كان المدعو	١١٩
الشيخ لا ينكر كرامات الاولياء	١٢٨
غلو البوصيري في برده	١٣٠
حكم التوسل وكلام العلماء في ذلك	١٣٧

الموضوع	الصفحة
ما نزل في الكفار يعم من فعل فعلهم	١٤٢
دعاء الانبياء والاولياء شرك	١٤٥
توحيد الالهية ومعنى الاله	١٤٦
حكم تكفير المسلمين	١٥٥
افتراق الامة وبيان الفرقة الناجية	١٦٥
نفي التجسيم وتنزيه الرب عن ذلك	١٧٢
ابطال اقوال الملحدين واثبات ما اثبته الله لنفسه	١٧٥
الغلو في الرسول ﷺ تنقص له وهضم لحقه	١٨٠
ملخص كلام الشيخ ابن تيمية في كرامات الاولياء	١٨٤
تفسير ابن عباس لقوله تعالى (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون)	١٨٩
النهي عن تجصيص القبور والبناء عليها	١٩٤
حديث « لعن الله زائرات القبور النخ »	٢٠٧
الاستدلال على منع زيارة المشاهد بحديث « لا تشد الرحال النخ »	٢١٠
شد الرحال لزيارة القبور من البدع في الدين	٢١٦
قصيدة المؤلف في معارضة (بدء الاماني)	٢٢١
رد المؤلف رحمه الله على قصيدة الاحسائي وابطال ما فيها	٢٢٣
اقسام التوسل المشروع وغير المشروع وتوضيح ذلك	٢٣١
قصة سواد بن قارب لا حجة فيها لمن قال يجوز دعاء غير الله	٢٣٣
استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما	٢٣٧
قصيدة المؤلف رحمه الله في الرد على العدني في توسله	٢٤٣
براءة الشيخ رحمه الله بما نسب اليه من الاكاذيب المزورة	٢٤٨
حديث « لو اعتقد احدكم في حجر لنفعه » موضوع مكذوب	٢٥٣
كلام شيخ الاسلام رحمه الله في الغلو بالمشائخ وغيرهم	٢٥٦

الصفحة	الموضوع
٢٥٨	قصيدة الشيخ حسين بن غنام في الرد على محمد بن فيروز احمد ائمة الضلال
٢٦٠	حديث «لما اقترف آدم الخطيئة الخ» وبيان ان هذا الحديث مكذوب باتفاق اهل العلم
٢٦٩	اقوال الائمة الاربعة اذا خالفت اقوالهم قول الرسول ﷺ
٢٧١	قصيدة الشيخ احمد بن مشرف في الرد على من طعن على الشيخ محمد وحفيده
٢٧٣	كلام الغزالي وبيان انه مخالف لنص رسول الله ﷺ
٢٧٤	قصيدة المؤلف رحمه الله في زيارة قبر الرسول ﷺ
٢٨٨	حكاية الاعرابي التي رواها العتيبي ومناقشتها
٢٩٣	رد المؤلف على كلام محمد بن سليمان الكردي
٣٠٧	تكفير من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوم
٣١٠	الرد على محمد بن عفالق
٣١٣	ذكر شيء من معتقد الشيخ محمد رحمه الله تعالى
٣٢٥	نبذة من سيرة الشيخ محمد رحمه الله وطرف من اخباره
٣٣٣	بيان افضل الامة بعد نبيها